

النظام

في شرح شعر المتنبي وأبي تمام

لأبي البركات شرف الدين المبارك بن أحمد الأربلي

المعروف بابن المستوفي



دراسة و تحقيق

الأستاذ الدكتور

خلف رشيد نعمان

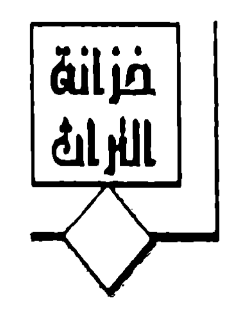


النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ـ الجزء الثالث عشر
دراسة وتحقيق: أ. الدكتور خلف رشيد نعمان
الطبعة الأولى ٢٠١٤
سلسلة خزانة التراث



الطباعة الالكترونية : هادي محمد مسعود

العنوان :
العراق – بغداد – لعظمية – حي تونس
ص. ب. ٤٠٣٢ – فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ – هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar_iraqculture@yahoo.com



النظـــــــام

في شرح شعر المتنبي وابي تمام

لأبي البركات شرف الدين المبارك بن أحمد الأربلي

المعروف بابن المستوفي المتوفى سنة ٦٣٧هـ

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور

خلف رشيد نعمان

الجزء الثالث عشر

وفيه:

قصائد المتنبي على قافية: ك

وقصائد أبي تمام على قافية: ل

الطبعة الأولى ــ بغداد ــ ٢٠١٤

قصائد المتنبي

على قافية الكاف

وقال ابو الطيب :

وقد أجمل سيف الدولة ذكره:

١ - رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكا

وَرُبَّ قافِيَةٍ غَاظَتْ بهِ مَلِكَا

قال الواحدي :

يقول: رُبَّ دمٍ إنصبّ به، أي: بسببه، لأنه صبّه، أو أمر بصبّه. ويريد بالقافية: القصيدة.

يقول : رُبّ قصيدة مُدِحَ بها فغاظت تلك القصيدة ملكاً حيث حَسَده عليها، لحسنها.

قال أبو العلاء :

من أول البسيط ، ولم يزاحف أبو الطيب زحافاً تنكره الغريزة إلا في هذا الموضع. ولا ريب انه قال على البديهة. ولو أن لي حكماً في هذا البيت لجعلتُ (أوّله): "كم من نجيعٍ بسيف الدولة انسفكا". لأنَّ "رُبَّ" تدلّ على القِلّة. وإنما يجب أن يصف كثرة سفكه دماء الأعداء. ويحسن ذلك انَّ "رُبَّ" جاءت في النصف الثاني.[1]

قال المبارك بن أحمد :

الأولى أن يحسده الملك على القافية المقولة فيه لما تضمّنته من مدائح ليست للملك الحاسد، لا لِحُسْن القافية، لأنَّ الحُسْنَ والقبح في القافية إنما يتعلقان بالشعر، ويؤيد ذلك قوله به في الثانية كما ذكره في الأولى.

وإنما يريد الواحدي انه يحسد على قائلها إذ هو من مادِحِيه، ولا مادح للملك الحاسد مثله مجيداً. ويكون هذا ضد قوله:

فابلغْ حاسِدِيَّ عليك انّي

كبا بَرْقٌ يحاول بي لحاقا[2]

---

[1] ذكر أبو المرشد المعري كلام أبي العلاء هذا في كتابه "تفسير أبيات المعاني" وجاء بعده: "وهي ضدّ "كم".

[2] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :=

وقول أبي العلاء: "ربّ تدلّ على القلّة، وإنما يجب أن يصف سفك دماء الأعداء الفصل".

وقد وردت "ربّ" للتكثير في غير موضع. وقد تقدّم مثل ذلك نحو قول جذيمة الأبرش:[٣]

رُبَمــــا أَوْفَيْـــــتُ في عَلَــــمٍ
تَـــــرْفَعَنْ ثَـــــوْبي شَـــــمَالاتُ[٤]

فهي في الموضعين من هذا البيت للتكثير ، إذ لا يحسن أنْ يمدح بالقلّة في الموضعين. وما علّله به من مجيئها في النصف الثاني لا معنى له. ولعلّه أراد أنْ يجمع بقوله ذلك بين "كم" في التكثير، و"رُبّ" في التقليل، فيكون من قبيل الطباق.[٥]

٢- مَــنْ يَعْــرِفِ الـشَّمْسَ لا يُنْكِـرْ مَطَالِعَهــا
أو يُبْــصِرِ الخَيْــلِ لا يَــسْتَكْرِمِ الرَّمَكَــا

=أيــدري الرّبــع أيّ دمٍ أراقــا وأيّ قلــوبٍ هــذا الــركب شــاقا

وقد مرّ ذكرها.

(٣) جَذِيمَة الأبرش أو الوضاح : هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم التنوخي القضاعي. ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق. جاهلي عاش عمراً طويلاً، وكان أعزّ مَنْ سبقه من ملوك هذه الدولة. اجتمع له ملك ما بين الحيرة والأنبار والرقة وعين التمر والقطقطانية وبقة وهيت وأطراف البر الى العمير ويبرين وما وراء ذلك. وأول مَنْ غزا بالجيوش المنتظمة، وأول مَنْ عملت المجانيق للحرب من ملوك العرب، وكان يقال له "الوضاح" و"الأبرش" لبرص فيه، حارب عمر بن الضراب أبا الزباء فقتله وانتهت بلاده، فجمعت الزباء من تدمر، واستعدت، ثم راسلت جذيمة وعرضت عليه نفسها زوجة. فجاءها في جمع قليل فقتلته بثأر أبيها. في نحو ٣٦٦ق.هـ وكان في الكوفة "مسجد جذيمة" يُنسب الى بنيه، أخباره في الكامل: ١/١١٩، وابن خلدون: ٢/٢٦٠، ومعجم البلدان: ٣/٣٧٩، وخزانة الأدب: ٤/٥٦٩، والأعلام: ٢/١١٤.

(٤) أنظر: صحاح الجوهري ، واللسان مادة "شمل".

(٥) قال ابن عدلان وقد أورد ما ذكره الواحدي :

النجيع : الدم. وسفكه : صبّه. والقافية : القصيدة. يقول : رُبّ دمٍ سُفك كان سفكه بأمره من الذين يخافونه ويعاندونه، ورُبّ ملك يعانده سمع مدائحه، فغاظه ذلك، وحسده عليها لحسنها.

قال أبو الفتح :

أي: إنما فضلتك لأني قايستك بغيرك ، فكنت فوقه بمنزلة الخيل من الرّمك. لأنَّ الشمس لا تنكر مطالعها لشهرتها. فكذلك أنت.

وقد طواه مع هذا على حُرْمته عنده على غيره.

قال الواحدي :

يقول: مَنْ عرفك لم يجحد فضلك ، كالشمس لا يدفع ارتفاعها مَنْ يعرفها، ومَنْ رآك لم يستعظم غيرك.

ويروى : "لا يَسْتَفْرِهُ الرّمكا".[٦]

قال أبو القاسم عبدالواحد بن علي بن محمد بن زكريا المطرّز:

هذا البيت يلوح به شبه عتاب.

فيقول : من حقّ مَنْ يميّز الرجال أنْ يعرف مواقع كل واحد منهم. فلا يضع الوضيع في موضع الشريف، فإنَّ مَنْ يعرف الخيل العراب لا يستفره الرّماك.[٧]

٣ـ تَسُرُّ بالمالِ بَعْضَ المالِ تَمْلِكُهُ
إنَّ البلادَ وإنَّ العَالَمِينَ لَكَا

قال أبو الفتح :

أي : نحن بعض ما تملكه ، فإنما تَسُرُّ بما تعطيناه بعض مالك بعضه.

---

(٦) جاء في كتاب الواحدي بعد ذلك :

"الرّمك : اناث الخيل التي تتّخذ للنسل".

(٧) قال ابن عدلان :

"الرَّمَك" : جمع رَمَكة. وهي الفرس التي تتخذ للنتاج دون الركوب.

وقال الجوهري : هي الأنثى مِن البراذين. وجمعها : رِماك وأرماك ورَمَكات. مثل : ثمار وأثمار.

المعنى : انه ضرب له مثلاً باختياره لقصده ، ومعرفة سيف الدولة فضله : مَنْ عرف الشمس لا ينكر مطالعها باختلافها. ومَنْ عرف سيف الدولة لم يستعظم غيره. لاختلاف مقاصده، ومَنْ أبصر عناق الخيل لم يستكرم هجان الخيل الرَّمَك.

وقال الواحدي :

يقول: الناس كلهم لك، فإذا وهبتَ أحداً شيئاً فقد سرَرْت بمالك مالَك، فان الكلّ لك.[٨]

* *

وقال أبو [الطيب] :

لابن عبدالوهّاب ، وقد جلس ابنه الى جانب المصباح:

١ــ أمـــا تَـــرَى مــا أَرَاهُ أيُّهـــا المَلِـــكُ

كأنَّنـــــا في سَـــــمَاءٍ مالَهـــــا حُبُـــــكُ

"الحُبُك" : جمع حَبِيكة ، وهي الطريقة.[١]

قال الواحدي:

جعل مجلسه في عُلُوّ قدره كالسماء في ارتفاعها ، غير انــه ليـست لــه طرائـق، كمـا للسماء.

ثم ذكر شبه مجلسه بالسماء.[٢]

---

[٨] قال ابن عدلان مستشهداً بعد أن أورد ما ذكره الواحدي :
يقول : نحن ممن تملكه ، فإذا أعطيتنا شيئاً فإنما يفرح بعض ملكك ببعض، لأنَّ البلاد والنـاس كلهـم طوع لك. وفيه نظر الى قول عديّ بن زيد:

وَلَـــكَ المَـــالُ والبِـــلادُ ومـــا يَمْلَـــكُ مِـنْ ثـــابتٍ وَمِـنْ مُسْتَـــاقِ

[١] هذا الكلام لأبي الفتح بن جني ورد في كتابه الفسر ، وجاء بعده:
قال تعالى: "والسماء ذات الحُبُك". وقال زهير :

مُكَلَّـــــلٌ بأصـــــول النبـــــت تنـــسِجُهُ
ريـــحٌ خَرِيـــقٌ لـــضاحي مائـــه حُبُـــكُ

وجاء في الحديث: "ان شعر الدّجال حُبُك". قالوا: أي طرائق.

[٢] قال ابن عدلان في كتابه :
"الحُبُك" : جمع حبيكة ، وهي طرائق النجوم.
يقول: أوَ ما ترى ما أراه من العجائب ، ثمَّ شبّه مجلسه لعلوّ قدره وشرفـه بالـسماء، إلا انـه غـير ذي طرائق كطرائق السماء، ثم قال [البيت التالي].

٢ــ الفَرْقَــدُ ابْنُــكَ والمِــصْبَاحُ صاحِبُــهُ
وأنْــتَ بَــدْرُ الــدُّجَى والمَجْلِــسُ الفَلَــكُ

قال أبو الفتح:

أراد أن يقول: ان المصباح أخـوه فلـم يمكنـه. فقـال: صـاحبه، وبـالأخوّة تُوصـف الفرقدان، وإنْ كان الصحبة لا تبعد مـن وصـفهما. وبـذلك وردت أشـعار العـرب. قـال الشاعر:

وكـــــلُّ أخٍ مفارِقُــــــهُ أخـــــوهُ
لَعَمْـــــرُ أبيـــــك إلا الفرقـــــدانِ

وقال الواحدي :

جعل ابنه وهو قريب من المصباح كالفرقدين.[٣]

وأراد بالصاحب : الفرقد الآخر. وهما كوكبان معروفان.[٤]

---

[٣] اللفظة في كتاب الواحدي "كالفرقد" على المفرد. وهو الصواب.

[٤] قال ابن عدلان في كتابه : وهو يردد بعض ما أورده أبو الفتح والواحدي:

الفرقدان : نجمان نَيِّران يوصفان بالأُخُوَّة. ولو أمكنه أن يقول: "والمصباح أخـوه" لقـال. وإنمـا قـال: صاحبه، فأتي بالجناس، وإن كانت الصحبة لا يتعدى وصفها.

والمعنى : انه جعل ابنه فرقداً. والمصباح المضيء أخاه ، وجعله بدراً ومجلسه فلكا. وفيـه نظـر الى قـول علي بن الجهم:

كأنَّـــــه وَوُلاةُ الأمْـــــرِ تَتْبَعُـــــهُ
بـــدرُ الـــسماءِ تَليـــهِ الأنْجُـــمُ الزُّهُـــرُ

[أقول: اين المصاحبة التي أراد بها الأخوّة مِن التوالي بمعنى المتابعة وهي الصف بعد الصف] ثم ذكر ابن عدلان بعد ذلك. ما يأتي:

قال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبي نواس :

مَـــضَى أيلـــولُ وارْتَفَـــعَ الحَـــرُورُ
وأذْكَـــتْ نارهـــا الـــشِّعْرَى العَبُـــورُ=

وقال ابو الطيب:[١]

١ـــ إنَّ هـــذا الـــشِّعْرَ في الـــشِّعْرِ مَلَـــكْ
سَـــارَ فَهْـــوَ الـــشَّمْسُ والـــدُّنيا فَلَـــكْ[*]

= فَقُومـــا فانكِحـــا خَمْـــراً بمـــاءِ
فـــإنَّ نِتـــاجَ بينهمـــا الـــسُّرُورُ
نِتَـــاجُ لا تَـــدِرُّ عليـــه أمٌّ
بِحَمْـــلٍ لا تُعَـــدُّ لـــهُ الـــشُّهُورُ
إذا الكاســـاتُ كَرَّتْهـــا عَلَيْنـــا
تكـــوَّنَ بينهـــا فَلَـــكٌ يَـــدُورُ
تَـــسِيرُ نُجُومُـــهُ عَجَـــلاً وَرَيْثـــاً
مُـــشَرِّقَةٌ وأحيانـــاً تَغُـــورُ
إذا لمْ يَجْـــرِهنَّ القُطْـــبُ مِتنـــا
وفي دَوْرَاتِهِـــنَّ لنـــا نُـــشُورُ

[أطلب من الباحث محاولة البحث عن العلاقة القائمة بين هذه الأبيات وبين بيت أبي الطيب. ولا بـد أنْ تكون هناك علاقة أدركها ابن وكيع واستقرّت في ذهنه ـ لم نصل الى إدراكها ـ ومن حقنـا أنْ نتـساءل: أين التشبيه الذي يربط بين القولين؟ هل هو في إنكاح الخمر بالمـاء ونتـاج مـا بينهمـا، أم في الكاسـات وكرّاتها لهذا النتاج وما فيه مثلما الفلك يدور؟ أم في النجوم تسير مرّة على عجل ومـرّة متريّثـة، تظهـر أحياناً وتختفي؟

وهل هناك شبه بين الغرضين ، أم ان المسألة لا تعـدو البحـث عـن العيـوب ومحاولـة إلـصاق تهمـة الإستراق].

(١) جاء في كتاب الفسر :
وقال : وقد إستحسن سيف الدولة قصيدته التي أولها :
× أجـابَ دمعـي وما الـداعي سِـوَى طلـل ×

(*) ورد بعد هذا البيت في المقطوعة البيتان الآتيان :
٢ـــ عـــدَلَ الـرَّحْمَـــنُ فيـــهِ بَيْنَنـــا
فَقَـــضَى بـــاللَّفْظِ لـــي والحَمْـــدِ لَـــكْ

قال ابو العلاء :

من ثالث الرَمل ، وقوله "مَلَك" يحتمل وجهين :

أحدهما : أنْ يكون فعلاً ماضياً ، من قولهم : مَلَكَ يملك: إذا غلب، وصار ملكاً.

والآخر: أنْ يدّعي له انه من الملبكة وقافيته يشترك فيها جنسان: المتدارك والمتراكب. آخر كلامه.

أي : صار ملكاً فغلب أشعار الناس واستولى عليها، وإذا كان أحد الملبكة، أي: صار في ارتفاعه كالملك السمائي.

قال ابو البقاء :

قال الواحدي :

أي : الله عادل بيننا في هذا الشعر حين حكم بلفظه لي ، وما فيه من الحمد لك.

وقال ابن عدلان :

يقول للممدوح : عَدَلَ الله فيه بيني وبينك ، فقضى بالإبداع في نظمه وقَضَى لك بما يختلج فيه من المدح والمجد لك. [ثم ذكر ما أورده الواحدي بأغلب لفظه].

٣ـ فإذا مَرَّ بأُذْنَيْ حَاسِدٍ

صارَ مِمَّنْ كانَ حَيّاً فَهَلَكْ

قال الواحدي :

أي : الحاسد إذا سمعه مات حسداً لي على حسنه ، وذلك بما فيه من الحمد وذكر مناقبك.

وقال ابن عدلان ، وقد ألمّ بمعنى ما ذكره الواحدي :

يقول : إذا سمعه حاسد من شاعر يحسدني ، هلك بحسن لفظه ، لعجزه عن الإتيان بمثله، فذلك الحاسد يصير ممن كان حيّاً فأهلكه الحسد.

وإذا مرّ بأُذنَي مَلِك حاسد لك ، وسمع حسن مناقبك وفضالك هلك حسداً، لأنه لا يقوم له أمل في أنْ يبلغ ما بلغته من المدائح والفضائل. فحِينئذٍ يهلكه حسده.

وقوله : "عدل الرحمن" في البيت الثاني ينظر فيه الى قول ابن الرومي:

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتي أعطيتني

فالدَّرُّ دُرّكَ والنِّظامُ نِظَامِي

ويروى : بكسر اللام ، أي : هو كالمَلِك للأشعار.[٢]

---

[٢] قال الواحدي في كتابه : ٤٩٥ :

أي : هو في الشعر كالملك في المخلوقين ، يفضل سائر الأشعار ، كما تفضل الملائكة الخَلق. وهو سائر في الدنيا سيرَ الشمس في السماء.

وقال ابن عدلان : الفَلَك : هو مدار الشمس والقمر والنجوم. و"المَلَك" بالتحريك : واحد وجمع. قال الكسائي: أصله: مَأْلَك، بتقديم الهمزة. من الألوكة، وهي الرّسالة. قُلِبت وقدّمت اللام، فقيل: مَلأك. وأنشد أبو عبيدة لرجل جاهلي من عبد شمس، وهو أبو وَجْزة: [يزيد بن عبيد]:

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأكٍ

تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السماءِ يصُوبُ

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فلما جمع ردّها إليه، فقالوا: ملائكة وملائك قال أميّة بن أبي الصلت

فكأنَّ بِرْقِعَ والملائِكُ حولها

سَدِرٌ تَوَاكَلَهُ القَوَائمُ أجْرَبُ

وقوله : "بِرقِع" : اسم من اسماء السماء. قيل: هي السابعة. وسَدِر: بحر. شبّه السماء بالبحر، أراد ملاسته لجريه. وقوله "تواكله": أي تواكلته الرياح فلم يتموّج.

ذكر الجوهري هذا البيت في صحاحه فقال: "تواكله القوائم أجرب" .

وذكره ابن دريد والأزهري [أجرد] بالدال ، أي وهو الصواب ، وقبله:

فأتَمَّ سِتّاً فاستوَتْ أطباقُها

وأتى بِسَابِعَةٍ فأنَّى تُوردُ

والمعنى: يقول : شعري في الشعر كالملائكة في الناس. وهو سائر في الدنيا سير الشمس. وأراد بالملائكة أفضل الناس. وقد ذهب جماعة الى ان الملائكة أفضل من بني آدم كلهم. وذهب قوم الى أنهم أفضل من بني آدم ما خلا النبيين. واستدل الأستاذ الزمخشري على انهم أفضل من الأنبياء بقوله تعالى: {لن يستنكف المسيحُ أنْ يكونَ عبدالله ولا الملائكة المقرَّبون}، فقال: هو كقول القائل: لا يقدر زيد أن يخالفني ولا أبوه، يريد: إذا كان لا يقدر فهو كذلك بالأولى. وإذا كان الملائكة، وهم أفضل، لا يستنكفون عن العبادة، فلا يستنكف عنها عيسى عليه السلام.

وأهل السنّة يقولون : الأنبياء أُولُو العزم أشرف من الملائكة. وأما نبيّنا عليه الصلاة والسلام فهو أشرف خَلق الله رجلاً ومَلَكاً. وكان أشرف الملائكة خادماً له، وصاحب رِكابه عند الإسراء. وبيت أبي الطيب منقول من قول عليّ بن الجهم.

فسارَ مَسِيرَ الشمسِ في كلِ بَلْدَةٍ

وهَبَّ هُبُوبَ الريحِ في البَلَدِ القَفْرِ

وقال ابو الطيب :

يمدح عُبَيْدَ اللهِ بن يحيى البُحْتُري :

١ـ بَكَيْـتُ يـا رَبْـعُ حتّـى كِـدْتُ أُبْكيكَـا
وَجُـدْتُ بـي وبِـدَمْعِي في مَغَانِيكـا

قال أبو الفتح :

"بي"، أي : بنفسي. يقول: بكيت في مغانيك حتى هلكت، وفَنَى دمعي أسفاً عليك، وتذكُّراً لأهلك.

وقال الواحدي :

أي : لو كنت ممن يعقل لساعدتني على البكاء.[1]

٢ـ فَعِـمْ صَـبَاحاً لَقَـدْ هَيَّجْـتَ لـي شَـجَناً
وَارْدُدْ تَحِيَّتَنـا إنّـا مُحَيُّوكـا

قال أبو الفتح :

"عِمْ صباحاً" ، أي : أنْعِم صباحاً. يقال: وعَم يَعِمُ في معنى: نَعِم يَنْعَمُ.[2]

---

[1] قال ابن عدلان مستشهداً بعد أن ألمّ بما ذكره أبو الفتح والواحدي:
وما أحسن قول ابن الرومي:

فلو طاوَعَتْنِي إذا بكيتُ دُثُورَها
بكيتُ نُحُولي بالدُّمُوعِ الهَوَاطِلِ

[2] قال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك مستشهداً :
قال :

أتَوْ ناري فقلتُ مَنُونَ قالوا
سَرَاة الجنُّ قلت عِمُوا ظلاما

وقال عنترة :

× وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي ×

[الشطر الأول للبيت "يا دار عبلة بالجِواءِ تكلّمي"]

وقال أبو العلاء :

الذين قالوا: "عِم" يريدون الأمر. من: وعَم يَعِمُ. ودعوا بذلك للربع. يقال: وعَم الإنسان يَعم: إذا كان في خير.

وقد ذهب بعض قوم الى ان "عِم صباحاً" من قولم: نَعِم ينعَم، فحذفوا النون من "ينعم". والقول الأول أشبه.

والذي قرأته: "فانعم صباحاً فقد هيّجت لي حزناً".

وقال أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافي.[٣] في قول عنترة:

× وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي ×[٤]

عِمي صباحاً: انعمي واسلمي من الأوقات في صباحك. و"صباحاً" منصوب على الظرف. و"عَمِي" محذوف من "العَمَى" على طريق التخفيف لكثرة استعماله. وقيل: إنه وَعَمَ يَعِم. مثل: وَعَدَ يَعِدُ.

فقوله: "عَمِي" مثل عَدِي ، إلا أنه لا يستعمل منه إلا هذا الفعل الذي هو دُعاء. وهو على لفظ الأمر.

وحكى بعض أصحابنا المتقدّمين انه قال: هو من قولهم: عمت السماءُ، تَغْمي، ومعنى عمت: سال مطرها.

---

(٣) هو يوسف بن الحسن بن عبدالله بن المرزبان ، أبو محمد السيرافي ، أديب لغوي، من أهل بغداد، نسبته الى سيراف، وأصله منها. شرح أبات سيبويه وشرح أبيات اصلاح المنطق، وشرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد وكمل كتاب أبيه "الإقناع" في اللغة. ولد سنة ٣٣٠هـ وتوفي سنة ٣٨٥هـ أخباره في الوفيات: ٢/ ٣٥٠، والجواهر المضيئة: ٢/٢٢٦، وبغية الوعاة: ٤٢١، والأعلام: ٨/٢٢٤.

(٤) هذا الشطر من بيت ذكرنا تمامه في هامش سابق ، وهو من معلقة عنترة المشهورة التي مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردَم

أم هل عرفت الدار بعد تَوَهّم

أنظر: شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: عبدالمنعم عبدالرؤوف شلبي، ص ١٤٢. م. التجارية بمصر.

والقول الأول أعجب ، وقد رأيناهم حذفوا بعض الأفعال التي يكثر استعمالها ما لا يوجب القياس حذفه لكثرة الاستعمال. نحو: لم ابل، ولم يَكُ. ولم نرهم استعملوا: وَعَمَ يَعم، ولا عَميَ يَعْمِي في هذا الباب.(٥)

٣ـ بأيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذاً
رِيمَ الفَلاَ بَدلاً مِنْ رِيمِ أَهْلِيكَا

قال الواحدي :

يقول : أي حكم من أحكام الزمان جرى عليك فأوجب لك إتخاذ ريم الفلا بدلاً من ظِباء الإنس.(٦)

---

(٥) قال الواحدي بعد أن ذكر ما أورده أبو الفتح وما إستشهد به:
يخاطب الربع على عادة العرب في مخاطبة الربوع والأطلال بعد ارتحال الأحبّة. يتسلّون بذلك. يقول للربع: أنْعِم صباحاً على سبيل الدعاء، لقد حرّكْت وجداً حين نظرت إليك فأجِب لي سلاماً إنّا مسلّمون عليك. وهذا مما يدل على وَلَه العاشق لفقد الأحبّة.

(٦) قال أبو الفتح في كتابه الفسر :
الريم: الظبي الخالص البياض ، وجمعه أرْآم ، قال لبيد:
زُجَلاً كأنَّ نِعَاجَ تُوضحَ فوقها
وظباءَ وَجْرةَ عُطَّفاً أرْآمها
والظباء ثلاثة أضرب : الأرْآم والعُفْرُ والأُدْم. فالأرْآم: قد ذكرناها. والعُفْر: التي يعلُو بياضها حُمرة. والأُدْم: طِوال القوائم والأعناق، بيض البُطون سُمْرُ الظهور، وهي العواهج. وهي ظباء الحجاز الكحل. ويقال: أهْلٌ وأهْلَةٌ. فجمع أهْل: أهلون. وجمع أهْلَة: أهَلات. قال تعالى: {شغلتنا أموالنا وأهلونا} (١١ الفتح). وقال الشنفرى:
ولي دونكم أهلون سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وأرقط زُهْلُولٌ وعرفاءُ جيْألُ
وقال آخر :
لَهُمْ أهَلاَتٌ حول قيس بن عاصم
إذا أدلجوا بالليل يَدْعون كوثرا=

٤ـــ أيَــامَ فِيــكَ شُــمُوسٌ مــا انْبَعَــثْنَ لنــا
إلاّ انْبَعَـــثْنَ دَمــــاً بــــاللَّحْظِ مَـــسْفُوكا[٧][*]

قال أبو الفتح :

"انبعثن" : أي : ذهبن وجئن وتحرّكْنَ. و"ابتعثن": أي : بَعثن، وأسلن، يقال: بعثت الشيء وابتعثته فانبعث هو إنبعاثاً.

قال المطرّز :

"أيامَ" : ظرف. والعامل فيه ما يدلّ عليه الأهل من معنى السكون والإستقرار. وقوله: "فيك شموس.. الى آخر البيت": صفة للأيام، فلا تعمل فيها.

فَيَقول: بأيّ حُكم زمان استبدلت الحسان التي فيك ظباء وحشي عوضاً عن ساكنيك أيام كانت الحال ذا.

= أي : تبدّلت الظباء بمن كان فيك من النساء.

وقال ابن عدلان مستشهداً بعد أن أورد معنى ما ذكره الواحدي:

ومثله لحبيب :

وظِبَــاءُ إنْــسِكَ لم تُبَــدَّلْ بَعْــدَهَا
بظبــاءِ وَحْــشِكَ ظاعنــاً بمُقِــيمِ

[٧] رواية أبي الفتح "ابتعثن" في شطري البيت. ورواية الواحدي "انبعثن" في الشطر الأول و"ابتعثن" في الثاني.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

٥- والعَــيْشُ أخْــضَرُ والأطْــلالُ مُــشْرِقَــةٌ
كــأنَّ نُــورَ عُبَيْــدِ اللهِ يَعْلُوكــا

قال الواحدي

يعني قبل تفرُّق الأحبّة وارتحالهم من الربع.

وقال ابن عدلان:

يقول : كان العيش فيك طيباً ، وأطلالك مشرقة بمَنْ كان فيك من الأحبّة قبل إرتحالهم. وهذا من أحسن المخالص.

وقوله: "فيك شموس" : لا يبعد أنْ يجعل الجملة في موضع الإضافة، لأنَّ ظروف الزمان تُضاف الى الجُمَل.

ثم ذكر ان تلك النساء كانت كالشموس حُسْناً ، ولم تكن تتعرّض للناظر إلاّ أتت عليه وأهلكته بافتتانها له، فلذلك نسب سفك الدم الى اللحظ. وإضافة ذلك الى اللحظ بديع لطيف. وقد كثر مثله في الشعر، وليس للإنبعاث. والإبتعاث: رونق لفظ.

قال المبارك بن أحمد :

لا شبهة في ان "أيّام" مضافة الى قوله: "فيك شموس... الجملة"، فلا معنى لقوله: "لا يبعُد أنْ يجعل الجملة في موضع الإضافة"، لأنه كذلك ليس غير ولهذا بنى "الأيام".

ولإضافة أسماء الزمان الى الجمل موضع غير هذا الموضع.

وقوله: "فيك شموس".. الى آخر البيت "صفة للأيام فلا تعمل فيها" كلام غير مستقيم، لأنه قد تقدّم ان الأيام مضافة إليه، فكيف يكون صفة لها؟ وهو بعضها. ولذلك قوله: "فلا تعمل فيها" قول ردئ.

ويروى: "فيك بدور" و"شموس".[٨]

---

[٨] قال الواحدي في كتابه :

يريد بالشموس : الجواري. و"انبعثن": ذهبن وجئن وتحرّكن، و"ابتعثن": بعثن، أي: أسلن. أي: لم يظهرن لنا إلا أبكيننا دماً مصبوباً بنظرنا إليهن.

وقال ابن عدلان :

يقول : أنا أتذكّر أيام فيك شموس. والعامل في "أيام" فعل مقدّر. أي: أتذكّر أيام فيك شموس ماذهبن وجئن إلا أجْرَيْنَ بألحاظِهنّ دماء عشاقهن، وفيه إشارة الى قول أشجع:

فـإذا نظـرْتَ الى محاسِـنِها
فَلِكُـلِّ مَوْضِـعِ نَظْـرَة قَتْـلُ

ومثله لأبي نواس:

يـا نـاظراً مـا أقْلَعَـتْ لُحظَاتُـهُ
حتّـى تَـشَحَّطَ بيـنهُنَّ قَتِيـلُ

وما أحسن ما أخذه بعضهم فقال :

وَجُفُـون لكَ لا تَطْـرِفُ إلاّ عَنْ قَتِيـلِ
ما جميل الصَّبْرِ عَنْها عند مِثْلِي بِجَمِيـلِ

٦- نَجـا امْـرؤٌ يـابْنَ يَحْيَـى كُنْـتَ بُغْيَتَـهُ
وخـابَ رَكْـبُ رِكـابٍ لمْ يَؤُمُّوكـا[٩]

قال المطرِّز :

نقل الكلام من الأخبار الى الخطاب. وهذا يُسمّى "الإلتفاف". ولو أمكنـه أنْ يقـول: "فاز" بدل "نجا" لكان أحسن وأليق بقرينته، وهـو قولـه "خـاب". إلا ان بـين "فـاز" و"نجا" مقاربة في المعنـى، فلذلك جـاز أن يضعَه موضعه.

وتبعه أبو البقاء فقال :

الأ شبه باللفظ والمعنى "فاز" ، لأنه في مقابلة "خاب"، ولكن لم يساعده فأتي بلفـظٍ يقرب منه.

قال المبارك بن أحمد :

كيف خَفَى على الإمام المطرّز وأبي البقاء انه لو قال :

× فاز امرؤٌ يابن يحيى كنت بغيته ×

أمكنه وساعده ذلك ولم ينكسر الوزن؟ حتى قالا ما قـالا رحمهما اللّه.[١٠]

٧- أحْيَيْـتَ للـشُّعَراءِ الـشّعْرَ فامْتَـدَحُوا
جَميـعَ مَـنْ مَـدَحُوهُ بالّـذي فيكـا

قال المطرّز :

يريد : كانت معالم الفـضل دارسـة. ومنـاهج الـشرف مـسدودة، فأثرتهـا وأعـدت رسومها فانطلقت ألْسِنَة الشعراء بالمدح، ونظروا الى مساعيك فاستعاروا من أوصافك ما مدحوا به الناس.

---

[٩] البِغْيَة : بضم الباء وكسرها : الحاجة

[١٠] قال الواحدي في كتابه :

أي : تخلّص من مكاره الزمان مَنْ كنت حاجته ، أي : مَنْ قصدك بسفره، وخاب من لم يقـصدك، كمـا قال: "ولكل ركب عيسهم والفدفد". والرّكب جمع راكب. والركاب: الإبل، ويروى "ركبُ رجاءٍ". أي: قومٌ ركبوا والرجاء في قلوبهم ثم لم يقصدوك.

وقال الواحدي :

يقول : أحييت لهم الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم. وعلّمتهم غوامض المعاني حتى استغنوا عن استخراجها بالفكر فَسَهُل لهم[11] الشعر حتى كأنه صار حيّاً بعد أنْ كان ميتاً. ثم إمتدحوا ممدوحيهم بما فيك مِن خصال المجد ومعاني الشرف، وهي لك، غير انهم ينحلونها ممدوحيهم.[12]

٨- وَعَلَّمُوا النَاسَ منكَ المَجْدَ واقْتَدَرُوا
عَلى دَقِيقِ المعاني مِنْ مَعَانِيكا

قال الواحدي :

هذا مِن قول أبي العتاهية :

شِيَمٌ فَتَّحَتْ مِنَ المَدْحِ ما قَدْ
كانَ مُسْتَغْلقاً على المُدّاحِ[13]

---

[11] في كتاب الواحدي "عليهم".

[12] قال ابن عدلان مستشهداً بعد أن ذكر ما أورده الواحدي بلفظه ولم ينسبه إليه: وهو منقول من قول ابن الرومي:

مَدَحَ الأوَلُونَ قوماً بأخْلاَ
قِكَ مِنْ قَبْلِ أن تُرَى مَخْلُوقا

نَحَلُوهُمْ ذَخائراً لكَ بالبَا
طِلِ مِنْ قولهم وكان زَهُوقَا

فانتزَعْنا الحُقُوقَ مِنْ غاصِبيها
فَحَبَا صَادقٌ بها مَصْدُوقا

[13] لم أجد هذا البيت في ديوان أبي العتاهية الذي بين يدي. وهو من منشورات دار التراث.

وذكر له نظائر.[١٤]

قال المطرّز :

قوله : "واقتـدروا على دقيـق المعـاني مِن معانيكـا". بديـع. أُقدِّرُ انه ما سُبق إليه.
وقد ذكر الواحدي له نظائر. منها ما تقدّم، ومنها ما تركه.

٩- فَكُـــنْ كمـــا أنْـــتَ يـــا مَـــنْ لا شَـــبيهَ لـــهُ

أوْ كيْـــفَ شِـــئْتَ فمـــا خَلْـــقٌ يُـــدَانِيكا

قال الواحدي :

أي : كن على الحالة التي عليها أنت ، أوْ كما شئت ، فليس أحدٌ يقاربك في أوصافك.
وإنما قال: "كما شئت" لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم والمجد بديعة في جميع أحواله.

وقال المطرّز :

لفظه لفظ الأمر ، ومعناه يرجع الى الخبر. فيقول:

أنت لا نظير لك فيما أنت عليه وإنْ أثرت غير هذه الطريقة كنت فرداً فيـه. لأن أحـداً من الخلق لا يدانيك. ولا يقاربك. إنتهى كلامه.

---

[١٤] نذكر هنا النظائر التي وردت في كتاب الواحدي :

ومن قول ابن أبي فنن :

يُعَلِّمنـــا الفـــتحُ المـــديحَ بجـــوده

وَيُحْـــسِنُ حتَـــى يُحْـــسِنَ القـــولَ قائِلُـــهْ

وقد قال أبو تمام :

ولـــولا خـــلال سَـــنّها الـــشِّعْرُ مـــا دَرَى

بُنَـــاةُ العُلَـــى مِـــنْ أيـــن تُـــؤْتَى المَكَـــارِمُ

وقال أيضاً :

تَغْـــرَى العيـــونُ بـــه وَيُغْلِـــقُ شـــاعرٌ

في وصـــفِهِ عفـــواً ولـــيسَ بِمُغْلِـــقِ

هذا البيت غير حسن المعنى.

فقوله: "فكن كما أنت يا مَنْ لا شبيه له": لا بأس به، أي: لا تتغيّر عن حالك التي لا شبيه لك معها، وإنْ كان العاقل لا يرى أنْ يتغير عن حالةٍ لا يشبهه فيها أحد.

وقوله: "أو كيف شئت" كلام رديء. لأنه دلّ بذلك على انه يشاء أنْ يكون على حالٍ أخرى غير التي هو عليها خير منها. وهذا قريب من الذم، لأنه لو لم يكن غيرها خيراً منها ما قال: أو كيف شئت. ولله أبو تمام يقول:

فلو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك مِنْ كرمِ الطِّباعِ[15]

١٠- شُكْرُ العُفَاةِ بما أَوْلَيْتَ أَوْجَدَني
الى يَدَيْكَ طَرِيقَ العُرْفِ مَسْلُوكا[16]

قال الواحدي :

ويُرْوى "الى نداك".

يقول: شُكْرُ السائلين لِعَطَائِك دَلَّني عليك ، فوجدت الطريق مسلوكاً إليك، فسلكته الى جودك.

قال المطرّز:

قوله: "طريق" هو مفعول ثانٍ من "أوجدني". وقوله "مسلوكاً": في موضع الحال. لأن أوجدني منقول من "وجدت" الذي هو بمعنى "صادفت" فتعدّى بنفسه الى واحد، وبدخول الألف الى اثنين لا مزيد عليها. فانتصاب "مسلوكاً" إذاً على الحال.

---

[15] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

خذي عبرات عينك من زماعي
وصوني ما أذلت من القناعِ

وقد مرّ ذكرها.

[16] إنفرد ابن عدلان برواية "أوجدلي" ورواية أبي الفتح "الى نداك" مكان "الى يديك".

والمعنى: ان انتشار معروفك وبَذْلك للعفاة شاع في الناس وشمل الآفاق، فحين رأيت ذلك صادفت به طريق العرف الى نداك مسلوكاً عامراً. وقد أكثر الشعراء مثله.[١٧]

١١- وَعُظْمُ قَدْرِكَ في الآفاقِ أَوْهَمَني
أنّي بِقِلّةِ ما أَثْنَيْتُ أَهْجُوكا[١٨]

قال الواحدي :

يقول: قَلّ ثنائي، وحقُر في جنب قدرك، فحسبتُ الثناء هجاءً حيث لم يكن على قدر استحقاقك.

قال المطرّز :

يريد: وعُظْم قدرك في الآفاق أوهمني ، وارتفاع حالك عن وسْع مدحي أوقع في وهمي أنّي لست أمدحك. بل قليل ما آتي به في وصفك عند التحصيل في رتبة الهجاء.

وهذا معنى غامض جرى فيه على عادته بخلاف البيت الأول. والمعنى ما ذكره الواحدي.[١٩]

---

(١٧) قال أبو الفتح في الفسر :

"الطريق": يؤنّثها أهل الحجاز. ويذكّرها أهل نجد.

وقال ابن عدلان بعد انْ ذكر ملاحظة أبي الفتح في "الطريق". قال مستشهداً: وفيه نظر الى قول الآخر:

لقد وَضَحَ الطَّريقُ إليكَ جِدّاً
فما أحدٌ أرادَكَ فاسْتَدَلاَّ

ومثله لأشجع :

لَقَدْ قَوَّمَ الرُكْبانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
إليكَ اتّصالَ الركبِ يتْبَعُه الرَّكْبُ

(١٨) إنفرد ابن عدلان برواية "لِقِلّة" باللام.

(١٩) قال ابن عدلان في كتابه :

يقول: لعظم قدرك في نواحي الدنيا ، وشرفك عند الناس ، خيّل إليّ انّي بمدحتي لك أهجوك، حيث لم يكن على قدر استحقاقك. وهو منقول من قول البحتري:

جَلَّ عن مذهبِ المديحِ فقَدْ كا
دَ يكُونُ لي المديحُ فيك هِجَاءُ

١٢- كَفَــى بِأَنَّــكَ مِــنْ قَحْطَــانَ في شَــرَفٍ
وإنْ فَخَــــرْتَ فَكُــــلٌّ مِــــنْ مَوَالِيكـــا

قال أبو الفتح :

أي لأنك تُحْسِنُ الى كلِّ أحـدٍ وَتَمُنّ عليـه ، فكلٌّ مولى لك. وأراد: كـل النـاس مواليــك. فزاد في الواجب كقوله تعالى: {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ}[٢٠] قالوا معنـاه: فيها بَـرَد. ويجوز أن تكون "من" غير زائدة.

فتكون للتبعيض ، كأنَّ مواليه قحطان وغيرهم من سائر الناس. فيكون كأنـه قـال: فكل قحطان من مواليك.

ويجـوز أن يكون أراد بـ"كل" جميـع الناس. فتكون أيضاً غير زائـدة، بــل تكـون للتبعيض، لأن مواليــه عنـده: النــاس وغيرهم. ألا تـرى الى قوله في سيف الدولة:

× ويستعظمون المـوتَ والموتُ خادمه ×[٢١]

وقريب منه قوله فيه أيضاً :

شـــــريك المنايــــا والنفـــــوسُ غنيمـــــة
فكُـــــلُّ ممـــــاتٍ لم يُمِتْـــــهُ غُلُـــــولُ[٢٢]

---

[٢٠] الآية (٤٣) من سورة النور.

[٢١] صدر البيت "ويستكبرون الدهر والدهرُ دونه" وهو من قصيدة مطلعها :

وفاؤكمــــا كــــالربع أشــــجاه طاسمــــه
بــــأنْ تُــسعدا والــــدمع أشــفاه ســــاجمه

وسوف يَرد ذكرها إن شاء الله.

[٢٢] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها

ليــــاليَّ بعــــد الظــــاعنين شُــــكُول
طــــوال وليــــلُ العاشــــقين طويــــل

وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

قال الواحدي :

يقـول : كفـاك أنّـك من هـذه القبيلـة في شـرف. أي: في موضـع شـريف أو نـسب شـريف. فإنْ فخـرتَ بهـذا الشرف فكل بني قحطان من مواليك.

وقال المطرّز :

فاعل "كفى" هو "بأنك".

والمعنى : كفاك فضـلاً أنّك منتـمٍ الى بيتٍ شريف من قحطان. وعند الموازنـة والفخـر فأنت تستحقّ السيادة عليهـم، وكلهـم تبع لك. ومولى من مواليك.

١٣ـ ولـوْ نَقَـصْتُ كمـا قَـدْ زِدْتَ مِـنْ كَـرَمٍ

علـى الـوَرَى لَرَأَوْنِـي مِثْـلَ شَـانِيكا

قال أبو الفتح :

هذا من قول الآخر :

لـو كمـا تـنقُص تَـزْدَا

دُ إذا نلـت الـسماء[٢٣]

إلا ان لفظ هذا البيت وتأليفه في غاية الحسن والظرف. وفيه إستطراد نحو ما في قول حسّان:

إنْ كنـت كاذبـةَ الـذي حَـدّثْتني

فَنَجَـوْت مُنْجَـى الحـارث بـن هـشام[٢٤]

---

[٢٣] رواية مخطوطة الفسر للبيت :

لـو كمـا تنقُـصُ تـزداد إذا صـرتَ خليفـهْ

[الشعر لأبي عيينة. ذكره الواحدي في كتابه].

[٢٤] رواية مخطوطة الكتاب "التي" والصواب "الذي" كما ورد في مخطوطة الفسر وديوان الشاعر وهـو من قصيدة مطلعها:

تَبَلَـتْ فـؤادَكَ في المنـام خريـدةٌ

تـسقي الـضجيعَ ببـارد بـسّام=

أبي عيينة: وروَى أبو العلاء : "فالبكا". وقال :

أي : لو نقصتُ نقصاً مثل زيارتـك في كرمـك لرآنـي النـاس مثـل مبغـضك، والقـلى: البغض.[٢٥]

وقال الواحدي :

أي: لو رَأوْني في القِلَّةِ والذلّة مثل عَدُوّك الذي يبغضك. وهذا من قول

لــــو كمــــا تــــنقُصُ تــــزدا
دُ إذاً كنــــت خليفــــهْ

وفي آخر "نلت السماء". ثم نقله الطائي فقال :

أمــا لــو ان جهلــك كــان علمــاً
إذاً لنفــذت في عِلــم الغُيُــوبِ[٢٦]

وزاد المتنبي بقوله "لرأوني مثل شانيكا".

وقال المطرّز :

هذا البيت تلويح غامض ، وكلام ظاهر يحتاج الى استنباط.

= أنظر: شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري ، ص ٢١٦ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٢٥] جاء في حاشية مخطوطة هذا الكتاب بإزاء السطر ما يأتي :

"قاله أبو زكريا".

[فمن المعروف عن أبي زكريا انه كثيراً ما ينقل كلام أبي العلاء ويذكره في كتابه دون أن يشير إليه. ولعل صاحب الملاحظة وجد هذا الكلام في شرح التبريزي لشعر أبي الطيب].

[٢٦] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

أيوســفُ جنــتَ بالعجــب العجيــب
تركــتَ النــاسَ في شَــكٍّ مُريــب

وقد مرّ ذكرها.

يقول : لو كان نقصي بحسب زيادتك لكنتُ كعدوّك. وتحصيله: لكنت في المقابلة غاية النقص، كما ان عدوّك كذلك.

فاخرج البيان الى حَدِّ الغرَض بالتعريض الذي ذكره.

وهذا البيت قريب من الإستطراد ، لأنه بدأ فقال: "ولـو نقـصت". وغرضـه أنْ يـذكر نقص أعدائه.[٢٧]

١٤ــ لَبَّـــيْ نَـــدَاك ، لَقَـــدْ نـــادَى فأسْـــمَعَني
يَفْـــدِيكَ مِـــنْ رَجُـــلٍ صَـــحبي وأفْـــدِيكا

قال أبو الفتح :

(هذا) قولك: لبَّيْك وَسَعْدَيْك. وهو مِن الإلباب والملازمة.

واستدل الخليل على انه مثنّى بقول الشاعر :

دَعَـــوْتُ لمَـــا نـــابني مِـــسْوَراً
فَلَبَّـــى فلبَّـــى يَـــدَيْ مِـــسْوَرِ[٢٨]

وفسّره الخليـل ، فقال : إجابـةً بعد إجابـة. واسعاداً بعد إسعاد.[٢٩]

---

[٢٧] قال أبو العلاء ، كما ورد في كتاب أبي المرشد "تفسير أبيات المعاني..."
وَضْع هذا البيت على انه يحبّ الممدوح محبّةً مفرطة، كما ان كرمه مفرط، فلو نقص حبّه إ ياه لزيادةٍ في كرمه لرآه الناس مثل مَنْ يبغضه وإنْ كانت محبّته في غاية الزيادة.
وقال ابن عدلان :
"الشانيء" : المبغض ، ومنه قوله تعالى: {إنَّ شانئك هو الأبتر}.

[٢٨] يُنسب هذا البيت للأسدي. أنظر اللسان مادة: سور. وفي الكتاب لأعرابي من بني أسد: ٣٥٢/١.

[٢٩] أذكر هنا ما ورد في كتاب الفسر لأبي الفتح بن جني لما فيه من تفصيل مفيد:
هذا كقولك: لبّيك وسَعْدَيْك. وهو من الإلباب والملازمة. يقال: ألبّ بالمكان وأربّ به: إذا أقام بـه. وفسّره الخليل، فقال: معناه، إجابةً بعد إجابةٍ. وإسعاداً بعد إسعاد. أي: كلما كنت في أمرٍ ودعوتني أجبتك، وهو تثنية "لبّ". واستدرك على انه مثنى بقول الشاعر:

دعـــوتُ لمَـــا نـــابني مِـــسْوَراً
فلبّـــى فلبّـــى يَـــدَا مِـــسْوَرِ=

١٥ـــ مــا زِلْــتَ تُتْبِــعُ مــا تُــولي يَــداً بِيَــدٍ
حتَّــــى ظَنَنْــــتُ حَيَــاتي مِـــنْ أياديكـــا

قال أبو الفتح :

هذا يشبه في لفظه ومعناه ما قرأته على أبي الفرج علي بن الحسين الكاتب عـن أبـي الحسن علي بن سليمان، للجمّاز:

= [رواية الفسر "يَدَا"].

قال: فلو كان اسماً واحداً لم يقل: لبّى يَدا، ولقال: فلبّى يَدَيْ، كما تقول: عَصَى يَدَي مِسْور.

وذهب يونس: الى ان "لبّيك" اسم واحد ، وانه إنما قيل: لبّيك ، كما قيل: إليك وعليـك ولـديك. وكـل شيء منها واحد.

فاحتجّ عليه الخليل بالبيت الذي أنشدناه.

وليونس هاهنا حِجاج يغمض ذكره ولا [كلمة ممسوحة] بهذا الكتاب، فلذلك تركناه.

وقال الواحدي بعد ان اختصر ما أورده أبو الفتح :

يقول: دعاني جودك فاسمعني وأنا أجيبه فأقول: لبّيك. ثم دعا للممدوح فقال: يفـديك مـن رجـل، أي: أفديك من بين الرجال. "فمن" هاهنا: تفسير أو تخصيص.

وقال ابن عدلان :

قال الخليل : لبّ بالمكان ، وهي لغة حكاها أبو عبيدة عنه ، ومنه قولهم: "لبّيك". أي: مقيم على طاعتك، وثنّى على معنى التوكيد. أيْ: إلباباً بعد إلباب. وإقامة بعد إقامة. وقال الخليل: هو من قولهم: دار فـلان تلبّ داري، أي: تحاذيها. أي: أنا مواجهك بما تحبّ إجابة لك والياء للتثنية.

وقال يونس بن حبيب الضبّي: ليس هذا بمثنّى، إنما هو مثل: عليك وإليك ولديك، وأصل التلبية: الإقامة بالمكان. يقال: ألْبَبْتُ بالمكان ولَبَبْتُ، ثم قلبوا الباء الثانية الى الياء إستثقالاً، كما قالوا: تَظَنَّيـت وأصـلها تظننت. قال سيبويه: هو مثنّى. وأنشد للأسدي:

دَعَـــــوْتُ لمَــــا نــــابني مِــــسْوَرا
فلبّـــــى فلبّــــى يَـــــدَيْ مِـــــسْوَرِ

قال: ولو كان بمنزلة "عَلَى" لقال : "فلبّى يدي مِسور".

وقال قوم: أرادوا بقولهم: لبّيْك. إلبابين. أي: إجابة بعد إجابة، فثقل عليهم، فَرَخَّم ليكون أخفّ، وحذفوا النون لما أضافوها الى الكاف.

لا تَنْتِفَنِّـــــي بَعْـــــدَ مـــــا رِشْـــــتَنِي
فـــــإِنَّني بعـــــضُ أياديكـــــا[٣٠]

١٦ـــ فَـإِنْ تَقُـلْ: هــا ، فعــاداتٌ عُرِفْــتَ بهــا
أَوْ لا ، فإِنَّـــكَ لا يَـــسْخُو بهـــا فُوكــــا

قال أبو الفتح :

معنى "ها": خُذْ.[٣١] يقال: سَخَى يَسْخَى سَخَاءً. وسَخُوَ يَسْخُو وسَخَا يسخو. وجمع سَخي: أَسْخياء. وقد قالوا: سُخُوّاء. ومثله في الشذوذ: سَرِيّ وسَروَّاء. وتَقِيّ وتقوّاء.

قال الواحدي :

يقول : إنْ قلت لي : خُـذ ، فذلك عـادة معروفـة لك ، أو تقـل: لا، يعني: لا أعطيــك، ولا أقضـي حـاجتـك. فـإنَّ فَـاكَ لا يسخو بهـذه الكلمـة. أي: لا يجـود.[٣٢]

---

[٣٠] قال الواحدي في كتابه :
يقول : لم تَزَل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أياديك عندي ، فظننت ان حياتي من جملتها.

[٣١] قال أبو الفتح في كتابه الفسر :
معنى "ها": خُذْ. وفيها لغات: يقال للرجل: "هَأ" بفتح الهمزة. وفي التثنية "هاؤمـا"، وفي الجمـع "هـاؤم". وتقـول للمرأة في هذه اللغة "هاءِ"، بكسر الهمزة. و"هاؤما" كالمذكرين و"هاؤنَّ". ولغة أخرى للمذكر، يقـال "هـاكَ" بكـاف مفتوحة مكان الهمزة أيضاً وهاكما وهاكم. وهاك: بكـاف مكـسورة مكـان الهمـزة أيـضاً، و"هاكمـا" كالمـذكرين و"هاكنّ". ولغة أخرى ثالثة: يقال للمذكر بهمزة وكاف مفتوحتين: هاءَكما وهاءَكم. وللمرأة: هـاءَكِ بهمـزة وكـاف مكسورة، وهاءكما كالمذكرين وهاءَكنَّ. ولغة رابعة: "هَأْ" بـوزن "هَـعْ" وللرجـل: هـاءَا بـوزن: هَاعَـا. وللجماعـة: هاءوا، بوزن هاعوا. وللمرأة: هائي، بوزن هاعي، وللمرأتين: هاءَا كالمذكرين، وللنساء: هَأْنَ، بوزن: هَعْنَ.
فهذه اللغة تتصرف تصرف : خاف يخاف ، كما تقول : خَفْ وخافا وخافوا وخافي وخافا وخفْنَ.
ولغة خامسة: وهو أنْ تقول للواحد والواحدة والاثنين والاثنتين والجماعة من الرجـال والنـساء "هَـاْ" بهاء وألف ساكنة، كما ترى في كل حال، وبها جاء هذا لأنه غير مهموز. قال تعالى: {هاؤم اقرأوا كتابيه} (١٩ ـ الحاقة). وأنشد أبو علي:

× أفاطِمَ هائي السيف غير مُذَمَّمِ ×

وتصريف هذه اللغات وتفسيرها مما يلطف عن هذا الكتاب ، فلذلك أعرضنا عن ذكره.

[٣٢] جاء في كتاب الواحدي بعد ذلك كلامٌ يدور حول كلمة "يسخو" نقلاً عن كتاب أبي الفـتح، ننقلـه هنـا لأنه يصحح الاضطراب الذي ورد في كتاب النظام:
قال الواحدي : يقال : سَخِيَ يَسْخَى. وسَخَا يَسْخُو. وسَخُو يسخو.
وروى بعضهم "لا يشحو"... الخ.

وروى بعضهم: "لا يشحو". يقال: شَحَا فمه شحواً، لازم ومتعدّ.

ومعناه : لا ينفتح فوك بـ"لا".

يقول: عادتك أن تقول : خُذْ. لأنّك مُعْطٍ ، ولا تقدر على التكلم بـ"لا" لأنك لـم تتعـوّد ذلك.[٣٣]

---

[٣٣] جاء في كتاب الواحدي بعد ذلك :

وهذا كما يُحكى ان العُمَيْري قاضي قزوين كتب الى الصاحب ، وقد أهدى إليه كتباً:

العُمَيْـــــريُّ عَبْـــــدُ كـــــافي الكُفـــــاة
وإنْ أعْتُـــــدَّ مِـــــنْ وجـــــوه القـــــضاةِ

خَـــــدَمَ المَجْلِـــــسَ الرفيـــــعَ بكُتْـــــبٍ
مُتْرَعـــــاتٍ مـــــن حـــــسنها مُفْعَمـــــاتِ

وكتب الصاحب:

قـــــد أخـــــذنا مـــــن الجميـــــع كتابـــــاً
ورَدَدْنـــــا لوقتنـــــا الباقيـــــاتِ

لـــــستُ أسْـــــتَغْنِمُ الكـــــثير فطبعـــــي
قَـــــوْلُ خُـــــذْ لـــــيس مـــــذهبي قـــــول هـــــاتِ

وقال ابن عدلان في كتابه :

يقـول أنت عادتك أنْ تقول : خُـذْ ، وهي المعروفـة منك. ولا تقـول: لا ، فانهـا كلمـة لا يـسمح بهـا نطقـك. أي: لا ينفتح بها فمك، ولا تقدر على النطق بها. وهذا مثله كثير للشعراء. قال الفرزدق:

مـــــا قـــــال "لا" قَـــــطُّ إلا في تَـــــشَهُّدِهِ
لـــــولا التَّـــــشَهُّدُ كانـــــت لاءَه نَعَـــــمُ

ولأبي العتاهية :

وان الخَلِيفَـــــةَ مِـــــنْ بغْـــــضِ "لا"
إليـــــهِ لَيُـــــبْغِضُ مَـــــنْ قالهـــــا

وقال أبو نواس:=

وقال أبو الطيب :

وقـد ورد كتـاب ابن رائـق على بـدر بن عمـار بإضافـة الساحـل الى عمله.

١ــ تُهَنَّــى بِــصُورٍ أمْ نُهَنِّئُهــا بِكــا
وَقَــلَّ الَّــذي صُــورٌ وأنــتَ لــه لَكَــا[1](*)

=أتـــرى "لا" حرامـــاً
وتـــرَى "هـــا" حَـــلالاَ

وقال العَكوّك في أبي دلف:

مــا خــطَّ "لا" كاتبــاهُ في صَــحِيفَتِهِ
كمــا تُخَطَّــطُ "لا" في ســائر الكُتُــبِ

(1) رواية أبي الفتح وابن عدلان "نُهَنَّى" ورواية الواحدي وابن المستوفي "تُهَنَّى" وانفرد ابن عدلان برواية "وَقُلْ لِلّذي"

(*) وردت في المقطوعة بعد هذا البيت الأبيات الآتية :

٢ــ ومَــا صَغُــرَ الأُرْدُنُّ والــساحِــلُ الــذي
حُبِيــتَ بــهِ الى جَنْــبِ قَــدْرِكا

قال الواحدي :

يعني ان هذه الولاية إنما تصغر بالإضافة إليك ، وإلا فالشأن فيها كبير.

وقال ابن عدلان :

الأردن : موضع بالشام ، وله نهر. يقول: هذه الولاية عظيمة الشأن، وقدرها جليل، وإنما صغر قدرها بالإضافة إليك.

٣ــ تَحَاسَــدَتِ البُلْــدَانُ حتَّــى لَــوَ أنَّهــا
نُفُــوسٌ لَــسَارَ الــشَّرْقُ والغَــرْبُ نَحْوَكَــا

قال أبو الفتح :

جمع في هذا البيت معنى أبي تمام في قوله :

تغــاير الــشعرُ فيــه إذ ســهرتُ لــه
حتَّــى ظننــت قوافيــهِ ســتقتتل=

= بقوله "تحاسدت". ومعنى بيت البحتري ، وهو قوله :

ولـــو ان مـــشتاقاً تكلَّـــف غـــير مـــا
في وُسْـــعِهِ لمـــشى إليـــك المِنْبَـــرُ

واستوفي المعنى بذكر الشرق والغرب، وقد تحرّز. وهو أيضاً في بيته من المجاز الذي استعمله البحتري، لأنه قال: "لو انها نفوس". وقال البحتري: "ولو ان مشتاقاً" فأطلق لفظ الإشتياق على المنبر،= =وهو على التسامح لا على الحقيقة، على انه هو أيضاً قد أطلق لفظ الحَسَد على غير ذي روح وعقل، ومثل تحاسدت البلدان قول أبي تمام أيضاً:

مَـــضَى طـــاهر الأثـــوابِ لم تبـــقَ بقعـــةٌ
غَـــدَاة ثَـــوَى إلا إشـــتهتْ انهـــا قَبْـــرُ

وقريب منه قول الفرزدق :

يكـــادُ يُمـــسكُه عرفـــان راحتـــه
رُكْـــنُ الحطـــيم إذا مـــا جـــاء يَـــسْتَلِمُ

وقال أبو نواس :

حتّـــى إذا واجَهْـــنَ إقبـــال الـــصَّفا
حَـــنَّ الحطـــيم وأطَّـــتِ الأركـــانُ

وقد تكرر هذا في شعره.

وقال الواحدي في كتابه مستشهداً:

مثل هذا كثير في الشعر ، قال أبو تمام :

لـــو سَـــعَتْ بلـــدةٌ لإعظـــامِ نُعْمَـــى
لَـــسَعَى نحوهـــا المكـــان الجـــديبُ

يصف ديمة. [ثم قال] وفي مثل هذا يقول الخوارزمي:

تَغَـــايَرَتِ الـــبلادُ علـــى يَدَيْـــهِ
وَزَاحَمَـــتِ الجُـــرومَ بـــهِ الـــصُّدُورُ

وقال ابن عدلان بعد أن ذكر ما أورده الواحدي وما استشهد به ، مستشهداً:

ولأبي نواس :=

قال ابو الفتح:

أي: يقلّ ابنُ رائق لك. وإن كنت في الظاهر له، وأحد أصحابه.

وقال أبو العلاء:

يجوز أن يكون حذف همزة الإستفهام، كأنه قال: أنهنّى بصُور. وقد تجيء "أم" لتخرج كلاماً من كلام، وإن لم تسبقها همزة الإستفهام، مثل قوله تعالى: {الم تَنزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}.[٢]

وقال غيره: "نُهَنَّى" إخبار.[٣]

=تتحاسد الآفاقُ وجهَكَ بينها
فكأنَّهُنَّ بحيثُ كنتَ ضَرَائِرُ

٤- وأصْبَحَ مِصْرٌ لا تكُونُ أميرَهُ
ولَوْ أنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وفَمٍ بَكَا

قال أبو الفتح :

هذا يؤكد البيت الذي قبله.

وقال ابن عدلان:

لو كان للأمصار عقول ، لكان كل مصرٍ لم تكن أميراً فيه باكياً متحسّراً عليك.

[٢] الآيات : ١ و٢ و٣ من سورة السجدة.

[٣] قال الواحدي في كتابه :

صور. بلدة معروفة بالساحل.

يقول: اتهنّى بولاية صور أم تُهَنَّى صوراً بك، ثم قال: وقلّ لك صاحب صور الذي له هذه البلدة، وأنت له، أي: أنت أحد أصحابه. يعني: ابن رائق. وهذا كقول أشجع:

إن خراسانَ وإنْ أصبحت
تَرْفَعُ مِن ذي الهمَّةِ الشأنا

لم يَحْبُ هارونُ بها جعفراً
لكنَّهُ حَابَا خُرَاسانا =

وقال أبو الطيب :

إرتجالاً ، وقد سقاهُ بدر ولم تكن له رغبة في الشراب.

١ لَــــمْ تَــــرَ مَــــنْ نادمْــــتُ إلاّكــــا
لا لِــــسِوَى وُدِّكَ لــــي ذاكــــا[1]

قال أبو الفتح :

الوجه أنْ تكون "مَنْ" هاهنا نكرة، بمنزلة أَحَدٍ أو رجَلٍ. وتكون "نادمت" صفة لها، لا صلة، فكأنه قال: "لم تَرَ إنساناً نادمته غيرك" كما قال تعالى: {هذا ما لديّ عتيد}.[2] أي: هذا شيء لديّ عتيد.

= يعني الرشيد حين ولّى جعفر بن يحيى إمارة خراسان. يقول: تفضّل بجعفر على خراسان، لا بخراسان على جعفر.

وقال ابن عدلان مستشهداً. وقد ذكر ما أورده الواحدي :

وقد نقله من قول اسحق بن ابراهيم:

أَنُهَنِّيــــكَ بِطُــــوسٍ
أم نُهَنّــــي بِــــكَ طُوســــا

أَصــــبحَتْ بعــــد طــــلاقٍ
بِــــكَ يــــا فَــــضْلُ عَرُوسَــــا

(1) رواية ابي الفتح "لم نَرَ". ورواية أبي الفتح وابن عدلان: "نادمتَ".

(2) الآية (٢٣) من سورة ق.

وقال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد الآية الكريمة مستشهداً:

وكما أنشد سيبويه :

يــــا رُبَّ مَــــنْ يُــــبْغِضُ أذْوادَنــــا
رُحْــــنَ علــــى بَغْــــضَائهِ واغتــــدين

[هذا البيت لعمرو بن قَميئة].

أي: يا رُبَّ إنسان. لأن رُبَّ لا تدخل إلا على نكرة. وأنشد أيضاً:

إنّــــي وإيــــاكَ إذْ حلّــــتْ بأرْحُلِنــــا
كَمَــــنْ بواديــــهِ بعــــدَ المَحْــــلِ ممطــــورِ=

وأراد "نادمته" فحذف الهاء من الصفة ، لا من الصلة.

وإنما كان الوجه أن يجعل "مَنْ" نكرة، لأن النكرة واحدُها يقع كثيراً في معنى الجماعة. كما تقول: ما جاءني إنساناً إلا أخوك، "فإنسان" هنا جماعة في المعنى، لاستثنائك منه الأخوين.

و"مَنْ" إذا كانت معرفة فهي مخصوصة بشيء واحد، فلا يجوز إستثناء الواحد، وهو الكاف من الواحد.

ويجوز أن يوقع "مَنْ" معرفة على الجماعة في المعنى. إلا ان لفظها لفظ الواحد.

وقوله: "إلاّكا" قبيح. ولا يجوز إلا في ضرورة الشعر. والوجه الأول أن يُقال: إلاّ إياك. لأن "إلاّ" ليست لها قوة الفعل، ولا هي عاملة كـ"إنَّ" ونحوها. وقد أنشدوا بيتاً وصلت فيه "إلاّ" بالكاف. وهو:

فما نبالي إذا ما كنت جارتنا
ألاّ يُجاوِرَنا إلاّكَ دَيّارُ[٣]

وهو شاذ لا يُقاس عليه.

ومعنى البيت: انه يعتدّ عليه بمنادمته إياه. فيقول له: لم تَرَ أحداً نادمته سواك، وليس ذلك لسِوَى ودّك لي، ومحبّتك إياي.

قال الواحدي :

أي : إنما نادمتك لأنّك تودّني ، لا لمعنى آخر.

= [البيت للفرزدق]

أي: كإنسان ممطور بواديه محل. وقال الآخر:

رُبَّ مَنْ أنضَجْتُ غيظاً صدرَهُ
قد تمنّى لي موتاً لم يُطَعْ

(٣) رواية مخطوطة النظام "إياك ديار". وهنا ينتفي الغرض من البيت الشاهد. والصواب رواية مخطوطة الفسر وهو "إلاّك". ورد هذا البيت في الوساطة للجرجاني: ٤٥٧ بدون عزو.

وقال المطرز:

قوله "ذاك": إشارة الى هذه الجملة. فيقول: أنا لا أُنادم غيرك، وذاك لميلي إليك، لا لطمعٍ، ولا غير ذلك.

وقوله "ذاك" رفع بالإبتداء، و"لا لسِوى ودّك" في موضع الخبر.

قوله "إشارة الى الجملة"، كأنه أراد المنادمة. لو رفع "ذاك" على انه فاعل والعامل فيه "لسوى ودّك" جاز. ولو نصب "ذاك" واعمل فيه ما دلّ عليه "لم تَـرَ" لم يبعد. كأنه قال: لا تَرَى ذاك لغير ودّك. ولو نصب "ذاك" على انه مفعول "ودّك" صريحاً. أي: لسوى محبّتك في ذاك. لكان وجهاً حسناً.

وقال أبو البقاء :

"ذاك" في موضع رفع مبتدأ، وما قبله خبر، وهو "لي" أو "لسوى ودّك".

في هذا القول تكلّف من أبي البقاء رحمه الله، فإن "لي" متعلّق بقوله "ودّك"، والمعنى قائد إليه، إذ لم ينادم أبو الطيب بدر بن عمّار إلاّ لمحبّةِ بدرٍ له. ولو قدر: "ولا ذاك لي سوى ودّك" جاز أن تكون الكاف على هذا التقدير منصوب الموضع مفعولاً به، وإن عاد على المخاطب. ويكون الفاعل مقدراً: أبو الطيب. أي: لسوى ودّي لك، فيقع المعنى دون الأول. ويكون موضع "لسوى ودّك" نصب على الحال. ويكون العامل فيه معنى الإشارة في ذلك.

والأول الذي دلّ عليه المعنى ، وذكر فيما تقدم.

٢- ولا لِحُبّيهـا ولكنّنـي
أمْسَيْتُ أرجُوكَ وأخْشَاكا

قال الواحدي :

كنّى عن الخمر ، ولم يجر لها ذكر.

يقول: لستُ أرجوك وأخشاك لحب الخمر،[4] ولك لأنك مرجوّ مهيب.

---

[4] صيغة العبارة في كتاب الواحدي جاءت على الوجه الآتي :
يقول: لست أنادمك لحب الخمر ، ولكن..... الخ.

وقال المطرّز :

قوله: "ولا لحبيها" جمع بين ضميرين متصلين: لا لحبّي ضمير له، و"الهاء" ضمير المنادمة، ولم يجر للمنادمة ذكر، ولكنه دلّ الفعل عليه.

فيقول: وليس ذاك لإيثاري المنادمة، ولكنّي فعلت تقرّباً إليك، لأنك سلطان أرجو خيرك وأخاف شرّك.

وقال ابن فورّجه :

وأتي على شرحه بألفاظ أبي الفتح ومعانيها ، وقال :

وقوله: "ولكنّني أمسيت أرجوك وأخشاكا" غير ناقض لقوله: "لا لسوى ودّك لي". ولكنه كلام يؤكده، كأنه يقول: ليس ذاك إلاّ لودّك لي، ولأني أرجوك وأخشاك، لا لحبّي الخمر. فتأمّله يَصُحّ لك.(٥) آخر كلامه.

---

(٥) أذكر هنا كلام ابن فورّجه كما ورد في كتابه "الفتح على فتح أبي الفتح" لما فيه من بيان وتوضيح:

قال ابن فورّجه بعد أن ذكر البيتين :

"لم تَرَ" التاء لمخاطبة الممدوح ، و"مَنْ" نكرة ، ومثله قوله:

يا رَبَّ مَنْ يبغض أذوادنا
رحن عن بغضائه واغتدين

يريد إنساناً نادمته يعتدّ عليه بمنادمته إياه: يقول: إنما سمحت بمنادمتك لشدّة حبّك لي. ولولاها لما نادمتك. و"الهاء" في "حبيها" ضمير الخمر، وإن لم يجر لها ذكر، كقوله تعالى: {إنّا أنزلناه في ليلة القدر} يريد: القرآن.

يقول: نادمتك لا لحبيها ولكن لأني أرجوك وأخشاك. وقوله "إلاك" مثل قول الأول:

فما نبالي إذا ما كنت جارتنا
ألاّ يجاورنا إلاّك ديّار

وقوله "ولا لحبيها" عطف على قوله "لا لسوى ودّك"، كأنه يقول: لم تَرَ أحداً نادمته غيرك لا لأمر غير ودّك لي تلك المنادمة، ولا لحبّي الخمر.

وقوله: "ولكنني أصبحت أرجوك وأخشاك" غير ناقض قوله: لا لسوى ودّك ولكنه كلام يؤكد.

فكأنه يقول: ليس ذلك إلا لودّك ، ولأني أرجوك وأخشاك لا لحبي الخمر، فتأمّله يتّضح لك.

قال المبارك بن أحمد :

لو لم يأتِ بـ"الواو" في قوله "ولا لحبيها" لكان الأمر أقرب. وكان أَوْلَى ألاّ يأتي بها. وكان التقدير: أي: نادمتك لحبّك لي ذاك، لا لحبّي إياها.

ومع إتيانه بـ"لكنّني"، فالمعنى: لا ذاك لسوى ودّك لي. أي: ليس ذاك هو مقصور على ودّك لي ومحبّتك فحسب، ولا هو لمحبّة الخمر. أي: المنادمة ما وقعت لأنك وددتها لي، ولا أنّي أحببت الخمر، وإنما وقعت لرجائي لك وخشيتي إياك، وهما سوى ودّك لي ذاك وسِوَى حُبّي لها. فحسُنَ وقوع "ولكنَّني" لأن لكن يستدرك بها ما تقرر قبلها.

ولو أسقط أبو الطيب هذين البيتين من شعره كان أصاب الغرض، فأنهما أشبه شيء بكلام الرُّقى والعُوَذ.

* * *

وقال أبو الطيب :

وقد تاب بدر[1] من الشراب ، فرآه يشرب:

١ــ يـا أيّهـا المَلِـكُ الّـذي نُدَمَـاؤُهُ
شُـركاؤُهُ في مِلْكِـهِ لا مُلْكِـهِ

قال المطرّز :

أي: يتصرّفون فيما تحت يده ، وينفذ تصرُّفه من انه تصرّفهم فيه، إلاّ شأن الملك والسلطان، فإنَّ أحداً لا يجْسُر أن يعارضه فيه.

و"المُلْك": كناية عن السلطان. و"المِلْك": يريد به المملوك.[2]

---

[1] المقصود : بدر بن عمّار.

[2] قال ابن عدلان :
المعنى يخاطبه ، ويقول: أنت ملك ، وندماؤك شركاؤك في مالك لا في مُلكك ، لأن مُلْكك لا يقدر أحد عليه، وهو منقول من قول ابن الرومي:

ومَـنْ كَثُـرَتْ في مالـهِ شـركاؤُهُ
غـدًا في معاليـهِ قليـلَ المُـشارِكِ

٢- فِي كُــــلِّ يَـــــوْمٍ بَيْنَنَــــا دَمُ كَرْمَـــــةٍ
لَـــــكَ تَوْبَـــــةٌ مِـــــنْ تَوْبَـــةٍ مِـــنْ سَـــفْكِهِ

قال الواحدي :

جعل الخمـر[٣] دم الكـرم، وجعـل شربهـا واستهلاكها سفكاً لذلك الدم.

يقـول: كل يوم تتوب من توبتـك من شرب الخمر. والتوبة من التوبة ترك التوبة.

٣-الـــصِّدْقُ مِـــنْ شِـــيَمِ الكِـــرَامِ فَنَبِّنَـــا
أمِـــنَ الـــشَّرابِ تَتُـــوبُ أمْ مِـــنْ تَرْكِـــهِ

قال أبو الفتح :

[٤]كان الوجه أن يقول "فنبئنا" ولكنه أبدل الهمزة ياءً، ثم حذفها للوقف. وقد مـضى مثل هذا.

قال الواحدي ـ وذكر ما قاله أبو الفتح ـ :

قال ابن فورّجة :

هذا تصحيف، والصحيح "فَنَبِّئَنْ" فكُتبت بالألف فصُحّفت الى "نبّنا".

ما يزال ابن فورّجة يتجنى على أبي الفتح بن جنّي ، رحمهما الله.

ورواية "فنبّنا" موجودة في عدّة نسخ مقروءة مـصححة. وأبـو الفـتح أعلـم بهـذه الرواية، لأنه أخذها عن أبي الطيب، وكذلك رواها علي بن عيسى الربعي. وقد مَـضَى لأبـي الطيب في شعره غير موضع مثلها.

وقوله "فنبّنا" وإن كان فيها ما ذكره من القول ، ألطف من قولـه "فنبّـئن". وإنمـا تكتب النون ألفاً في الوقف، وليس آخر نصف البيت موضع وقف، وإن ذكروه في مواضـع من كتبهم وقفـاً عذراً لما ارتكبه الشاعر لا حقيقة، نحو قول لبيد:

---

[٣] في مخطوطة "النظام" "جعل الدم دم الكرم"، وما ذكرناه في المتن عبارة الواحدي في كتابه.

[٤] جاء في كتاب الفسر قبل ذلك :

قال له بدر : بل من تركه.

أو مـذهبٌ جَـدَدٌ علـى ألْـوَاحِهِنَّ النَّـاطِقُ المَبْـرُوزُ والمَخْتُـومُ[٥]

أي : المطوي والمنشور.

ومِنْ إبدالها في الوقف ألفاً حقيقة قول الأعشى:

× ولا تعبدُ الشيطانَ واللّهَ فاعْبُدا ×[٦]

وقد روى: "والصّدق من شيم الكرام فقل لنا؟. هرباً مما تأوّله أبو الفتح رحمه الله.[٧]

* * *

وقال أبو الطيب :

يخاطب أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج. وخرج الى البستان ومعه طاهر بن الحسين العلوي وأبو الطيب. وأقاموا يومهم، فلما ولّى النهار سأل العلويُّ أبا محمد الرجوع الى الدار. فقال أبو الطيب:

---

(٥) جاء في اللسان: أبْرَزَه: نَشَرَهُ، فهو مُبْرَزٌ، ومبـروزٌ شاذ على غير قياس جاء على حذف الزائد، قال لبيد:
أو مذهبٌ جَدَدٌ على أَلْوَاحِهِ... البيت" مادة: برز.
أنظر ديوان لبيد، تحقيق د. احسان عباس، ص ١١٩، الكويت، ١٩٦٢.

(٦) تمام البيت :

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تنسُكَنَّهُ
ولا تَعْبُدِ الأوثانَ واللّهَ فاعْبُدا

رواية الديوان "الأوثان" مكان الشيطان. وهذا البيت من قصيدة قالها في مدح الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدا
وعاداك ما عاد السَّلِيمَ المُسَهَّدا

أنظر ديوان الأعشى ، ص ١٠٦، الشركة اللبنانية للكتاب. وديوان الأعشى الكبير، تحقيق د. م. محمد حسين، ص ١٣٧، المطبعة النموذجية، مصر.

(٧) وقال ابن عدلان مستشهداً بعد أن ذكر كلام ابن فورّجة:
كقوله تعالى: {لنسفعاً بالناصية} ، وقوله: {ليسجنن وليكونا}.
والمعنى : يقول : الصدق هو عادة الكرام والمروءة ، فخبّرنا أو بيِّن لنا ـ على الروايتين ـ من أيّهما تتوب؟
قيل : قال له بدر : بل مِن تركه.

١ـ قَدْ بَلَغْتَ الَّذي أَرَدْتَ مِنَ البرِّ ومِن حَقِّ ذا الشَّريفِ عَلَيْكا[١]
٢ــ وإذا لمْ تَسِرْ الى الدَّارِ في وَقْتِكَ ذا خِفْتُ أنْ تَسِيرَ إلَيْكا

قال المطرّز :

أي : خِفْت أن تصير الدار إليك ، وحشة لمفارقتك.

قال ابو الفتح :

يعني : دار أبي محمد.

❊ ❊ ❊

وقال أبو الطيب :

يمدح أبا شجاع عضد الدولة ، وهو آخر ما سار من شعره.

وفي اضعاف هذه القصيدة كلام جرى على لسانه. ينعَى فيه نفسه، وإن كان لم يقصد ذلك، وأنا أذكره إذا وصلت إليه بمشيئة الله.

١ – فَدَى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عن مَدَاكَا
فَلاَ مَلِكٌ إذاً إلاّ فَدَاكَا[١]

قال ابو الفتح :

أي: إن أجيبت هذه الدعوة فَدَاك جميع الملوك ، لأنهم يقصرون عن مداك.[٢]

---

[١] قال أبو الفتح في كتابه الفسر :
يعني : بعض الطالبين.
وقال ابن عدلان :
يريد : انه كان عنده في مجلس الشراب ليلاً وأطال ، فقال له: بلغت بنا ما أردت من الإكرام، وقضيت حقّ هذا الشريف. وكان عنده رجل علويّ. فقم الى منزلك، وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار، إشتياقاً إليك، ومحبّة لك.

[١] رواية أبي الفتح "فِدىً" بكسر الفاء ، وسوف يجيء تخريج ذلك.

[٢] جاءت العبارة في كتاب الفسر على الوجه الآتي :
"لأنهم كلهم يقصرون على نداك" [ونداك: فيما يبدو تحريف].

وقال الواحدي في كتابه: ٨٠٠:

٢ــ ولــو قُلْنَــا فَــدىً لَــكَ مَــنْ يُــسَاوِي
دَعَوْنَــا بالبَقَــاءِ لِمَــنْ قَلاَكــا

قال المطرّز:

"فَدىً" إبتداء بالنكرة، لأنه دعاء، ففائدة المعرفة فيه كفائدة النكرة. و"مَنْ" رفع بفعله، وفعله "فدىً"، تقديره: يفديك مَنْ يقصر عن نهايتك. فاستغنى بفاعله عن خبره، كما تقول: مُكرِم لك زيدٌ.

يقال: "فَدَىً لك" مفتوح مقصور. و"فِداؤك" مكسور ممدود. ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة. وقوله: "إلاّ فَداكا" لا يجوز فيه إلا فتح الفاء لأنه فعلٌ ماضٍ.

يقول: "يَفْدِيْكَ كل مَنْ لم يبلغ غايتك، وإنْ أستجيب هذا الدعاء فَدَاك جميع الملوك لأنه لم يبلغ ملك غايتك، وكلّهم دونك. وأخذ الصابي هذا المعنى فقال:

أيّهذا الوزيرُ لا زال يَفديك من الناس كلُّ مَنْ هو دونك.

وإذا كــان ذاك أوْجــبَ قــولي
أنْ يكونــوا بأسْــرهم يفــدونك

وقال أبو العلاء معقّباً. وقد ورد قوله في كتاب "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي" لأبي المرشد المعري، ص ١٦٣.

قال الشيخ [أبو العلاء]: المراد ان الخلق كلهم فدى للممدوح ، لأنهم يقصرون عن مداه.

وقال أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة في كتابه "شرح مشكل أبيات المتنبي" ، ص ٣٩١:

"فداك": يحتمل فعلاً واسماً.

وقال ابن عدلان:

"الفِداء": إذا كسر أوّله يمدّ ويقصر. وإذا فتح فهو مقصور. كقولهم: فَدىً لك أبي. ومِن العرب مَنْ يكسر "فِدىً" بالتنوين إذا جاور لام الجرّ خاصة، فيقولون: فِدىً لك، لأنه نكرة، يريدون به معنى الدعاء، وأنشد الأصمعي للنابغة:

مَهْــلاً فِــداءٌ لــكَ الأقــوامُ كُلُّهُــمُ
ومــا أُثَمــرُ مــن مَــالٍ ومَــنْ وَلَــدِ

يقال : فداه وفاداه: إذا أعطى فداءه وأنقذه ، وفَدّاه يُفَدِّيه: إذا قال له: جعلت فداك. وتفادوا: أي فَدَى بعضهم بعضا.

وقال الخطيب : إنما يريد الدعاء. أي: يفديك مَنْ يقصر عن مداك. ولا معنى لقوله: إنْ أجيبت. وليس في البيت. وأخذ هذا المعنى الصابي بقوله: "أيّهذا الوزير... البيتان".

وقال أبو الفتح :

أي : لو فداك مَنْ يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لِمَنْ يقليك ويبغضك من الملوك بالبقاء، لأنهم إنما يبغضونك لأنهم لا يساوونك في المجد، بل يقصرون عنك.[٣]

وقال ابن فورّجة :

هذا الكلام كأنه محمول على دليل الخطاب ، وكأنه إذا قال: فداك مَنْ يساويك، فقد قال: لا فداك مَنْ يساويك،[٤] وهذا مجاز لا حقيقة.

وقد تناول هذا أبو اسحق الصّابي الكاتب فوقع دون أبي الطيب، فقال:

أيُّهذا الوزيرُ لا زال يَفْدِيك من الناس كلُّ مَنْ هو دونكْ.

وإذا كان ذاك أوْجَبَ قَوْلي
أنْ يكونوا بأسْرِهِمْ يَفْدُونَكْ

وبين الفقهاء في دليل الخطاب خِلاف ، فمنهم مُثْبِتٌ ومنهم نافٍ. يعني: ان مَنْ قلاك ناقص عنك، فإنما يقليك لنقصانه عنك.[٥] وهذا أيضاً مجاز. فكان من الواجب أنْ يقول: جميع الناس ناقصون بالقياس إليك. ولكن لمّا كان مَنْ يقليه أيضاً أحد الناقصين حسن أنْ يقول ذلك.

والذي قاله أبو الفتح في هذا البيت ـ ثمّ ذكر نصّ كلام أبي الفتح ـ وقطع عليه، ولم يذكر غيره.

والذي قاله أبو الفتح هو المعنى الصحيح. وهو الذي دلّ عليه قول المتنبي.[٦]

---

[٣] كرر أبو الفتح شرح هذا البيت في كتابه الآخر "الفتح الوهبي..."، ص ٩٩، فقال:

أي: لا أحد يساويك في فضلك، فإذا قلنا فداك مَنْ يساويك فكأنّا قلنا فداك لا أحد، فكان هذا دعاء لِمَنْ باين طبعك طبعه. وهذا عندي في الحقيقة ليس دعاء له، وإنما هو متاركه، فهو إذاً موقوف على الدلالة.

[٤] العبارة في مخطوطة النظام "لا فداك مَنْ لا يساويك.

[٥] العبارة في كتاب "الفتح على فتح أبي الفتح" فإنما يقليه لنقصانه عنه"

[٦] هذا الكلام للمبارك بن أحمد تعقيب على ما ذكره ابن فورّجة.

قال المرتضى رضي الله عنه :

وعنى أبا الفتح ، ثم ذكر بيتاً من قصيدة أخرى ـ وهو:

ولـــو قلنـــا فَـــدىً لـــك مَـــنْ يـــساوي
دعونـــــا بالبقـــــاء لمَـــــنْ قلاكــــا

وقال: "أي لا أحد يساويك في فضلك. فإذا قلنا: فَداك مَنْ يساويك فكأنّا قلنا: فـداك لا أحد. فكان هذا دعاء لَمْنْ باين طبعك طبعه".

ثم قال: "وهذا عندي في الحقيقة ليس دعاء له، وإنما هو متاركة له، فهـو موقـوف على الدلالة".[٧]

قال المرتضى رضي الله عنه: اعلم ان قولنا: فدَى زيدٌ عمـراً، أي: موتـه تقـدّم موتـه، وسبقه، فصار كأنه دافع له، وعوض عنـه. فـإذا قلنـا: لا يفـدى هـذا الممـدوح إلا مَـنْ يساويه في فضله ومجده، أو قلنا: يفديه مَنْ يساويه، وفرضنا انـه لا مُسَاوِيَ ولا مماثل فكأنا قلنا: لا يفديه أحد. ولا يتقدّم موته أحد. وهـذا دعاء ظاهر لكـل مَـنْ لا يـساويـه بالبقاء وطول العمر، وإذا كان الخَلْق كلهم لا يساوونه فهو دعـاء لهـم كلهـم بالبقـاء، ولكنْ خصّ بالذكر مَنْ أبغضه دون مَنْ أحبّه، لأنه هو الذي لا يجب أن يدعَى له بالبقـاء، ولا بزيادة العمر.

وقد فسّر هذا المعنى فيما يلي هذا البيت بقوله :

وآمَنَــــا فِــــدَاءَكَ كُــــلُّ نَفْــــسٍ
وإنْ كانــــت لمملكــــةٍ مِلاكــــا

فصرّح كما ترى بأن هذه الدعوة إذا أُجيبت أمنت كل نفسٍ يفديه والموت قبله. يشهد بهذا المعنى قوله في إبتداء القصيدة:

---

[٧] هذا كلام أبي الفتح المذكور في كتابه "الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي". أما كلام أبـي الفـتح الآخـر الذي بَنَى ابن فورّجة ردّه عليه فهو من كتابه "الفسر".

فَـــدىً لـــك مَـــنْ يقـــصر عـــن مـــداكا
فـــــلا ملـــــك إذاً إلا فـــــداكا

وإنما جعل مَنْ يقصر عن مداه فدَىً له، حتى يكون الملوك، بـل كـلّ الخلائـق فـداءه لعموم تقصيرهم عنه، فقد بطل قول أبي الفتح: ان هذا متاركة وليس بدعاءٍ. وبانَ بأنه دعاء من أوضح الوجوه.

قال المبارك بن أحمد:

قول أبي الفتح : "وهذا عندي في الحقيقة ليس دعاء له... الفـصل" قـول صـحيح، لأنه إذا علّق فداءه على مَنْ يساويه، ولا أحد يساويه صار دعـاءً للناقـصين عنـه، وإذا كان دُعاء لهم بالبقاء فهو متاركة للدعاء لـه، إذ لا فائـدة للمدعوّ لـه في بقاء الناقصين عنه، وان لا يتقدموه قبل موته.[8]

٣ــ وآمَنَّـا فِـداءَكَ كُـلَّ نَفْـسٍ
وإنْ كانَـتْ لِمَمْلَكَـةٍ مِلاكـا

---

[8] لعل الصواب "وان لا يقدموه قبل موته".
وقال أبو العلاء فيما ذكر له في كتاب "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب":
قال الشيخ: يقول: لو قلنا فدىً لك مَنْ يساويك لكان ذلك دعاء لأعدائك بطول البقاء. إذ ليس لك مـساوٍ من الخَلْق.
وقال الواحدي :
أي لو قلنا يفديك مَنْ يساويك وتساويه دعونا بالبقاء لأعدائك ، لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك.
وقال ابن عدلان :
قَلَى: أبغض. ومنه: قِلىً وقَلاء. قال اللَّهَبيّ:
كُـلٌّ لـه نِيَّـةٌ في بُغْـضِ صـاحبه
بنِعْمَـةِ اللّـهِ نَقْلـوكم وتَقْلُونـا

[ثم ذكر ما أورده أبو الفتح والواحدي].
وقال ابن سيدة في كتابه :
أي: انه لا يساويك أحـد. فلو قلنا: فـدَىً لك مساويك لكان كقولنا: فـدىً لك لا أحد. وقاليه داخل في ذلك.

قال ابو الفتح :

ملاك الشيء : قوامه.

أي: هذه النفوس وإنْ كانت قواماً للممالك ، فهي مُقَصِّرة عن شأْوك فقد أمنت أن تفديك إنْ أجيبت هذه الدعوة.

وقال أبو العلاء :

مِلاك الشيء : أي قوامه ، بكسر الميم. وقد تُفتَح. وهذا البيت معطوف على ما قبله. أي: لو قلنا: فدَىً لك مَنْ يساويك لآمَنّا كل نفسٍ أن تفديك، وإنْ كان نفس ملك.

وهذا قريب من قوله أيضاً: "فَدَى لك مَنْ يساوي... البيت".[9]

٤ـ وَمَنْ يَظَّنُّ نَثْرَ الحَبِّ جُوداً
وَيَنْصِبُ تحتَ ما نَثَرَ الشِّباكا

قال أبو الفتح :

"يَظَّنّ": (يَفْتَعِل) ، مِن الظَّنِّ ، وأصله "يَظْتَنِنُ"، فقُلبت التاء طاءً. لتوافق الظاء قبلها بالاطباق والجهر. فصار التقدير: "يَظْطَنِنُ"، ثم أبدلت الظاءُ طاءً لتدغم في الظاء

---

[9] قال الواحدي :

"وآمنّا" عطف على قوله "دعونا". يقول: ونأمَن أن يكون فداك كلّ نفس وإن كان ملكاً كبير الشأن قِواماً للمملكة إذا كان يفديك مَنْ يساويك.

وقال ابن عدلان :

المعنى : يقول : هذه النفوس وإن كانت قِواماً للمُلْك ، فهي مع هذا تقصر عنك، فقد أمنت أن تفديك.

والمعنى: قد أمنت نفوس الخلائق أجمعين وملوكهم المترفين. وإنْ كان في تلك النفوس مَنْ هو مِلاك مملكة. ومَنْ ينفرد بعلوّ منزلة، فهم عند إضافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل بهم نفع. والسّوام الذين لا حظَّ لهم في الملك.

وقال ابن سيدة في كتابه :

أي : لو اشترطنا في فدائك المساواة لآمَن كلُّ أحدٍ أن يكون لك فدَىً، وإنْ كان ملكاً. لأنه ـ مع مُلكِهِ ومِلكه ـ مُقَصِّر عن مساواتك.

بعدها، فأدغمت فيها فصارت ظاءً مشدَّدة. وكره اجتماع النونين متحـركتين فأسـكنت الأولى منها، ثم أُدغمت في الثانية فصار اللفظ بها يَظَّنُّ.[١٠] آخر كلامه.

وفي نسخة السماع: "من يطَّنّ" بالطاء المهملة.

وقال أبو العلاء:[١١]

"مَنْ" في أول البيت موضعها نصب ، لأنها معطوفة على "نفس". وكأنه يـومئ بهـذا الى القول الذي فيه:

ولــــو كـــــان ذا الأكــــل أذوادنـــــا
ضـــــيفاً لأولينـــــاه إحـــــسانا[١٢]

والمعنى: ان بعض الملوك مثله مثـل مَنْ ينثر الحبّ للطير كي يوقعها في الشبكة، يظنّ ان ذلك جودٌ. وإنما هو احتيال ومكْـرٌ.

وقال أبو محمد طاهر بن الحسين بن يحيى المخزومي صاحب فتق الكمائم:

---

[١٠] قال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك :

قال كثير :

وَمَـــا يَظَّــــنِنْ مِــــن خُلّــــةٍ في مــــودَة
يبُخْــــلٍ لنــــا فالحاجبيّــــة أبْخَــــلُ

ومثله قول زهير :

هـــو الجـــواد الـــذي يعطيـــك زائلـــه
عفـــــواً أو يُظْلَـــــمُ أحيانـــــاً فَـــــيَظّلِمُ

ومنهـم مَنْ يقول: "فيظَّلم" بالظـاء معجمة. فعلى هـذا يقول: "يَظَّنُّ" وذلك إذا أبـدل مـن (افتعـل) ظاء ثم أدغم الظاء فيها. ومنهم مَنْ يروي بيت زهير أيـضاً "فـيظطلم" ولا يـدغم، فعـلى هـذا يجـوز "يظْطَنّ".

وأخبرنا محمد بن الحسن عن محمد بن يحيى المروزي عن محمد بن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن جدّه أبي عمرو. قال. يقال: قد أظَّنَه يَظَّنُّه: إذا ظنّ به.

[١١] وردت بإزاء لفظه "قال أبو العلاء" في حاشية مخطوطة النظام، لفظة "أبو زكريا".

[١٢] ويروى "لأوسعناه". وهذا البيت مطلع أبيات قالها لكافور. وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

يقول: مَنْ أعطى وغرضه في العطاء يستجر فائدةً كإلقاء الصائد الحبّ ونصبه الشبكة معه، فليس ذلك بجود.

ويروى: "ويبسط".[١٣]

٥ـ وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهُ
وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الحَالُ السُّكَاكَا

قال أبو الفتح :

"السُّكاك" : الهواء في الجَوّ.

وعَرَّضَ في هذه الأبيات بملوك كان يتّهم آراءهم فيه.

قال أبو العلاء:[١٤]

"مَنْ" ها هنا مثل "مَنْ" في البيت الذي تقدّم. والأجود أنْ يكون جميعاً في موضع نصب.

يقول: لو قلنا فدىً لك مَنْ يساويك لآمنت هذه الجماعة أن تفديك، وفهم مَنْ كان في "كَرَىً" من غفلةٍ، وقد خفض ذلك منزلته، وإن كانت حاله قد رفعته في الهواء.

والذي قرأته أيضاً: "مَنْ بلغ الحضيض".[١٥]

---

[١٣] قال الواحدي بعد أن ألمَّ بما ذكره أبو الفتح في لفظة "الظَّنّ".

"مَنْ" عَطف على قوله "كل نفس". وهذا تعريض لسائر الملوك ، يشير الى انهم يجودون لطلب العِوض. كمَنْ نثر حبّاً تحت شبكة، ثم يَعُدُّ ذلك جوداً بالحَبّ، لأنه نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحبّ.

وقال ابن سيدة الأندلسي :

أي : وفدىً لك مَنْ أعطَى وغرضه أن يستجرّ فائدةً فاضلة بعطائه، بمنزلة القنّاص الذي يلقي الحبّ للطير، وقد نصب الشبكة تحته لاقتناصها، فلا ينبغي أن يُحْمَد على ذلك، لأنه ليس جوداً في الحقيقة، وإنما هو دعاءٌ الى هُلْك. وهذا مَثَلٌ ضربه لمَنْ طلب من الشكر أكثر مما يوجبه له نداه. والشِّباك: جمع شبكة، كرَقَبة ورِقاب وَرَحَبة ورِحاب.

[١٤] وردت فوق لفظة "أبو العلاء" في مخطوطة النظام ، لفظة "أبو زكريا".

[١٥] قال الواحدي :

يقول : وآمنا فداك مَنْ ألْصَقه عَماه وغفلته بالتراب ، وإن علت رتبته وحاله من حيث المال حتى بلغ أعلى الجوّ.=

٦- فَلَــــوْ كانَــــتْ قُلُوبُهُــــمُ صَدِيقــــاً
لَقَــــدْ كانَــــتْ خَلاَئِقُهُــــمْ عِــــدَاكَا

قال ابو الفتح :

"الصديق" : يقــع للواحد والواحــدة ، وما فوقهمــا بلفظٍ واحــد.(١٦)

ولو أمكنته القافية أن يقول: كانت خلائقهم عدوّاً ، لكان أوقع، ولكن القافية حالـت بينه وبين هذا.

وفي كتاب أبي زكريا :

يقــول : لو كانت قلــوب هؤلاء القــوم صادقــةً في محبّتك وموالاتك لكانت أخلاقهــم أعــداء لك، لأنــك شجاع وهم جبنــاء، وجــواد وفيهــم بخــل، ونحو ذلك.(١٧)

= وقال ابن عدلان :

"مَنْ بلغ" عطف على الأول. وروى "ومَنْ بلغ الحضيض" ، وهو قرار الأرض. والمعنى: وآمنّــا أن يفــديك من الملوك مَنْ بلغ الحضيض بهم قِصَرُ إفهامهم، وتأخّر إدراكهم، وإنْ كانــت أحــوالهم قــد بلغــت بهــم الرفعة والعلوّ والتمكن، إلا انهم دونك.

(١٦) قال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك مستشهداً:

قال :

فلــــو أنّــــكِ في يــــوم الرجــــاء ســــألتني
فراقَــــكِ لم أبْخَــــلْ وأنــــتِ صَــــدِيقُ

ولم يقل صديقة. وقال آخر:

(بــــأعْيُنِ أعــــداءٍ وهــــنّ صــــديقُ)

قال الله تعالى : [فإنهم عدوّ لي إلا]. وقال الأخنس بن شهاب فارس العَصَا:

قرينــــةَ مَــــنْ أعْيَــــا وقُلّــــد حَبْلــــه
وحــــاذَرَ جــــرَّاهُ الــــصديقُ الأقــــاربُ

[رواية المفضليات "رفيقاً لَمَنْ أعيا"].

(١٧) قال الواحدي في كتابه : ٨٠١:=

٧- لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَباً نَحِيفاً
إذا أَبصَرْتَ دُنْياهُ ضِناكا

قال أبو الفتح :

"الضِّناك" : السمينة التي ضاق جلدها بسمنها.[١٨]

أي : لو صادقك الملوك بقلوبهم لقد كانت خلائقهم أعداء خلائقك، لأنك تبغض مَنْ يكثر ماله ويقلّ مجده.[١٩]

٨- أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ على فُؤادِي
بِحُبِّكَ أنْ يَحُلَّ بهِ سِوَاكا

= يقول : إن وَالتْك قلوبهم فقد عادتك أخلاقهم ، لأنها مضادّة لأخلاقك. يريد: ان الملوك وإنْ كانوا يوادّونك فإن بينك وبينهم بوناً بعيداً، لأنهم لم يبلغوا كرم أخلاقك، ولا شرف نفسك. وقد بيّن هذا في قوله [البيت التالي].

(١٨) قال أبو الفتح في الفسر بعد ذلك مستشهداً :

قرأت على عليّ أبي بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن الفرّاء:

خوداً ضِناكاً لا تَمُدُّ العقَبا
يهتزّ متناها إذا ما اضطربا

(١٩) قال الواحدي :

"الضِّناك" : المرأة السمينة الممتلئة باللحم ، أُخذ من الضَّنك الذي هو الضيق، وذلك لضيق جلدها بكثرة لحمها.

يقول : أنت تبغض الشرف النحيف إذا كان صاحبه مثرياً كثير المال ، يعني إذا كان بخيلاً لا يكسب بماله الشرف، وما يعدّ من المناقب والمفاخر.

وقال ابن عدلان مستشهداً وقد ألمّ بما ذكره الواحدي وقبله أبو الفتح :

وقد نقله من قول عبدالصمد :

سَلِيلُ خِلافةٍ وغَذِيُّ مُلْكٍ
جَسِيمُ مَحَامِدٍ مَنْهُوكُ مَالِ

قال المطرز :

هذا البيت من الأبيات التي أذنت بقرب أجله. وقد وردت له نظائر في هذه القصيدة، فكأنه نَعَى فيه نفسه. وإن ذلك آخر ما يقصد الملوك ويمدحهم، وذلك ان الختم يكون عند آخر الشيء إذا امتلأ، فلم يكن فيه موضع لمزيد.[٢٠]

٩ــ أُحَاذِرُ أنْ يُشَقَّ على المَطَايا
فلا تَمْشِي بنا إلاّ سِوَاكا

قال أبو الفتح :

"السِوَاك" : المشي الضعيف المضطرب.[٢١]

وفي كتاب أبي زكريا :

قيل: ان عضد الدولة كان فيما حمله الى أبي الطيب خمسون ألف درهم. وزن كل درهم درهم ونصف، جعلها في شقق ديباج، وأعطاه سوى ذلك من التحف وغيرها.[٢٢]

---

[٢٠] قال الواحدي :

يقول : أروح عنك وقد سددت عليّ طريق محبّة غيرك بأنْ جعلت حبّك ختماً على قلبي حتى لا ينزل فيه غيرك.

وقال ابن عدلان مستشهداً بعد أن ألمّ بما ذكره الواحدي :

وقد نقله من قول ابن المعتزّ :

لا أُشْرِكُ النَاسَ في محبَّتِهِ
قلبي عن العالمين قَدْ خُتِما

[٢١] قال أبو الفتح في الفسر بعد ذلك معقباً ومستشهداً :

يقال : تسَاوَكَت الإبل : إذا تمايلت في مشيها ضعفاً ، ويقال: جاءت الإبل تَسَاوَكُ هُزالاً، أي: ما تحرّك رؤوسها. قال الشاعر:

الى اللّه أشكو ما نَرَى بجيادنا
تَسَاوَكُ هَزْلى مُخُّهُنَّ قليل

[البيت لعبدالله بن الحُرّ الجعفي. ويروى "أرى بجيادنا"].

[٢٢] قال الواحدي :=

١٠-وَقَـــدْ حَمَّلْتَنِـــي شُـــكْراً طَـوِيـــلاً
ثقَـــيلاً لا أُطِيـــقُ لَـــهُ حَرَاكَـــا[٢٣]

قال المبارك بن أحمد :

إنما قال "شكراً طويلاً". ولم يقل : مَنّاً ولا جُوداً ، لأنه أبلغ، وذلك لأنه أولاه من النِّعم ما يعجز عن حمل شكره، فهو مثقل لا يستطيع الحراك معه.

وقال الواحدي :

[٢٤]و"الحراك" اسم أقامه مقام المصدر.[٢٥]

= أحاذر على دوابّي العطب لثقل ما أصحبتني ، فلا تمشي بنا إلا ضعيفة. يقال: الدواب تتساوك سواكا: إذا مشت هزلى ضعيفة. ومنه قول الشاعر:

الى اللّه أشكو ما نرى من جيادنا... البيت.

وقال ابن عدلان:

الضمير في قوله "يَشُقّ" وفي قوله "يمشي" يعود الى الشكر الثقيل.

[ثم إستشهد بالبيت "الى اللّه أشكو ما نرى من جيادنا" ونسبه الى عَبيدة بن هلال اليشكري].

(٢٣) رواية أبي الفتح والواحدي وابن عدلان "به" مكان "له".

(٢٤) قال الواحدي في كتابه قبل ذلك :

يقول : أنا مثقل الحمل بشكرك ، كالبعير المثقل لا يستطيع التحرّك.

(٢٥) وقال الواحدي بعد ذلك :

يقال : حرك تحريكاً وحراكاً ، ثم يستعمل بمعنى الحركة.

وقال ابن عدلان :

يقول : قد حمّلتني من شكرك ما هو طويل لا يتناهى ذكره. وثقيل لا يستخفّ حمله، لا أطيق به حراكاً لكثرته، ولا يمكنني التحرّك به إستنقالاً لجملته. ومثله لأبي نواس:

قَـــدْ قُلْـــتُ للعبّـــاسِ مُعْتَـــذِراً
مِـــنْ ضَـــعْفِ شُـــكرِيهِ وَمُعْتَرِفَـــا
لا تُـــسْدِيَنَّ إلـــيَّ عَارِفَـــةً
حتَّـــى أقـــومَ بـــشُكْرِ مـــا سَـــلَفا

وقال الجوهري : يقال : ما به حراك ، أي : حركة.

وفي "يَشُقّ" ضمير يعود على "الشكر" ، أي : يخاف أن يجهد الشكر المطايا فيضعف حملنا، فلا تسير إلا سيراً ضعيفاً.

ويقوي ذلك رواية مَنْ روى "به" أي : بالشكر.

ووجدت في نسخة :

قال علي بن عيسى الربعي : سمعت أبا الطيب ينشد "سواكا" و"شراكا"، ويقول: هما واحد:

١١ـ لَعَلَّ اللّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً
يُعِينُ على الإقامَةِ في ذَرَاكا

قال الواحدي :

"الذرى" : الكنف والناحية.

يقول: أرجو الله أنْ يجعل هذا الفراق سبيلاً لإقامتي عندك بأنْ أصلح أموري، وأعود إليك. أو بأنْ أحمل أهلي الى حضرتك، فأقيم عندك فارغ البال، وهذا من قول عروة بن الورد:[٢٦]

تقول سُلَيْمَى لو أقمت بأرْضِنا
ولم تَدْرِ أنّي للمُقَامِ أطوف[٢٧]

---

[٢٦] عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان. من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، قال عبدالملك بن مروان: مَنْ قال ان حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد. مات في نحو ٣٠ق.هـ أخباره في الأغاني: ٣/٧٣، وجمهرة أشعار العرب، والشعر والشعراء: ٢٦٠، والأعلام: ٤/٢٢٧.

[٢٧] هذا البيت من أبيات قالها في غزوة حين انتهى الى بلاد بني القين. جاء في أولها:

أرَى أمَّ حسانَ الغَدَاةَ تلُومُني
تُخَوّفني الأعداءَ والنفس أخوف

أنظر الأغاني: ٣/٨٢. وروايته فيه "لَسَرّنا" مكان "بأرضنا".

وقال المطرّز :

هذا البيت فيه تلويح بأنه يريد نقل عياله وأسبابه الى عنده، إلا انه لم يقع القول على طريق التلطّف. وقد يقول الواحد: لعلّي أكرمك، من غير شكّ في ذلك لكنه يبرره كذلك على طريق التلطّف. وهذا معروف في العادات.

هذا قول حسن. وقول الواحدي انه قول عروة بن الورد الذي ذكره إذا جمع بينهما في المعنى يكون فيه ذم للممدوح.

ذلك ان عروة أراد انه يطوف ليكسب مالاً يعينه على المقام عندها. وأبو الطيب فقد حصل له من عضد الدولة ما ذكره. وفي بعضه ما يعينه على الإقامة عنده لو أرادها، والذي ذكره من انه يصلح أموره، ويحمل أهله ويعود الى حضرته فقريب.

ولم أرَ هذا البيت في ديوان عروة الذي كتبته. وقد رواه العلماء لعروة.

والذي يدلّ على ما أراده عروة مما تقدم تفسيره ، قوله في أبيات له على وزنها ورويها:

إذا قلتُ قد جاء الغِنَى حال دونه
أبو صبية عاري الأشاجع أعجفُ

له خُلّة لا يدخل الحقّ دونها
كريمٌ أصابته خطوب تحرّفُ

فإنّي لمستاف البلاد بسريةٍ
فمبْلِغ نفسي عذرها أو مطَوّفُ

وقد رأيت هذا البيت الذي رواه الواحدي مع أبيات من جملة الأبيات التي ذكرتها.

قول المطرز: "الى عنده" سهو ووهم. لم يدخلوا على "عند" من حروف الجر سوى "مِن" ومثلها "لدن".[٢٨]

---

[٢٨] قال أبو الفتح في كتابه الفسر :

الذَّرى: الكنف والناحية. أي : إنما أصلح أموري وأعود إليك. وجمعه: أذراء. قال الحصين بن الحمام:=

١٢- فَلَوْ أنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي
فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حتَّى أرَاكَا[٢٩]

قال أبو الفتح :

هذا مما ذكرت انه أُودِعت هذه القصيدة من الألفاظ التي يُتَطَيَّر بها. وبعد هذا ما هو أظهر منه، ولولا ان فيها ما هو أكثر[٣٠] منه لما ذكرت هذا.[٣١]

=وعوذي بأذراء العشيرة إنما
يعوذُ الذَّليلُ بالعزيز لِيُعْصَما

[رواية المفضليات "بأفناء" مكان "بأذراء"].

وقال ابن عدلان مستشهداً بعدما أورده أبو الفتح والواحدي:

وهو من قول الطائي :

آآلِفَةَ النحيب كم افتراقٍ
أظَلَّ فكان داعيةَ اجتماعِ

وليست فرحةُ الأوباتِ إلاَّ
لموقوفٍ على تَرَحِ الوداعِ

[ثم استشهد ببيت عروة بن الورد "تقول سُليمى لو أقمت بأرضنا... البيت"]

(٢٩) رواية ابن عدلان "ولو".

(٣٠) في مخطوطة الفسر "أكبر".

(٣١) قال الواحدي في كتابه :

يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصري الى أحد بالنظر إليه ، حتى أعود إليك.

وقال ابن عدلان :

يقول: لو اني استطعت خفضَ طرْفي ، لما اعتقده من عاجل الأوبة ، وأقصده من سرعة الرجعة، خفضت طرفي فلم أبصر به، حتى أقدم على حضرتك الكريمة، وأكحل جفوني بالنظر الى غرّتك الوسيمة. وقد نقله من قول أبي النجم:

لمَّا تَيَقَّنْتُ أنِّي لا أُعاينكُمْ
غَضَضْتُ طَرْفي فلَمْ أبْصِرْ بِه أحدا

ومن قول مسلم:=

١٣ـــ وَكَيْــفَ الــصَّبْرُ عَنْــكَ وَقَــدْ كَفَــاني
نَــــدَاكَ المُــــــسْتَفِيضُ ومَـــــا كَفَاكَـــــا

قال الواحدي :

يقول : كيف أصبر عنك ، وقد اكتفيتُ بما جُدْتَ عليّ ، ولـم يكْفِـكَ ذلـك. أي: تريـد أن تعطيني فوق ما أعطيتني، وأنا غير مستزيد. وإذاكانت الحال هذه لم أصبر عنك، وأسرِع العود إليك.

ووجدت في حاشية: "وما قداكا". ولا أعلم صحته. فكأنه صرف "قـد" التـي بمعنـى "حسب". أي: وما أحسبك. بمعنى: "ما كفاك".(٣٢)

١٤ـــ أَتَتْــركُني وَعَــيْنُ الــشَّمْسِ نَعْلِــي
فَتَقْطَــــعَ مِــــشْيَتي فيهــــا الــــشِّرَاكَا

قال الواحدي :

يقول: إذا كنت بحضـرتك كنت من الرفعَـةِ كمَنْ انتعل عـين الـشمس، وإذا إرتحلـتُ عنك قطع مشيتي شراك النعل فيزول عني سببُ الرفعـة.

وقوله "أتتركني": معناه: أأتركك. وهو استفهام إنكار. أي: لا أتركك لأن مَـنْ تركتـه فقد تركك، فقلت الكلام كما قال:

=إنْ يحْجُبُوهـــــا عـــــن العيُـــــونِ فَقَــــدْ
حجبـــــتُ طـــــرفي لهَـــــا عَــــن البَــــشَرِ

(٣٢) ذكر ابن عدلان ما قاله الواحدي ، ولكن بعبارة تتسم باللطف:

يقول: كيف الصبر عنك والتجلّد عن الانفصال منك ، وقد كفاني ما غمرني من برّك، وأحـاط بـي مـن أنعامك وفضلك، وما كفاك ذلك، ولا أقنعك ولا أرضاك حتى أعطيتني أكثر مما كنـت أتمنّـى، فـإذا كـان الحال هذا فكيف أصبر عنك، ولكن أجتهد في الإسراع إليك وفيه نظر الى قول البحتري:

ولمْ أمْــــلَ إلاّ مِــــنْ مَودَّتِــــهِ يَــــدي
ولا قُلْــــتُ إلاّ مِــــنْ مَوَاهِبِــــهِ: حَــــسْبي

× كأنما أسلمت وَحْشِيَّةُ وَهَقَا ×

والوهق يُسْلِمُ الوحْشيّة. ومثله كثير.

قال ابو الفتح :

أي: بقصدِكَ وحصولي في جملتك ما شرُفْتُ، فإذا بَعُدَتُ عنك زال ما أكسبتنيه من الشرف، فكنت بمنزلة مَنْ كانت نعله عين الشمس فمشى فيها فانقطع شراكها فسقطت من رجله، ومثل هذا اللفظ إلا انه دعاء، وهذا خبر قوله في الأوراجي:

فَبأيِّما قدم سعيت الى العُلا
أدمُ الهلال لأخمصيك حِذاءُ[٣٣]

ومثله في المعنى قوله:

وقالوا: هَلْ يُبلِّغُكَ الثُّريّا
فقلتُ نَعَم إذا شئتُ اسْتِفَالا[٣٤]

قوله أيضاً في بني بويه :

فوقَ السماءِ وفوقَ ما طَلَبُوا
فإذا أرادوا غاية نزلوا[٣٥]

---

[٣٣] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

أمِنَ ازديارك في الدُّجَى الرّقباء
إذ حيث كنت من الظلام ضياءُ

وقد مرّ ذكرها.

[٣٤] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

بقائي شاء ليس هُمُ ارتحالا
وَحُسْنَ الصبْرَ زمُّوا لا الجمالا

وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

[٣٥] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :=

وهذا اعتراق في المعنى ، وأفضل هذا كله قول أبي الجويرية:[٣٦]

لـو كـان يقعـد فـوق الـشمس مـن كـرم

قـومٌ بـأولهم أو مجـدهم قعـدوا

وقال المطرّز :

الواو في قوله "وعين الشمس" واو الحال. ونصب "فتقطع" لأنه جواب استفهام بالفاء. وكأنه يعرض بأنه إذا فارقه إنحطّت درجته وصغرت.

وقال أبو العلاء :[٣٧]

هذا استفهام ليس عن جهل ، وإنما هو إعلامٌ ، وتقرير ان ما فعله خطأٌ، ولكنه مضطر الى فعله كما يقول الرجل: أتكرمني هذه الكرامة وأنا أفارقك، أي: ان ذلك لا يجب ولا يحسن. لأنك قد رفعتني حتى جعلت عين الشمس نَعْلي، فأمشي فيها مشياً يقع الشراك، أي: لا ينبغي أن أفعل ذلك.

ويجوز نصب "يقطع" ورفعها: فالرفع: عطف على "أتتركني". والنصب على إضمار "أنْ"، لأنه جواب استفهام بالفاء.

والذي قرأته في ديوانه "ويقطعُ" بالواو والرفع. وكذا هو في عدّة نسخ مضبوطاً. ويجوز أن يكون موضعه على هذه الحال أيضاً.[٣٨]

=أثْلِـث فإنّـا أيهـا الطَّلَـلُ

نبكـي وتـرزمُ تحتنـا الإبـل

وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

[٣٦] رسم الإسم في مخطوطة النظام "ابن الجويرية" والصواب "أبو الجويرية". وهو عيسى بن أوس بن عصبة، من بني عبدالله بن مالك من نزار، شاعر محسن. أقام مدة في خراسان واستقرّ في العراق. أورد الآمدي انموذجاً من شعره في المختلف والمؤتلف: ٧٩. توفي في نحو ١٢٠هـ.

[٣٧] وردت في المخطوطة بإزاء لفظة أبي العلاء. لفظة أبي زكريا. وقد ورد هذا الكلام في كتاب أبي المرشد المعري "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب" منسوباً الى أبي العلاء.

[٣٨] قال أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة الأندلسي في كتابه "شرح مشكل أبيات المتنبي"، ص ٣٩٢: =

١٥- أَرَى أَسَفي ومَا سِرْنا بَعِيداً
فكيفَ إذا غَدَا السَّيْرَ ابْتِرَاكَا

قال أبو الفتح :

"الإبتراك" : شدّة السير ، وهو من قول الآخر :

أشوقاً ولما يمضِ لي غير ليلةٍ
رويد الهوى حتى نغيب لياليا

وقول سُحَيْم :

أشوقاً ولمَا يمضِ لي غير ليلةٍ
فكيف إذا سار المَطِيّ بنا عشرا

إلا أن في قوله "وما سرنا" زيادة حسنة. وجعل مكان الشوق الأسف، لأنه قال "وما سرنا"، وإذا لم يسر فلا شوق هناك. ومثله قول الآخر:

= أي: بكوني من حاشيتك واعتدادي في صياغتك شرفتُ وعظمت حتى عدتُ كأنَّ عين الشمس نعلي، فإذا فارقتك كنت كمَنْ مشى بهذا النعل فانقطع شراكها فسقطت. فكان اختلال جزئها سبباً لعدم كلِّها. وإنْ شئت قلت: كساني قصدك شرفاً صارت عين الشمس لي نعلاً، فإذا بعُدتُ عنك أخللت ببعض الشرف لا بكلّه. فكأني قطعتُ الشراك الذي هو بعض النعل، فجعل الشرف كعين الشمس، وجعل فراقه لعضد الدولة المشيَ فيها. وجعل بُعْدَه عنه بمنزلة انقطاع الشراك الذي هو سبب الإخلال بالنعل، ولم يتوقع في كل ذلك إخلالاً كلّياً، لأنه كان مزمعاً للعودة إليه، ألا تراه يقول:

لعل اللّه يجعله رحيلاً
يُعينُ على الإقامةِ في ذَرَاكا

وقوله "فتقطع مشيتي فيها الشراكا": نصب فيه "تقطع" لأنه جواب الاستفهام، لأن الكلام متضمّن معنى الجزاء. أي: إن تركتني أسير وقد انتعلتُ بعين الشمس قطعتْ مشيتي شراك نعلي. وإنْ شئتَ: رفعتَ على القطع. أي: فانها تقطع. ولا يكون عطفاً على "أتتركني". لأن قَطْعَ مشيتهِ شراك النعل ليس داخلاً في حدّ الاستفهام. ومعنى هذا الاستفهام الإنكار والتقرير. أي: كيف تتركني على ما أنا به من الرأي وأنت تعلم ان الذي أنا عليه من ذلك سَفَهٌ.

أَرِقْـــتُ ولم تَــشْحَطْ بــيَ الــدار إنــني
جـــزوع الى الألاف غـــير صـــبور[٣٩]

أي : سهرت لخوف الفراق. وأنشد أحمد بن يحيى :

وانّـــي لأبْكـــي والنّـــوَى مطمئنّـــة
بنـــا وبكـــم مـــن عِلْـــم مـــا الـــبينُ صـــانعُ

وقال الآخر :

وإنّـــي لأبكـــي اليـــوم مـــن حَـــذَري غـــداً
فراقـــــك والحيـــــان مؤتلفـــــان

وهذا كثير جداً.[٤٠]

---

[٣٩] رواية مخطوطة الفسر "خروج" مكان "جَزوع".

[٤٠] قال الواحدي :

"الإبتراك" : سرعة السير. يقول: أنا شديد الأسف ولم أسِر بعدُ، فكيف يكون أسفي إذا أسرعنا في السير.

وهذا من قول أشجع السلمي:

فهـــا أنـــت تبكـــي وهُـــمْ جـــيرَةٌ
فكيـــــف يكـــــون إذا ودّعـــــوا

لقـــد صـــنعوا بـــك مـــا لا يَحِـــلُّ
ولـــو راقبـــوا اللّـــه لم يـــصنعوا

أتطمـــعُ في العـــيش بعـــد الفـــراق
محـــالٌ لعمـــرك مـــا تطمـــعُ

ومثله قول الآخر :

لقـــد كنـــت أبكـــي خيفـــةً لفراقِـــهِ
فكيـــف إذا بـــانَ الحبيـــب فوَدّعـــا

وقال ابن عدلان :

"الابتراك" : السقوط على الركَب. وأراد به ها هنا : سرعة السير.

[ثم ذكر ما أورده الواحدي وما استشهد به من شعر. دون أن يشير إليه بشيء].

١٦- وهـــذا الـــشَّوْقُ قَبْـــلَ البَـــيْنِ سَـــيْفٌ
وهَـــا أنـــا مـــا ضُـــرِبْتُ وَقَـــدْ أحاكَـــا[٤١]

ويروى : "فها أنا".

قال ابو الفتح :

يقال : ضربه فما أحاك فيه السيف. وقد قالوا: حاك. بغير همز، وليس بشيء.[٤٢]

قال الواحدي :

يقول: الشوق عليّ كالسيف، أي: يعمل عمله، وقد أثّر فيّ وما ضُربت به بَعْدُ.[٤٣]

ويروى : "وها أنا ذا ضربت".[٤٤]

١٧ـــ إذا التَّوْدِيـــعُ أعْـــرَضَ قَـــالَ قَلْـــبي
عَلَيْـــكَ الـــصَّمْتَ لا صَـــاحَبْتَ فَاكَـــا

قال أبو الفتح :

أي: قال لي قلبي : لا تمدح أحداً بعده. وقوله أيضاً: "لا صاحبت فاكا": من الألفاظ التي قَدَّمْتُ ذكرها.

قال أبو العلاء :

يقول : إذا هممت بالتوديع أمرَني قلبي بالصَّمْت ، ودعا عليّ فقال: لا صاحبت فاك. أي: ليتك لا فم لك تنطق به فتودّع.[٤٥]

---

[٤١] رواية أبي الفتح وابن عدلان "فها أنا".

[٤٢] قال الجوهري: حاك فيه السيف وأحاك بمعنىً. يقال: ضربه فما أحاك فيه السيف: إذا لم يعمل.

[٤٣] قال الواحدي في كتابه بعد ذلك :

"ويروى : وما أنا ذا ضربت".

[٤٤] قال ابن عدلان :

يقول: الشوق عليّ مثل السيف يعمل عمله، وهو صارم لم أضرب به وقد قطع، ولا باشرته وقد آلمَ وأوجع.

[٤٥] قال الواحدي في كتابه :=

١٨ــــ ولـــــوْلاَ أنَّ أكْثـــــرَ مـــــا تَمَنَّـــــى
مُعَـــــــاوَدَةٌ لَقُلْـــــــتُ ولا مُنَاكــــــــا

قال ابو الفتح :

أي : ولولا ان أكثر ما تمنّى قلبي أنْ يعاودك لقلتُ له: ولا بلغتَ أنت أيضاً مناك. وهـذا أيضاً مما ذكرته.

قال أبو زكريا :

"مناك": في موضـع نصب ، لأنها معطوفة على قوله: أي لا صاحبتَ فمك ولا أمانيك. وإنما أراد: مناه الذي يخطر بقلبه، لا الأماني التي تُبلغ، لأنـه يحـلّ عليـه أنْ يتمنّـى شيئاً لم يكن بَعْدُ.[٤٦]

لأن الأماني ربما تعلّل بها أَخُو الهَمِّ. من ذلك قول القائل:

إذا تمنيّـــــــتُ بــــــتُّ الليـــــل مغتبطـــــاً
إنَّ المُنَـــــى رأسُ أمْـــــوَالِ المفـــــاليس

ومنه قول مالك بن الريب:[٤٧]

فيــــا زيـــــد علّلْنـــــا بِمَــــنْ يـــسكن الغـــضا
وإنْ لمْ يكـــــنْ يــــا زيــــد إلاّ الأمانيــــا[٤٨]

= يقول : إذا ظهر التوديع قال لي قلبي : أسكت ولا تتكلم بالوداع. ويجوز أنْ يكون المعنى: لا تمدح غيرَه. ومعنى: "لا صاحبت فاكا": أي لا نطقت.

وقال ابن عدلان وقد ذكر ما أورده الواحدي في "لا صاحبت فاكا".

أي: لا نطقت. وهذه من الألفاظ التي يُتَطَيَّرُ منها.

(٤٦) هذا الكلام لأبي العلاء ذكره أبو المرشد المعري في كتابه "تفسير أبيات المعاني مـن شـعر أبـي الطيـب المتنبي". وليس لأبي زكريا.

(٤٧) تقدمت ترجمة لهذا الشاعر في هذا الكتاب.

(٤٨) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

ألا ليــــت شـــعري هـــل أبـــيتنَّ ليلـــة
بجنـــب الغـــضا أزجـــي القـــلاص النواجيـــا=

١٩- قَدِ اسْتَشْفَيْتُ مِنْ دَاءٍ بِداءٍ
وأقْتَلُ ما أعَلَّكَ ما شَفَاكَا

قال ابو الفتح :

أي : أضمرت يا قلب شوقاً الى أهلك. فكان ذلك داءً لك فاستشفيت منه بأنْ فارقت أبا شجاع. ومفارقته أيضاً داء لك أعظم من داءِ شوقك الى أهلك. فكأنك تداويت مِنْ فراقه بما هو أقتل لك من مكابدتك الشوق الى أهلك.

وهذا أيضاً يشبه قول النبي عليه [الصلاة] والسلام: "كفى بالسلامة داءٌ".(٤٩)

وقال حميد [ابن ثور]:

أرى بصري قد رابني بعد صِحَّةٍ
وَحَسْبُكَ داءً أنْ تَصِحَّ وَتَسْلَما(٥٠)

وقوله: "وأقْتَل ما أعلَّكَ ما شفاكا". من الألفاظ التي قدمت ذكرها.

وقال صاحب فتق الكمائم :

يقول : قد استشفيت من داء الشوق الى أهلي بداء مفارقتك، فكأنَّ الموت يزيل ألم المرض، إلا انه شرّ من المرض.

وقال أبو العلاء :

يقول قلبُهُ : قد استشفيت من داء ، وهو فراق هذه الحَضرة بداءٍ وهو الوداع. (وأقتل) ما أعلَّكَ الذي يشفيك فيما تظنّ، وهو وداعك.(٥١)

= أنظر خزانة البغدادي : ٣١٧/١.
وقال الواحدي في شرح البيت "ولولا ان أكثر ما تمنى...."
أي: ولولا ان أكثر ما تمنّى قلبي أن يعاود حضرتك لقلت له : ولا بلغت أنت أيضاً مُناك في الإرتحال، حتى لا أفارقه، ولكنه يتمنى الإرتحال للعود الى الممدوح.

(٤٩) أنظر : فيض التقدير شرح الجامع الصغير : ٥٥١/٤.
وقال السيوطي : "الحديث ضعيف".

(٥٠) أنظر ديوان الشاعر: ٧ ـ ٣٢، وانظر الشعر والشعراء : ٣٠٦/١.
قال ابن قتيبة "ومما يستجاد له قوله" أرى بصري قد رابني بعد صحَة... البيت".

(٥١) ورد كلام أبي العلاء هذا في "كتاب تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب" لأبي المرشد المعري.

وقال الواحدي :

يقول لقلبه : قد استشفيت من داءِ النزاع الى الأهل والوطن بداءِ الفِراق من الممدوح، وما شفاك مِن داء النزاع هو أقتلُ مما أعلّك. أي: تداويت من فراقه بما هو أقتل لك مِن نزاعك الى أهلك ووطنك.

وقال ابن فورّجة :

هذا قولُ قلبهِ له: يقول: قال قلبي قد استشفيت يا أبا الطيب من فراق وطنك. والشوق الذي تجده إليهم بفراق عضد الدولة. وأقتل ما أسقمك ما استشفيت به. يعني فراق وطنك أعلّك، وفراق عضد الدولة شفاك. فهذا أقتل من ذلك.

وهذا البيت يتبع قوله :

"إذا التوديع أعرض... البيت" و"لولا ان أكثر ما تمنى... البيت" وقد استشفيت... البيت". وقد أنشد ذلك مع البيتين اللذين قبله كاملين. وقال:

قال أبو الفتح : وهذا يشبه قول النبي صلّى الله عليه (وسلّم): "كفى بالسلامة داءٌ". وقول حميد بن ثور:

× وحسبك أن تصحَ وتسلَمَا ×

وهذا يشبهه من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ، لأن ذلك فراق ينال من قلبه، وهو يستشفي به، وهذه سلامة لم تنل منه في العاجل شيئاً، ولكن يؤول أمرها الى هرم وضعف.[٥٢]

قال المبارك بن احمد :

الشيء وإنْ لم يكن في الحال الحاضرة مؤذياً ، وآل في آخرها الى الأذى فهو مؤذٍ. والسلامةُ وإنْ لم تكن ضارّةً في وقتها كانت ضارّة في نهايتها. وإذا كان الأمر كذلك كان قوله: "وأقتل ما أعلّك ما شفاكا" مثل قوله صلّى الله عليه وسلّم: "كفى بالسلامة داءٌ".[٥٣]

---

[٥٢] ورد كلام ابن فورّجة هذا في كتابه "الفتح على فتح أبي الفتح".

[٥٣] قال أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة في كتابه "شرح مشكل أبيات المتنبي"، ص ٣٩٣:=

٢٠ــــ فأَسْـــــتُرُ مِنْـــــكَ نَجْوَانـــــا وأُخْفِــــي
هُمُومــــــاً قَـــــدْ أطَلْـــــتَ لَهَـــــا العِرَاكــــا

قال أبو الفتح :

أي : استُر منك يا عَضُدَ الدولة مناجاتي لقلبي.

قال الواحدي :

= الداء المستشفى منه شوقه الى أهله أيام كونه بشيراز وأهله بالكوفة، والداء المستشفى به من ذلك فراقه الملك. فيقول: أما الآن حين أزمعتَ الإيابَ الى أهلك فقد استشفيتَ من داء الشوق بداء فراق هذا الملك. وفراقك إياه أعْوَدُ عليك بالألم.

"وأقتل ما أعلّك ما شفاكا": أي: أقتل ما أعلّك الآن فراقك لأبي شجاع. على انه قد شفاك من شوقك الى أهلك، فكان اشتياقك كالمرض، ومزاولتك لهذا الملك حين أزالتْ شوقك كالموت المذهِب لألم المرض، وهو أشدُّ من ألم المرض. ثم يخرج قوله "وأقتل ما أعلّك ما شفاكا" على طريق العموم فيصير مثلاً كقوله:

أرى بـــــصري قـــــد رابـــــني بعـــــد صـــــحّةٍ
وحـــــسْبُكَ داءً أنْ تَـــــصِحَّ وتـــــسْلَمَا

وكذا

"لِيُصِحَّني فإذا السلامة داء".

[صدر البيت "ودعوت ربي في السلامة جاهداً" ، وهو للبيد].

وموضوع بيت المتنبي أوْلى ، وهذه الخُصوص التي أرَيْتُك.

وقال ابن عدلان :

الإستشفاء : التعالج من الداء. والشفاء : البرء من السقم.

وقال ابن عدلان : وقد نقله من كلام الحكيم. قال الحكيم: إذا كان سقم النفس بالجهل، كان شفاؤها بالموت.

وقال بعد ذلك مستشهداً : وقال الحِصْنى :

أفَـــــضَى بـــــك الهَجْـــــرُ الى آلنـــــا
فجِئْـــــتَ مِـــــنْ داءٍ الى داءِ

يقول : استر عنك يا عضد الدولة ما يجري بيني وبين القلب من المناجاة وأخفي عنك هموم فراقك قد أطلتُ مزاحمتها ومغالبتها.

يريد : عَضُدَ الدولة.(٥٤)

٢١ـــ إذا عَاصَـــيْتُها كانَـــتْ شِـــدَاداً
وإنْ طاوَعْتُهـــا كانَـــتْ رِكَاكَـــا

قال ابو الفتح :

"الركاك" جمع ركيك : وهو الضعيف.(٥٥)

قال الواحدي :

إذا عاصيت هذه الهموم في فراق الممدوح اشتدّت عليّ. وإن طاوعتُها في الإقامة عنده سَهُلَتْ شدّتها وصارت ركيكة.

ويمكن أنْ يُحمل على هموم الأهل والولد. فيقول: إذا عَصَيتُ هذه الهموم وأقمتُ عندك اشتدّت عليّ، وإنْ أطعتها في الإرتحال سهلت وركّت ولانَتْ.(٥٦)

٢٢ـــ وكَـــمْ دُونَ الثَّوِيَّـــةِ مِـــنْ حَـــزِيْنٍ
يَقُـــولُ لَـــه قُـــدُومِيَ ذا بِـــذَاكَا

---

(٥٤) قال ابن عدلان :

النجوى : ما يُستر من الكلام. والعِرَاك : المحاككة والمزاحمة.

(٥٥) قال أبو الفتح في الفسر معقباً ومستشهداً :

ومصدره : الركاكة. ومنه قيل للمطر الضعيف: "رِكّ". وجمعه رِكاك. قال ابن الطَّثْرِيّة:

كمـــا رَشَـــفَ الـــصّادي وقـــائعَ مُزْنَـــةٍ
رِكاكـــاً تـــولّى درُهـــا حـــين نقعَـــا

(٥٦) قال ابن عدلان مستشهداً بعد أن ذكر ما قاله الواحدي بأغلب لفظه ولم ينسبه إليه: ومثل هذا قول أبي العتاهية:

كـــمْ أمـــورٍ عَاصَـــيْتُهُنّ زمانـــاً
ثـــمّ هَوّنْتَهـــا علـــيّ فَهَانَـــتْ

قال أبو الفتح :

لم يقل : إن شاء الله ، والثّويّة : من الكوفة. ولو "قال من شوق" لكان لفظاً حسناً ومعنىً جيداً، ولكنه غلّظ القِصّة لِيُؤْذَنَ له بالعَوْدَةِ.

وهذا أيضاً مما نبَّهتُ عليه.

وقوله "يقول له قدومي ذا بذاكا" : أي : هذا القدوم بتلك الغيبة، وهذا السرور بذاك الحزن. وهو من ألفاظ العرب[٥٧] واستعمالها في أشعارها، قال الأعشىَ:

مُلَيْكِيَّةٌ جاورت بالحجا
زِ قَوْماً عُداةً وأرضاً شطيرا[٥٨]

بما قد تَرَبَّعَ روض القَطَا
وروض التناضُب حتّى تصيرا[٥٩]

ومن كلامهم : "بما يُخْشَى لِيَ الذئبُ".[٦٠] أي: هذا الضعف الذي أنا فيه بما كنت عليه من الشدّة والقوّة.

و"القدوم": لا يقول شيئاً ، ولكن معناه انه لو كان ممن يقول لقال. وقد مَضَى ذِكر هذا. آخر كلامه.

على هذا وجه الإستعارة والمجاز وإنْ لم يكن القدوم ممّنْ يقول.

---

[٥٧] في مخطوطة الفسر "في استعمالها".

[٥٨] هذا البيت من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي مطلعها :

غَشيتَ لليلَى بليلٍ خُدورا
وطالبتها ونَذرتَ النُّذورا

أنظر ديوان الأعشى ، ص ١٠٧. الشركة اللبنانية للكتاب.

[٥٩] جاء في مخطوطة كتاب النظام "التناصر" وهو تحريف.

[٦٠] رواية المثل في مخطوطة النظام "بما يخشى في الذئب". وهذا خطأ.

وقال الواحدي :

[٦١]يقول: كم دونها من إنسان حزين لفراقي إذا قَـدِمت سُرَّ بقـدومي. فيقـول له. القدوم: هذا السرور وبذلك الغمّ الذي لقيته بغيبته كما قال الطائي:

وليـــــــست فرحـــــــة الأوبـــــــات إلاَ
لموقـــــوف علـــــى تـــــرح الـــــوداع[٦٢]

٢٣ـــ وَمِـــنْ عَـــذْبِ الرُّضـــابِ إذا أَنَخْنَـــا
يُقَبِّـــــلُ رَحْـــــلَ (تُـــــرْوَكَ) والوِرَاكـــــا

قال أبو الفتح :

"الرُّضاب": قطع الرِّيق.[٦٣] و"تُرْوَك": اسم ناقة كان قد دفعها أبو شجاع. و"الـوِرَاك والمُوَارَكة" جميعاً: شيء يتخذه الراكب كالمخدّة تحت وِركه.[٦٤]

---

[٦١] جاء في كتاب الواحدي قبل ذلك:

الثويّة : مكان بالكوفة.

[٦٢] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

خُـــذي عَبَـــراتِ عينـــك مـــن زمـــاعي
وصـــوني مـــا أذلـــتِ مـــن القنـــاعِ

وقد مرّ ذكرها.

[٦٣] قال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك مستشهداً :

قال القحيف :

فمـــا سَـــيْلُ الغمامـــة مُـــسْتَهِلاً
بأطيـــب مـــن ثناياهـــا رُضَـــابا

[٦٤] قال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك مستشهداً ومعقباً:

قال زهير :

مُقْـــوَرَّة تتبـــارى لا شـــوار بهـــا
إلا القطـــوعُ علـــى الاكـــوار والـــوُرُك=

ووجدت في نسخة "تُوْرَك" بتقديم الواو على الراء. والذي قرأته: "تُرْوَك" بتقديم الراء على الواو. وكذا هو في غير نسخة.(٦٥)

٢٤ــ يُحَــرِّم أنْ يَمَــسَّ الطِّيْــبَ بَعْــدي
وَقَــدْ عَبِــقَ العَــبيرُ بــهِ وَصَــاكا

قال أبو الفتح :

"صاك" : لصق به.(٦٦)

وقوله : "يحرّم أن يمسّ الطّيب بعدي" من تلك الألفاظ التي وصفتها.

وقال الواحدي:

يقول : لم يمسّ بعدي طيباً حُزناً على فراقي. ومع ذلك تُشَمُّ منه روائح الطيب، حتى كأنَّ العبير قد لصق به.(٦٧)

= جمع : وِرَاك.

وقال أبو زيد والأصمعي : الوركة الذي يثني عليه الراكب رجله. وقالوا جميعاً، الوِرَاك: هو الذي يلبسُهُ المورِّك. وهو مقدم الرّحْل. ثم يثني تحته.

[قال الجوهري: الوَارِك : النُّمْرُقَةُ التي تُلْبَس مُقدَّم الرّحْل يُثنى تحته يُزَيَّنُ بها. والجمع: وُرُك.].

(٦٥) قال الواحدي بعد أن ذكر ما أورده أبو الفتح ، ولم ينسبه إليه:

يقول: كم هناك من شخص عَذْبِ الرّضاب إذا أنخت إليه ناقتي قبْل رحلها لأنها أدْنَتْني منه.

وقال ابن عدلان :

"ومن عذب" : عطف على قوله "من حزين". أي : وكم من عذب الرّضاب.

(٦٦) قال أبو الفتح في الفسر بعد ذلك مستشهداً :

قال الأعشى :

ومِثْلُــكِ مُعْجَبَــةٌ بالــشَّبا
بِ صَــاكَ العَــبيرُ بأجْـسَادِهَا

[هذه رواية الديوان : ٩٤ ورواية ابن عدلان :

ومثلــك معجبــةٌ بالــشبابِ
وصَــاكَ العــبير بأجلادهــا]

(٦٧) قال ابن عدلان : =

٢٥- وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ
وَيَمْنَحُهُ البَشَامَةَ والأَرَاكا

قال أبو الفتح :

البشامة والأراك : شجر المساويك. قال جرير:

أتنسَى إذْ تودِّعُنا سُلَيْمَى
بِفَرْعِ بِشَامةٍ سُقِيَ البَشَامُ[٦٨]

وقال العُدَيْل بن الفُرْخ:[٦٩]

وما جانةُ القَرْنِ غَوْرِيَةٌ
أَلُوفُ الأراكِ تَسِفُ البريرا

وأنشدني أبو الفرج عليّ بن الحسين الكاتب عن عليّ بن سليمان الأخفش عن ابراهيم بن المدبر، لأحمد بن ابراهيم[٧٠]، أنشد[٧١] ثعلب:

= المعنى: يقول: مِنْ وصْف عذْب الرُّضاب أن يحرِّم الطيب لأجل مفارقتي له. ولا يتصنَّع بشيء من الزينة بعدي، فيتلقاني وقد برَّتْ أَلِيته وكملت أمنيته بقدومي، وفاح الطيب من أردانه وعَبِق، وصاك العبير في أثوابه ولصِق.

[٦٨] هذا البيت من قصيدة مطلعها :

متى كانَ الخيامُ بذي طُلُوع
سُقيتِ الغيثَ أيّتها الخيامُ

أنظر ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان أمين طه: ١/٢٧٩، دار المعارف، مصر.

[٦٩] العُدَيْل بن الفُرْخ العجلي ، من رهط أبي النجم ، ويلقّب بالعبّاب. شاعر فحل اشتهر في العصر المرواني، هجا الحجاج بن يوسف، وهرب منه الى بلاد الروم، فبعث الى القيصر: لترسلنّ به أو لأجهزن إليك خيلاً يكون أولها عندك وآخرها عندي. فبعث به إليه. فأنشده شعراً في مدحه فعفا عنه وأطلقه. أخباره في خزانة الأدب: ٢/٣٦٧، والتبريزي: ٢/١٢٦، ورغبة الأمل: ٥/١٤، والأعلام: ٤/٢٢٢.

[٧٠] لعلّه أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل أبو عبدالله، ابن حمدون، عالم الأدب والأخبار من الندماء، كان خصيصاً بالمتوكل العباسي، نادمه مدّة خلافته، ثم نادم المستعين، له عدّة مؤلفات، توفي في نحو ٢٥٥هـ وتوفي ثعلب سنة ٢٩١هـ. وعلى ذلك يصح ما جاء في مخطوطة الفسر: أنه أستاذ ثعلب.

[٧١] في مخطوطة الفسر "أستاذ ثعلب" بدل "أنشد ثعلب".

بـــــأبي ثَغْـــــرُكِ النَّقِــــــيُّ الــــــدي
دلَّـــــت علـــــى طيبـــــه فــــــروع الأراكِ

وليس من عـادة أهـل هـذا الزمـان أنْ يذكـروا هذه الأحوال مـن نـسائهـم بهـذه الألفـاظ، بـل يتجنَّبـون ذلك، وَيُومِئون الى هذا المعنـى إيمـاءً، ويكتفـون بـه فيكـون ذلك عنـدهم أعـذب، والى رقَّـة طباعهم أقرب. ولكن المتنبي كان يـذهب مـذهب الأوائـل والعرب القـدمـاء.

فمن أجْفَى ذلك وأبشعه[٧٢] ما أخبرني به علي بن الحسين، قال: أخبرني عبداللّـه بـن مالك.[٧٣] قال: حدثنا محمد بن حبيب. قال: حدّثني الأصمعي وأبو عبيدة قال:

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، وعنده ناس من اليمانية، فضحكوا: فقال: يا أبا فراس، أتدْري مِمَّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: مِنْ جفائك، قال: أصلح اللّـهُ الأمـير، حججـتُ، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبيّ وعلى عاتقه الأيسَر صَبِيّ، وإذا امـرأة آخِـذَةٌ بِمِئْزَرِهِ، وهو يقول:

أنــــتَ وهبـــــتَ زائـــــداً أوَ مزْيـــــدا
وكهلـــــــةً أُولجُ فيهـــــــا الأَجْـــــــرَدا

والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت إذا شئت. فسألته: مَنْ هي؟ فقيل: من الأشعريين. أوَ أنا أجْفَى أم ذاك؟

فقال بلال: لا حيّاك الله،[٧٤] قد علمت ان لن يفلتوا منك.

فإذا كانوا يستجيزون مثل هذا ، فكيف بما لا يبلغ جزءاً مـن مئـة منـه؟ ولـم يـرد المتنبي في هذا البيت إلا أهله دون غيرهم، ألا تراه يقول لكافور:

أحِـــــنُّ الى أهلــــي وأهـــــوى لقـــــاءهم
وأيـــن مـــن المـــشتاقِ عنقـــاء مغـــرب[٧٥]

---

[٧٢] في مخطوطة الفسر "وأشنعه" مكان "وأبشعه".

[٧٣] في مخطوطة الفسر "ملك".

[٧٤] رواية مخطوطة الفسر "حياك الله".

[٧٥] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها : =

وقال أيضاً :

أمُنِـــــــسيّ الـــــــسّكونَ وحـــــــضرموتاً
ووالـــــــدتي وكِنـــــــدةَ والـــــــسّبيعَا[٧٦]

قال الواحدي :

أي: لا يصل الى ثغره[٧٧] عاشق لعِفّتهِ وتَصَوّنِهِ، ويمنح ثغره للسواك المُتَّخَذ مِن هـذين الشجرين.

والبشَامَة : يستاك بفرعها ، ومنه قول جرير :

أتنـــــــسى إذا تودّعنـــــــا سُـــــــلَيْمَى
بفـــــــرع بـــــــشامةٍ سُـــــــقِيَ البَـــــــشَامُ

وكذلك الأراك ، وذكره كثير في الأشعار.

وقال المطرّز :

"يُحَرِّم": يريد ان هذا الحزين لتفجّعه بمفارقتي يُحَـــرِّم عـلى نفـسه مـسّ الطيـب بعدي، الى أن يراني، وكان معطاراً قد لصق الطيب ولـزِمه.

=أغالـــب فيـــك الـــشوق والـــشوق أغلـــب
وأعجـــب مِـــنْ ذا الهجـــر والوصـــل أعجـــب

وقد مرّ ذكرها.

(٧٦) هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

مُلـــــــتّ القَطـــــــر أعطـــــــشها ربوعـــــــا
وإلا فاســـــــقها الـــــــسمّ النّقيعـــــــا

ويروى "الكناس" مكان "السكون". وقد مرّ ذكر هذه القصيدة.

(٧٧) في مخطوطة كتاب النظام يدور الكلام على المؤنث : ثغرها وعنقها وتصوّنها. وفي كتاب الواحـدي عـلى صيغة المذكر.

وقال في قوله: "ويمنع ثغره": يصف هذا بالعِفّة، فيقول: انه لا يمكن للعاشق الصبّ من تقبيله، وهو مع ذلك يتوفّر على السواك لحرصه على التنظّف والتطهّر. وهذا مِن أحسن ما يوصف به النساء في العِفّة. وكأنه كنى بالحزين عن المرأة.

٢٦- يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنّي
فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَن نَداكا

قال الواحدي :

يقول : إذا نامَ رأى خيالي في النوم ، فليت نومَه حدّث عن إحسانك إليّ ليعذرني في المقام عندك.[٧٨]

٢٧- وأنَّ البُخْتَ لا يُعْرِقْنَ إلاّ
وَقَدْ أَنْضَى العُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا[٧٩]

قال أبو الفتح :

يقال: أعْرَقَ يُعْرِقُ: إذا أتى العِرَاق.[٨٠] و"العذافرة": الناقة الشديدة. و"اللِّكاك": المكتنزة اللحم.

---

[٧٨] قال ابن عدلان:

يقول: هذا المغرَم بحب قدومي يراني في المنام ، فأنا أتمنّى أن النّوم حدّثه بإحسانك إليّ، وإكرامك لي، وبعطائك الجزيل عندي. فكان في ذلك أبلغ سلوة، والسكون إليه أتمّ الأنس إذا علم انّي عندك جليل القدر، عظيم الخطر.

[٧٩] رواية الواحدي "البُدْن" مكان "البُخت".

[٨٠] جاء في كتاب الفسر بعد ذلك :

وأغْمَنَ : إذا أتى عُمان. وغير ذلك مما يطول ذكره، وقال المحزق العبدي :

فَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِذاتِ لَوْثٍ
عُذافِرَةٍ كمِطْرَقَةِ القُيُونِ

قال الواحدي :

يقول: ليت النوم حدّثه ان ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أهزلها ثقْل ما حملت من نداك، وأنضى فعل نداك.

كذا قرأته "العُذَافِرة" بضمّ العين. "واللِّكاك" بكسر اللام. وكذا وجدته في عدّة نسخ.

وقال أبو العلاء :

"العَذَافِرة": بفتح العين: جمع عُذَافَرَة". و"اللِّكاك": كأنه جمع لكيكَةٍ، واللَّكيك: اللحم. ويقال: ناقة لَكِيّة: أي كثيرة اللحم. آخر كلامه.

قال الجوهري : اللكيك : المكتنز اللحم. مثل الدَّخِيس واللَّديم، وهو المَرْمِيُّ باللحم. والجمع: اللِّكاك.

وقال المطرّز :

هذا يستطيل الطريق بينه وبين مَنْ يحنّ إليه، فيقول: بيني وبينه بُعْدُ. لأنه بأرض العراق، وأنا بأرضِ فارس، والإبل البُخت لا تبلغ العراق حتى تهزل وتصير بعد اكتناز اللحم الى الهزال والنّحافة.

وفاعل "أنْضَى" مصدر مقدّر بدل عليه فعله، تقديره: وان البُخت لا يعرقن إلا وقد أنضى الأعراق العُذَافرة"والعُذافرة: الناقة الشديدة. ومثله قول اللّه تعالى: {ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات}.[٨١] تقديره: ثمّ بدا لهم البداء. فدلّ الفعل على المصدر. آخر كلامه.

وهذا التفسير أجود من التفسير الأول، وهو ظاهر لمتأمّلهِ.

وتقدّم الواحدي الى تفسيره صاحب فتق الكمائم. فقال:

يقول: لا تبلغ بنا البُخت العراق حتى ينضيها ما تحمّلت من نداك لثقل ما حمّلتها من الأموال والخلع.

يلاحظ قول الشاعر :

وإذا وَرَدْنَ بنـــا وردن مُخفَّـــةً

وإذا صـــدرن بنـــا صـــدرن ثقـــالا

---

[٨١] الآية (٣٥) من سورة يوسف.

وهذا البيت لأبي العتاهية: اسماعيل بن القاسم، وإنشاده:

فــــإذا أتتـــك بنـــا أَتَتْـــكَ مخفَّـــة
وإذا رجعـــن بنـــا رَجَعْـــنَ ثقـــالا[٨٢]

وإنما لاحظه في بعض معناه. والإنشاد الأول أحسن صنعة. وأخذه أبو العتاهيـة مـن قول الأحوص:

يمـــرّون بالـــدَّهْنا خِفافـــاً عِيـــابُهمْ
ويَخْـــرُجْن مـــن دَارِيْـــن بُجْـــرَ الحقائـــب

علـــى حـــين ألْهَـــى النـــاسَ جُـــلٌ أمـــورِهِمْ
فنـــدلاً زُرَيـــقُ المـــالِ نَـــدْلَ الثعالـــب[٨٣]

---

[٨٢] أنظر: ديوان أبي العتاهية ، ص ٦٠٦ مع بعض الاختلاف.

[٨٣] أنظر: كتاب سيبويه، وهما لأعشى همدان. كما في العيني: ٣/٤٦، وذكر العيني أيضاً انهمـا للأحـوص. ورواهما الجوهري لجرير.

وجاء في هامش مخطوطة النظام: "زريق": قبيلة.

قال ابن سيدة في شرح البيت: "وان البُخت لا يعرقن إلاّ... البيت".

"البُخت": جمع "بُخْتيّ"، حُذفتْ ياء النسب في الجمع لأنها بمنزلة التأنيث في انها داخلة على الاسم بعد تمامه، ألا تراهم قالوا: ثَمَرةٌ وثَمَرٌ. ونَخْلَةٌ ونَخْل.

و"يُعْرِقن": يأتين العراق. و"أنضى": أهزل. و"العذافرة": العظام. أخبر عن جماعة ما لا يعقـل بـشكل الواحد.

حكى سيبويه عن العرب: الجمال ذاهبةٌ وذاهبات. ولا أقول العذافرة هاهنا واحد، لأن نَدَى فنّا خـسرو عنده أعظم من أن يصفه بأنه تستقل به ناقة واحدة.

و"اللُّكاك": الأينق الشِّداد، وهي اللَّجِمَة أيضاً. جمعُ هنا.

حكى سيبويه: ناقة لِكاك وأيْنق لكاك، والقول في هذا كالقول في: دِرع دِلاص وأدْرُع دِلاص، فان الكـسرة التي في الجمع غير التي في الواحد. والألف غير الألف.

وقد أعدتُ هـذا القول مـراراً لأونس بـه المستوحش ، فاني رأيتهـم عنـد تفسيره لهـم دهـشتي. ولـو فهمـوا كلام سيبويـه أنسوا بـه. ورواه بعضهـم "اللُّكاكا"، و(فُعَال) مـن الجمـع العـزيز إلا انّ لـه نظائر جمّـة: كعَرْق وعُـرَاق، وقَنى وقُنِيّ. وقـد ذكر سيبويـه وأهل اللغة منـه حروفـاً جمـة، وعليـه وَجّـه الفارسيُّ قـراءة مَنْ قـرأ: "إنّا بُرَاءُ منكم". وقال: هو جمعُ بريئ، كفَرِيْر وفُرَار ـ يعني ولد البقرة ـ وجعل بعضهم الفُرَارَ لغةً في الفَرِير، ونظائره عريضة اريضة.=

٢٨- ومـــا أرضَـــى لِمُقْلَتِـــهِ بِحُلْـــمٍ
إذا انْتَبَهَـــتْ تَوَهَّمَـــهُ ابْتِـــشاكا[٨٤]

قال الواحدي :

أي: وإن حدّثه النوم فلستُ أرضَى لـه بحلـم يتوهَّمُـهُ كـذباً عنـد الإنتبـاه، والبـشك والإبتشاك: الكذب.

وفي كتاب أبي زكريا :

"توهُّمُهُ": يعني العذبة الرُّضاب.

وقال المطرّز :

هذا الذي تمنيّتهُ من تَخَيُّل نَدَاك له في النوم ـ لا أرضى ـ لأنه إذا إنتبـه لم يحصله ولـم يعتقده، لأن الإنسان لا يحصل ما يتخيّل له في النوم.

= ومعنى البيت: وليتَ النوم حدّث هذا المحبوب الذي يريه إياي في النوم حُبَّه وتوحُّشَه نحوي: ان البُخـت لا تبلغ بنا العراق حتى ينضيها أو يفنيها ما تحمَّلَتْه مِن نداك، لثقل ما حمَّلْتها إياه من البِدَر والخلع. وهذا قول أبي العتاهية يصف الإبل:

فــــإذا وَرَدْنَ بنـــــا وردْنَ مخفَّـــــةً
وإذا صَـــدَرْنَ بنـــا صَـــدَرْنَ ثقـــالا

والضمير في "انضى" راجع الى الندى في قوله: "فليت النوم حدَّث عن نداكا".

وقال ابن عدلان :

فاعل "انضى" محذوف، دلّ عليه "يعرقن". والتقدير: لا يعرقن إلا وقد انـضى الإعـراق لحومهـا، ومثلـه قوله تعالى: {جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه}. فَردّ الضمير عـلى "الجعـل"، ولـم يذكره لدلالة "جعل" عليه. ويجوز أن يكون الفاعل مقدّراً. أي: قد أنضاها ثقل ما عليها من عطايا الممدوح.

المعنى: يقول: وأتمنّى أن يحدّثه النوم ان البخت ـ وهي الجمال الخراسـانية ـ لا تـأتي العـراق إلا بعـد هُزالها من ثقل ما عليها من الأمتعة التي أعطاها إياها عضد الدولة.

[٨٤] رواية أبي الفتح وابن المستوفي "تَوَهُّمُهُ". ورواية الواحدي وابن عدلان "تَوَهَّمَهُ".

وفي نسخة "توهَّمَهُ": كأنه أراد: إذا إنتبهَتْ مقلتُه توهَّمَهُ، يعني: الـذي تمنَّـى لـه أن يَرى نَدَاك.[٨٥]

٢٩- وَلا إلاَّ بــــــأنْ يُــــــصْغِي وأحْكــــــي
فَلَيْتَــــــــكَ لا يُتَيِّمُــــــــــهُ هَوَاكـــــــا

قال الواحدي :

روى ابن جني "فليته"،[٨٦] وهو على حذف الإشباع، كما أنشده سيبويه: "وما له مـن مجد تليد".[٨٧]

يقول: ولا أرضى بشيء إلاّ بأنْ يستمـع إليّ، وأحكي لـه، فليتـه لا يصير متيّماً بحبـك إذا حكيت له إحسانك وأنعامك، لأن الإحسان يستعبد الإنسان.

الذي في شرح أبي الفتح "فليتك" كما في النسخ.

وفي كتاب أبي زكريا :

بعد "لا" كلام محذوف ، كأنه قال: ولا أرضى مما تراه في المنام إلا بأنْ أحكي ويصغي. أي: تميل أذنه الى الإستماع.[٨٨]

---

[٨٥] قال أبو الفتح في كتابه الفسر :

"الإبتشاك": الكذب. يقال: ابتشك القول وحرَفه واختلقه. وأخبرنا محمد بـن الحـسن عـن أحمـد بـن يحيى، قال: يقال: خَلَق واختلق. وخَرَق واخترق: إذا عمل الكذب، ومنه قوله تعـالى: {وتخلقـون إفكـاً}. ويقال أيضاً: ولعَ يلع ومان يَمِين. وتسدّج وتخلّق وزغف ولبك، كله: كَذِبَ.

قال ابن عدلان :

المعنى: يقول: ما أرضى أن يحدّثه النوم بحُلْم، فيتوهَّمَه كذباً عند الإنتباه، فلست أطلب ذلك ولا أرضاه.

[٨٦] رواية مخطوطة الفسر التي بين يدي "فليتك".

[٨٧] جاء في كتاب الواحدي بعد ذلك:

وذكرنا مثل هذا في قوله: "تَعَثَّرتْ به الأفواه أَلْسُنُها".

[٨٨] قال عفيف الدين بن عدلان :

"ولا إلا": أراد: ولا أرضى إلا، فحذفه لدلالة الأول عليه.

وروى: "فليتهُ لا يتيمه". على حذف إشباع الضمير. كما أنشد سيبويه:

مُسْتَغـــــــسِرُ الظَّهْـــــرِ يَنْبُـــــو عَـــــن وَلِيَّتـــــهِ
مـــــا حـــــجَ رَ بُّـــــهُ في الـــــدُّنيا ولا اعْتَمَـــــرَا=

٣٠- وكَـمْ طَـرِبَ المسَامِعِ ليسَ يَدْرِي
أَيَعْجَبُ مِنْ ثنائي أمْ عُلاَكَا

قال الواحدي :

وكم إنسان تَطْرَبُ مَسَامِعُهُ إذا سَمِع شِعْرِي فيك ، فلا يدري: أيتعجّب مِنْ حُسْنِ ثنائي عليك أم مِن علوّك.[٨٩]

٣١- وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كانَ مِسْكاً
وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِي والمَدَاكَا

قال أبو الفتح :

"الفِهْر": الحَجر، وهي مؤنَّثة.[٩٠] و"المداك": صَلايَة العطار.[٩١]

= وكما أنشد أيضاً :

× فما له من مجدٍ تليدٍ وَمَا لَـهُ ×

المعنى: يقول: لا أرضى إلا أن أورد عليه ، فيصغي الى ما أورده عنك من حُسن الذكر، وأحكي ما أسديته إليّ مِن جليل الفضل، فليته عند ذاك لا يتيمه هواك إعجاباً بك، وبما جمعه الله فيك من الفضائل، لأن الإحسان يستعبد الإنسان، ويحبب صاحبه الى الإنس والجان.

(٨٩) جاء في كتاب الواحدي بعد ذلك :

يعني ان كلاهما عجب.

وقال ابن عدلان :

الطَّرَب: خِفَّة تغلب عند شدّة الفرح والحزن. والعُلا: غايات الشرف والرفعة، الواحدة: عليا.

[ثم ذكر ما أورده الواحدي بأغلب لفظه دون أن ينسبه إليه، ثم قال موضحاً:]

لأني أثبتُّ في شعري من فضلك، وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدري عند سماعه لذلك: أيعجب من علاك وما تبلغه من الجلالة والرفعة، أمْ من ثنائي.

[وهذه الزيادة لا حاجة إليها ففي ما ذكره من كلام الواحدي كفاية].

(٩٠) ذكر أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك :

وحدّثنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس أحمد بن يحيى، عمّن حضر مجلس أبي زيد، وعندهم أعرابي يسألونه عن الفهر: أمذكر هي أم مؤنث؟ ولا يعرف الأعرابي ما يريدون: قال: فقال أبو زيد: لستم تحسنون تسألونه، ثم قال: كيف يُحقَّرُ الفِهر، فقال: فُهَيْرَة. وقال بعض الحاضرين من أصحابه للأعرابي: كيف تراه؟ فقال: أراه أهلبَ العَضْرَط. قال أبو العباس: هو العظم الذي يجلس عليه الرجل. قال: والأهلب: الكثير الشعر كأنه أراد الدُّربة والحنكة. وجمعوها: أفهاراً وفِهَرَة. أنشد الأصمعي:=

أي: شعري يُسَيِّرُ ذكر مناقبك وفضائلك. كما ان الصلاية والفهر يُظهران جوهر الطيب إذا سُحِق بهما. ضربه مثلاً.(٩٢)

وقال الواحدي :

"النشر": الرائحة الطيّبة. ويريد به: الثّناء.

يقول: ذاك الثناء الطيّب الرائحة (هو) عرضك، كان بمنزلة المسك، وكان الشعر بمنزلة الفِهر. (وهو الحجر الذي يُسْحَقُ به الطيب).(٩٣) والمداك (وهو الصلاية التي يُسْحَقُ عليها الطيب)(٩٣). وطيب المسك إنما يظهر بينهما، كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر. وهذا من قول ابن الرومي:

وما إزداد فضل فيك بالمدح شُهْرَةً
بَلْ كان مثل المِسْك صَادَفَ مِخْوَضَا(٩٤)

=يَصُلُ أنهارَ الصُّوَى بِفَهَرَهْ
إذا رأى جُلْمُودَ قُفٍّ كَسَرَهْ

(٩١) وقال أبو الفتح في الفسر بعد ذلك :

وهو أيضاً حجر مبسوط، يكون للمرأة تعبأ عليها طيبها. قال امرؤ القيس:

كأنَّ سراته لدى البيت قائماً
مِداك عروس أو صلاية حنظل

[رواية الديوان للشطر الأول "كأنَّ على الكتفين منه إذا انتمى". ويروى أيضاً "كأنَّ على المتنين"].

(٩٢) كرر أبو الفتح معنى كلامه في شرح البيتين: "وكم طرب السامع...." و"ذاك النشر..." في كتابه "الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي" فقال:

أي: كان شعري كفهر والمداك لعرضك إذا كان كالمسك. يقول: ثنائي على عرضك الكريم كالفهر والمداك في بثهما روائح المسك.

(٩٣) الكلام المحصور بين الأقواس زيادة في الشرح وردت في كتاب الواحدي.

(٩٤) هذا البيت من قصيدة قالها في القاسم :

يبيتُ أخو البلوى إذا الخِلوُ غَمَّضا
وفي قلبه جمر من الوجدِ لا الغضا

أنظر: ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، ٤/١٣٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٨.

و"المِخْوَض": الذي يُخَوِّض ، أي : يُحَرِّك به الطيب. وذلك لا يزيد الطيب فضلاً، بل يظهر رائحته، كذلك هذا الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس ولا يزيده فضلاً.

وقال المطرّز :

قوله: "وذاك" إبتداء. و"النشر": عطف بيان، و"عِرْضُك": مبتدأ ثان، وما بعده خبره. والجملة خبر المبتدأ الأول.

وهذا أيضاً ألمَّ فيه بمدح نَفْسِهِ بأنْ يقول: ان فضائلك ومناقبك كريمة، إلا أن شعري يَسِيرُ بذكرها، فبي تَمَّ. كما ان المسك وإنْ طاب في جوهره إنما يظهر السحق جوهره، وأمره يتمُّ بذلك.(٩٥)

(٩٥) قال ابن سيدة الأندلسي في كتابه "شرح مشكل أبيات المتنبي"، ص ٣٩٥: وقد ذكر البيتين: "وكم طرب المسامع..." و"وذاك النشر عِرضك...":

أي: طَرِب المسامع لاستماع شعري ليس يدري أي الأمرين أوْلى بالتعجّب منه، أجَوْدة شعري فيك أم رفعة علاك في ذاتها. لأن شعري متناهٍ في نوع الشعر وعلاك متناهية في نوع العُلا. فتساويا في السبق والفضل. ولولا البيت الذي بعد هذا لَعُدَّ جفاءً من المتنبي، لتسويته شعره في نوعه بعُلى الملك في نوعها، ولكن حَسُن ذلك البيت الذي أردفه فيقول فيه: الأريج الذي ذاع وشاع لشعري إنما هو لعرضك السليم الكريم، فان عرضك هو المسك الذي إنما طبعه الطِّيب لذاته لا لشعري، وإنما شعري بمنزلة الفهر والمداك اللذين يُظْهران فَوْحَ المسك، وينشران نَشْرَه، لأن المسك إذا سُحِقَ كان أسطع لِعُرْفه وأشيع لفَوْحِهِ. وأما شعري فلم يك له في ذاته طيب، وإنما كان كالآلة للطيب. ألا ترى ان آلة الطيب ليس في طبيعتها فَوْحٌ إلا بحسب ما تعلّق بها من الجوهر الذي صرفت في صنعته.

وقوله : "ذاك النشر": ذاك: مبتدأ. والنشر: صفة له. و"عرضك": خبر المبتدأ، وأراد: ذلك النشر نشر عرضك، هذا إنْ عنى بالعِرض الأنا والذات لأنها جواهر، والنشر عَرَض. فلا يُخْبَرُ عن العرض بالجوهر. فلذلك احتجنا الى تقدير حذف المضاف كما احتجنا إليه في قوله تعالى: {ولكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله}، وذهب سيبويه الى ان التقدير: ولكن البرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بالله. أي: إيمان مَنْ آمن بالله، لأنَّ البِرَّ عَرَض ومَنْ آمن بالله جوهر، فقدَّر مضافاً ليخبر عن العرض بالعرض. قال الفارسي: ويجوز أنْ يكون التقدير: ولكنَّ أهل البِرَّ مَنْ آمنَ بالله. وذلك لتقابُل الجوهر بالجوهر، لأنَّ أهل البرّ جوهر ومَنْ آمنَ بالله كذلك فيخرج الى باب: هو هو. لأنَّ أهل البرِّ هُم المؤمنون بالله، وإنْ جَعَلْتَ العِرْضَ هنا المجدَ وسائر أنواع الفضائل لم يحتج الى حذف المضاف، لأنَّ النشر والمجد كلاهما ليس بجوهر و"وذاك الشعر فهري والمداكا": أي وكان ذاك الشعر. وقوله: "كان مسكاً" الى آخر البيت تفسيرٌ لقوله: "وذاك النشر عرضك". و"المَدَاكُ: صَلايةُ العطار: دُكْتُ الشيء دَوْكاً: دَقَقْتَه، وكان القياس: مَدُوكاً، لأنَّ بناء ما يُعْتَمَل به مفعول، لكنّه شَذَّ كما شذَّ المُسْعُطُ واخوانه، وإنْ اختلف بناؤهما فقد إلتقيا في الشذوذ.=

٣٢- فَــلاَ تَحْمَدْهُمَــا وأحْمَــدْ هُمَامــاً
إذا لم يُـــسْمِ حامِـــدُهُ عَنَاكَــا

قال ابو الفتح :

أي: لا تحمد فهري ومداكي ، فانني إنما أذكر ما تفعل ، ولستُ أعِـيرك شـهادة زُورٍ، وأُكْسِبُك مِنْ قبلي شرفاً.[٩٦]

وأحمد هماماً: أي: أحمد نفسك فأنك همامٌ كريم. والهُمَامُ: الذي يَهُمُّ بعظائم الأمـور فيأتيها.

وقوله: "إذا لم يُسْمِ حامدُهُ عناكا" ، مثل قول أبي نواس:
وإنْ جَـــرَت الألفـــاظُ يومـــاً بمدحـــةٍ
لغـــيرك إنـــساناً فأنـــت الـــذي نعـــني[٩٧]

إلا ان المتنبي أسلم في بيتـه من أبي نواس ، لأنه إذا لـم يُـسَمّه جـاز أنْ يعْنِيـه، وإذا سمَّى المـادح الممدوح لم يجز أنْ يعني بمدحه غيره. لأن التسمية تحظرُ ذلك. وأبو نواس استرسل في بيته. والمتنبي تحرّز فيه.

وعنى بقوله : "حامده": نفسه. ومثل هذا قوله في سيف الدولة:
لـــك الحمـــد في الـــدُّرِّ الـــذي لـــي لفظـــه
فانَـــك مُعْطيـــه وانَـــي نـــاظِمُ[٩٨]

= وقال ابن عدلان : وقد ألمَّ بما ذكره الواحدي:
الثناء: الطيب، وهو عرضك، كان بمنزلة الطيب، وهو الذي يتضوّع عندما أُضيفه لك من مجدك. وأذكـره من ترادف فضلك. أي: نشر فضلك الذي هو المسك في كرم جوهره، وعبق طيبه ومجده، وهـو ذاك المـسك ومداكه اللذان يستخرجان حقيقة فضله ويخبران عن جلالة قدره، شعري الذي يسير في البدو والحَـضَر ويُتَغنَّى به في الحلول والسفر. وهو منقول مِنْ قول ابن الرومي: "وما إزداد فضل فيك... البيت".

[٩٦] رواية مخطوطة الكتاب (النظام): "ولا أُلْبِسُك من قبلي شرفاً".

[٩٧] رواية الفسر "منا" مكان "يوماً"، و"منا" رواية الديوان. وهذا البيت من قصيدة مطلعها:
ملكـــتَ علـــى طـــير الـــسعادة والـــيُمْنِ
وحـــزت إليـــك الملـــك مقتبـــلَ الـــسِّنِّ =

وقال المرتضى رضي الله عنه :

وأنشد هذا البيت. وقال : ـ يريد أبا الفتح ـ

"أي: لا تحمد فهْري ولا مداكي، يعني: شعره، واحمد نفسك أيها الهمام. وحامده: يعني به المتنبي نفسه. يقول: إذا لم أسمك في مدح غيرك فأنني أُعنيك، وهو كبيت أبي نواس:

وإنْ جَـرَتْ الألفـاظ مِنّـا بمدحـةٍ
لغـيرك إنـساناً فأنـت الـذي نعـني

وقال في تفسيره لجملة شعر المتنبي في هذا الموضع: "إلا ان المتنبي أسلم في بيته من أبي نواس، لأنه إذا لم يُسَمِّه جاز أن يعنيه. وإذا سمَّى المادح الممدوح لـم يجـز أنْ يعني بمدحه غيره، لأن التسمية تحظر ذلك، وأبو نواس استرسل في بيته، والمتنبيّ تحرّز فيه.

قال المرتضى رضي الله عنه :

والذي نقوله ان عجبنا ما ينقضي من تعقيد المتنبي لكلامه، وإخفائه لأغراضه، وخروجه بذلك عن مذهب الشعر العربي حتى كأنه يضعُ أبيات لُغز يُعَمّي فيها

= أنظر ديوان أبي نواس، ص ٦٤٧، دار صادر، بيروت.

(٩٨) هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

علـى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم
وتـأتي علـى قـدر الكـرام المكـارمُ

وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

وكرر أبو الفتح معنى كلامه هذا في شرح البيت في كتابه الآخر: "الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي": فقال:

أي: لا تحمد فهرى ومداكي ، يعني شعري ، واحمد نفسك أيها الممدوح، وحامده يعني به المتنبي نفسه.

يقول: إذا لم أسمك في مديح غيرك فأنني أعنيك، وهو كبيت أبي نواس:

وإنْ جرت الألفاظ منا بمدحةٍ.... البيت.

أغراضه على سامعيها، ولولا ان الغرض في هـذا الكتـاب غـير تتبّـع المتنبـيّ لأشرنـا الى مواضـع تمضي بنا في شعره هـذا النافي القـول فيها مسرحٌ طويل.

ولسنا نـدري كيف خصّ المتنبي وحده بلفظة حامد دون كل حامد ومـادح. والـشعر موضـوع على عمـوم هذه اللفظـة في مثـل هـذا الموضع. وكم بين أنْ يقـول: كل حامـد ومادح لغيرك إنمـا يعنيك بحمـده ومدحـه، وبين أنْ يخصّ بذلك نفسه.

ألا ترى ان أبا نواس لم يخصّ نفسَه بهذا المعنى ، فقال: "وإن جرت الألفاظ منا بكذا فأنت الذي نعني": فأراد نفسه وغيره من صنوف المادحين وضروب الشاكرين.

والذي بهِ فضّل بيت المتنبي على بيت أبي نواس غير صحيح، لأن أبا نواس لم يـصرّح بأنه أسمى مَنْ مَدَحَهُ، فهو والمتنبي في هذا سواء.

وبعد ، فإنَّ القائل قد يجوز أن يُسمّي في مدحه شخصاً ويريد بقلبه غـيره. كمـا انـه يجوز أن لا يُسمّي أحداً ويريد رجلاً بعينه، لأن الكلام إنما يتوجّه الى شـخص دون غـيره بالقصد والإرادة. فسَواءُ سمى أو لم يسمِّ في ان قصده هو المراعَى ومَنْ يعنيه بقلبه هـو الممدوح بكلامه.

فكيف يقول متأمّل ان بيت المتنبي أسلم من بيت أبـي نـواس وبينهمـا في الفـصاحة وحُسْن النسيج وسلامة العبارة كمـا بـين الأرض والـسماء، والـداء والـشفاء. والفلـق والغسق، والأمن والفَرَق.

أَوَ لا ترى الى هجنة كنايته عن الهمام بـ"الهاء" في قولـه "حامـده"، ثـم مواجهتـه بالكاف في قوله "عناكا". وكان يجب أنْ يقول: إذا لم يُسمّ حامد عنـاك. أو: إذا لـم يُـسمّ حامد عناه. وفي قوله "حامده تعقيد طريف، لأن المراد به عـلى هـذا التأويـل: حامـده في المعنى والباطن. وإنْ كان حامداً لغيره في الظاهر لا بدّ من ذلك البتّة. وفي هـذا مـن قـبح النسيج وظلمة العبارة ما فيه. فأين هذا من قول أبي نواس لولا ضعف البصيرة:

إذا نحـــنُ أثنينـــا عليـــك بـــصالحٍ
فأنـــت كمـــا نُـــثني وفـــوق الـــذي نُـــثني

وإنْ جَـرَتْ الألفـاظُ يومـاً بمدحـةٍ
لغـيرِكَ إنـساناً فأنـتَ الـذي نعـني[٩٩]

وهذا القول يزاحم فهمه والعِلم بمـراد قائله سماع لفظـه بلا تفكّر ولا تدبّر. وبيـت المتنبي يحتاج في علم مراده وفهم غرض قائله الى التعسّف والتكلّف اللـذين اسـتعملهما ابن جنّي وقصّر مع ذلك كله.

على ان مَنْ لم يُسَـمّ في مدحـه ممدوحاً بعينـه لا بـدّ أن يخاطبـه بكلامه، ويوجّهـه في الظاهـر إليـه. وإلا فهو غير مادح على ظاهر الأمر له. وعـدولنـا عن ظاهـر القـول المَوَجّـه الى بعض النـاس وإنْ لم تكن فيـه تَسْمِيـةٌ للممـدوح كعدولنا عما فيه تسمِيَة إذ كان المراعَى هو القصد والإرادة، على ان المفهـوم الملحوظ من بيت أبي نواس والمتنبـي جميعاً غـير ما ظنّـه ابن جنّي، لأنهمـا لم يريـدا: إنما نمدح غيرك ونعنيـك بقلوبنـا. وإنمـا يريـدان: إنّا إذا مدحنـا غيرك ووصفناه بأوصـاف لا تليـق إلا بـك، ولا توجـد إلا فيـك، فكأننا على الحقيقـة إنما نعنيـك بالمـديح دونـه، لإجرائنـا الأوصـاف التـي لا يستحقها سواك.

وهذا موضع المدح والفخر ، لا ما تُخيل له.[١٠٠]

---

[٩٩] الملاحظ ان رواية البيت في مخطوطة كتاب النظام ترد مرّة على "يومـاً" ومـرّة عـلى "منـا". وروايـة الديوان كما ذكرنا هي "منا".

[١٠٠] قال ابن فورّجة في كتابه: "الفتح على أبي الفتح"، وكأنّ كلامه هذا مأخوذ من قول أبي الفتح وبأغلب لفظه المذكور في المتن. قال:

أي: لا تحمد فهري ومداكي فلست بمعيرك شهادة. واحمد هماماً: أي: احمد نفسه، يريـد ان المـادح إذا لم يُسمّ ممدوحه فإنما يعنيك، كما قال أبو نواس: "وإن جرت الألفاظ مِنّا بمدحةٍ.... البيت".

و"حامده": يعني به نفسه ، لأنه شاعر عضد الدولة ، وأنت تجد هذا المعنى في كثير من شعره، فمنه قوله:

وعلّمـوا النـاسَ منـك المجـد واقتـدروا
علـى دقيـق المعـاني مـن معانيكـا

وقوله : =

=وظنّوني مدحتهم قديماً

وأنت بما مدحتهم مرادي

وقال أبو الحسن ابن سيدة الأندلسي في كتابه "شرح مشكل أبيات المتنبي"، ص ٣٩٦: أي: لا تحمد الفهر والمداك اللذين عُنِيتُ بهما في شعري، لأن حقيقة الطيب ليس لهما. فلا يستحقّان شيئاً مِنْ الحمد. وإنما ينبغي لك أيها الملك أن تحمد نفسك التي اقتنت المساعي وانبتت المعالي استدعاء القوافي والثناء الوافي. ويعني بالهمام: نفس الملك ، وقوله: "إذا لم يُسمِّ حامده عناكا". "الهاء" راجعة الى "الهمام"، وأخبر عنه كما أخبر عن الغائب، لأنه أخرجه ذلك المخرج لقوله: "وأحمد هماماً"، فلم يكن بدّ من أن يعيد الى الموصوف ذكراً من صفته، لأن قوله "إذا لم يُسم حامده" في موضع الصفة لـ"همام". وأراد: "إذا لم يُسمّ حامده": إذا لم يُسمّ حامده محموداً فإنما يعنيك.

وإن شئت قلت : معناه: لو لم يسمّك الحامد لعناك. والقولان متقاربان، والمعنى مشتق من قول أبي نواس:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح

فأنتَ الذي نثني وفوق الذي نُثني

وإنْ جرت الألفاظ يوماً بمدحة

لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

ولو قال : إذا لم يَسمّ حامده عناه، كان حسناً، ولكنه حمله على المعنى، لأن المراد في كل ذلك المخاطبة.

[وفي الكلام الأخير اتفاق مع كلام الشريف المرتضى، رضي الله عنه].

[ومِن المناسب أن أذكر بعد ذلك قول الواحدي وقول ابن عدلان ، وقد جاء كلامهما دون مَنْ سبقهما، لأنهما اختصرا أقوال الذين سبقوهما من أمثال أبي الفتح وابن فورّجة. وفي المختصر ما يفيد الإبتعاد عن تشعب المسالك التي أثارها الشريف المرتضى رضي الله عنه وبعده أبو الحسن بن سيدة، وإنْ كان فيما أورداه ـ أعني الشريف المرتضى وابن سيدة ـ ما يدلل على قدرتهما الفائقة في فهم الكلام والنظر الى وجوه دلالاته مما يمكن أن يستنبطه الذهن بما تقدمه الألفاظ في مواضعها في النظم. وهذا الذي قدّماه لا يمكن الإستغناء عنه خصوصاً عند ذوي الميول الذهنية.]

قال الواحدي

يقول: لا تحمد الفهر والمداك اللذين جعلتهما مثلاً لشعري ، واحمد نفسك، فأنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة. وقوله: "إذا لم يُسمّ حامده": عنى نفسه.

يقول: إذا لم اسمّ الممدوح في شعري كنت أنت المعنيّ به.

وقال ابن عدلان :=

٣٣- أغَـــرُّ لـــهُ شَمَائِـــلُ مِـــنْ أبِيـــهِ
غَـــداً يَلْقَـــى بَنُـــوكَ بهـــا أبَاكـــا

قال أبو الفتح :

"الشمائل" : الخلائق. واحدها: شِمالٌ. وقد جمعوا شمالاً أيضاً على شمالٍ. قال عبد يغوث بن وقّاص الحارثي:[١٠١]

ألمْ تعلمـــا ان الملامـــة نفعهـــا
قليـــلٌ ومـــا لـــومي أخـــي مِـــنْ شماليـــا[١٠٢]

أي: مِن خلائقي.[١٠٣]

= المعنى: لا تحمد فهري ومداكي. ولا تحمد الشعر وحسنه، واحمد الهمام الباعث لهما، المتفرّد بما أُكل له من الفضائل منهما، الذي إذا أضمره شاعره، وأضافه الى نفسه، وكنّى عنه، ولم يصرّح باسمه، علم انه يعنيك، ولم يشك عند ذلك مَنْ يسمعه انه فيك، وهو من قول أبي نواس: "وإنْ جرت الألفاظ مِنّا بمدحةٍ... البيت.

[١٠١] عبد يغوث بن صُلاءة بن ربيعة من بني الحارث بن كعب ، من قحطان. شاعر جاهلي يماني، ومن الفرسان المعدودين. كان سيد قومه وقائدهم. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: "ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا..." ومنها البيت الشاهد. وأسر في بعض الوقائع، فخيّر كيف يرغب أن يموت، فاختار أنْ يشرب الخمر صرفاً ويقطع عرقه الأكحل فمات نزفاً في نحو ٤٠ق.هـ أخباره في الأغاني: ٦٩/١٥، وخزانة الأدب: ٣١٧/١. وشرح الشواهد: ٢٣٢، والأعلام: ١٨٧/٤.

[١٠٢] هذا البيت من قصيدة الشاعر المشهورة التي مطلعها:

ألا لا تلومـــاني كفَـــى اللـــوم مـــا بيـــا
فمـــا لكمـــا في اللّـــوم نفـــع ولا لِيَـــا

أنظر الأغاني: ٣٣٣/١٦.

[١٠٣] وقال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك مستشهداً:

وقال امرؤ القيس :

وشمـــائلي مـــا قـــد علمـــت ومـــا
نَبَحَـــتْ كِلابُـــكَ طارقـــاً مثلـــي

وقوله : "يَلْقَى بنوك بها أباكا" كقوله أيضاً:

مُتَشَابِهِي وَرَعِ النفوس: كبيرهم
وصغيرُهُمْ عَفُّ الإزارِ خلاحِلُ[١٠٤]

وكقول الآخر :

× شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِنْ أَخْزَمِ ×[١٠٥]

وقال أبو العلاء :

"أغرّ": نعت لـ"همام". والمعِنيّ به الممدوح. وقوله "غداً يلقى بنوك بها أباكا". أي: عن قريب بنوك يشابهون أباك فيلقون شمائله بمثلها.

وقال المطرّز :

[١٠٤] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل
أقفرتِ أنتَ وَهُنَّ مِنكَ أواهل

وسوف يرد ذكرها إن شاء لله.

[١٠٥] هذا الرجز لأبي أخزم الطائي. وهو :

إنَّ بَنِيَّ زَمَّلُوني بالدَّم
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِنْ أَخْزَمِ
مَنْ يَلْقَ آساد الرِّجالِ يُكَلَّمِ

قال ابن بري : كان أخزم عاقاً لأبيه ، فمات وترك بنين عقّوا جدهم وضربوه، وأدموه، فقال ذلك.

أنظر اللسان مادة "شنن".

وكرر أبو الفتح شرح البيت في كتابه الآخر "الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي"، فقال:

يعني بالأغرّ : عضد الدولة أيضاً.

يقول : كبيرهم وصغيرهم أشباه في النجابة والشرف.

وغداً بنوك يتلاحقون فيقتدون بأبيك لأنهم متشابهون في الفضل، يتلقّاه الولد عن الوالد.

وقال الواحدي :

يقول : ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها أباك تُورثها أبناءَك فهم يلقون أباك بتلك الخلائق التي ورثوها منك.

وحقّه أنْ يقول: "أباهم" ، ولكنه قال: أباك. إشارة الى انهم لم يبلغوا بعد رتبتك حتى يشبهوك، بل يشبهون أباك.(١٠٦)

٣٤- وفي الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ
وآخَرُ يَدَّعي مَعَهُ اشْتِرَاكا

قال الواحدي :

أي: تشتبه حال الأحباب ، ففيهم مَنْ يكون حزيناً مخصوصاً بِوَجْدٍ. وقد يكون فيهم مَنْ يَدَّعي الاشتراك في الوجد، ولا تكون لدعواه حقيقة.

---

(١٠٦) قال أبو الحسن ابن سيدة الأندلسي في كتابه :

أي: قد أخذتَ شبه آبائك صورةً وفعلاً، وبنوك سيستكملون شَبَهَك، لأنهم الآن يشبهونك ببعض الشبه، إذ لم يستكملوا خصالك، فإذا استكملوها أشبهوك، وإذا أشبهوك وأنت تشبه أباك فقد أشبهوا أباك. وهذا يتألف في الشكل الأول من المنطق، تقول: زيد يشبه عمراً، وعمرو يشبه خالداً. النتيجة: فزيد يشبه خالداً.

وقال ابن عدلان بعد أن ألمَّ بما عرضه الواحدي :

يقول: هو أغرّ. يعني: عضد الدولة ، أي: ذا بهاء وجلالة وجمال وصباحة، له شمائل أبيه المعروفة، ومذاهبه الجليلة المعلومة. ثم أقبل يخاطبه فقال: غداً يلقى بنوك بتلك الشمائل أباك. ويحكونه بتلك الفضائل، ويحذون في ذلك حذوك، ويقتفون أثرك وهديك.

وقوله: "غداً يلقى بنوك": قال الواحدي: هو إشارة الى انهم لم يبلغوا رتبتك حتى يشبهوك، بل يشبهون أباك. وكان حقّه أن يقول: "أباهم" لولا ما أراد أن يفضله على أبيه، فجعل أولاده يشبهون أباه ولا يشبهونه.

ويجوز أن يكون جاء الكلام من الإخبار، ومن الإخبار الى المخاطبة ، على ما جرت به العادة في كلام العرب، أن يخرجوا من الخطاب الى الإخبار، ومن الإخبار الى الخطاب، كقوله تعالى: {حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريحٍ طيّبة}. ومثله كثير.

وإنما يعني انه غير مدخول المحبّة ، بل صحيح الولاء ليس كمَنْ يدّعي الاشتراك من غير حقيقة.

وقال المطرّز :

يريد ان الأحبّة تختلف أحوالهم ، فمنهم مَنْ يحنّ الى مَنْ لا يَحِنُّ إليه، ومنهم مَنْ يدّعي ان محبوبه يَجِد به ما يَجِدُ هو بذلك.

وهذا أيضاً فيه هَزّ للممدوح ، واستعلام من جهته : هل يَكْتَرِث لمفارقته؟[١٠٧]

٣٥- إذا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ في خُدُودٍ
تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكى

قال ابو الفتح :

أي: لست ممن يدّعي محبّتك ويُضمر غير ذلك ، لأنَّ ما أُسَرِّرُ فيك من صريح المدح يدل على انني غير مدخول المحبّة لك، وانني غير مُداجٍ في موالاتك.

وهذا لفظ حَسَنٌ قد صنع الناس فيه لحناً.[١٠٨]

ويروي "إذا اشتبكت".[١٠٩]

---

[١٠٧] قال أبو الحسن ابن سيدة في كتابه :

يُومِئ الى ان وَجْدَه لفراق عضد الدولة طبيعي لا عَرَضي ، وإنْ كان غيره يدَّعي مثل ذلك فليس كذلك.

وقال ابن عدلان :

يقول : وفي الأحبّة مَنْ وَجْدُه صحيح لا دعوى ، ومنهم مَنْ يدّعي المحبَّة وليس هو من أهلها، وليس لدعواه حقيقة. أو المعنى: انه صحيح الودّ، وليس كمَنْ يدّعي الوداد من غير حقيقة، أو لست ممن يدّعي محبّك ويظهر غير ذلك، لأن ما اشتهر فيك من صحيح المدح يدلّ على انّي صحيح الوداد، غير مداج في موالاتك.

[١٠٨] الكلام الذي هو "وهذا لفظ حسن... الخ" ورد في مخطوطة الفسر لغير أبي الفتح لأنه مسبوق بحرف (ح) للدلالة على انه تعقيب لرجل آخر يرمز له بالحرف (ح) وهو الوحيد البغدادي. ويبدو ان المبارك بن أحمد لم يفرق بين الكلامين فجعلهما لأبي الفتح بن جنّي. والحق معه للتوافق بين الكلامين فبدا له وكأنه كلام واحد.

[١٠٩] وقال أبو الفتح في كتابه الآخر "الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي". =

٣٦ـ أذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أبي شُجَاعٍ
لِعَيْنِي مِنْ نَوَايَ على أُولاكا

قال ابو الفتح :

أي: منعت مكرماتهُ عينيّ أن يَجري منهما دموع كاذبة، أو اختار البُعد عنه، والمقام دونه، لأنني لا أُعطي عنه الصبر لما فعله بي.

وقال أبو العلاء :

"نَوَايَ": أي بُعْدي. و"أذمّت": من الذمام ، انه أعطائي ذماماً الى أهلـه. عـلى (أولاك). يعني: أهله، فزال بُعدي عنهم.(١١٠)

وقال المطرّز :

أذمت: مبارك لعيني أن تبكي على (أولاك) جزعاً لفراقهم. وأشار الى أهله بـ(أولاك)، لما تقدّم مِن ذكرهم.

= أي: ليس يخفى عليك حال مَنْ يمحضك الحب ممن يشوبه بدعوى الحب ولا يسرها، ألا ترى ان قبل هذا البيت:

وفي الأحباب مختصّ بوجد
وآخر يدّعي معه اشتراكا

وقال أبو الحسن ابن سيدة الأندلسي في كتابه :

"بكى" كناية عن الطبيعي. و"تباكى": كناية عن العَرَضِيِّ، لأن التفاعل قد يأتي لغرض إظهار خلاف ما الأمر به في الحقيقة. وأنشد سيبويه:

× إذا تَخازَرْتُ وما بي مِنْ خَزَرْ ×

فقوله: "وما بي من خزر" دليل على ذلك، أي: إذا اشتبهت الدموع في الخدود بما هي عليه من الهملان وسرعة الجريان لم يكُ هنالك بُدٌّ من فَصلٍ يميِّز بين العرضي والطبيعي.

(١١٠) ورد كلام أبي العلاء هذا في كتاب أبي المرشد المعري المسمّى "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي". وجاء بعده ـ والكلام لأبي العلاء أيضاً ـ:

والمعنى : انه أذِنَ في السير إليهم ، فكأنه قد أذَمّ لعيني من بعدهم. والذي قاله الشيخ أبو الفتح لا يمتنع. ثم ذكر أبو المرشد المعري بعد ذلك كلام الاحسائي. فقال:

قال الاحسائي : ان مكرماته تدنيني من بُعد أحبابي، وتزيل بُعدي عنهم.

قال الواحدي :

روى ابن جنّي وابن فورّجة رحمهما الله بالنون من "نواي".

قال ابن جنّي: "أي منعت مكرماته عيني أن تجري منها دموع كاذبة أو أختار البُعد عنه والمقام دونه".

وقال ابن فورّجة: "يريد أن مكرمات أبي شجاع تذم لعيني على أهلي الذين أقصدهم من نواي عنك. أي: أشتهي أبداً ملازمتك والبُعد عن أولئك. فيكون الذمام إذن على أهله لعينه، وهم الخائفون من نوى أبي الطيب.

وهذا كما تقول : أذمّ لهندٍ على عاشقها من الوصول إليها لزومُها البصرة، فعاشقها لا يصل إليها ما دامت هناك.[111]

هذا الذي حكيت كلامهما ، ولم يظهر معنى البيت ببيانهما.

ومعنى أذمّ له على فلان: إذا منعه وأجاره عليه، كما قال:

هُمُ مِمَّنْ أذمّ لهم عليه
كَرِيمُ العِرْقِ والحَسَبِ النُّضَارِ

أي : منعهم منه.

يقول: مكرماته منعت عيني ، وعقدتُ لها عِقداً على أهلي من فراق عضد الدولة. فتكون "على" مِن صلة "أذمّت".

وروى "من ثواي" ، مقصور "الثواء". بمعنى المقام.

والمعنى: مكرماته اذمّت لعيني من المقام عليهم، أي: عقدت لعيني عقداً يؤمنها من النظر الى أولئك. يريد: انها قَصَرَتْها على عضد الدولة، فلا تنظر الى غيره.

و"على" تكون من صلة "الثواء".

٣٧- فَزُلْ يا بُعْدُ عَنْ أيدي رِكابٍ
لها وَقْعُ الأسِنَّةِ في حَشَاكا

---

[111] ورد كلام ابن فورّجة هذا في كتابه "التجنّي على ابن جنّي" ، تحقيق: محسن غياض، مستلّ من مجلة المورد، عدد خاص بالمتنبي، العدد الثالث، سنة ١٩٧٧.

قال ابو الفتح :

هذه إستعارة حَسَنة. لأنه خاطب البُعد وجعل له حَشاً.

وقال الواحدي :

يقول للبُعد: تَنَحَّ عن أدي هذه المطايا ، فانها تقطعك كما تقطع الأسنّة الحشا.

٣٨- وأيّـــاً شِـــئتِ يـــا طُـــرُقي فَكُـــوني
أذاةً أو نَجَـــــــــــاةً أوْ هَلاكَـــــــــــا[١١٢]

قال بو الفتح :

جعل قافية البيت "الهلاك"، فهلك.[١١٣]

وقال الواحدي :

هذا كلام ضَجِر ، يقول لطريقه: كوني كيف شئت فانّي لا أُبالي، وإنْ كـان الهـلاك في سلوكك.

قال المبارك بن أحمد :

لا شك ان أبا الفتح رحمه الله لما علم ان هذه القـصيدة آخـر مـا قالـه أبـو الطيـب تفـاءل له بذلك وتطيّر، وإلا فليس في البيت ما يقتضي ذلك ويدلّ عليـه، أترى لـو ان أبـا الطيب جعل القافية "النجاة"، أكان ينجو وقد دنا أجله.[١١٤]

---

[١١٢] رواية مخطوطة الفسر "وأنّى شئت".

[١١٣] جاء في كتاب الفسر بعد ذلك :

يقال: نجا ينجو نجْواً ونجاءً ونجاةً. وأذِىَ يأْذَى واذاءً. قال بعض بلحرث بن كعب:

فيـــا بَغْـــل سـَــلمى كـــم وكـــم بأذاتهـــا
عـــــدمتك مـــــن بَغْـــل تطيـــل أذاتـــي

ج

[١١٤] قال ابن عدلان بعد أن ذكر ما أورده الواحدي :

قيل ان عضد الدولة قال: تطيّرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك.

٣٩ـــ ولـــوْ سِـــرْنا وفي (تَـــشْرِينَ) خَمْـــسٌ
رَأَوْنِـــــي قَبْـــلَ أنْ يَـــرَوُا الـــسِّماكا[١١٥]

قال أبو الفتح :

وبالغ ونعَى في ذكر السرعة ، وذلك ان السماك يطلع لخمس يخلون من تشرين الأول.

أي : كنت أسبقه بالطلوع الى أهلي بالكوفة.

وقال الواحدي :

هذا كلام فيه حذف ، وتقديم وتأخير. تقديره: فلو سرنا في تشرين وقد مضت منه خمس (ليال).

وإذا أَخَلَّ الحذف بالكلام ولم يظهر المعنى ، لم يَجز.

يقول: لو أخذتُ في السير ، وأخذ السماك في الطلوع لسبقته بالطلوع عليهم وهم بالكوفة. كأنه قال: أسبق النجم بسرعة السير.

وهذا الذي ذكره الواحدي من التقديم والتأخير لا ندعو إليه ضرورة. وسياق البيت على لفظه يدل على ما دلّ عليه التقديم والتأخير.

وقال أبو العلاء :

"السماك": يطلع في أول تشرين.

وفي كتاب أبي حنيفة الدينوري في الأنواء: انه يطلع لتسع يمضين من تشرين الأول.

وقال غيره: يطلع لأربع يمضين من تشرين.

وبيت أبي الطيب يصلح إذا حمل على حكاية الدينوري. ويستحيل في القول الآخر. لأنه ذكر إذا سار بعد خمس رأوه قبل أنْ يروا السماك، وهو يطلع لأربع، فهذا تناقض.[١١٦]

قال المطرّز :

فلو سرت من فارس الى الكوفة لبلغته في هذه المدة اليسيرة.

---

[١١٥] انفرد ابن المستوفي برواية "ولو". ورواية ابن جنّي والواحدي وابن عدلان "فلو".

[١١٦] ورد كلام أبي العلاء هذا في كتاب أبي المرشد المعري المسمّى "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب".

٤٠- يُــــشَرِّدُ يُمْــــنُ (فَنَّاخُـــسْرَ) عَنِّـــي
قَنَــا الأعْـــداءِ والطَّعْـــنِ الـــدِّراكا[١١٧]

٤١-وأَلْـــبَسُ مِـــنْ رِضَـــاهُ في طَرِيقـــي
سِـــلاحاً يَـــذْعَرُ الأعـــداءَ شـــاكا[١١٨]

قال أبو الفتح :

يقال : رجل شاك السلاح. وشاكي السلاح. وشائك السلاح، وأصله من الشوكة. أي: حادّ السلاح.[١١٩]

---

[١١٧] قال ابن عدلان في شرح البيت :

"فنَّاخَسْرَ": اسم أعجمي. وهو اسم عضد الدولة. و"الطعن الدراك": المتتابع.

يقول: سعادة عضد الدولة وبركته تردّ عني رماح الأعداء. وطعنها المتتابع.

[١١٨] انفرد ابن المستوفي برواية "الأعداء". ورواية أبي الفتح والواحدي وابن عدلان "الأبطال".

[١١٩] قال أبو الفتح في كتابه الفسر بعد ذلك معقِّباً:

وأصل تصريف هذه اللفظة "شائك"، ثم حذفوا العين. فقالوا: شاكٌ. ومَنْ قال "شاكٍ" قلب لام الفعل وأخّر عينه فصار "شاكو"، ثم قلب الواو ياءً، ومثله: لائث ولاثٍ. أنشد سيبويه:

فتوسمـــوني انـــني أنـــا ذاكُـــمْ
شـــاكٍ ســـلاحي في الحـــوادث مُعْلِـــم

[البيت لطريف بن تميم العنبري. ورواية الكتاب "فتعرّفوني"].

وقال مَرْحب [اليهودي]:

قـــد علمـــت خيـــبرُ انـــي مَرْحَـــبُ
شـــاكُ الـــسِّلاح بطـــلٌ مُجَـــرَّبُ

قال الواحدي :

يقول: رضاه لي بمنزلة السلاح الذي يخوّف الأبطال. ويقال: سلاحٌ شاكٌ بمعنى: شائك. أي: ذو شوك. وهذا كما يقال: كبش صافٌ ويوم طانٌ، على حذف العين. ومنه قول مرحب اليهودي "... شاكُ السلاح".

وقال ابن عدلان:=

٤٢- ومَـــنْ أعْتَـــاضَ عَنْــكَ إذا افْتَرَقْنَــا
وكُـــلُّ النـــاسِ زُورٌ مـــا خَلاَكَــا(١٢٠)

٤٣- ومَـــا أنـــا غَيْـــرُ سَـــهْمٍ في هَـــوَاءٍ
يَعُـــودُ ولمْ يَجِـــدْ فيـــهِ امْتِسَـــاكا

قال أبو الفتح :

لم يقل في سرعة الأوبة وتقليل اللبث شيء كهذا في المبالغة. واختلف أهـل النظر في هذا الموضع. فقال قوم: ان السهم والحجر ونحوهما إذا رُمي به صُعُداً فتناهى صُعُوده كانت له في آخره لبثةٌ ما ثم يتصوّب منحدراً.

وقال آخرون : لا لبثة هناك ، وإنما أول وقت انحداره عُقِيبُ وقت آخر صعوده.

= السلاح: يجمع السيف والرمح والسهام ، والغالب عليه التذكير. وربما أنّث. قال الطرمّاح في صفة ثور وحشي طردته كلاب الصيد:

يُهُـــزُّ سِـــلاحاً لم يَرِثْهـــا كَلالَـــةً
يَـــشُكُّ بهـــا منهـــا أُصُـــولَ المَغَـــابنِ

والأكثر التذكير. لأنه على "أسلحة" جمع تذكير، كحمار وأحمرة، ورداء وأردية والمعنـى: يقـول لعـضد الدولة: رضاك عنّي بمنزلة السلاح الذي يخوّف الأبطال.

(١٢٠) رواية ابن المستوفي وابن عدلان "عنك" ، ورواية أبي الفتح والواحدي "منك".

وقال الواحدي في شرح البيت:

هذا كقول عمران بن حطان :

أنكَـــرْتُ بَعْـــدَكَ مَـــنْ قَـــدْ كنـــتُ أعْرِفُـــهُ
ماالنـــاسُ بَعْـــدَكَ يـــا مِـــرْدَاس بالنَّـــاسِ

ومثله لأبي الطيب :

"إنما الناس حيث أنت... البيت".

وقال ابن عدلان :

أعتاض: تعوّض. والزور: الباطل والكذب. يقول: ما الذي أعتاضه منك إذا فارقتك، وأتخذه بدلاً بعدك إذا باعدتك؟ والناس ما خلاك زور لا يحفل بهم، وملوكهم بالإضافة إليك سوقة لا حظّ لهم في الإمارة.

ومنقول من قول عمران بن حطان" "أنكرتُ بعدك مَنْ كنت أعرفه... البيت".

وهذا القول أشبه أنْ يقال : إن شاء الله.

وقال الواحدي :

أنا في الخروج من عندك وقلّة اللبث في أهلي كالسهم يُرمَى به في الهواء، فيذهب وينقلب سريعاً.

وقال ابن جنّي :

"لم يقل في سرعة الأوبة وتقليل اللبث كهذا في المبالغة". هذا كلامه.

والبيت مدخول. ولم يعرف ابن جنّي وجه فساده: وهو ان كلّ سهمٍ رُمي به فهو في هواءٍ ولا يعود إلا إذا ما عولِي به. ولم يذكر في البيت ما يدل على انه أراد الهواء العالي.

والواحدي رحمه الله إنما تبع ابن فورّجة حيث قال :

هذا البيت مدخول ، لأن قوله "في هواء" ليس يوجب فوقاً ولا يميناً ولا شمالاً، إذ في كل الجهات غير تحت هواء، وكل سهم رُمي به فانَّ ممرّه في هواء سواء عاليت به في السماء أو خفضته الى رمية على الأرض. إلا انه لم يجد لفظة يقيمها هذا المقام فتؤدّي المعنى غير "السِّكاك" وقد تقدمت، وهو لا يرى تكرير الألفاظ في قصيدة. وقد غلط به أيضاً شاعر محدث فقال في غزل:

أُرامِيهنَّ باللَّحَظَاتِ خَلْساً
فَترجِعُ نحو مَقْتَلَتي سِهَامِي
وذاك لأنهنَّ لِفَرْطِ لُطْفٍ
هواءٌ ليس يَمسك سهم رامِي

ألا ترى انَّ لقائلٍ أن يقول: كل هواء لا يمسك السهم، إلا انه إذا لم يمسكه فليس يعود الى الرامي، اللّهمّ إلا أن يكون الهواء الذي فوقه، وإنما هذا معنى قول الآخر:

× ومِنْ جُول الطويّ رماني ×[121]

---

[121] تمام البيت :

رماني بأمر كنتُ منه وَوَالِدِي
بَرِيّاً ومِنْ جُول الطَّوِيِّ رماني=

لأنَّ مَنْ رَمَى وهو في بئر عادت إليه رميته.

وبعـــد :

فقد جوّدا فيما قالا ، كلاهما ، وقاربا في اللفظ.[١٢٢] آخر كلامه.

قال المبارك بن أحمد :

السهم إذا رُمي به وعاد لا يكون إلا في الهواء العـالي. وبقولـه "يعـــود" خلـص ممـا تعقّبوه عليه، وذلك ان كل سهم يُرمى به في الهواء لا يعـود مـا لـم يُعَـالِ بـه في الهـواء الذي يقال له: السَّهميّ والسّكاك والشجاع.

وعلى انه لو ذهب ذاهب الى ان الذي قررته وإنْ كان وجهاً. فهنا وجه آخـر، وهو: انه يجوز أنْ يحمل معنى هذا البيت أيضاً على التمثيل مجازاً. هو أنْ يكون شبّه أبو الطيـب نفسه في سرعة أوبته بسهم رُمى به في هواء ما غـير مُعَال بـه وعاد ولم يجـد في الهـواء ما يمسكه. ويكون هذا على طريق التصـوّر. وذلك من مـذاهب الشعراء غير بعيد. وهـو موجود في أشعارهم ومثله قول كثير:

فليـــتَ قلوصـــي عنـــد عَـــزَّةَ قُيِّـــدَتْ
بحبـــل ضـــعيف غُـــرَّ منهـــا فَـــضَلَّتِ[١٢٣]

وَغُـــودر في الحـــيِّ المقـــيمين رَحْلُهـــا
وكـــان لهـــا بـــاغٍ ســـواي فبلَّـــتِ

= قال ابن بري : البيت لابن الأحمر. وقال : قيل هو للأزرق بن طرفة بن العُمرّد الفراصي. أنظر اللسان: مادة: جول

[١٢٢] ورد كلام ابن فورّجة هذا في كتابه "الفتح على فتح أبي الفتح". وورد أيضاً في كتاب أبي المرشد المعري "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي".

[١٢٣] هذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

خليلـــيَّ هـــذا ربـــع عـــزَّةَ فـــاعقِلا
قلوصـــيكما ثـــم ابكيـــا حيـــثُ حَلَّـــتِ

أنظر: ديوان كثيرعزّة بشرح الدكتور احسان عباس، ص ٩٨، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

وكنـــت كـــذي رجلـــيْنِ رِجـــلٍ صـــحيحةٍ
ورجـــلٍ رَمَـــى فيهـــا الزّمـــان فَـــشَلّتِ

قال ابو محمد يوسف بن الحسن السيرافي:[١٢٤]

يقول: ليت قلوصي التي رحلها الى (عزّة) لما نزلتُ عندها وشددتُ قلوصي بحبل قيّدتها به كان الحبل الذي شددتها به ضعيفاً حتى ينقطع، وتذهب وتضِلّ. فلا يكون لي ما أركبه وأعود عليه الى أهلي. فأبقَى عند عزّة، استمتع بها وبحديثها.

و"غُرّ منها": يريد: غَرا الحبل [لفظة غير واضحة] من القلوص، توهّم ان الحبل جديد لا ينقطع فغفل عن القلوص فقطعته وذهبت. و"غودر": ترك في الحيّ المقيمين، رَحْلُها، وكان لها باغ سوى كثير، فبلّت: ذهبت، لا توجد، وكنت كذي رجلين أحدهما قد شلّت فلا يمكنني أبرح من عند عزّة، لأن قلوصي قد ذهبت ورِجلي قد شلّت. فلا يمكنني العود راكباً ولا راجلاً.

تمنّى ان رجله قد شلّت لما حصل عندها ، وان قلوصه ضلّت حتى تكون إقامته عندها بحجّة.

وقوله: "رمى فيها الزمان": أي: أصابها بنكبة. آخر كلامه.

فتمثيل كثيّر في تمنّي بطء حركته من عند عزّة مثل تمثيل أبي الطيب سرعة عوده، وإنْ اختلفا تمنياً واخباراً.

وأتى كثيّر بعد هذه الأبيات بمعنى حسن كتبته لذلك :

وكنـــت كـــذات الظلـــع لمـــا تحاملـــت
علـــى ظلعهـــا بعـــد العثـــار اســـتقلّتِ

---

[١٢٤] يوسف بن الحسن بن عبدالله بن المرزبان ، أبو محمد السيرافي : أديب لغوي، من أهل بغداد، ونسبته الى سيراف وأصله منها ولد سنة ٣٣٠هـ وتوفي سنة ٣٨٥هـ صنف شرح أبيات سيبويه وشرح أبيات اصلاح المنطق وشرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد. وأكمل كتاب "الإقتناع" في اللغة، أخباره في الوفيات: ٢/ ٣٥٠، والجواهر المضيئة: ٢/ ٢٢٦، وبغية الوعاة: ٤٢١، ومرآة الجنان: ٢/ ٤٢٩.

أريد الثواء عندها وأظنّها
إذا ما أطَلْنا عندها المكث لَبَّتِ

وما استشهد به من قوله: "ومِن جُول الطويّ رماني". وقد روي أيضاً: "ومِنْ أجل الطويّ رماني". وهو في بيتين هما مما أنشدهما غير واحد من العلماء. وأنشدهما أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي (كذا) في شرح أبيات سيبويه، قال: قال سيبويه: قال ابن أحمر وأنشد:

رماني بأمر كنت منه ووالدي
بريّاً ومن أجل الطَّويّ رماني

وجدت الشعر منسوباً في الكتاب الى ابن الأحمر. والذي روت الرواة: انه تنازع ناسُ مِن بني باهلة وناس من بني قرَة بن ميسرة بن سلمة بن قشير حتى صاروا الى السلطان، فقال بعض القشيريين للسلطان: ان الأزرق بن طرفة، وهو من بني باهلة لص بن لصٍّ ليغرده، فقال قصيدة فيها:

رماني بأمر كنت منه ووالدي
بريّاً ومن أجل الطويّ رماني
دعانيَ لِصّاً في لصوص وما دَعَا
بها والدي فيما مَضَى رجلانِ

وزعم قوم من مفسّري الشعر انه ينبغي أن ينشد: "ومِن جُول الطّويّ رماني". أي: من جَوف الطويّ رماني.

ومعناه: انه رماني بأمر عاد عليه قبحه ، كما ان الذي يرمي من البئر يعود ما رمي به عليه. والخبر يدلّ على صحّة قوله: "ومِنْ أجل الطويّ" لأن الخصومة كانت في بئر. آخر كلامه.

وقال ابو جعفر احمد بن محمد النحاس:[١٢٥]

وأنشده في شرح أبيات سيبويه، وقال: وأنشد لابن الأحمر:

× ومن أجل الطويَ رماني ×

هكذا قرأته على أبي اسحق. وزعم علي بن سليمان انه للأزرق بن طرفة. لأنه كانت له خصومة في بئر، فقال: "ومِن أجل الطويّ رماني". وأنشد له:

فلما رأى سفيان ان قد عزلته
عن الماء مرمى الحائم الوَجدانِ

ثم قال: "رماني".

وروى ثعلب: "مِن جرِّ الطّويِّ رماني". وهذا معنى من أجل لا غيره.

وزعم محمد بن يزيد: ان الرواية الصحيحة "ومِن جَوفِ" و"مِن جُول" و"مِن جال". والجُول والجال: ما حول البئر.

وإنما أراد: انه رماني بعيب ليس فيّ. فكان كمَنْ رماني من أسفل البئر، فرجع الرّمي عليه. ويقال: انه أحكم بيت قالت العرب.

وهذا التفسير أليق لقوله "كنت منه ووالدي بريّاً"، وإنْ كان ما ذكروه من القصة يشهد بالرواية الأولى.

وقول ابن فورّجة: "إلا انه لم يجد لفظة يقيمها هذا المقام فتؤدي المعنى غير "السّكاك". وقد تقدّمت، وهو لا يرى بتكرير الألفاظ في القصيدة". فقول: غير ثبت، لأنه يجد ما يقوم مقامها، هو السحاح، ولو أقام "السُّكاك" مقامها لم يكن به بأس، لأنها في الأول قافية. وفي هذا الموضع حشو، وهذا ليس بعيب مع بُعد ما بينهما: قافيةً وحشواً.

---

[١٢٥] أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النحّاس: مفسّر أديب، مولده ووفاته بمصر سنة ٣٣٨هـ كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه، وصنف: تفسير القرآن واعراب القرآن وتفسير ابيات سيبويه وناسخ القرآن ومنسوخه ومعاني القرآن وشرح المعلقات السبع، أخباره في ابن خلكان: ١/٢٩، والنجوم الزاهرة: ٣/٣٠٠، والبداية والنهاية: ١١/٢٢٢، وانباه الرواة: ١/١٠١، وآداب اللغة: ٢/١٨٢.

ولأهل القوافي في تكرير اللفظ الواحد في القافية المسمّى "إيطاء" عذر عن الشاعر، إذا كان البُعد بينها وبين التي واطأتها دون البُعد الذي بين لفظتي السّكاك قافيةً وحشواً لو وجدتا.

على ان أبا الطيب قد كرر في قصيدة واحدة كثيراً من ألفاظِ مُتواطئةٍ، بل في بيت واحد. وهو معروف في شعره منعيٌّ عليه.

ولم يقصد الشاعر المحدث ما قصده أبو الطيب ، لأنه جعل رجوع السهم إليه نفسه، وقد لا يرجع السهم المتعالي في الهواء الى راميه، بل ربما لا يقاربه.

٤٤- حَيِيٌّ مِنْ إلَهي ان يَرَاني
وقد فَارَقْتُ دَارَكَ واصْطِفَاكا[١٣٦]

قال أبو الفتح :

"الإصطفاء": ممدود ، وقد قَصَرَه.

وأنشد عليه أبياتاً كثيرة.[١٢٧]

---

[١٣٦] رواية الواحدي "اصطَفاكا" بفتح الطاء.

[١٢٧] ومما أنشده أبو الفتح في كتابه الفسر في هذا الباب ولم يذكره ابن المستوفي. ما يأتي:

قال: قُرئ على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ، قال: اسمع:

ولو ان الأطبّا كان حولي
وكان مِنْ الأطبّا الأُساة

وقُرئ عليه وأنا حاضر:

وأنت لو باشرت مشمولةً
صَفْرا كلون الفرس الأشقر

فقصر :الأطباء" كما قصر "صفراء".

وأخبرنا أيضاً عن أحمد بن سليمان عن ابن أخت أبي الوزير عن ابن الأعرابي، أنشد:

رَحْبُ فناه واسع خُلْقُهُ
بهِ يلوذ الرجل الحازم

فقصَرَ "الفناء"... الخ.

وقال ابو العلاء :

الأشبه بأبي الطيب أن يكون قال "واصطفاكا" وهو يريد فعلاً ماضياً، كأنه قال: وقد فارقت دارك وقد اصطفاكا الله سبحانه.[١٢٨]

وذكر محمد بن سعيد رواية المتنبي :

انه سمعه يقول : ليس في شعري قصر ممدود إلا قولي:

خُذ ثناءَ عليك ما أستطيعه

لا تُلْزِمَنِّي في الثناء الواجبا[١٢٩]

وقال الواحدي :

روى ابن جنّي: "اصطفاكا" بكسر الطاء. (قال: الاصطفاء)[١٣٠] ممدود. واحتجّ عليه بأَحَدَ عشر بيتاً كلها مستغنى عنه، لأن قصر الممدود بالشهر أشهر من أنْ يُحتاج فيه الى ذكر الشواهد.

وأنكر ابن فورّجة هذه الرواية. ورواه مفتوح الطاء على الفعل، وقال:

---

[١٢٨] أعيد ذكر كلام أبي العلاء كما ورد في كتاب "تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي" لأبي المرشد المعري لما فيه من زيادة ووضوح:

"قال الشيخ: الأحسن في هذا البيت أنْ يكون "اصطفاك" في القافية فعلاً ماضياً، ويكون معطوفاً على قوله "فارقت"، كأنه قال: قد فارقت دارك وقد اصطفاك الله، وهذا أبلغ في خطاب الممدوح، لأنه يحكم له بأنَّ الله اصطفاه".

والوجه الآخر: إنما يصف فيه نفسه لأنه فارقه، وفارق اصطفاءه، وليس في هذا تشريف الممدوح.

[١٢٩] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

بأبي الشموس الجانحات غواربا

اللابسات من الحرير جلاببا

وقد مرّ ذكرها.

[١٣٠] الكلام المحصور بين القوسين زيادة وردت في كتاب الواحدي.

لِمَ يستحي من اللّه تعالى إذا فارق داره واختياره إياه، يعني اختيار الممدوح للمتنبيّ، بل لا وجهَ لحيائهِ في فعله ذلك، إذ ليس كل مَنْ فارقه وزهد في اختياره إياه ارتكب حَوْباً. وإنما يستحي من الله تعالى إذا فارق دار الممدوح والله قد اصطفاه واختاره على خلقه. فكل مَنْ فارقه يجب أنْ يستحي من خالقه، وهذا لعمري موضع حياءٍ على مذهب الشعراء. وللشعراء في تعظيم الممدوحين. وإظهار الرغبة فيهم مذهب مشهور لا يُنكر.

وقال أيضاً: "لا معنى لحياء المتنبي من الله إذا فارق عضد الدولة واصطفاه، بل يجب أنْ يتقرّب الى اللّه تعالى بتلك المفارقة والزهد في داره.

وإنما يقول: أنا حَييٌّ من إلهي إنْ أنا أفارقك، وقد اصطفاك اللّه، ووكل إليه الأرزاق والعِباد. ألا تراه كيف (بيّن)[١٣١] وجه حيائه من اللّه تعالى إذ ذكر اصطفاءه. ولو لم يذكره لكان لا مخلص له من الحياء من الله تعالى بمفارقة دار عضد الدولة.

هذا كلامه على هذا البيت في كتابيه التجنّي والفتح. وهو صحيح.

والمعنى على ما قاله. والرواية الصحيحة بفتح الطاء من قوله "اصطفاكا" آخر كلام الواحدي.

والذي أورده ابن فورّجة في كتاب "الفتح" قوله :

"زعم أبو الفتح انه قال: "واصطفاكا". وأراد: اصطفاءك، فقصرَ وأورد نحو عشرين بيتاً استشهاداً على انَّ قَصْر الممدود جائز.

وقال الرجل: إلا اصطفاكا، بفتح الطاء. وقد نبهت على ذلك في كتابي "التجنّي"، وذكرت غناه عن هذا الاحتجاج.

[١٣٢]وهذا كلام يجري مجرى الإشباع لما قد مضى. كيف يجوز أنْ يقول "اصطِفاكا". ولا معنى لحياء المتنبي من الله سبحانه إذا فارق دار عضد الدولة

---

[١٣١] رواية مخطوطة النظام "ستر" مكان "بيّن" والأخيرة رواية الواحدي.

[١٣٢] في كتاب التجنّي "وهنا" مكان "وهذا".

واصطفاءه، بل يجب أنْ يتقرّب الى الله بتلك المفارقة والزهد في داره، وإنما كان يجب أنْ يقول: حَيِيٌّ من أصدقائي وأقراني لذلك، إذا كانوا هم الذين يلومونه ويعيرونه بمفارقته له وزهده في خيبته، ولا خيبة أعلى منها، فأمّا الله عزّ وجلّ فَرِضَاه في زهده وفي خيبته وتركه إياها إذ كان ملكاً ظالماً.

وإنما يقول: أنا حَيِيٌّ من إلهي إن فارقتك، وقد اصطفاك الله تعالى، ووكل إليك الأرزاق والعِباد. ألا تراه كيف بيَّنَ وجه حيائه من الله إذ ذكر اصطفاءه له، ولو لم يذكره لكان لا مخلص له من هذا السؤال.

آخر كلامه في كتاب أبي الفتح.

قال المبارك بن أحمد :

الذي استشهد به أبو الفتح في قصر الأبيات من الشعر إثنا عشر بيتاً.

وقال المطرّز :

يريد: ان الله اختارك وخصّك بمناقب توجب أن لا يُختار عليك. فأنا إذا عدلت عنك وآثرت غيرك فقد خالفت الله في اختياره. فبالحريّ أنْ أستحي من ذلك.

ويرى: "اصطِفاكا". والتقدير: وقد فارقت دارك واختيارك على غيرك وأنت المستحق لا تُختار ولا يُختار عليك. فقصر الممدود، وذلك جائز في ضرورة الشعر. واستشهد في ذلك بما تركته.

قال المبارك بن أحمد :

قول ابن فورّجة: "لِمَ يستحي من الله تعالى إذا فارق داره واختياره إياه، أعني اختيار الممدوح للمتنبي، بل لا وجه لحيائه في فعله ذلك، إذ ليس مَنْ فارقه وزهد في اختياره إياه ارتكب حَوْباً".

كيف لا يستحي من الله تعالى أنْ يفارق مَنْ اختاره وأحسن إليه، وإذا فارقه ولم يجد مثله لقوله: "وكل الناس زور ما خلاكا".

بل الواجب إذا كان حاله معه هذه الحال ألاّ يفارقه. وترك فعلِ الواجب يستحق من الله تعالى تاركه على انه ربما استحَى الإنسان مما ليس بِحَوْب. وليست مفارقته إياه زهداً في اختياره كما ذكر، وإنما ذلك ليشفي قربه وبَلّ شوقه من أهله ثم يعود.

وقد ذكر ذلك في هذه القصيدة، وذكر سرعة أوبته، وذلك إنما يكون رغبةً في المقام عنده.

وقوله: "إنما يستحي من الله إذا فارق دار الممدوح ، والله قد اصطفاه واختاره على خلقه... الفصل".

وهذا أيضاً غير مسلم له، لأن الإنسان قد يفارق مَنْ هذه حاله، ولا يُعَدّ ذلك حياءً من الله تعالى، وهذا أوضح من أن يحتاج الى بيان.

وقوله : "بل يجب أنْ يتقرّب الى الله تعالى بتلك المفارقة والزهد في داره... وما بعده الى قوله: إذ كان ملكاً ظالماً".

وهذا لا يتعلق بمذاهب الشعراء ، لأن المادح يمدح الكافر والمسلم، ويتجاوز القول الى ما لا يستحقّه كل منهما، ولا يُعَدّ ذلك عيباً في صنعة الشعر، إذ لا تعلّق للأديان والاعتقادات بصحّة نسج الشعر وجودة سبكه. وإنما يلحقه العيب في نفسه مما يهلهل نسجه ويردّي سبكه. وإذا تأمّل متأمّل ما ذكره وقف من كلامه على ما لا يلحق المتنبي عيبه.

على ان قصر قوله "اصطفاكا" أحسن ضرورة من حذف "قد" مع الفعل الماضي إذا وقعا حالاً، وعلى انه أيضاً ضرورة. إلا ان لفظة "اصطَفاكا" الفاتحة الطاء أطيب من لفظتها الكاسرة للطاء. فاعلم ذلك.

وهذا البيت أخذ أبو الطيب ألفاظه من أبي تمام ، وهو قوله:

جدير بأنْ يَسْتَحْيِيَ اللهَ باديـاً
ثم يَسْتَحيي الندى ويراقبه[١٣٣]

---

[١٣٣] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

أهن عوادي يوسف وصواحبه
فعزماً فقدماً أدرك الثأر طالبه

وقد مرّ ذكرها.

وإذا كان الاحيمر السعدي،[١٣٤] وهو أحد اللصوص الشياطين ـ وقال أبو محلم: هو لرجل من بني العنبر ـ جعل حياءه من الله تعالى في ترك ارتكاب الذنوب والإغارة وأخذ الأموال وسلبها، إذ يقول:

وأنّي لأستحِيي من اللّهِ أنْ أرى
أطوف بحبلٍ ليس فيه بَعيرُ[١٣٥]
وأنْ أسأل المرءَ اللّئيم بعيره
وبعران ربّي في البلادِ كثيرُ

كيف لا يستحي المتنبي من الله تعالى أنْ يفارق ظل عضد الدولة واختياره له.
على انهم رووا بيت الاحيمر:

---

[١٣٤] الأحيمر السعدي: قال أبو علي القالي: هو الأحيمر بن "فلان" ابن الحارث بن يزيد السعدي. شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان لصّاً فاتكاً مارداً من أهل بادية الشام. أتى العراق وقطع الطريق، فطلبه أمير البصرة سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ففرّ، فأهدر دمه، وتبرّأ منه قومه، وطال زمن مطاردته، فحنّ الى وطنه، ونظم قصيدته التي مطلعها:

لئن طال ليلي بالعراق لربما
أتى ليَ ليل بالشام قصيرُ

ومنها البيت المشهور :

عوى الذئبُ فاستأنست بالذئبِ أذ عَوَى
وصوت إنسان فكدت أطير

والبيتان الشاهدان من هذه القصيدة. وتاب بعد ذلك عن اللصوصية وتوفي سنة ١٧٠هـ أخباره في الشعر والشعراء: ٣٠٧، ومعجم البلدان: ٤/١٠١، والمؤتلف والمختلف: ٣٦، وسمط اللآلي: ١٩٥، والأعلام: ١/٢٧٧.

[١٣٥] أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢/٦٧٢، ط. دار الثقافة، بيروت. ورواية البيت فيه:

واني لأستحِيي لنفسيَ أن أرى
أُمرُّ بحبلٍ ليس فيه بَعيرُ

× واني لأستحِيي من الناس ×

والقول فيه على ما سبق من الرواية، وهي الأكثر.

* * *

هذه مقطوعة على قافية "الكاف" لم يذكرها المبارك بن أحمد في كتابه "النظام".

وقد ذكرها أبو الفتح عثمان بن جني والواحدي وعفيف الدين ابن عدلان.

* * *

قال أبو الطيب :

وقد دخل الى أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً في وصف بِركةٍ في داره. فقال ارتجالاً:

١- لَئِنْ كانَ أَحْسَنَ في وَصْفِها
لَقَدْ تَرَكَ الحُسْنَ في الوَصْفِ لَكْ

قال الواحدي :

يقول: إن أَحْسَنَ في وصف البركة ؛ فقد ترك الحُسْن في وصفه إياك، لأنه لم يصفك ولم يمدحك.

ثم ذكر انه إنما عابه بترك الحسن في وصفه لقوله:

٢- لأَنَّكَ بَحْرٌ وإنَّ البحَارَ
لَتَأْنفُ مِنْ مَدْحِ هَذِي البِرَكْ

قال الواحدي :

يقول: كان وصفه لك أَوْلَى من وصف البركة ، لأنك بحر ، والبحار تأنف من البِرَك لاستصغارها إياها.

والذي سمعته في معنى هذين البيتين: ان ذلك الشاعر كان شبّه البركة بأبي العشائر، فقال أبو الطيب:

انه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها بك وأنت بحر ، والبحر فوق البرك بكثير.

وهذا هو القول ، والأول ذكره ابن دوست.

وقال ابن عدلان في شرح البيتين الأول والثاني :

يقول: لئن أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إياك، لأنه لم يصفك، ولم يمدحك، ولم يذكر مناقبك وفضائلك، لأنك بحر، وإن البحار لتأنف من وصف هذه البرك. أي: كان وصفه لك أَوْلَى من وصف البركة. لأنك بحر، والبحار تستصغر البرك.

وقيل ان الشاعر وصف أبا العشائر بالبركة. فقال المتنبي: قد ترك الحسن في وصفك حين شبهك بها، وأنت بحر. والبحر فوق البركة.

٣ــ كأنَّكَ سَيْفُكَ لا ما مَلَكْتَ

يَبْقَى لَدَيْكَ ولا ما مَلَكْ

قال الواحدي:

يقول: أنت كسيفك لأنك تُفْني ما تملكه، فلا يبْقَى لديك وسيفك أيضاً يفنى ما يظفر به فلا يدع أحداً حيّاً. وجعل السيف مالكاً مجازاً.

ويقال : ملكتْهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها.

٤ــ فأكْثَرُ مِنْ جَرْيِها ما وَهَبْتَ

وأكثَرُ مِنْ مائِها ما سَفَكْ

قال الواحدي :

"مِنْ جريها" : أي : مِنْ جري ماء البركة.

يقول: ما جرى مِنْ هباتك أكثر مما جرى مِنْ ماء البركة، وما سفك سيفك مِنَ الدما أكثر من ماء البركة.

وقال ابن عدلان :

يقول: أكثر مَنْ جري ماء البركة عطاؤك وبَذْلُك ، وما سفك سَيْفُكَ من الدماء أكثر من ماء البركة.

٥- أسَـــــأْتَ وأحْـــــسَنْتَ عَـــــن قـــــُدْرَةٍ
وَدُرْتَ علـــــى النـــــاسِ دَوْرَ الفَلَـــــكْ

قال الواحدي :

أسأت على أعدائك ، وأحسنت الى أوليائك عن قدرة عليهما، وعممت الناس بالخير والشرّ عموم الفلك إياهم بالسعد والنّحس.

وجاء في كتاب ابن عدلان كلام لأبي الفتح لم أجده في مخطوطة الفسر التي بين يدي:

قال ابو الفتح :

ذهب قوم من أهل اللغة الى ان اشتقاق "البِرْكة" من "البَركـة"، لأنهـا لا تُتَّخـذ إلا في أرض ذات نفع.

وقيل : لأنَّ الإبل تبرُك حولها.

واشتقاق السيف من "السوف" ؛ وهو الهلاك. وأساف الرجل: إذا ذهب ماله، فكأنهم ذهبوا الى ان أصل السيف "سَوْف" وهو من ذوات الواو.

* * *

قافية اللام

قصائد أبي تمام على قافية اللام

قافية اللام

قال ابو تمام :

يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله.

١- فَحْـوَاكَ عَـيْنٌ علـى نَجْـوَاكَ يـا مَـذِلُ
حَتَّـامَ لا يَتَقَـضَّى قَوْلُـكَ الخَطِـلُ؟[*]

قال أبو العلاء المعري:

"فَحْواكَ" : من قولهم : عَرفْتُ ذلك مِن فَحْوَى كلامِه. أي: في معناه.

وقيل: ان "الفَحْوى" يُمَدُّ ويُقْصَر.[1]

ويجوز أن يُروى "الخطَل" بفتح الطاء.

---

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٢ـ وإنَّ أسْـمَجَ مَـنْ تَـشْكُو إليـهِ هَـوىً
مَـنْ كـانَ أحْـسَنَ شـيءٍ عِنْـدَهُ العَـذَلُ

قال أبو زكريا التبريزي :

أي: أقبحُ مَنْ شكوتَ إليه عِشقَكَ عاذلٌ قد أُولع بِعَذْلك فشكايتُك إليه لا تنجح.

٣ـ مـا أقْبَلَـتْ أوْجُـهُ اللَّـذَّاتِ سَـافِرَةً
مُـذْ أدْبَـرَتْ بـاللِّوَى أيَامُنـا الأُوَلُ

[1] جاء في كتاب التبريزي بعد ذلك ، وربما يكون الكلام لأبي العلاء ما يأتي :
والاشتقاقُ يوجب انها مِن "الفَحَا": وهي الإبزار. و"المَذِل": الذي لا يكتم سِرّه.
[جاء في اللسان : "الفَحا" مقصور: ابراز القدر ، بكسر الفاء وفتحها. والفتح أكثر. وفي المحكم: البزر. قال: وخص بعضهم به اليابس منه وجمعه "أفحاء". وفي الحديث: "مَنْ أكل فحا أرضنا لم يضره ماؤها" يعني البصل. وقال: "الفحا": توابل القدور، كالفلفل والكمون ونحوهما. وقيل: هو البصل. ويقال: فح قدرك.
و"الفحوى": معنى ما يعرف من مذاهب الكلام ، وكأنه من فحيت القدر: إذا ألقيت فيها الإبزار].

وقال الصولي :

"فحوى الأمر": معناه. مَذِل بِسِرّه يمذل مذلاً: إذا أذاعه.

وقيل : مَذِل : اسمها.

ويرى : "لا ينقضِي مِن قولك الخطل". آخر كلامه.

وكأن قوله: "فحواك عين على نجواك": أي ظاهرك يدلّ على مضمرك. و"العين": الطليعة.

ومَنْ قال: "مَذِل" اسمها ، فبعيد. لأن الرواية "فَحْوَاكَ" بفتح الكاف.

أراد العاذل: أي ان ظاهرك في نصحك يدلّ على عتبك في باطنك.

وفي نسخة الصولي : "مَذَلتْ بِسرّها تمذل مذلاً: إذا أشاعته": ليس بشيء.

٤- إنْ شِئْتَ ألاَ تَرَى صَبْراً لِمُصْطَبِرٍ

فانْظُرْ على أيِّ حالٍ أصْبَحَ الطّلَلُ

قال أبو حامد الخارزنجي :

إن أردت ألاّ تستجير الصَّبْرْ وتستصوبه لصابر فانظر حال الطّلل في بلائه لتَدعَ الملام.

وقال المرزوقي : أبو علي :

يقول : إن أردت ألا توجب صبراً على مَنْ ابتلى بفراق أحبّته؛ فانظر الى الطّلل، وتأمّلهُ كيف اشتمل عليه البِلَى بفراقهم له، وانتقالهم عنه. واعلم انه إذا كان الطلل مع انه لا يعقل، ولا يعرف الجَزَع يصير لبُعد العهد عنهم على هذه الحال. فحقّ للعاشق المميّز المتذكّر العهود، العالم بالنزاع وأسباب النَّوى ألاّ يصبر.

وقد ذكر هذا المعنى بأبْيَن من هذا فقال :

طَلَلُ الجميع لقد عَفَوْتَ حميدا

وكَفَى على رُزْئي بذاك شهيدا[٢]

وقال في أُخرى :

---

[٢] هذا البيت مطلع قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. وقد مرّ ذكرها.

هرمــــتَ بَعْــــدِي والربــــعُ الــــذي أَقْلَــــتْ
مِنْــــهُ بُــــدُورُكَ مَعْــــذُورٌ علــــى الهَــــرَمِ[٣]

وأخذه أبو تمام مِن قوله :

فقلــــت لهــــم لا تَعْــــذِلوني وانظــــروا
الى النــــازعِ المقــــصورِ كيــــف يكــــون[٤]

يعني بالنازع المقصور : بعيراً أحَنْ فقُيّد.

وفي حاشية : أي زوال الصبر بعد انهدام الطّلَل.[٥]

٥ـــــ وإِنَّمــــا جَــــادَ مَغْنَــــاهُ فَغَيَّــــرَهُ
دُمُوعُنــــا يَــــوْمَ بــــانوا وَهْــــيَ تَنْهَمِــــلُ[٦]

قال الخارزنجي :

إنمحى هذا الطّلَل ودرس بما أصابه من الأمطار حتى كأن دموعنا يوم فراقهم جادَتْه.

نبّه بذلك على كثرة دموعه يوم الفراق.

وهذا تفسير لا يوافق لفظ هذا البيت. ومعناه واضح.[٧]

---

(٣) هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

سَــلِّمْ علــى الربــع مــن ســلمى بــذي ســلم
عليــه وشــمٌ مِــن الأيّــام والقــدم

وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

(٤) هذا البيت لجميل بثينة. من قصيدة مطلعها :

شــهدتُ بــأني لم تغيَّــر مــودّتي
وانــي بكــم حــين الممــات ضــنين

أنظر: شرح ديوان جميل بثينة. لابراهيم جزيني، ص ١٠٨. المكتبة الثقافية، بيروت.

(٥) جاء في كتاب أبي زكريا :

أي: إن شئتَ أن تَرَى وتعلمَ قِلّة صَبْري على ما أحدثَتْه الفُرْقة فانظر حال الطّلَل.

(٦) رواية الصولي والتبريزي "كأنما جاد" مكان "وإنما".

(٧) الكلام هنا فيما يبدو للمبارك بن أحمد. وهو تعليق على كلام الخارزنجي.

٦- ولـــــو تَـــــرَاهُمْ وإيَانـــــا وَمَوْقِفَنـــــا
في مـــــأتمِ البَـــــيْنِ لِإسْـــــتهلالنا زَجَـــــلُ

ويروى : "لو تَرَانا وإيّاهم". قالوا: وهو أجود.

ويروى : "وموقفنا في موقف".

"المأتم" : مجتمع النساء في فرح أو حزن. وهو هاهنا للحزن. و"الإستهلال": رفع الصوت. و"الزَّجَل": الصوت. وتَرَك جواب "لو" للعلم به.

وقال الخارزنجي :

لم يأتِ له بجواب ، لأن "لو" هاهنا "تمنٍّ".

وفي حاشية الكتاب العجمي: أي: الإستهلال دموعنا زَجَل. أي: صوت في السيلان.

قال المبارك بن أحمد :

كأنه حذف المضاف من إستهلالنا ، وجعله من استهلّ الدمع: إذا سال.[٨]

٧- مِـــنْ حُرْقَـــةٍ أَطْلَقَتْهـــا فُرْقَـــةٌ أَسَـــرَتْ
قَلْبـــاً ومِـــنْ غَـــزَلٍ في نَحْـــرِهِ عَـــذَلُ[*]

قال أبو زكريا:

أي : لو رأيتَنا ونحن نبكي لاستهلالنا زَجَل مِن حُرقةٍ أطلقَتْها فُرْقـةٌ ذهبـت بقلبـي، ومِن عشقٍ في نحره لَومٌ يقاتله ويحاربه.

---

[٨] جاء في كتاب أبي زكريا:

و"الإستهلال" : رفع الصوت. يقال: استهلَّ الصَّبيُّ: إذا بكى عند ولادته، ومنه: إهلال الحج: وهو رفع الصوتِ للتلبية.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٨ـــ وَقَـــد طَـــوَى الـشَّوْقَ في أحـــشائنا بَقَـــرٌ
عِـــينٌ طَـــوَتْهُنّ في أحْـــشَائها الكِلَـــل

أراد بـ"نحره" بإزائه.

ووجدته يروى: "ومن عَذَل في نحره غزل" وقد صحّح على الأصل.[٩]

٩ــ فَــرَغْنَ للـسِّحْرِ حتّـى ظَـلَّ كُـلُّ شَـجٍ
حَـرّان في بَعْـضِهِ عـن بَعْـضِهِ شُـغُلُ[*]

---

[٩] قال الآمدي في كتابه الموازنة : ١/٢٢٣:

ومن أخطائه قوله؟ وأنشد البيت. "ومن حُرْقةٍ أطلقتْها فُرْقَةٌ أسرت... البيت".

قوله : "أطلقتها فرقة: أي : أبرزتها وأظهرتها. وإنما قال "أطلقتها" من أجل قوله "أسرت قلباً" ليطابق بين الإطلاق والأسار.

وقوله: "أسرت قلباً" يعني : الفرقة. وهو معنى رؤى ، لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدّة الحب. فَلِمَ حَضَر للتوديع؟ وما كان وجه البكاء والإستهلال والزَّجَل الذي ذكره قبل البيت، والقصّة الفظيعة التي وصف الحال فيها عند مفارقتهم؟ أَوَ ما علم ان للفراق لوعةً صعبة وناراً محرقةً عند وروده وفجأته، فلا يُسمّى ذلك أسراً. ولا علاقة، وإنما هو محنة تطرأ على أسير= الحب. وربما قتلته كما يقتل الأسير، فالفراق إنما له لوعة ثم تبرد ناره، وتخمد وقتاً فوقتاً، حتى يدرسَ الحبّ، والفراق يفكّ أسر الحبّ، ويُنْسى خليله إذا إمتدّ به زمان، ألا ترى الى قول زهير ابن جناب:

إذا ما شئتَ أن تَسْلَى حبيباً
فأكْثِرْ دونه عددَ الليالي
فما أَنْسَى خليلَكَ مثْلَ نأيٍ
وما أبْلَى جديدَك كابتذالِ

وقول الآخر :

يُنْسِي الخَليلَيْنِ طُولُ النَأي بينهما
وَتَلْتَقي طُرُقُ شتّى فنأْتَلِفُ

وهذا هو المعنى الصحيح المعروف ، فإن كان تقدم أبو تمام في هذا المعنى مَنْ تبعه وحذا حذوه، فالردئ لا يؤتمّ به.

ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأفسده بسوء عبارته ، وكثيراً ما يفعل هذا. وكان ينبغي أن يقول: من حرقة بعثتها فرقة. أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً، حتى يكون أسير الهوى وقتيلَ الفراق.

فإن قيل: فلِمَ لا يكون "أسرَتُ قلباً" للحرقة لا للفراق؟

قيل: لا يكون ذلك ، لأن الأسر إذا قَبُح أن يكون فعلاً للفرقة قبح أيضاً أن يكون فعلاً للحرقة. لأن الفرقة هي التي جلبت الحرقة، فشأنها كشأنها.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي : =

قال الخارزنجي :

ورَوَى "فرغن للشجْوِ".

يقول: خَلون من كل شُغل حتى تَنَعَّمْنَ وحسن ، فجعل كل مغتم في عشقهن لا يتفرَّغ بعضه: وهو قلبه، من بعضه: وهو سائر جسده.

وقال ابو زكريا :

"فرغن للسحر": أي: قصدن له ، من قوله عزّ وجل: {سَنَفْرُغُ لكم أيّها الثّقلان}.[10]

أي : قصدن للسحر فَسَحَرْن كل عاشق أورثن قلبه شُغلاً من الحزن أذهله عن سائر أعضائه.

وفي حاشية : أي ليس لهن عمل إلا خديعة الرجال بالجمال ، حتى أشغل كل عضو عن بعض بالحبّ.

قال المبارك بن أحمد :

لا ضرورة تدعو الى تفسير الفراغ هنا بغير التخلّي، فيحمل على ما قيل في قوله تعالى: {سنفرغ لكم}، وهو أحسن معنى من القصد، إذ ليس لهن شُغل إلاّ السحر أو الشجو. والسحر أجود.

وقال المرزوقي :

ورَوَى : "فرغن للشجو".

و"فرغن" : عمدن. وعلى هذا قول الله عزّ وجل: {سنفرغ لكم أيّها الثقلان}.

يقول: عمدت هؤلاء النسوة لجلب الهمّ والحزن بالفراق حتى صار كل محزون له من الاشتغال بما حُمل كل جزءٍ منه من القلق ما يمنعه من الآخر ويصدّه.

=١٠- يُخْــزي رُكَــامَ النَّقَــا مــا في مآزرهــا

وَيَفْـــضَحُ الكُحْــــلَ في أَجْفَانِهـــا الكَحَـــلُ

قال التبرزي:

أي: إعجازها أعظم مِن نَقَا الرمل ، وسواد عُيُونها أشدّ من سواد الكُحْل.

[10] الآية (٣١) من سورة الرحمن.

ويجوز أنْ تكون "الهاء" تعود الى "الشجون". أي: بعضه يستنفد صبره وقوّته حتى لا يتّسع للاشتغال بالآخر معه.

١١- تُكَـــادُ تَنْتَقِــلُ الأرْواحُ او تُرِكَــتْ
مِـــنَ الجُـــسُومِ إليهـــا حَيْـــثُ تَنْتَقِــلُ

قال أبو زكريا :

أي: يعجب الناظرون منها فَتَحَارُ فيها الأبصار حتى تكاد أرواحُهم تخرج من عيونهم لشدّة النظر وتحيّرهم فيها.

وقال المرزوقي :

يقول: لو تركت أرواح العشاق لانتقلت من أجسامهم الى منتقل هذه البَقَر مَيلاً إليها. وهذا التفسير أجود.

وفي طرّة النسخة العجمية: تكاد الأرواح من الشوق إليهنّ تنتقل مِن أجسامنا الى حيث تنتقل محبّة الاجتماع بهنّ.

والذي أورده أبو زكريا وجدته على طرّة ديوان قديم الخطّ. وروى: "مِن الجفون" أيضاً، وفسّره عليه.

١٢- طُلَّــتْ دِمَــاءٌ هُرِيقَــتْ عِنْــدَهُنَّ كمــا
طُلَّــتْ دِمَــاءُ هَـــدَايا مَكَّـــةَ الهَمَـــلُ

قال أبو زكريا :

أي: إذا نظروا الى الإبل وقد ركبها الجواري وعليها الهَوَادِجُ قَتَلَهُمْ ذلك.

وقال في طرّة النسخة العجمية: أي: دم المقتول لحبهنّ باطل عندهن.

وفيها "الهَمَل": مثل: غائب وغَيَب، وبالضم: جمع هَامِل.

قال المبارك بن احمد :

"الهَمَل" بفتح الهاء والميم ـ يجوز أنْ يكون من الهَمَل، وهي الإبل بلا راعٍ

قال الجوهري: هي مثل: النّفَش. إلا ان النفش لا يكون إلا ليلاً، والهَمَل: يكون نهاراً وليلاً.

ويكون ذلك على عادة أبي تمام في الإستعارة. ولو ان القافية مجرورة وقعت لفظة "الهمل" حقيقة.

و"الهَمَل" أيضاً: الماء الذي لا مانع له.

وتفسير "الهمل" في البيت بهذا حَسَنٌ. وحمله على جميع اللفظتين المذكورتين حمل ضعيف.

١٣- هَانَتْ على كُلِّ شيءٍ فهو يَسْفِكُها
حتّى المَنَازِلُ والأحْداجُ والإبِلُ

قال الصولي :

هانت الدموع. فكل شيء يَصُبُّها.

وقال الخارزنجي :

هانت دماء العشاق على كل شيء من أشياء هؤلاء. فهو يصبّها حتى منازلهن.

لا معنى لتفسير أبي بكر الصولي. والضمير في "هانت" لقوله: دماء عندهن، ولم يجر للدموع ذكر فتحمل عليه.(١١)

---

(١١) هذا الكلام للمبارك بن أحمد ، وهو تعقيب على كلام الصولي.

وقال الآمدي في الموازنة: ٢/٥٣:

قال أبو تمام: وأنشد "طلّت دماء هريقت عندهن..." و"هانت على كل شيء..." "الهَمَل" وصف لقوله: "دماء هدايا مكّة". مِن هَمَل يَهْمل. والمصدر: هو الهمول، و"الهَمْل" ـ ساكنة الميم ـ فحرّكها. وقوله:

هانت على كل شيء فهو يسفكها
حتى المنازل والأحداجُ والإبلُ

رديء جدّ، لأنه إذا لم يسفك دماءَ العاشقين، المنازلُ إذا خلت من أهلها، والإبل إذا سارت بهم، فأيّ شيء يسفكها؟ وهل شيء عند المحبّين أعظم مِن فراق الأحباب حتى يجعل أسباب فراقهم من أهون الأشياء وأقلّها في سفك دمائهم.

١٤- بالقــائِمِ الثّــامِنِ المُــسْتَخْلِفِ اطّــأَدَتْ
قَوَاعِــدُ المُلْــكِ مُمْتَــدّاً لهــا الطِّــوَلُ[*]

قال أبو العلاء :

قد مرّ ذكر "اطّأدت" في شعر البحتري. وينبغـي أن يكـون اشـتقاق "اطّـأَدَتْ" مـن "الطَّوْد"، بُني على (افتَعَلَتْ) من ذلك. فقيل: "اطّأدَتْ" ثم هُمِـزت للـضرورة، لأن "تـاء" (الافتعال) إذا كان بعدها طاءٌ قُلِبت إليها. وليس في كلامهم "الطَّأْدُ" بالهمز، وإنما قـالوا "وَطَدَ". ولو بُني (افتعل) مِن وَطَدَ لقيل "إتّطَدَ". وقالوا: "طادٍ" في معكوس واطـدٍ، قـال القطامي:

مــا اعتــادَ حُــبُّ سُــلَيْمَى حَــيْنَ مُعْتــاد
ولا تَقَــضَّى بَــوَاقِي دَيْنهــا الطّــادي[١٢]

ولو بُني (افتعل) من الطّادِي لقيل: "اطّدَى".

ويجوز أن يكون الطائي سمع "اطّأَدَ" في شعر قديم فاستعمله.

و"الطِّوَل": الحَبْل. يريد بذلك: ان تلك الدولة طويلةُ المكث. ويجوز أن يعني بـ"الطّوَل" ما تطاول من الدهر. لأن بيت القطامي يُنشد بالكسر والضمّ.

× وإنْ بَلِيتَ وإنْ طَالَتْ بكَ الطوُّلُ ×

والمعنيان راجعان الى شيء واحد. لأن إرخاءَ الطِّوَال للدولة مُؤَدٍّ الى طول المُدّة.

وقال الصولي :

"اطّأَدَت" : ثبتت. وأصله من: أَطَدَ يأْطد: إذا ثبت.

---

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

١٥ــــ بــــيُمْنِ "مُعْتَــصِــمٍ باللَــــهِ" لا أَوَدٌ
بالمُلْــــكِ مُـــــذْ ضَـــمَّ قُطْرَيْـــهِ ولا خَلَــــلُ

[١٢] أنظر الأغاني: ٤٣/٢٤. ط الدار. وانظر اللسان مادة : وطَد.

قال المرزوقي :

فسر "يعني الصولي": "اطّأدت" على ان معناه: ثبت. والرواية الصحيحة: "اتَّطَدَتْ"، وهو من (افتعل) من "وَطَدَ"، فأبدل من الواو تاءً، ثم أدغمها في تاء (افتعل)، وعلى هذا قولهم: "إتَّقَى" و"اتّزَن" و"اتّعَدَ"، وما أشبهه. وقد قال أبو تمام في موضع آخر:

مكْـــــراً بَنَـــــى ركنيـــــه إلاّ أنـــــه
وطَـــدَ الأســـاس علـــى شـــفيرٍ هـــارِ[١٣]

فأمّا "اطّأد" فأظن راويه تحذلق فيه ، وهو خطأ ، لأنه جعل (افتعل) من "الطَّأْد" مهموزاً فانه لا يعرف. وإن جعل (تفاعل) من "وَطَدَ" لم يصح، لأن أصله يجيء "تواطد". ولو قدّر ادغام "التاء" فيما بعده وقد أبدل منه فكان يجيء "اتأطد".

فإن قيل: ما ينكر أن يكون بناؤه على المقلوب من "وطد" وهو "توطّد"، لأنه قد جاء، والدليل عليه قول القطامي:

مـــا اعتـــادَ حُـــبُّ سُـــلَيْمَى حَـــيْنَ مُعْتـــاد
ولا تَقَـــضَّى بَـــوَاقِي دَيْنِهـــا الطّـــادي

لأن أهل اللغة قالوا فيه "الواطد" ، فنقل الفاء الى موضع اللام. فقال: "طدَى" فهو "طادٍ"، فيكون اطَأَدَت" مبنياً على هـذا المقلوب دون الأصل.

قلت: إنْ جعلناه على ما قلت (افتعل) جاء "اطّدى" كما يجيء من طلب: اطلب، ومن طرح: اطرح. وإنْ جعلناه على غير هذا، أوْ قلنا بناؤه (تفاعل) مثل: تدارك من ادّارك يكون "تَطَادَى".

---

[١٣] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

الحـــــقّ أبلـــــج والـــــسيوف عـــــوار
فحــــذار مــــن أســــد العــــرين حــــذار

وقدد مرّ ذكرها.

فإنْ رُمْت الإدغام فيه كما رمت في تدارك وقلت "أدرك" جاء "أطادى" بالألف. وفي البيت إنما هو "اطأدت" بالهمز.

فإنْ قال: ما ينكر أن يكون ابدل من الألف همزة كما قال كثير:

وفي الأرض أمّا سُودها فتجللت

بياضاً وأمّا بيضُها فادْهَأَمتِ[14]

يريد إدهامّ" فأبدل من الألف همزة وحرّكها.

قلت: هو الذي ذكرته إنما يفعلونه إذا التقى ساكنان: الألف والحرف الأول من المدغم الذي بعده. وفي قوله "أطَأدَت" لم يحصل ساكنان فيهربون من اجتماعهما ويتكلّفون ما ذكرت. وإذا كان الأمر على هذا لم يجيء إلا "إتَّطَدت"، فاعلمه إن شاء الله.

وفي طرّة النسخة العجمية : أي : بهذا القائم ثبت الملك وثبتت أواخيه واستحكمت. أي: صار الملك بمنزلة الفرس يطول له الحبل يرعى حيث شاء.

قال الآمدي :

قوله : "ممتدّاً له الطول". و"الطول": الحبل، ولا وجه له هاهنا. وليس يريد "الطول" بمعنى الزمان من قولهم: طال طِيلُك وطَيلك وطِولُك وطِوَالُك، لأن المعنى على ذلك يكون: اطأدت قواعد الملك ممتدّاً أزمانه.

ولا يصلح الحال هاهنا ، لأن الفعل هو "اطّأَدتْ" لا يكون عاملاً فيها، لأنك لا تقول: قد استقرّ البناء طويلاً زمانه، لأن استقراره ليس مِن طول مُدّته في شيء. وإنما تقول: قداستقرّ البناء جَيِّداً عمله، أوْ متقناً أساسه، أو وثيقاً صنعته. أو أن تقول: طويلاً شرفه (أو علوّه). والى هذا أذهب. كأنه أراد: واطّأَدَتْ قواعد الملك مُمْتَدّاً له الطّوَال.

---

[14] هذا البيت من قصيدة يرثي بها عبدالعزيز بن مروان مطلعها :

أأطلال دارٍ بالنّياع فحمَّتِ

سألتُ فلما استعجمَتْ ثمّ صُمّتِ

أنظر: ديوان كثير عزة بشرح د. احسان عباس، ص ٣٢٣، دار الثقافة، بيروت: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

أي : رَسَا أصله ، وعَلاَ فرعه. كما قال البحتري :

بـــك اشـــتدَ عُظْـــمُ الملـــك فـــيهم فأصـــبحت
تَقِـــــرُّ رواســـــيه وتعلُـــــو مَرَاتِبُـــــهْ[١٥]

فجعل في موضع "وتعلو مراتبه" "ممتدّاً له الطول" وهذا غير حسن، ولا لائـق. بـلى: لو قالوا: "فليمدد له الطول" على الدعاء، كان جميلاً سائغاً، إلا ان "الطول" على كل حال هاهنا غير جيدة، لأنها لفظة مشتركة. وقال أبو تمام قبله:

بِـــيُمْنِ أبـــي اســـحق طالـــت يـــد العُـــلاَ
وقامـــت قنـــاة الملـــك واشـــتدّ كاهلـــه[١٦]

وهذا بيت جيد. وقد قال قبله :

× وأضحى الملك قد شق بازله ×[١٧]

وكان أحدهما يغني الآخر. آخر كلامه.

وكان "المعتصم" الثامن من ولد العباس. وكان يلقّب بالمثمَّن، لأنه ثامن بني العباس. وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وولد له ثمانية بنين وثماني بنـات. وخلّـف مِـن

---

[١٥] هذا البيت من قصيدة يمدح بها المعتز ويهجو المستعين. مطلعها:

يجانبنـــا في الحـــبّ مَـــنْ لا نجانِبُـــهْ
وَيَبْعَـــدُ منـــا بـــالهوى مَـــنْ نُقَارِبُـــهْ

أنظر: ديوان البحتري ، المجلد الأول: ص ١٥٥ ، دار صادر ، بيروت.

[١٦] رواية الآمدي للبيت "يد الهوى". وهو من القصيدة التي مطلعها:

أجـــل أيهـــا الربـــع الـــذي خـــفّ أهلـــه
لقـــد انجـــزت فيـــك النـــوى مـــا تحاولـــه

وسوف يرد ذكرها إن شاء الله.

[١٧] تمام البيت :

وقـــام فقـــام العـــدل في كـــلّ بلـــدةٍ
خطيبـــاً وأضـــحى المُلـــك قـــد شـــقّ بازلـــه

وهو من أبيات القصيدة "أجل أيها الربع...".

العين ثمانية ألف ألف دينار، وثمانية وعشرين ألف ألف درهم، وثمانية آلاف غلام وثماني عشرة ألف دابة.

١٦- يُهْـــني الرَّعِيَّـــةَ أنَّ اللَّـــهَ مُقْتَـــدِراً
أَعْطَـــاهُمُ بـــأبي إسْـــحاقَ مـــا ســـألُوا

قال أبو العلاء:

خَفَّفَ الهمز ، وذلك جائز.[١٨] ونصب "مقتدراً" على الحال. والعامل فيها "أعطى". وإن رفع "مقتدر" فجائز. ويتمُّ الكلام عنده، ثم يكون بَقِيَّةُ البيت صفة لـ"مقتدر".

ويمكن أن يكون جملةً لا تتعلق بـ"مقتدر" ، لأن الكلام قد استغنى في النصف الأول. آخر كلامه.

"أبو اسحاق": كنية المعتصم. واسمه: محمد بن هارون. وأراد "بمعتصم" النكرة المعتصم المعرفة. وقوله: "ما سألوا": يعني من الأمن والعدل.

وفي نسخة ، وصحح عليه: "أعطاهم في أبي اسحاق ما سألوا". فيكون غير المعنى على الرواية الأولى النصب على الحال في "مقتدراً". ويكون "أعطاهم" خبر "إن"، وهو الوجه الصحيح.

ورفعه على الخبر وكون "أعطاهم" صفة له أحسن.

وأما قوله: "يمكن أن يكون جملة لا تتعلق بمقتدر... الفصل" غير مستقيم، لأن المعنى يصير: يهني الرعية قدرة الله عزّ وجل. وهذا لا مدح فيه، لأن اللّه ما زال مقتدراً، وليست قدرته ـ حاشى لله ـ بحادثة فتهنى بها الرعية. فلا بدّ أن يتعلق قوله: "أعطاهم بأبي اسحق ما سألوا" بما قبله ولا ينقطع عنه. أما خبراً لأن إذا نصب مقتدراً، وأما صفةً لمقتدر إذا رفعه.

وفي النسخة العجمية: "مقتدراً" نصب على القطع. أي: ان الله المقتدر.

١٧ـ لَـوْ كـانَ في عَاجِـلٍ مِـنْ آجـلٍ بَـدَلٌ
لكـــانَ في وَعْـــدِهِ مِـــنْ رِفْـــدِهِ بَـــدَلُ

---

[١٨] جاء في كتاب التبريزي ، والكلام لأبي العلاء :
خَفَّفَ الهمزة مِن "يَهْنِي" على لغة مَنْ قال "هَنَاكَ" في الماضي.

قال المرزوقي: في كتاب "الانتصار من ظلمة أبي تمام له".

وقال هذا الإنسان[١٩] أيضاً: "أحال أبو تمام في قوله "لو كان في عاجل من آجل بـدل": كتب:

"وكيف لا يكون في العاجل من الآجل بدل. والعقلاء يختارون قليـل الحـاضر العاجـل على الكثير المنساءِ[٢٠] الآجل. بما لم ينتهِ به الفضل الى منزلة الدوام والـصفاء كالجنـة". إنتهى كلامه.[٢١]

قال أبو علي أدام الله عزّه :

وليس فيما ذكره أبو تمام وأراده مستحيل إذا فهم عنه. وذاك أن مراده: لو كان فيما يتعجّل من أوائل الأمور ومقدماتها بدل مما يتأجّل من أواخرها، ومكمّلاً لها لكان في وعد هذا الرجل لكونه صدقاً محقّقاً ومنجزاً مقرّباً بدل من رفده وعطيته.

وهذا كلام سديد ، وذاك ان العدة وإن تحققت وصدقت فهي في نفسها لا تنـوب عـن الموعود به، بل أحْسَن أحوالها أن تقوّي الرجاء فيه، وكذلك مقدّمة كل أمور ومتعجلـه لا يكون فيه ما يكون في متأخّره ومتعقّبه. لأن الأمور بخواتيمها. وكل أمر لم يكمـل فهـو مخدج. وفي طريقته قول البحتري:

تـــنبي طلاقـــة بـــشره عـــن جـــوده

فتكـــاد تلقـــى الـــنجح قبـــل لقائـــه[٢٢]

---

[١٩] يقصد الآمدي.

[٢٠] قال الجوهري: قوله تعالى: {إنما النسِيءُ زيادة في الكفر}، وهو فعيل بمعنى مفعول، من قولك: نَسَأْتُ الشيءَ، فهو مَنْسُوءٌ: إذا اخّرْتَهُ. ثم يحول مَنْسوءٌ الى نسيء، كما يحوّل: مقتول الى قتيل.

[٢١] أي : كلام الآمدي.

[٢٢] هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا نوح مطلعها:

طيـــف الحبيـــب ألمَّ مِـــنْ عُدَوائـــه

وبعيـــدَ موقـــع أرضـــه وسمائـــه

أنظر: ديوان البحتري، المجلد الثاني: ٢٨٨، دار صادر ، بيروت.

وإنما أتى هـذا المعترض من جهة انه تصوّر عاجلاً من الأمور كامــلاً في نفـسه لـم يجعل مقدمة لغيره ويختاره عاقل على آجل مستقبل أكمل منه، ولهذا احتاج أن يحـترز من آجل ثواب الله تبارك وتعالى. وما وَعَد به من حنانه حين ذكر ان العقلاء قد يختـارون العاجل القليل على الآجل الكثير.

ومَنْ تأمّل هذا الكلام علم التباين بين المقصدين.

وقال الخارزنجي :

يقول: لولا ان العاجل لا يقوم مقام الآجل لكان وعده يقوم مقام بذله لتحقيقه إيـاه ووفائه به.

وأظنّ المرزوقي أراد بالإنسان الذي ذكره: أبا القاسم الحسن بن بـشر الآمـدي. فانـه قال في كتابه "الموازنة بين الطائيين":

وأنشد أبو تمام: "لو كان في عاجل من أجل بدل". وقوله: "له ريـاض نَـدَىً لـم يكـدْ زهرتها". البيتين: وقال:

وهذا أيضاً غلط ، لأن العاجل أبداً أفضل من الآجل ، فكيف لا يكـون بـدلاً منـه. وقـد قيل، وجرى مثلاً:

× والنفس مولعة بحبّ العاجل ×[٢٣]

---

[٢٣] تمام البيت :

إنـــي لآمـــل منـــك خـــيراً عـــاجلاً
والــــنفس مولعــــة بحــــبّ العاجــــل

وهذا البيت من أبيات قالها في عمر بن عبدالعزيز ، أولها:

ان الــــذي بعــــث الــــنبيّ محمــــداً
جعـــل الخلافـــة في الإمـــام العـــادلِ

أنظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمـين طـه: ٢/٧٣٧، دار المعـارف، مصر.

وكان ينبغي أن يقول: "لو كان في عاجلِ قول بدل من آجل فعل"، والى هـذا ذهب، غير ان الصواب لا يقبل إذا كان مطويّاً في القلب مخبوءاً تحت الإضمار حتى يخرج الى الوجود. ألا ترى الى البحتري لما جاء بهذا المعنى كيف أورده على غاية الصحّة والسلامة، فقال:

لو قليلٌ كفَى أمراً من كثير

لاكتفينا بقوله من فعاله[٢٤]

وحسبك بقول أبي تمام :

× ولم تَتَبَخْتَرْ بينها العِلَلُ ×

قبحاً. آخر كلامه.[٢٥]

---

(٢٤) هذا البيت من قصيدة يمدح بها بعض بني حميد ، مطلعها:

خيرُ يومَيْك في الهوى واقتباله

يوم يُدنيك هاجِرٌ من وصاله

أنظر: ديوان البحتري: المجلد الثاني: ص ١٩٦، دار صادر ، بيروت.

(٢٥) أكتب هنا كلام الآمدي كما ورد في كتابه الموازنة: ١٩٣/١، كما فيه من فائدة.

قال: ومن خطأه قوله :

لو كان في عَاجلٍ مِن آجِلٍ بدَلٌ

لكان في وعْدِهِ من رِفْدِهِ بَدَلُ

ولِمَ لا يكون في عاجل من آجل بدل؟ والناس كلّهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقويمه على الآجل، ألا ترى قولَ القائل الذي قد صار مثلاً:

× والنفس مُولَعَةٌ بحبِّ العاجِلِ ×

والعاجل أبداً هو المطلوب والمرغوب فيه ، حتى إن قليلَه يُؤثَر على كثير الآجل، كما قال الآخر: [هو عبيدالله بن عتبة بن مسعود].

أعاذِلَ ، عاجلُ ما اشتهي

أحَبُّ مِنَ الأكْثَرِ الرَّائِثِ

كأنه يريد : عاجل ما اشتهي مع القلّة أحبّ إليّ من الأكثر المبطيء، فمن شأن العاجل أبداً أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان في الخير، فعاجل الخير خير من آجله، كما ان عاجل=

=الشر شر من آجله، لأن العاجل شيء قد وقع: إن كان فقد حصل نفعه، أوْ شرّاً فقد تعجّل ضرره. وآجل الخير يُخْشَى فَوْته، وربما وقع الإخفاق منه، كما ان آجل الشرّ يُرجَى زواله. وربما لم يقع. فكيف لا يكون العاجل بدلاً أو خَلَفاً من الآجل؟

فإنْ قال قائل: ان الذي أراده أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم، لأن العاجل لا يكون أبداً بدلاً ولا خَلَفاً من الآجل: لأن البدل لا يكون قبل المبدول منه، ولا الخلفَ يتقدم ما هو خلف له، لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْف الذي هو قُدّامه، فأبو تمام إنما أنكر أنْ يكون العاجل بدلاً أو خَلَفاً من الآجل على هذا السبيل.

قيل: هذا غلط من التأويل أو مغالطة: لأنه ليس على هذا الوجه مَنَع أبو تمام مِن أن يكون العاجل بدلاً من الآجل، فيحتج بأن هذا أوْلَى بالتقديم، وهذا أوْلَى بالتأخير من طريق الترتيب. وإنما أراد انه لا يقوم مقامه في الحاجة إليه، فكيف لا يكون الأول يقوم مقام الثاني والمقدّم مقام المتأخّر؟ وكان وجه الكلام الذي يصحّ به المعنى ويستقيم أن يقول: لو كان في عاجلِ قَوْلٍ بدل من آجل فعل، لكان في وعده من رفده بَدَل.

فإنْ قال : فهذا الذي أراده أبو تمام.

قيل: ليس الأمر كذلك ، لأن طريقة لفظه في البيت أن يكون معناه: لو كان في شيء عاجل من شيء آجل بدل.

وبعد، فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه ـ وذاك ليس بمعلوم ، ولا في البيت عليه دليل ـ لم يُلتفَت الى إرادته، لأنك إذا فككت الإضافة من عاجل قول أو آجل فعل ففرّقت بين المضاف والمضاف إليه، لم يدلّ أحدهما على الآخر، لأن لفظة "عاجل" لا تدلّ غير مضافةٍ على ما تدلّ عليه لفظة "عاجل قولٍ"، كما ان لفظة "آجل" لا تدل على "آجل فعل". ولا يدلان أيضاً على شيء معيّن.

كما ان قولك : زيدٌ أولُ ناطق وآخِرُ ساكتٍ، وعمرو أوّلُ خارجٍ وآخر قادم، وبكر أول آخذ وآخر تارك، إذا أفردت "أول" و"آخر" لم يدلا مفردين على شيء مما أضيفَ إليه، ألا ترى ان الأصمعي أنكر على ذي الرُّمة قوله يصف الوتر:

× كأنه في نياط القوْسِ حُلْقُومُ ×

فقال : حُلْقُوم ماذا؟ إذ كان يجب أن يقول: حلقوم طائر، أو حلقوم قطاة، ونحوهما مما يشبه الوتر في الدقّة، وإلا فقد يكون حلقوم فيل، أو حلقوم بعير. وهذا من الأصمعي إنكار صحيح، وإن كان لا يلزم ذا الرمّة فيه ما يلزم أبا تمام، لأن العرب لا تُشَبّه الوتر إلا بحلقوم طائر، وذلك قول الراجز: "لأمٍ كحلقوم الحُبارَى".

وقال الآخر: "لأمٍ مُمَرٍّ مثل حلقومِ النُّغَرْ".

أخذه أبو نواس فقال : "لأمٍ كحلقوم النُّغر".

وقال الراجز :

× لأم كحلقوم القطاةِ يُعَرَّف ×=

١٨- تَغَـــايَرَ الـــشِّعْرُ فِيـــهِ إذْ سَـــهِرْتُ لـــه
حتَّـــى ظَنَنْـــتُ قَوَافِيـــهِ سَـــتَقْتَتِلُ

قال الخارزنجي:

أي: إذا أردتُ أن أقول فيه[٣٦] تتابع حتى كأنها ستقتَتِل غِيرَةً عليه، إذ يريد كلّ أن قالَ فيه دون صاحبه.[٢٧]

= فأبو تمام إنما أراد ان هذا الممدوح يقوم وَعْدُه بصحته مقام عطيته، وأحبَّ الأغراب على رسمه فاخطأ في تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل، لأنه أطلق القول عموماً، فلا يدل على الخصوص. والجيد النادر في قول البحتري:

ولـــو قليـــل كفَـــى امـــرأً مـــن كـــثير
لاكتفينـــا بقولـــه مِـــن فعالـــه

وأحسن الراعي في قوله :

ضـــافي العطيّـــةِ: راجيـــه وســـائلُهُ
سِـــيَّانِ افلـــحَ مَـــنْ يُعْطِـــي ومَـــنْ يَعِـــدُ

وجاء في كتاب التبريزي :

أي لو كان في الغائب بدلٌ من الحاضر. أو يقوم مقامه لكان وَعْدُه كافياً مُغنياً عن الإعطاء لعلمنا انه مُنجَز.

[٣٦] يقصد القوافي.

[٢٧] قال الصولي في كتابه:

هذا مِنْ قول كثير:

إذا مـــا شـــئت في غـــير ابـــن ليلـــى
عَـــروض قـــصيدة بعـــض الـــشباب
أبَـــتْ أن تـــستقل فلـــم يُبعَـــث
كمـــا تـــأتي المعقلـــة الجـــوابي
ونـــازعني الى المـــدح ابـــن ليلـــى
قوافيهـــا منازعـــة الطِـــرابِ

وقال أبو زكريا التبريزي في كتابه:

١٩ـ لـولاَ قَبُـولِيَ نُـصحَ العَـزْمِ مُـرْتَحِلاً
لَراكَـضَاني إليـهِ الرَّحْـلُ والجَمَـلُ[*]

قال أبو زكريا :

يقول: لولا انّي قبلت ما مثّله لِي عزمي مِن الرِّفق في السَّير، وتَرْكِ الإيغال فيه ما يُورِث الإنقطاع بالمسافر، لأسرع بي الجَمَل والرَّحْل حِرصاً على البلاغ إليه.

وقال الخارزنجي :

يقول : لولا انّي أعملتُ العزم واستعملت الحزم ، فسرت على القدر لسبقني رَحْلي وجَمَلي إليه.

وقال أبو العلاء :

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية :

٢٠ـ لَـهُ رِيـاضُ نَـدىً لـم يُكـبِ زَهْرَتَهـا
خُلْـفُ ولمْ تَتَبَخْتَـرْ بَيْنَهـا العِلَـلُ

٢١ـ مَـدَى العُفَـاةِ فَلَـمْ تَحْلُـلْ بِـهِ قَـدَمٌ
وإلاّ تَرَحَّـلْ عَنْهـا العَثْـرُ والزَّلَـلُ=

٢٢ـ مـا إنْ يُبَـالي إذا حَلَّـى خَـلائِقَـهُ
بجُـودِهِ أيَّ قُطْرَيْـهِ حَـوَى العَطَـلُ

٢٣ـ كـأَنَّ أمْـوَالَـهُ والبَـذْلُ يَمْحَقُهـا
نَهْـبٌ تَعَـسَّفَهُ التَّبْـذيرُ أوْ نَفَـلُ

٢٤ـ شَرِسْـتَ بَـلْ لِنْـتَ بَـلْ قانَيْـتَ ذاكَ بـذا
فأنْـتَ لا شَـكٌّ فيـكَ الـسَّهْلُ والجَبَـلُ

قال أبو زكريا :

الشراسة : ضد اللّين. وقانيت: خلطت. والمقاناة: المخالطة. قال الشاعر:

قـانى لـه بالـصَّيْفِ مـاءُ بـارِدُ
ونَـصِيُّ ناعجـةٍ ومَحْـضُ مُنْقَـعُ

أظهر علامة التَّثنية في الفعل المتقدم.[٢٨] و"راكضاني" حمله على قولهم: ركَضَ الفرسُ. وبعض الناس يقول: إنما "الفرس" مركوض. وليس (هذا القول) بشيءٍ، لأن كل مَنْ ضرب برجله الأرض وغيرها فهو راكض. قال الراجز:

قد سَبَقَ الجيادَ وهو رَابِضُ
فكيفَ لا يَسْبِقُ وهو رَاكِضُ

آخر كلامه.

قال الجوهري : الركض تحريك الرجل ، ومنه قوله تعالى: {ارْكُضْ برجلك}،[٣٩] وَرَكَضْتُ الفرسَ برجلي: إذا استحثثته ليعدو. ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس: إذا عَدَا، وليس بالأصل.

والصواب : "رُكض الفرس"، على ما لم يسم فاعله: فهو مركوض، وربما قالوا: ركض الطائرُ: إذا حرّك جناحيه في الطيران.

قال المبارك بن أحمد :

ويجوز أنْ يحمل قول الراجز: "وهو راكض" على قولهم: ماءٌ دافق وسِرّ كاتم. أي: مدفوق ومكتوم، لأنه لا يقال: دَفَق الماء، وكَتَم السِّرّ. وإنما حمل على قولهم: دُفِقَ الماءُ وكُتِم السِّرّ. فتكون "راكض" بمعنى: مركوض، ويستمر الأصل على ان لا يقال: ركض الفرس، ويرفع على الفاعل.

وبعد أن أثبتّ ذلك أردت تحقيقه في كتاب الجمهرة، فوجدت ان ابن دريد قد أنشد البيتين الضاديين، وقال: "هذا مقلوب، وإنما أراد مركوض، فقال: "راكض". هذا آخر كلامه.

---

[٢٨] جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء الإستشهاد الآتي :
كما قال :
أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا
أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذا واقِيَةْ

[٢٩] الآية (٤٢) من سورة ص.

وحمله على نظائره أحسن من القلب.

٢٥- يَـدِي لِمَـن شـاءَ رَهْـنٌ لم يَـذُقْ جُرْعـاً
مِـن رَاحَتَيْـك دَرَى مـا الـصَّابُ والعَـسَلُ

قال ابو العلاء :

هـذا البيت قد حُذِف منه حرفُ النَّفي ، لأن المعنى معنى القسم، كأنه قـال: واللـهِ لا أدري مَنْ لم يـذق جُرَعاً من راحتيـك، فحذف حرف النفـي لأن المعنـى دالٌّ عليـه، كمـا تقول: والله أفعـلُ كذا، أي: لا أفعـل. قال النابغة:

فقالـت يمـين اللّـهِ أفعـلُ إنَّـني
رأيتـك مَـسْحوراً يمينـك فـاجِرَه[٣٠]

والمعروف حذف "لا" في جواب القَسَم دون "مـا". ولا يمتنـع في القيـاس أن يُجمـع بينهما في الحذف لأنهما حرفا نفي فتحمـل إحداهما على الأخرى.

وقال المرزوقي في قوله :

يدي لِمَنْ شاء رهن وأنشده:[٣١]

"انه حذف عُمْدةَ الكلام وأخلَّ بالنَّظم". وإنما أراد: يَدي لِمَنْ شاء رهنٌ إن كان مَنْ لـم يَذُقْ جُرَعاً من راحتيك دَرَى الفرق بين الصّابَ والعسل، فحـذف "إن كـان مَـنْ" وأفـسد الترتيب إنتهى كلامه.

هذا هو كلام القاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني ،

وفيه : وأحال الكلام عن وجهه.

---

[٣٠] هذا البيت من قصيدة يعاتب فيها بني مُرَة مطلعها:

ألا أبلِغـا ذُبيـانَ عنّـي رسـالةً
فقـد أصْـبَحَتْ مـن مـنهج الحـقَ جـائِرَهْ

أنظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، ص ٧٠، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

[٣١] جاء في كتاب التبريزي قبل ذكره كلام المرزوقي :

قال بعض مَنْ يَرُدُّ على أبي تمام (يقصد بذلك الجرجاني كلامه هو): انه حذف عمدة الكلام وأخلّ بالنظم...

قال الشيخ ايّد الله عزّه (يقصد المرزوقي):

إعلم ان اللفظ قد يكون قاصراً عن المعنى ، وقد يكون زائداً عليه، وهذا البيت يتأتّى فيه التقدير على ما قدّره هذا العائب. فيتأتّى ان تقدّر:

يدي رهنٌ لمَنْ شاءَ إن دَرَى ما الصّابُ والعسلُ غيرَ ذائقٍ جُرَعاً مِن راحتيك. فيكون "لم يَذُقْ" في تقدير الحال، وحَذف "إن" لِمَا كان في الكلام مِن دلالة الشرط والجزاء.

ألا ترى أنَّ المعنى : إن دَرَى مَنْ لم يذق جُرَعاً من راحتيك، الفرقَ بين هذين الشيئين. فيَدِي له رَهْنٌ، فهذه طريقه.

ويتأتّى ان تقدّر: يدي رهنٌ لمَنْ شاءَ غير ذائقٍ جُرَعاً من راحتيك دارِياً ما الصّابُ والعسلُ. يريد: يدي له رهنٌ وهاتان حالتاه، وهذا كما يقول الإنسان: لزيدٍ مِن مالي الفٌ راكباً هذا الفرس وصائداً به. والمعنى: إنْ رَكِبَه وصاد.

والحال قد يتبيّن منه معنى الشرط ، على هذا قولهم: هذا تمراً أطيبُ منه بُسْراً والمعنى: هذا إذا كان تمراً أطيبُ منه إذا كان بُسْراً. وإذا كان الأمر على هذا فقد سلم أبو تمام من العيب، ولزم الذَّمُّ عائبَه.

ولِقائلٍ أن يقول للمُنكِر على أبي تمام: زعمتَ انَّ اللفظ قاصرٌ عن المعنى بما حُذِف من عُمدته مختلٌ، وإنما هو زائد عليه. لكنّك أسأْتَ في التقدير وزدتَ ما لا حاجة إليه. وذلك أنه أراد: يدي رهنٌ لمَنْ لم يذق جُرَعاً من راحتيك دَارِياً ما الصَابُ والعسلُ. أي: دَرَى ذلك فيدي له رَهْنٌ. وإذا كان الأمر على هذا، فقوله "شاءَ" فَضْلةٌ، و"مَنْ" على هذه التقديرات نكرة. والمعنى: يدي لإنسانٍ هذه صفتُه رَهْنٌ. وهم يقولون: مررتُ بِمَنْ ظريفٍ. أي: بإنسان ظريف. ومررتُ بما كريمٍ، أي: بشيءٍ كريم. فاعْلَمْه.

قال الخارزنجي :

يقول : يدي مرهونة لمَنْ لم يذق بأسك ونعمتك ، ثم علم ما الصاب والعسل.

وفي طرّة النسخة العجمية :

أي : مَنْ شاء أن يتابعني فيدي رهنٌ إن درى مَنْ لم يذق من راحتيك جُرَعاً ما الصّاب والعسل. آخر كلامهما.

تقدير المرزوقي رحمه الله في هذا البيت بما قدّره به في الوجه الأول قد صار فيه الى ما أنكره العائب من الحذف الذي عابه عليه: وهو قوله: "إن درى ما الصّاب والعسل"، فلا معنى لردّه على العائب مع تقديره من الحذف مثلما قدّره العائب، وما ذكره بعد هذا الفصل فقد قدّره بالحذف.

و"دَرَى" إذا جعله حالاً، وهو فعل ماضٍ، لابدّ له من تقدير "قد"، كقوله تعالى: {او جاءُوكم حصرت صدورهم}.[٣٢] أي: قد حصرت صدورهم.

وقول المرزوقي: "فقوله "شاء" فضلة" لم يذهب أحد الى ان فعلاً يؤتَى به فيكون فضلة، إلا ما ذكروه من "كان". وقد أباه قوم ومنعوه.

وجعله "مَنْ" على ما ذكره نكرة في جميع التقديرات فجائز لو أوضحه في جميع التقديرات. ويمكن أن تجعل "مَنْ" بمعنى "الذي"، وتقدر بقولك: "يدي رهن الذي شاء لم يذق جرعاً". ولا يمتنع أن تقدّر معها التقديرات التي قدّرها. وتجعل "لم يذق" بدلاً من قوله "شاء". ويكون التقدير: يدي رهن لَمَنْ لم يذق جرعاً من راحتيك درى ما الصاب والعسل.

وتكون "درى" حالاً على ما تقدم. ومثله ما ذكره أبو الفتح عثمان بن جني في بيتي قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري.[٣٣]

لو كنت من مازنٍ لم تُستَبَحْ إبلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا[٣٤]

---

[٣٢] الآية (٩٠) من سورة النساء.

[٣٣] قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري التميمي. شاعر جاهلي، في حياته غموض. انفرد معمر بن المثنى برواية خبر عنه، خلاصته: ان بعض بني شيبان أغاروا عليه، وأخذوا ثلاثين بعيراً له، وخذله قومه، فاستنجد ببني مازن، فنهبوا من بني شيبان مئة بعير. ودفعوها إليه، فقال الأبيات المشهورة: "لو كنت من مازن لم تُستبَح إبلي... الشاهد"، وهي من عيون الشعر. أنظر بشأنه: للأعلام: ١٩٥/٥، والتبريزي: ١/٥، وشرح شواهد المغني: ٢٥، وسمط اللآلي: ٥٤٥.

[٣٤] أنظر: حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ١/٢٢ و٢٥. وقال انها لبعض بلعنبر "بني العنبر" ولم يسمّه، وانظر: التنبيه لابن جني، وجاء فيه: "تُروى لأبي الغول الطهوي".

إذاً لقــــام بنـــــصري معــــشر خُــشُنٌ
عنـــد الحفيظـــة ان ذا لوثـــة لانـــا

"إذاً لقام بنصري معشر خشن" هو جواب قوله: "لو كنتُ من مازن" فلو قلت: فقد أجاب "لو" هذه بقوله "لم تستبح إبلي". قبل قوله: "إذاً لقام بنصري معشر خشن" بدل قوله: "لم تستبح إبلي" وضرب له أمثلة تركتها.

وإذا كانت "مَنْ" نكرة، كانت الأفعال بعدها صفة لها، ومواضعها الجر، ويكون التقدير: يدي رهن لإنسانٍ شاء غير ذائق جُرَعاً من راحتيك دارٍ ما الصّاب والعسل. أي: جامع بين عدم ذوق الجرع ودريّة طعمي الصاب والعسل. أي: تابعته عليها. وهذا واضح لِمَنْ وقف عليه.

قال بن دريد :

سلك أبو تمام الطائي في بيته ما سلكه أُحيحة بن الجلاح[٣٥] في قوله:

فَمَـــنْ ذا كــاهن أوْ ذو إلـــهٍ
إذا مــا حــان مــن ربّ نــزولُ
يُــراهنني فيرهــنني بنيــهِ
وأرهنــه بَنِــيّ بمــا أقــولُ
ومــا يــدري الفقــير مــن غِنَــاه
ومــا يــدري الغنِــيّ متــى يُعيــل
ومــا تــدري وإنْ أضــربتَ شــولاً
أتلقــح بعــد ذلــك أم تحيــل

---

(٣٥) أُحَيْحَة بن الجُلاح بن الحريش الأوسي. أبو عمرو. شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. قال الميداني: كان سيد يثرب، وكان له حصن فيها سمّاه "المستظلّ" وحصن في ظاهرها سمّاه "الضحيان"، ومزارع وبساتين ومال وغيره. قال البغدادي كان سيد الأوس في الجاهلية. وكان مرابياً كثير المال. أنظر: الأغاني: ١٥/٣٧، وأمثال الميداني: ١/١٣، وخزانة الأدب: ٢/٣٢.

وما تدري وإنْ أنتجت سقباً
لغيركَ أو يكونُ لك الفصيل
وما تدري وإن أجمعت أمراً
بأيِّ الأرض يدركك المقيلْ

فهذا أُحيحة جعل الرهن على ما عدّده ، إلا انه لا ينتظم ، وذلك لأنه كان يجب أنْ يقول:

يراهنني فترهنني بنيه
وأرهنه بنيَّ بما أقول

على ان الفقير يدري متى غناه ، وان الغنيّ يدري متى يعيل، وكذا في جميعها، فلما لم يمكنه ذلك قال بعد أن ذكر المراهنة:

وما يدري الفقير متى غناه
وما يدري الغنيّ متى يعيل

ونسّق عليه الأبيات الباقية، وكلها بمعزل عن ذكر ما وقع الرهان عليه واضحاً. وكذلك قول أبي تمام إلا انه قد خرج على ما تقدّم ذكره.[٣٦]

---

[٣٦] قال الآمدي في الموازنة : ١/١٩٠:

ومن خطأ أبي تمام قوله: "يدي لِمَنْ شاءَ رهنٌ لم يذق جُرَعاً... البيت".

لفظ هذا البيت مبنيٌّ على فساد، لكثرة ما فيه من الحذف، لأنه أراد بقوله: "يدي لِمَنْ شاء رهن"، أي: أُصافحه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إن كان لم يذق جرعاً من راحتيك دَرَى ما الصاب والعسل. ومثل هذا لا يسوغ، لأنه حذف "إنْ" التي تدخل للشرط، ولا يجوز حذفها، لأنها إذا حُذِفت سقط معنى الشرط. وحَذَف "مَنْ" وهي الاسم الذي صلته "لم يذق" فاختلّ البيت، وأشكل معناه.

والحذف لعمري كثيرٌ في كلام العرب، إذا كان المحذوف مما تدلّ عليه جملة الكلام. قال الله عزَّ وجل: {أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى} (٨ سورة الروم). أراد تبارك اسمه: أَوَلَمْ يتفكّروا فيعلموا انه ما خلق ذلك إلاّ بالحقّ، أَوَلَمْ يتفكروا فيقولوا: وأشباه هذا كثير.

ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (١٠٦ سورة آل عمران). قال أبو عبيدة: العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد، كأنه أراد: فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم.

=

٢٦- صَلَّى الإلهُ على العَبّاسِ وانْبَجَسَتْ
علــى ثَــرىً حَلَّــهُ العَرّاصَــةُ الهُطُــلُ[٣٧]

قال أبو العلاء :

"العرّاصة": وهي سحائب فيها بَرْق عَرّاص. وهو الشديد الاضطراب.

ويروى "الوكّافة الهُطُلُ". ويروى "الودّاقة الهُطُلُ".[٣٨]

٢٧- ذَاكَ الَّــذي كــانَ لــوْ أنَّ الأنــامَ لــهُ
نَســلٌ لَمَــا رَاضَــهُمْ جُــبْنٌ ولا بَخَــلُ

قال أبو العلاء :

استعار الرياضة للجبن والبخل لأنهما يُذلاّن مَنْ كانا فيه كما يذِلُّ الرائضُ الصَّعْبَة.

أي: لو كان الناس كلهم من نسله ما كان فيهم جبان ولا بخيل، لأنه كان شجاعاً وسخيّاً.

٢٨- أَبــو النُّجُــومِ الــتي مــا ضَــرَّ ثَاقِبُهــا
أنْ لمْ يَكُــنْ بُرْجُــهُ ثَــوْرٌ ولا حَمَــلُ[٣٩]

= وقوله عزّ وجل: {إذاً لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ} (٧٥ سورة الاسراء) يفسر: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. وفي الشعر مثل هذا موجود. قال الشاعر: [حكيم بن معية الربعي]:

لــو قلــتَ مــا في قومِهــا لم تِيْــثَمِ
يَفْــضُلُها في حَــسَبٍ وَمَيْــسَمِ

يريد: أحد يفضلها. فحذف "أحد" لأن الكلام يدل عليه. وذكر سيبويه، وأنشدأيضاً في باب الحذف:

ومــا الــدهرُ إلاّ تارتــان فمنهمــا
أمــوتُ وأُخــرى أبتغــي العــيشَ اكْــدَحُ

يريد : فمنها تارة أموت.

فإن تأوّل متأوّل هذا البيت على ألفاظ أُخَرَ محذوفة غير اللفظ الذي ذكرته فالاختلال بعدُ قائم فيه لكثرة ما حذف منه وسقوط الدليل عليه.

(٣٧) رواية الصولي والتبريزي "الوكّافة" مكان "العراصة".

(٣٨) جاء في كتاب التبريزي بعد ذلك:

"الهُطُل": جمع هَطُول. و"الوكّاف": من المطر الذي يدوم إلا انه ليس بشديد الوَبْل.

(٣٩) رواية الصولي والتبريزي "ضَنَّ" مكان "ضَرَّ".

قال أبو العلاء :

يقول: بنو العباس نجومٌ في الشرف والإشتهار، "ما ضَرَّ ثاقبها": أي: مُضيئها انه نجمٌ أرْضيٌّ لا يحلُّ ببروج السماء، وهي الإثنا عَشَر بُرْجاً.[٤٠] وخصَّ الثور والحمل لأجل القافية. وحَسُنَ أن يُنكِّر، لأن الثور يقع على أشياء، منها ثَوْرُ البروج، وكذلك الحَمَلُ.

قال المبارك بن أحمد :

شرف الشمس: الحمل، وشرف القمر: الثور، فلهذا قال: إن لم يكن برجه ثور ولا حمل. أي: هم شِرافٌ بأنفسهم.

٢٩ـ مِنْ كُلِّ مُشْتَهَرٍ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ

لم يُعْرَفِ المشْتَري فيه ولا زُحَلُ

قال أبو العلاء :

مَنْ روى "مُشْتَهَر" على ما لم يسم فاعله فهو مَقِيسٌ على قولهم: فلان مشهور، كما يقال: كُتِبَ الكتاب واكتُتِبَ. وَقُضِبَ الغُصْن واقتُضِبَ.

ومَنْ روى "مُشْتَهِر" بالكسر. جعل الفعل للرجل. قال ابن الأحمر:[٤١]

قَدْ بَكَرَتْ عاذِلَتي غَدْوَةً

تزعُمُ انّي بالصِّبَا مُشْتَهِرُ

---

(٤٠) جاء في كتاب التبريزي بعد ذلك :

... أوّلها الحَمَل وآخرها الحوت.

(٤١) هو عمرو بن أحمر بن العمَرد الباهلي، أبو الخطاب. شاعر مخضرم. عاش ٩٠ عاماً، كان من شعراء الجاهلية، وأسلم وغزا مغازي في الروم. وأصيبت إحدى عينيه، ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد. وأدرك أيام عبدالملك بن مروان، له مدائح في عمر وعثمان وعلي وخالد. ولم يلق أبا بكر. وهجا يزيد بن معاوية، فطلبه يزيد ففرّ منه، مات في نحو ٦٥هـ أخباره في خزانة الأدب: ٣٨/٣، وابن سلام: ١٢٩، وسمط اللآلي: ٣٠٧، والأغاني: ٢٣٤/٨، والشعر والشعراء: ١٢٩.

يُنشَد هــذا البيت بالكسر. والفتح في "مُشْتَهر". أقيس في بيت الطائي.

يقول: هؤلاء قوم يُعرفون في مواطنَ لا يُعرف فيها المُشْتَرِي ولا زُحَل، وهما عظيمـان في الكواكب.(٤٢)

٣٠- تَحْمِيـــــــهِ لألاؤه أوْ لَــوْذِعِيَّتُــــــــهُ
مِــنْ أَنْ يُــدَالَ بِمَــنْ أَوْ مِمَّــن الرَّجُــلُ(٤٣)

قال أبو العلاء :

"اللّألاء": النور. والرواية "تحميـه" بالتأنيـث. والقيـاس يوجـب انـه "لألاءٌ"، مثـل "زَلْزَالٍ" من لألأَ الشيءُ وتلألأ. وإذا قيل انه مثل الزّلزال فما يمتنع من كسر أوّلـه، مثـل: القِلْقَال والسِّلْسَـال، مصدر قَلْقَل وسَلْسَل، وذلك مُطَّرِد في هذا الباب.

وإذا قيـل ان الـلألاءَ" مُؤَنّثـة وجب أن يكون اشتقاقهـا مِن "الَّـلأل"، كما قال:

دُرَّةٌ مِــــنْ عَقَائِــــلِ البَحْــــرِ مِيــــزَتْ
لم تَنَلْهـــــا مُثَاقِـــــبُ الَّــــلأَّالِ

وكأنها مبنيّة من اللّأل" ثم زيدت عليها الألف للتأنيث وبعدها الهمزة.(٤٤)

---

(٤٢) وجاء في كتاب أبي زكريا التبريزي بعد ذلك:
و"زُحَل" اسم معدول مثل "عُمَر" حَقّه ألا ينصرف في المعرفة. وقد حُكِي ذلك عن المـبرّد، وقلّمـا يُـذكَر زُحَل في الشعر القديم. وقد رَووا قول الكميت:
× كأنـه الكـوكبُ المرّيـخُ أو زُحَـلُ ×
والكميت إسلاميٌّ متأخِّر.

(٤٣) رواية التبريزي "يحميه".

(٤٤) جاء في كتاب التبريزي بعد ذلك :
وقولهم "اللّأل" كلمة شاذّة، واشتقاق اللؤلؤ من اشتقاق "اللألاء" وقد إدّعى قوم أنَّ الهمزة الآخـرة في "لؤلؤ" زائدة، وإنما حملهم على ذلك قولهم: "لأال".
(جاء في اللسان: قال أبو عبيدة : قال الفراء : سمعت العرب تقول لـصاحب اللؤلـؤ "لأء"، مثـل: لعـاع. وقال علي بن حمزة: خالف الفراء في هذا كلام العرب، والقياس لأن المسموع "لأال"، والقياس: لؤلؤي، لأنه يُبنى من الرباعي (فعال) و(لآل" شاذ. وقال الليث: اللؤلؤ معروف وصاحبه لآل. وحذفوا الهمـزة الأخيرة حتى استقام لهم (فعال). وأنشد البيت الذي أورده التبريزي "دُرّة... الخ". وقال: لولا اعـتلال الهمزة ما حسن حذفها، ألا ترى انهم يقولون لبائع السمسم: سماس، وحذوهما في القيـاس واحـد. وقال: ومنهم مَنْ يرى ذلك خطأ.)

و"اللَّوذعيّة" : مأخوذ من اللوذعي ، وهو الحديد القلب.

والمعنى : حَلَتْه اللوذعية ، وكذلك يفعلون بالمنسوب كله، يقولون: فلان مكّي تِبين فيه المكّيّة، ونحو ذلك.

والمعنى : ان هذا الرجل إذا نُظِرَ إليه عُلِمَ أيُّ الناس هو ، ومَنْ أبـوه. لأن نـور وجهـه وذكاءه يُخبران بنسبه ويدلّان عليه. آخر كلامه.

وأوضح من هذا أن يقال: انه أراد ان نوره وذكاءه حمياه أن يُهان، فيقال: مَـنْ هـذا؟ ومِن أيّ قبيلة هو؟ لأنهما يدلّان على انه مشهور من أصل معروف.

قول أبي العلاء: "إذا قيل انه مثل الزلزال فما يمتنع مـن كـسر أولـه، مثـل القِلْقـال والسِّلْسـال"، وذلك مُطَّرد في هذا الباب.

يوهم ان الزلزال لـم يجـيء إلا مفتوحـاً. فلـذلك قـاس "الَّـلألاء" إذا كـسر القِلقـال والسِلسال دون الزلزال. وجميع هذه اللفظات الثلاث يجوز فيها الكسر والفـتح، فمَـنْ كسر فهي مصادر، ومَنْ فتح فهي أسماء.

قال الجوهري: الزِّلزال والقِلقال بالكسر: المصدر. وبالفتح: الاسم.

وقوله: "وإذا قيل ان اللألاء مؤنثة... الفصل":

فيه اضطراب، ولا يصحّ حمله على ما حمله عليه ، لأن "اللأل" إذا زيدت عليه الألـف التـي للتأنيث، وبعدها الهمزة لا يحصل من ذلك وزن "اللألاء"، وإنما يحـصل منـه هـذا الـوزن إذا خففت شدّة الهمزة وسكّنت، وقدّمت اللام الأخيرة الى جانبها، وزيدَت بعد الألف همـزة حتـى تصير الى مثال "اللألاء" وزناً. وهذا ظاهر لمَنْ تأمّله.

وقد قال أبو العلاء أولاً: انه من لألأ الشيءُ وتَلألأ. وهـذا قـول صـحيح، يقـال: لألأتِ النور. أي: بصبصت بأذنابها. وتلألأ البَرْق: لمعَ.

و"لألُ" : مما جاء على القلب.

قال الفراء: سمعت العرب تقول لصاحب اللؤلؤ: "لأّل" مثـال: لَعّـال. والقيـاس: لأء، مثل: لَعَّاع.

والذي رويناه : "يحميه لألاؤه" بالياء على التذكير.

٣١ـــ وَمَــشْهَدٍ بَــيْنَ حُلْــمِ الــذُّلِّ مُنْقَطِــعٌ
صَـــالِيهِ أَوْ بِحبـــالِ المَـــوْتِ مُتَّـــصِلُ

قال أبوالعلاء :

يجوز في "منقطع" الخفض والرفع. فالخفض: على انه وصف للمشهد إذ كان الضمير قد رجع إليه في قوله "صاليه". والرفع: على أن يجعل خبراً "لصاليه" قُدِّم عليه. و"صاليه" هو الذي يَصْلى حَرَّه ويصبر عليه.[٤٥]

وإذا خُفِض "منقطع" "فمتصل" يرتفع على تقدير قوله: أو هو بحبال الموت مُتَّصل.

وقال المرزوقي :

يريد : مشهد حرب بين حكم الذّل. أي: مَنْ ضعف فيه وعَجَز حُكم عليه بالذل. منقطع صاليه: أي: مَنْ صَلِيَ به انقطع وسقط أو يتّصل بحبال الموت فينجو مِن الذل والانقطاع.

وروى الخارزنجي: "يتّصل" فعلاً مضارعاً.

٣٢- ضَــنْكٍ إذا خَرِسَــتْ أَبطَالُــهُ نَطَقَــتْ
فيــــهِ الــــصَّوارِمُ والخَطِّيَّــــةُ الــــذُّبُلُ

في طرّة الكتاب العجمي :

أي: الأبطال يخرسون ولا ينطقون ، لأن الرجل إذا صاح في الحرب يُستَدَلّ على أنه جبان، كأنه يريد ان يتهيّب عدوّه.

وسيوفهم تنطق لأنها تقع على الهام فتتكسِر فيُسمع لها صوت.

وقال الخارزنجي :

خرست أبطاله من الهول. ونطقت السيوف والرّماح، فبيّنت الغالب من المغلوب.

---

[٤٥] جاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء :
يقال: صَلِيهِ وَصَلِيَ به. قال الشاعر:
لم أَكُــنْ مِــنْ جُناتِهــا علــم اللّــ
ـــهُ وإنّــي بحَرِّهــا اليــومَ صــالي

وإن شئت قلت: أراد بالنطق صقل السيوف وأسِنَّة الرّماح.

٣٣ـــ لا يَطْمَعُ المَرْءُ أنْ يَجْتَابَ غَمْرَتَهُ
بالقَوْلِ ما لم يَكُنْ جِسْراً لَهُ العَمَلُ[٤٦]

قال الخارزنجي :

يقول: هذا همام لا يطمع في اجتياب شدّته بالقول ما لم يكن معه العمل. والقائل يقول: أن الجلد القويّ الغالب، يحتاج أن يجعل فعله جسراً الى ذلك ليتمّ له أمره.

ويروَى "أن يجتاز".

وفي طرّة النسخة العجمية: أي: القوم في غمرة لا يعبرونها بالقول دون العمل.

٣٤- جَلّيْتَ والمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ
وَقَدْ تَفَرْعَنَ في أَوْصالِهِ الأَجَلُ[٤٧]

هذا المتن رواية أبي زكريا التبريزي :

و"أوصاله" مفاصله. جمع وصلٍ، وهو كل عظم ينفصل، مثل الفَخذ والكتف.

وقال أبو العلاء :

وروى: "وقد تفرعن في أفعاله الأجل".

صفحة الشيء:[٤٨] جانبه. يقال: أبدى صفحتَه: إذا أمكنه من نفسه.

و"تَفَرْعن": كلمة ليست بالعربية المحضة، وذلك انهم لّما كانوا يسمّون الجبابرة الفراعنة تشبيهاً بفرعون موسى حُمِلت الكلمة على ذلك. فقيل: تفرعن، أي: صار من الفراعنة. واستعار الطائي ذلك للأجل.

قال المبارك بن أحمد :

هذه اللفظة مما عيب على أبي تمام ، ونعي عليه.

---

[٤٦] رواية الصولي "أن يجتاز" بالزاي.

[٤٧] رواية الصولي: "وقد تفرّع في أقطاره الأجل".

[٤٨] العبارة في كتاب التبريزي: "صَفْحه الموت : جانبه".

قال عبدالله بن محمد بن سعيد الخفاجي :

ومثال الكلمة العامية قول أبي تمام ـ وأنشد هذا البيت ـ وقال:

فإن تفرعن مشتقّ من اسم "فرعون" ، وهو مِن ألفاظ العوام. وعادتهم أن يقولوا : تفرعن فلان: إذا وصفوه بالجبروت. آخر كلامه.

قال الجوهري: كلُّ عاتٍ فرعون. وقد تفرعن، وهو ذو فرعنةٍ، أي: دهاء ومكر.

وقال الخارزنجي :

يقال: جَلّى البازي تجليةً : إذا رأى الصيد فَهَمَّ بمساورته. يقول: ربّ مشهد بهذه الصفة أشرفت فيه على أعدائك. والموت قد كشف وجهه، وأتى الأجل بفعل الفراعنة.

ووجدتُ في طرّة النسخة العجمية: "تفرّع في أفعاله". وقال:

تفرّع: تفنّن، وفعل ما شاء فنّاً بعد فنّ.

ورواية الصولي: "وقد تفرّع في أقطاره الأجل".

ويروى "في أوصاله" و"أفعاله". ولم يرد "تفرعن" هرباً منها.

قال الآمدي :

وأنشد قوله: "ومشهد..." و"جليت..." البيتين:

هذا مدح يصحّ أنْ يكون لكل ذي بأس ونجدة كائناً ما كان من الناس. والبيتان جميعاً رديئان. الأول: ردئ من جهة الإعراب. والثاني: من جهة المعنى.

فقوله "بين حكم الذل": لو كان حكم أشياء متفرّقة لصلحت فيها "بين"، غير ان حكم الذلّ والذلّ بمنزلة واحدة. وكذلك حكم العزّ. حتى يقال "وكذا"[49] لأن "بين" إنما هي وسط بين شيئين.[50] وقد ذكرت هذا فيما بينته من خطئه فيما تقدّم.

---

[49] جاء ترتيب الكلام في كتاب الموازنة على الوجه الآتي :

فكما لا يقال بين العزّ فكذلك لا يقال بين حكم العزّ حتى يقال هذا. لأن "بين"...

[50] وجاء في كتاب الموازنة : ١/٢٣٨.

فإنْ قال: إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يَصْلَى بها. فكأنه ذهب بقوله: "بين" الى معنى وسط، أي: مشهد وسط حكم الذل. =

وقوله: "قد تفرعن في أفعاله الأجل": معنى في غاية الركاكة والسخف، وهو من ألفاظ العامّة. وما زال الناس يعيبونه ويقولون: اشتقّ للأجَلِ الذي هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم "فرعون". وقد أتَى الأَجَل على نفس فرعون، وعلى نفس كل فرعون كان في الدنيا.

٣٥- أَبَحْتَ أَوْعَارَه بالضَّرْبِ وَهْوَ حِمىً
للحَرْبِ ينبُتُ فيهِ الرَّوْعُ والوَهَلُ[٥١][*]

ويروى: "أبَحْت أوعاره للضرب وهي حِمىً". و"ينبت فيه الكرب".

ومَنْ روى "وهو" إعاده الى "المشهد" ومَنْ روى "وهي" إعاده الى "اوعاره".

= قيل: وَسط لا يحلّ محل "بين". و"بيْن" لا يحلّ محل "وسط"، لأنك تقول: البئر وسط الدار، ولا تقول: البئر بين الدار. وتقول: المال بيننا نصفين، ولا تقول: المال وسطنا.

والمعنى الذي بنى أبو تمام البيت عليه سياقة لفظِهِ أن يقول: ومشهد بين حكم الذل وحكم العزّ. أو مشهد بين الذلّ والعزّ محجمٌ من يصلاه ـ وهو الذليل ـ أو مُقْدم ـ وهو العزيز ـ جَلّيته وكشفته، وهو يعني الممدوح. فحذف أحد القسمين الذي لا يصلح "بين" إلا به مع القسم الآخر، وجعل قوله: "منقطع" في موضع مُحْجِم. و"متصل" في موضع "مُقْدم".

وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع. وقد أغراه الله بوضع الألفاظ في غير مواضعها من أجل الطّباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل مَنْ إقتدى به.

(٥١) رواية التبريزي "يَثْبُتُ".

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

٣٦ـ آلُ النَّبِيِّ إذا ما ظُلْمَةٌ طَرَقَتْ
كانوا لنا سُرُجاً أَنْتُمْ لها شُعَلُ

٣٧ـ يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كأنَّهُمُ
لا يَيْأَسُونَ مِنَ الدنيا إذا قتِلُوا

٣٨ـ أُسْدُ العَرِينِ إذا ما الرَّوْعُ صَبَّحَهَا
أوْ صَبَّحتْهُ ولكنْ غابُهَا الأَسَلُ

وقوله: "للضرب" ، أي: جعلتها مباحة له يحكم فيها. وقوله "بالضرب": أي: أبحتها بما عملت من الضرب فتجلّت.

قال الآمدي :

"الهاء" في قوله "اوعاره" راجعة الى قوله "ومشهد بين حكم الذل" قبل هذا البيت بأبيات.

٣٩- قَوْمٌ إذا وَعَدُوا أوْ أوْعَدُوا غَمُروا
صِدْقاً ذَوَائِبَ ما قَالُوا بما فَعَلُوا

قال الصولي :

وروى أبو مالك : "مذانب ما قالوا". وروى "يحار الذي قالوا".

"الذوائب": الأعالي. وذؤابة كل شيء: أعلاه. و"المذانب": مجاري الماء.

قال الآمدي :

ذوابة كل شيء: أعلاه. أي: غمروا قولهم حتى استغرقوه بأفعالهم، كأنه يريد ان فعلهم يفضل عن قولهم، ويزيد عليه.

٤٠- تَنَاوَلُ الفَوْتَ أَيْدِي المَوْتِ قَادِرَةً
إذا تَنَاوَلَ سَيْفاً مِنْهُمُ بَطَلُ

قال الصولي :

أي: تناول كل فائت أيدي الموت إذا تناول واحد منهم سيفاً.

وفي طرّة: أي: يقوى الموت بهم ، ويدرك ما فات من الموت بسيوفهم.

وقال الخارزنجي :

يقول: إذا أخذ الشجاع منهم سيفاً أخذت أيْدي الموت الفوت. مثلاً على ان الفائت لا ينال.[٥٢]

---

[٥٢] قال الآمدي في كتابه الموازنة : ١/٢٤٢:
ومن خطأه قوله. وأنشد البيت "تناول الفوت أيدي الموت... البيت".=

٤١- لِيَسْقَمِ الدَّهْرُ أَوْ تَصْحِحْ مَوَدَّتُهُ
فاليَوْمَ أوَّلُ يَوْمٍ صَحَّ لي أَمَلُ

وفي نسخة "تُصْحِح" بضم التاء ورفع "مَوَدّته" أيضاً، و"يُصْحح" بالياء المضمومة و"مَوَدَّتَهُ" منصوبة.

أي: امنت بالممدوح من الدهر، فلا أبالي أن يسقم لي مَوَدَّتَهُ أوْ يصُحّحها. وعلى هذا التفسير ينبغي أن يروى "لِيَسْقِمَ الدّهرُ أو يُصحح مَوَدَّتَهُ". ويكون على إعمال الثاني. وهو أحسن الروايات.

أي: اليوم صحَّ لي أملي به الذي ما زال سقيماً، فليمرض الدهر أو يعافي مَوَدّته.

٤٢- أَدْنَيْتُ رَحْلي الى مُدْنٍ مَكَارِمَهُ
إليَّ يَهْتَبِلُ اللَّذْ حَيْثُ أَهْتَبِلُ

قال أبو العلاء :

يجوز "مُدْني مكارِمه" على الإضافة. و"مُدْنٍ مكارِمَهُ" بالتنوين. وإذا أُضيفت فهو نكرة، لأن إضافة ليست بالمحضةِ. و"يهتبل": يغتنم. و"اللَّذْ" بسكون الذال لغة في "الذي".[٥٣] وهذا نحو قولهم: إذا كانت لي إليه حاجة، فكأنّها له إليّ.

=قوله: "تناوَل الفوتَ أيدي الموت": عويص من عويصاته، وهو أيضاً محال. وإنما سمع قول سعد بن مالك يقول:

هيهاتَ حالَ الموتُ دُو
نَ الفَوْتِ وانْتُضِيَ السِّلاحُ

والفوت: هو النجاة. أي: حال الموت دون النجاة، وهذا صحيح مستقيم، فقال هو: "تناول الفوت أيدي الموت". وهذا محال. لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت، ولا تصلُ إليها. وإلاّ لم تكن نجاة.
وهذا من تقعّره الذي يخرجه الى الخطأ، وإنما قصد الى ازدواج الكلام في الفوت والموت، ولم يتأمّل المعنى والوجه الصحيح قول البحتري :

تَتَدائى الآجالُ ضرباً وطعناً
حينَ يَدْنوا فيشهَدُ الهَيْجاء

[٥٣] وجاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء : =

وقال الخارزنجي :

أي : يغتنم الذي اغتنمه. أي : يرى عطائي الذي أراه غنيمتي غنيمةً. آخر كلامه.

لولا إقامة الوزن لم يحتج الى "حيث". ومع وجودها فلا بدّ لها من عامل فيها محذوف هو صلة "اللّذ".

وفي حاشية النسخة العجمية: أي: هو يغتنم رضاي وأنا أغتنم جدواه.

وفي حاشية س: أي: ينتهز فرصة السؤال، كما أنتهز أنا فرصة النوال.[٥٤]

٤٣ـ يَحْمِيهِ حَزْمٌ لِحَزْمِ المالِ مُهْتَضِمٌ

جُوداً وعِرْضٌ لِعِرْضِ المالِ مُبْتَذِلُ[٥٥]

في طرّة النسخة العجمية :

أي: يصونه حزم أن ينسب الى البخل. أي: هو حازم يكسِر حزم البخل لأن البخل يريد أن يمنع ماله، وهو ينقض حزم البخل ليصون عِرضه.

ويروى: "جذم لجذم البخل". وهو الأصل.

وروى الخارزنجي :

"يحميه حزم لبخل الدهر مهتضم". وقال :

أي: يمنعه من الذم حزم يغلب بخل الدهر جوداً. ونفس لنفس المال مبتذل. أي: يصون عرضه بابتذال ماله. ويستعمل حزمه في الجود وقت بُخل زمانه.

= وقد جاءت في "الذي" لغات. أجودها "الذي" بإثبات الياء. وحُكي: "اللّذِ" بكسر الذال وسكونها. وحكي "اللّذيُّ" بتشديد الياء، وهذا نحو قولهم... الخ.

[٥٤] ذكر الدكتور محمد عبده عزام محقق "ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي" في حاشية الديوان: ويلي هذا البيت بيت ورد في هـ س :

الى ابن خير بني الدنيا الذي حليت

بحلى معروفه الأمنيّة العطل

وقال : وهو ليس عند أبي علي القالي.

[٥٥] رواية الصولي والتبريزي "حزم لحزم البخل".

٤٤- فِكْـــرٌ إذا رَاضَـــهُ رَاضَ الأمُـــورَ بـــهِ
رَأْيٌ تَفَـــنَّنَ فيـــهِ الرَّيْـــثُ والعَجَـــلُ

وفي النسخة العجمية :

أي : إذا راض فكـره راضٍ بـه كل الأمـور رأي يبين فيـه صواب التّأنّي وخطأ العجلة.

وقال الخارزنجي :

له رأْي. أي: تدبير متفنّن: منه الرَّيث ومنـه العجـل. أي: يريـث إذا كـان الريـث أَوْلَى، ويعجل إذا كان العجل أَوْلَى.

وهذا أجود من التفسير الأول.

وهو من قول الآمدي :

أراد ان الرأي يروض الأمور بالفكر. و"تفنّن"، أي: تشعبَ، صار أفناناً.

يقول: يريث في حال إذا كان الريـث أَوْلَى، ويعجـل في حـال إذا كانـت العجلـة أحـزم. فالريث والعجل يصدران جميعاً عنه.

وهذا بيت لفظه غير جيّد ولا شهي.

٤٥- قَـدْ جـاءَ مِـنْ وَصْـفِكَ التَّفْـسِيرُ مُعْتَـذِراً
بـــالعَجْزِ إنْ لمْ يُغِـــثْني اللّـــهُ والجُمَـــلُ

في كتاب أبي زكريا :

قد جاء وصفي لمساعيك معتذراً معترفاً بالتقصير انه لم يبلغ غايتهـا إنْ لـم يغثنـي الله والجُمل دون التفصيل.

قال المبارك بن أحمد :

يجوز أنْ يكون "مِنْ وصفك" متعلقـاً بقوله "معتذراً". ويجـوز أنْ يكـون متعلقـاً بمحذوف دلّ عليه "التفسير"، ولا يعمل فيه "التفسير"، لتقدّمه عليه.

يريد به: الذي فسرت من وصفك. وهو ما تقدّم من ذكر مناقبه.

وروى الخارزنجي :

"مِن وصفك التقصير". وقال:

إنْ لم يغثني الله بالتوفيق لما تستحق من المدح والجُمل لإبلاغي إياك فقد جاء التقصير معتذراً بالعجز من وصفك. آخر كلامه.

يكون "مِن" هاهنا قائماً مقام "عن".

وفي نسخة ص~: "إنْ لم يغثني لديك الود والجُمل".

يقول: تفسيري لأياديك. يعتذر إليك من تقصيره إذ لم يبلغ وصفك إن لم يغثني صحّة ودّي عندك فتعلم انّي لم أقصّر والجُمل من وصفك.[٥٦]

٤٦- لَقَدْ لَبِسْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بها
حَلْياً نِظَامَاهُ بَيْتٌ سَارَ أَوْ مَثَلُ

في طرّة :

"بها"، أي: بالقصيدة. و"نظاماه": سمطاه. أراد: أوّله وآخره. ويقال: بيت أو مثل.

٤٧- غَرِيْبَةٌ تُؤْنِسُ الآدابُ وَحْشَتَها
مَمَا تَحُلُّ على قَوْمٍ فَتَرْتَحِلُ

قال الخارزنجي :

يقول: إذا نزلت بقوم فليست ترتحل عنهم. يعني انهم يحفظونها ولا ينسونها إعجاباً بها.

وفي الكتاب العجمي :

أي هذه القصيدة غريبة المعاني تؤنس أهل الفضل غربتها ووحشتها. فإذا حَلّت بقوم لا ترتحل عنهم لنفاستها وجودتها. يضنون بها.

وفي كتاب أبي زكريا :

الصواب نصب اللام. فاضطر. أي: هي وحشيّة المعاني، فلا يبين غموضها إلا الآداب البارعة والأفهام الثاقبة.[٥٧]

---

(٥٦) الكلام الذي يبدأ من قوله "تفسيري لأياديك... الى نهاية الفَصل" هو كلام الصولي بلفظه ورد في كتابه: "شرح الصولي لديوان أبي تمام": ٢/١٨٩ بتحقيقنا.

(٥٧) اللفظة في مخطوطة الكتاب "الافهام الشافية".

وقال المرزوقي :

يعني القصيدة. أي: قيلت حديثاً، واستيحاشها لغرابتها. وتؤنس الآداب إذا ذكر بها وجُوزي فيها.

وقوله: "فما تحل على قوم فترتحل": يحتمل وجهين: أحدهما: انهم يروونها. فالأيام ـ لجودتها ـ تزيدها عندهم جمالاً. وفيها رغبة حتى لا تُطرح ولا تُهمل.

ويجوز أنْ يكون المعنى: ان معاليهم تُقيَّد بها وتنحصر وتؤلف بها فلا تنتشر. فأعراض الدنيا كلها تبيد وتفنى، وهي على الأحوال والدهور تخلد وتبقى.

ورأيت في نسخة : "تؤنس الآذان وحشتها" جمع أذن. وروى تحته "الآداب". وصحح عليه.

وفيها: "غَرْبِيّة": نسبة الى الغرب. وما أراه شيئاً.

قال المبارك بن أحمد :

عطف "يرتحل" على "تحل"، فنفَى الحلول والارتحال. فعطف مرفوعاً على مرفوع، وذلك لأن الآداب أنست وحشتها فأقامت عندها، فما تحل على قوم غير هؤلاء ترتحل عنهم. ومثله قوله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}.[٥٨] أثبت النون لأنه عطفه على "تدهن"، ولم يجعله جواب التمنّي. وقالوا: وهي في بعض المصاحف بغير نون على الجواب.

ويجوز أنْ يبقَى الحلول، ويجعل "فترتحل" منقطعاً عن الأول ومحدّثاً به، كأنه قال: ما تحلّ فهي ترتحل على كل حال.

ويكون المعنى: انها تسير في الآفاق، وتقطع البلاد، كما قال الأعشى:

وإن عتاق العيس سوف تزوركم
ثناء على أعجازهنّ مُعَلَّق[٥٩]

---

[٥٨] الآية (٩) من سورة القلم.

[٥٩] هذان البيتان من قصيدة يمدح بها المحلق بن خنتم بن شداد بن ربيعة. مطلعها:

أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرّقُ
وما بيَ مِنْ سُقمٍ وما بيَ مَعْشَقُ

أنظر: ديوان الأعشى، ص ١٢٩، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.

بـــهِ تُـــنْفَضُ الأحـــلاس في كـــلِّ منـــزلِ
وَتُعْقَـــــدُ أطـــرافُ الحِبـــال وتُطْلَـــقُ

وقد جمع عنترة بن الأخرس المعنى بقوله:

ألمْ تَـــرَ ان شِـــعري سَـــارَ عَنِّـــي
وشِـــعْرُكَ حـــول بيتـــك مـــا يـــسير

في شرح أبي زكريا التبريزي:

قوله: "ألم تَرَ ان شعري سار عني تقرير له من بيان فضله عليه وسلامة عرضه من فرقه إياه. يقول: ألم تَرَ ان شعرك الذي قلته فيّ لم يعلق بي ذمّةُ لأنه كان كـذباً. وشـعري الذي قلته فيك يطوف حول بيتك لا يفارقك، لأنه كان صدقاً.

ويجوز أن يكون المعنى ان شعري سار عنّي لأن الرواة احتملوه إستجادة له، وشعرك الذي قلتَ فيّ ملازم لك لزهد الناس فيه.

قوله: "فما تحلّ على قوم فترتحل"، أي: لجودتها تداولوها بينهم، فلم ترتحـل عـنهم وأنستها الآداب فأقامت. فهذا ضد قوله: "وشعرك حول بيتك ما يسير". فهذا أبَى لرداءته وتلك لجودتها. وقد روَى بيت عنترة.

ألمْ تَـــرَ ان شـــعرك ســـار عنّـــي
وشـــعري حـــول بيتـــك لا يـــسير

قال عبدالله بن نصر بن شنبويه :

يقول: أما علمت ان شعرك لم يعلق فيَّ. وشعري قد لزمك فكان كـالقلادة في عنقـك لا يسير عنك ولا يفارقك يتناشده النـاس لـصحّة المعنـى وجـودة البنيـة. ومـا قلـتَ هـو سفساف.

وقول أبي زكريا: "الصواب نصب اللام فاضطر": يكون قد نفى الحلول، ولم يرد نفي الارتحال. فخالف الثاني الأول فنصبه. أي: لا تحل على قوم مرتحلة، إذ كيف ترتحل؟

وبعد أن كتبت ما أثبتّه في معنى البيت وقع إليّ جزء لطيف، إختار فيه كاتبه مواضع من كتاب أبي الفتح عثمان بن جني في أبيات الحماسة. وقد أفضى به الى أن قال:

وقد جاء بذلك المحدثون ، قال الطائي:

غريبة تؤنس الآداب وحشتها
فما تَحُلُّ على قوم فترتحلُ

فكان قياسه النصب. وأحد وجهي النصب في قولك: ما تأتينا فتحدّثنا. أي: ما تأتينا محدّثاً. معناه: انك قد تأتينا ولكن لا تحدثنا. فتقديره لو نصب: فما تحلّ مرتحلة. أي: معتقدة للارتحال، منطوية عليه، مقدّرة له. كقولك: مررت برجل معه صقرٌ صائداً به غداً. أي: مقدّراً صيده، وعليه قول الطائي الصغير:

يروم كاتبه منّي مصالحةً
ولم يكن بيننا شرٌّ فنصطلحُ[٦٠]

أي: لم يكن بيننا شرّ نعتقد معه الصلح. وهذا أحسن حالاً من بيت أبي تمام. لأن هذا ينفي الشرّ والصلح جميعاً. فهو مثل: ما تأتينا فتحدّثنا.

وبيت أبي تمام لا ينفي فيه الحلول والارتحال جميعاً كما نفى الطائي الصغير. ألا ترى انه قد أثبت الحلول ولكنه نفى الارتحال. فهذا يوجب النصب على قولك: ما تأتينا، إذا أثبتّ الإتيان ونفيت الحديث.

فبيت أبي تمام صعب المأخذ بعيد التأوّل. وأمثل ما يحتال في أمره: ان يكون قد نفى عنها الإرتحال والحلول جميعاً. فكأنه قال: فما تحلّ على قوم وما ترتحل.

---

[٦٠] رواية الشطر الأول من البيت في الديوان "يُريغ كاتبُهُ صُلْحي لينقُصَني"
وهذا البيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد، مطلعها:

لك الخلائق فينا السَّهلة السُّمُحُ
والنَّيلُ يَسْلُسُ للرّاجي وينسَرِحُ

أنظر: ديوان البحتري: ٢/٢٠٤، دار صادر ، بيروت.

والطريق الى ذلك : انها آنسة بكل قوم تحلّ بهم مقيمة قيامها في أهلها فيهم، فكأنها ليست مرتحلة ولا حالّة، بل هي مقيمة في رَبْعِها، غير منصرفة عن أهلها.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدحه.[1]

١- أَجَـلْ أَيُّهـا الرَّبْـعُ الَّـذي خَـفَّ آهِلُـهْ
لَقَـدْ أَدْرَكَـتْ فِيْـكَ النَّـوَى مـا تُحَاوِلُـهْ[2][*]

قال أبو العلاء :

هذا لا يمكن أن يكون إلاّ على كلام متقدّم. لأنَّ "أَجَـلْ" في معنـى "نعـم" ولا معنـى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام مِن غيرك، فكأنّه إدّعى ان الرَّبْع كَلَّمه وشكا إليـه. فقال له: أجَل أيها الربع.

و"خَفَّ آهله": أي: إرتحل مَنْ (كان فيه). يقال: خفَّ القوم: إذا إرتحلـوا، و"الآهـل"، يعني به: القَطِين والخليط. فلذلك أخرجه على لفظ الواحد.

يقال: أهِلَ الرجلُ، فهو آهل: إذا كان ذا أهل.[3]

٣- أُسَـائِلُكُمْ مـا بَالُـهُ حَكَـمَ البِلَـى
عليـهِ ، وإلاّ فـاتركُوني أُسـائِلُهْ

---

[1] يعني: الخليفة المعتصم.

[2] رواية الصولي "أنجزت" مكان "أدركت".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢ـ وَقَفْـتُ وأحْـشَـائي مَنَـازِلُ للأسَـى
بـهِ وَهْـوَ قَفْـرٌ قَـدْ تَعَفَّـتْ مَنَازِلُـهْ

[3] يرى الآمدي ان هذا البيت ـ المطلع ـ من إبتداءاته الجيدة. ذكر ذلك في الموازنة.

قال ابو العلاء:

إذا رُوي على هذا الوجه فالمعنى صحيح بَيِّن: أي: أسائلُكُم عن خبره، فإنْ كنتم جاهلين بذلك فاتركوني أُسائِله. أي: لا تلوموني على الوقوف والإطالة.

وقوله "أُسائله" موضوع موضعَ الحال ، ولو انه في غير النظم لجاز جزمه.

وقد كان الناس يروون هذا البيت: "أُسائله ما بالـه"، وتكون "الهاء" عائدة على "الربع"، ويتكلمون في المراد بذلك.

وأنشد بعضهم "أَسائِلَهُ" على النداء. وإنْ صحّ أنَّ الطائي قال "أُسائلُه" بالهاء، فله معنى صحيح يستحسن على مذهب الطائي. ويكون "أُسائلُه" في أول البيت من السؤال. و"أُسايلُه" في آخر البيت من السَّيْل. أي: يَسيلُ دمعي ويسيل مطرُه.[٤]

٤ـ لَقَدْ أَحْسَنَ الدَّمْعُ المُحَامَاةَ بَعدَما
أَسَاءَ الأَسَى إِذْ جَاوَرَ القَلْبَ دَاخِلُهْ

قال الآمدي:

"الهاء" في "داخله" راجعة الى الأسى، وهو الحزن، كأنّه حزن دخيل.

يقول: أحسن الدمع المحاماة بأنْ جرى فروّح عن القلب ونفّس عنه بعدما أساء الأسى، وهو الحزن بمجاورته إياه ومداخلته له، لأن في البكاء راحةً وتخفيفاً. وهذا معنى شائع في كلامهم، ومذهب من مذاهب العرب والعجم والناس جميعاً، لأنه معروف بالتجربة. قال امرؤ القيس:

---

[٤] قال الآمدي في الموازنة : ١/٥٤٧.
وأنشد الأبيات: "أجل أيها الربع الذي خف آهله" و"قفت وأحشائي منازل للأسى" و"أسائلكم ما باله حَكم البلى". وقال:
وهذا معنى فيه اضطراب، لأنه قال: أسائلكم فما باله حَكَم البلى عليه وإلا فاتركوني اسائله، فما هذه المساءلة منه أو للربع أن حَكَم البِلى عليه وهو قد قدّم السبب الذي من أجله بكى. وشرحه في البيت الأول بقوله "خفَّ آهله". ويقول: "لقد أدركت فيه النوى ما تحاوله". وهذا هو الذي أبلاه، لأنه فارق أهله. و"تعفّت منازله"، فقد خرب وبلي.

× وإنَّ شفائي عبرةٌ مُهراقـةٌ ×[٥]

وذكر نظائره :

وتكون إساءة الحزن انه لم يأت عليه إذ جاور قلبه ، ولم يبيّن انه محبّ بجزعٍ يظهر أوْ وَلَهٍ.

يقول : فأحسن الدمـع إذا ظهرت المحبّـة وقام بـه العـذر عند مَنْ يهواه.

ومَنْ رواه "الأُسَى" بضم الهمزة فانّه يريد: لقد أحسن الدمع المحامـاة بعـدما أسـاء المساعد الذي يكون أُسوتي في الحزن. ألا تراه يقول بعده:

٥- دَعَـا شَـوْقُهُ يـا نَاصِـرَ الـشَّوْقِ دَعْـوَةً
فَلَبّـاهُ طَـلُّ الـدَّمْعِ يَجْـرِي ووابِلُـهُ[*]

يقول ـ [والكلام للآمدي] ـ

أحسن الدمع وأساء من أن تكون منه المساعدة. وتكون "الهاء" في "داخلـه" راجعة الى "الأسى" في البيت الذي قبل هذا، وهو:

× وقفت وأحشائي منازل للأسى ×

والمعنى الأول هو الصحيح الثبت والجيد المستعمل.

---

(٥) تمام البيت :

وإنَّ شـفائي عـبرةٌ مهراقـةٌ
فهـل عنـد رسـمٍ دارسٍ مـن مُعَـوَّلِ

أنظر: ديوان امرئ القيس ، ص ٣٠ ، دار الفكر : بيروت.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٦ـ يَـوْم تَرِيْـكَ المَـوْتَ في صُـورَةِ النَّـوَى
أَوَاخِـرُهُ مِـنْ حَـسْرَةٍ وأوائِلُـهُ

٧ـ وَقَفْـنَـا علـى جَمْـرِ الـوَدَاعِ عَـشِيَّةً
ولا قَلْـبَ إلاَّ وَهْـوَ تَغْلِـي مَرَاجِلُـهُ

وقال الآمدي في كتابه الموازنة. وانشد :

"دعا شوقه يا ناصر الشوق". و"بيوم تُرِيكَ الموتَ في صورة النوى.." البيتين، وقال:

أراد: ان الشوق دعا ناصراً ينصره فلبّاه الدمع، بمعنى انه يخفف لاعج الشوق ويطفيء حرارته. وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق. والدمع إنما هو حرب للشوق لأنه يثلمه ويتخونه، ويكسر حَدَّه.[٦]

ولو كان ناصراً له لكان يقوّيه ويزيد فيه. ألا ترى انك تقول: قد ذبحني الشوق إليك. فالشوق عدو المشتاق وحربه. والدمع سلمه لتخفيفه عنه، وهو حرب للشوق. وليس بهذا الخطأ خفاء.[٧]

وقد قدّمتُ ذكره في أغاليطه ، وإنما قال البحتري :

إنَّ الدموعَ هي الصّبابة فاطِّرِح
بعض الصَّبابة تسترح بهمولها[٨]

---

[٦] قال الآمدي في كتابه الموازنة: ١/ ٢٢١ بعد كلامه المذكور في المتن. مستشهداً:
كما قال البحتري :
وبكاء الديار مِمّا يَرُدُّ الشَّـ
ـوقَ ذِكراً والحبُّ نِضْواً ضَئِيلا
وقوله "يردّ الشوق ذكراً" أي: يخفّفه ويثلمه حتى يصير ذكراً لا يقلق ولا يزعج كإقلاق الشوق، وقوله "والحبّ نضواً"، أي: يصغره ويمحقه، كما قال جرير:
فلما إلتقَى الحيّان أُلقِيتِ العَصَا
ومات الهَوَى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

[٧] قال الآمدي في كتابه الموازنة بعد ذلك:
وقد تبعه البحتري في هذا الخطإ فقال ينعَى الديار التي وقف عليها.
نصرتُ لها الشوق اللجوج بأدمع
تلاحقن في أعقاب وصل تَصَرَّما

[٨] هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا الحسن عبدالملك بن صالح بن علي الهاشمي مطلعها:
تلك الديارُ ودارسات طُلُولها
طوعُ الخُطُوبِ دقيقها وجَلِيلُهَا
انظر: ديوان البحتري: ١/ ٣٩٠، دار صادر، بيروت

لأن الصبابـة هي رقّة الشوق تنحلّ مع الدمع وتمضي بمضيّه، فلذلك جعـل الـدموع هي الصبابـة للسَّعة. وإنما هي عدوّ للصبابة كالنار التي هي عـدوّ لِمَـا تحرقـه، وهي مع ذلك تنفـذ بنفـاذه وتمضي بمضيّه. وكالريح إذا بدّدت الغيم ومحقته، فانهـا تـذهب بذهابه. وقد قال الشاعر:

أَشـــجاكَ مـــن ليلـــك الطـــول
فالـــدمع مـــن عينيـــك مهمـــول[9]
وهـــو إذا أنـــت تأمّلْتـــه
يجـــري علـــى الخـــدين محلـــول

لـمّا كان الحـزن ينحلّ ويسيل بسيلان الدمع جعله حزناً. ولو جعله ناصـراً للحزن أو جعل البحتري الدمـع ناصراً للصّبابـة لكانا جميعاً مخطئـين، لأن النـاصر للـشيء لا يمحـق الشيء ولا يفنيـه ويذهب بـه. ولكن البحتري تبع أبا تمام في قوله:

نـــصرتُ لهـــا الـــشوق اللجـــوجَ بـــأدْمعٍ
تلاحقـــن في أعقـــابِ وصـــل تـــصرّما[10]

آخر كلامه.

---

[9] أنظر: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: ١/٢٥٨ وهما للحسن بن وهب وقد ورد ثانيهما مـع بيتـين آخرين هما:

إبـــك فمـــا أكثـــر نفـــع البكـــا
والحـــبُّ إشـــفاقٌ وتعليـــل
إفـــزع إليـــه في ازدحـــام الجـــوى
ففيـــه مـــسلاةٌ وتـــسهيلُ

[10] هذا البيت من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبدالله بن طاهر مطلعها:

هُوَيْنـــاكِ مِـــنْ لَـــوْمٍ بحُـــبٍّ تكتّمـــا
وَقَـــصْرَكَ نَـــستَخْبرْ رُبُوعـــاً وأرْسُـــمَا

أنظر ديوان البحتري: ١/٤٠١ ، دار صادر ، بيروت.

الذي أعرفه قبل قوله: "وهو إذا أنت تأملته".

إبــك فمــن أنفــع مــا في البكــا
ان البكــا للوجــد تحليــل

وعلى انهم قد خالفوا ذلك، وهذا من جودة تصرّفهم في المعاني. قال خليفة بن خلف:[١١]

ولـيس الـذي يجـري مِـن العـين ماؤهـا
ولكنّـه نفـسٌ تـذوب وتقطـرُ

فجعل الدمع ذوب النفس، وهذا مما يُباين الأول. وتبعه المتنبي فأساء:

أشـاروا بتـسليم فجـدنا بـأنفس
تـسيل مـن الآمـاق والـسم أدْمُـع[١٢]

وقال المرزوقي : وأنشد :

دعـا شـوقُهُ يـا ناصـر الـشوق دعـوةً
فلبّـاه طَـلٌّ الـدمع يجـري ووابلـه

يجوز أن يكون أراد بـ"ناصر الشوق": دعوة الحزن، لأنه يضرم ناره، ويثير ما كَمَن منه، ويهيج ساكنه. فيكون المعنى هو: ان الشوق دعا حاله واستغاث به، وهو الحزن، فلبّاه ما عليه، وكان خاذله، وهو البكاء. وقد صرّح أبو تمام بهذا المعنى فيما قبله، فانه قال:

---

[١١] لعله يقصد خلف بن خليفة الأقطع، من شعراء العصر الأموي.

[١٢] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

حـشاشة نفـسٍ ودَّعَـتْ يـومَ ودّعـوا
فلـم أدرِ أيَّ الظـاعنين أشـيَّع

وقد مرّ ذكرها.

لقـــد أحـــسن الـــدمع (المواســـاة) بعـــدما
أســـاء الأســـى إذ جـــاوَرَ القلـــبَ داخِلُـــهْ[١٣]

وقد أكثر الشعراء ان البكاء يريح ويخفّف من برح الوجد وألمَ الاشتياق. وقال في أخرى:

واقعـــــاً بالخـــــدود والـــــبردُ فيـــــه
واقـــــعٌ بـــــالقلوب والأكبـــــاد[١٤]

وقد أكثر الشعراء فيه. قال ذو الرمّة :

فقلـــت لـــه ان البكـــاء لراحـــة
بـــه يـــشتفي مَـــنْ ظـــنَّ ألا تلاقيـــا[١٥]

الى غير ذلك مما يكثر. ويحتمل أن يكون أراد بـ"يا ناصر الشوق": يا ناصراً على الشوق. وجاز إضافته على طريقتهم في إضافة الشيء الى الشيء، كان له أو عليه، أو منه أو معه. وهذا مشهور عند أهل العربية. ويكون على هذا الدّعاء والتلبية مثلين، يكون الشوق باعثاً على البكاء وداعياً إليه، ويكون البكاء من توابعه ومسبباته. ومثل هذا قوله في أُخرى:

---

[١٣] كلام المرزوقي في هذا ورد في كتابه "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة" وقد روى المرزوقي في بيت أبي تمام "المواساة" ورواية الصولي والتبريزي والمبارك بن أحمد: "المحاماة".

[١٤] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

ســـــعدت غربـــــة النـــــوى بـــــسعاد
فهـــــي طـــــوع الاتهـــــام والانجـــــاد

وقد مرّ ذكرها.

[١٥] هذا البيت ليس لذي الرمّة، وإنما هو للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً والبعيث مطلعها:

ألم تَـــرَ أنّـــي يـــوم جـــوّ سُـــوَيْقَةٍ
بكيـــت فنـــادتني هنيـــدة ماليـــا

أنظر ديوان الفرزدق: ٢/ ٣٦٠، دار صادر، بيروت.

إســـألنها واجعـــل بكـــاك جوابـــاً

تجـــد الـــشوق ســـائلاً ومجيبـــا[١٦]

قال المبارك بن احمد :

قول الآمدي رحمه الله الذي صدر به تفسير هذا البيت الى قول امرئ القيس، وما ذكر معه من نظائره؛ كلام صحيح في معناه.

والذي بعده الى قوله "وقام به العذر عند مَنْ يهواه" بعيد المغزَى، لأنه جعل إحسان الدمع أنه أَراحهُ، وإساءة الحزن انه لم يأتِ عليه فيقتله، ولم يبيّن انه محبّ بجزَعٍ أوْ وَلَهٍ فناقض. لأن في بكاء المحبّ من الشاهد على الحب ما لا يخفَى، فلا حاجة الى أن يبيّن الحزن ذلك بما يظهر من جَزَع أو وَلهٍ. قال المتنبي:

إذا اشـــتبكت دمـــوعٌ في خُـــدود

تبـــيّن مَـــنْ بكـــا مِمَّـــن تبـــاكى[١٧]

وقال ابو عيينة محمد بن ابي عيينة :

حَتَـــامَ أجحـــد والـــدموع مُقِـــرَّة

يـــا للبريّـــةِ للمقـــرّ الجاحـــد

وقال أبو عيينة أيضاً :

ويـــح المحـــبّ لـــشدّ مـــا هلكـــا

تلقـــاه مكتئبـــاً وإن ضـــحكا

---

(١٦) هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

مـــن ســـجايا الطلـــول ألا تجيبـــا

فـــصواب مـــن مُقْلـــة أن تـــصوبا

وقد مرّ ذكرها.

(١٧) هذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

فِـــدىً لـــك مَـــنْ يُقَـــصِّر عـــن مـــداكا

فـــلا ملـــك إذاً إلاّ فَـــدَاكا

وقد مرّ ذكرها.

في قلبـــــه الأحـــــزان كامنـــــة
فـــــإذا علَـــتْ مقلتيـــــه بكــــى

وأنشد اسحق بن ابراهيم الموصلي:[١٨]

ولمَــــا أراد الحَـــيَ بَيْنـــاً ولم يكـــن
دَرَى أحـــدٌ مِـــنْ بـــين ظميـــاء فـــاجع
أبَـــى الـــدمع أعيـــان الـــصحاح وبيّنـــتْ
مكـــان ذوي الـــشجو العيـــون الروانـــع

وقال محمد بن وهيب:[١٩]

يَــــدلُ علـــــى أنَـــــني عاشـــــق
مـــــن الــــدمع مستـــــشهد نـــــاطق[٢٠]

وأنشدوا :

تكفكـــــف دمعهـــــا كـــــفَ خـــضيب
لتخفيـــــه وهــــل يخفَـــى المريــــب

(١٨) ابن النديم الموصلي: اسحاق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي. أبو محمد ابن النديم. من أشهر ندماء الخلفاء. تفرّد بصناعة الغناء وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام. راوياً للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً. له تصانيف من افراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسي الأصل مولده ببغداد سنة ١٥٥هـ ووفاته بها سنة ٢٣٥هـ وعمى قبل موته بسنتين. نادم الرشيد والمأمون والواثق. قال ثعلب: رأيت لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب، كلها سماعي. أخباره في الفهرست: ١/١٤٠، ووفيات الأعيان: ١/٦٥، وسمط اللآلي: ١٣٧، والأغاني: ٥/٢٦٨، ولسان الميزان: ١/٣٥٠، وتاريخ بغداد: ٦/٣٣٨.

(١٩) محمد بن وهيب الحميري. أبو جعفر. شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية. أصله من البصرة. وعاش في بغداد، وكان يتكسب بالمديح، وكان تيّاهاً شديد الزهو بنفسه، وهو مؤدب الفتح بن خاقان. اختصّ بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم. وكان يتشيع وله مراثٍ في أهل البيت. عاصر دعبلاً وأبا تمام. توفي سنة ٢٢٥هـ أخباره في معاهد التنصيص: ١/٢٢٠، والمرزباني: ٤٢٠، والأغاني: ١٧/١٤٢.

(٢٠) أنظر الأغاني: ١٩/٧٧ ، ط. الدار.

وقد جعل آخر البكاء مما يخفى معه حاله، أنشد المبرد:

ولمّـــــا رأت ألاّ ســــــبيل وانّــــــه
هـــو الـــبين محنـــوّاً عليـــه الأضـــالعُ
تهتـــك عـــن أســـتار قلـــب فاســـبلت
مـــدامع عـــين بينهـــا الـــسِّرُّ ضـــائعُ

ومذاهب الشعراء في افتتانهـم في أشعارهم مختلفة، ولهم مذاهب في كتمان المحبـة حتى عن المحبوب مشهورة تضمّنتها أشعارهم، ما عـدا بعـضهم فانـه أحـبّ الاعـلان بهواه. قال أبو حفص عمر بن عبدالعزيز الشطرنجي:[٢١]

مَـــنْ كـــان يـــزعم أنْ ســـيكتم حبّـــه
حتـــى يـــشكّك فيـــه فهـــو كـــذوب
الحـــبّ أغلـــب للرجـــال بقهـــره
مِـــن أن يـــرى للـــسرّ فيـــه نـــصيب
وإذا بَـــدَا سِـــرُّ اللبيـــب فانّـــه
لم يبـــدُ إلا والفتـــى مغلـــوب
إنّـــي لأَبْغَـــضُ عاشـــقاً مُتَحفِّظـــاً
لم تَتِهَمْـــهُ أعـــينٌ وقلـــوب

وأما ما أراده أبو تمام فانه جعل إحسان الدمع ترويحه عن قلبه وتخفيفـه بعـض مـا بـه، وجعل إساءة الحزن انها أقلقته وأسهرته، وكادت تأتي عليه فجمع بين إحسان الـدمع وإسـاءة الأسى بما ذكرته من تخفيف الدمع عنه وإساءة الأسى بما نال منه.

---

(٢١) ورد في مخطوطة النظام: عمرو بن يزيد الشطرنجي. والصواب هو: عمر بن عبدالعزيز الـشطرنجي، أبو حفص. شاعر علّية بنت المهدي، وكان منقطعاً إليها. وكان غزلاً أديباً ظريفاً، شـغف بالـشطرنج فنسب إليه، وكان أبوه من موالي المنصور، واسمه أعجمي، فغيّره بـ"عبدالعزيز".
أخباره في سمط اللآلي: ١٥٧، والأغاني: ١٩/٩٦، ط بولاق.

وفي نسخة: "دعا شوقَهُ" : (بالنصب). وفيها : استغاث بالدمع فأجابه آخره.

ويجوز أن يكون في "دعا" ضمير العاشق. أي: دعا العاشق شوقَه، فأجابه طلّ الدمع ووابله.

وفي غير هذه النسخة: "دعا شوقُهُ" (بالرفع). وقد تقدّم تفسيره، وهو الصحيح.

٨- وفي الكِلَّـةِ الصَّفْرَاءِ جُـؤْذَرُ رَمْلَـةٍ
غَـدَا مُسْتَقِلاً والفِـرَاقُ مُعَادِلُـهْ

قال الآمدي :

ومما يسأل عنه من معانيه قوله. ـ وأنشد هذا البيت ـ وقال:

فيقال: إذا غدا مستقلاً وعاد له الفراق فقد استقل معه، وإذا مَضَى الفراق بمضيّه فقد بقي الوصال عند مجيئه، إذ كان ذهاب أحد هذين الضدّين إنما هو بوجود الآخر، فما الذي يكنّه حينئذٍ إذا عدم الفراق؟

الجواب: انه لم يذهب الى هذا المعنى، لكنه ذهب الى ان مثل الفراق شخصاً يقصده في محبوبه، ويغلبه عليه، فلهذا قال: "والفراق معادله"، كأنه جعله والياً عليه، ألاّ ترى قوله في موضع آخر:

أتـرى الفـراق يظـنّ انّـي غافـل
عنـه وقـد لمـست يـداه لميـسا[٢٢]

فهذا السبيل سلك في استعاراته الرديئة. وقد أصلحه بعضهم فقال: "والفؤاد معادله".

وقال الآمدي في كتابه الموازنة:

---

[٢٢] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

أقـشيب ربعهـم أراك دريـسا
تقـرى ضـيوفك لوعـة ورسيـسا

وقد مرّ ذكرها.

وأنشد: "وفي الكِلّة الصفراء..." و"تيقّنت ان البين..." البيتين.

قوله: "والفراق معادلـه": معنى غير جيد، ولا صحيح، لأن الفراق هو مفارقة كل واحد من الاثنين صاحبه، فإذا جعل الفراق ماضياً مع أحدهما، وأخلَى الآخر منـهُ كان كأنَّ الآخر غير مفارق. وهذا محال. وإنَّ ما أوقَعَ أبا تمام فيه أنه جعل الفراق كأنه شخص مُسَلَّطٌ على المحبوب، استولى عليه فذهب به.

وقد يستعمل مثل هذا ولكن ليس على هذا الوجه.

والإستعارة التي هي أقرب الى الجواز.[٢٣]

وفي نسخة : "والفراق معاجله".

٩- تَيَقَّنْتُ أنَّ البَيْنَ أوّلُ فاتِكٍ
بِهِ مُذْ رَأَيْتُ الهَجْرَ وَهْوَ يُغَازِلُهُ[*]

وفي طرّة النسخة العجمية:

"به"، أي: بالجؤذر، أو بالعاشق. أي تيقنت ان الفراق أول فاتك بي مذ رأيت الهجر يلاعبه في هودجه.

---

[٢٣] قال الآمدي بعد ذلك ـ والكلام مذكور في الموازنة: ٢/٤١:
والإستعارة التي هي أقرب الى الجواز قوله:

سُعِدَتْ غربةُ النوى بسعاد
فهي طوع الاتهام والإنجاد

وذلك ان النوى إنما هي: نِيّة القوم المفارقين دون غيرهم من المقيمين.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

١٠ـ يُعَنِّفُني أنْ ضِقْتُ ذَرْعاً بِنأيِهِ
وَيَجْزَعُ أنْ ضَاقَتْ عليه خَلاخِلُهْ

رواية الآمدي "يصبرني" وقد أورد الآمدي هذا البيت في كتابه في باب خروج الشاعر من النسيب الى المدح. وهو الخروج الذي كان القدماء يمهدون له بلفظة "فَدَعْ ذا" و"عُدْ عن ذا". ويرى انه خروج حسن.

وهذا يحتاج الى تفسير. وإنما "الهاء" في "بـه" عائـدة الى الجـؤذر، وكـذا "الهـاء" في "يغازله"، أي: يلاعبه. كأنه أراد: انه إذا غازله الفراق وغازله الهجر فقـد ذهبـا معـه. وإذا صحبه الفراق ولاعبه الهجر صار كأنَّ البَيْن، وهو الفراق المذكور أوّل فاتك بـــه، لأنـه أول ما صحبـه. ولو أمكنه أن يقول: "تيقّنت انه"، ويعيد الضمير الى الفراق كان أجود مـن أن يجرده بغير لفظه. وهذا باب له موضع من النحو.

وجعل البَيْن أول فاتك به لأن الهجر وإن غازله فهو أيضاً فاتك به. وإذا لم يحمل عـلى هذا لم يعلم الفاتك الثاني، أو ما فوقه ما هو.

وهذا البيت من تعقيداته، ولم أجده فيما وقفت عليه من شروح شعره.

١١- أَتَتْـــكَ أَمِـــيرَ المـــؤمنينَ وَقَـــدْ أَتَـــى
عليهـــــا المَــــــلا أَدْماثُــــــهُ وَجَراوِلُــــــهْ

قال أبو العلاء :

قال "أتتـك" فأضْمَرَ قبل الذِّكر، وهو يريد الإبـل، لأنَّ الغرض معروف عنـد السامـع. يقولـون: أقبلت وجاءت، وهم يريـدون: الخيـل والسحابـة، ونحـو ذلك.

و"الملا": المُتَّسَع من الأرض. ويجوز أن يكون إستعاره مِنْ مَـلاَ يَمْلُـو: إذا عَـدَا عَـدْواً شديداً. و"ادماثه" جمع دَمْثٍ: وهو المكان السهل.[٢٤].

و"الجراول": الحجارة. ويقال للمواضع التي تكثر حِجارتها: جَرَاوِل.٠

قال المبارك بن أحمد :

الأَوْلَى أن يكون "المَـلاَ": المتّـسع مـن الأرض. وأراد انـه عمـل في لحومهـــا وهزلهـا. و"ادماثــه" بدل منــه. و"الدِّمِثُ" بالكسر: المكان السهل ذو الرمل. و"الـدَّمَث" بـالفتح: المصدر. وجمع المكسور: دِماث. قاله الجوهري.

---

[٢٤] ذكر أبو زكريا التبريزي كلام أبي العلاء هذا في كتابه ولم ينسبه إليه، وجاء بعـده الإستـشهاد الآتـي: ومنه قولهم في المثل:

× دَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ اللَيلِ مُضْطَجَعـا ×

ويرى "قبل النوم". أي: سَهِّل.

١٢- نَـصَرْنَ الـسُّرَى بالوَخْـدِ في كـلِّ صَحْـصَحٍ
وبالــــسُّهُدِ المَوْصُــــولِ والنَّــــوْمُ خَاذِلُــــهُ[٢٥]

قال الآمدي :

"فالهاء" هاهنا في "خاذله" راجعة الى "السُّرَى". والسُّرَى مؤنّثة، كأنه أراد السير فذكّر.

وفي طرّة الكتاب العجمي: "خاذله": :الهاء" للشاعر. وفيها: وصف ليلهنّ كلّه.

وروى التبريزي: "وَصَلْن السّرى".

والأول أكثر وأحسن، لقوله "خاذله".

قال المبارك بن أحمد :

قال الجوهري: "السِّرايةُ" من: سُرَى الليل، وهو مصدر. ويقلّ في المصادر أن يجيء على هذا البناء، لأنه مِن أبنية الجمع. يدلّ على صحّة ذلك ان بعض العرب يؤنّث السُّرَى والهُدَى، وهم بنو أسَد، توهّماً انهما جمع سُرْيَةٍ وهُدْيَةٍ. فدلّ قوله على ان السُّرى مذكّر.

وإذا كان كذلك "فالهاء" في "خاذله" راجعة الى مذكر، ولا حاجة الى ما تأوّله الآمدي.

١٣- رَوَاحِلُنــــا قَــــدْ بَزَّنَــــا الهَــــمُّ أمْرَهــــا
الى أنْ حَــــسِبْنا أنَّهُــــنَّ رَوَاحِلُــــهُ[٢٦]

قال المرزوقي :

يحتمل أن يكون المعنى: هَمُّنا بقصدك. وحرصنا على الوصول الى حضرتك غَلَبَانا على الفكر في الرواحل والإبقاء في السير عليها، فبلغنا مِن جهدنا وإتعابها، ووصلنا السير بالسّرى عليها حدّاً ظنّنا معه أنهنَّ رواحل للهمّ.

---

[٢٥] رواية التبريزي "وَصَلْنَ" مكان "نَصَرْن".

[٢٦] رواية الصولي "الدهر" مكان "الهَمّ".

ويجوز أن يكون أراد بالهَمّ: الغمّ الذي يلحق المسافر، فيكون المعنى: إن اشتغالنا بمقاساة هموم أنفسنا ومعاناة مشتقات تسيارنا أَنْسَانا أمْرَ رواحلنا، حتى قدّرنا انها رواحل الهم.

وفي حاشية الكتاب العجمي :

أي: شدّة همّنا قد حملت الرواحل على السير حتى حسبنا انهنَّ رواحل للقصد لا رواحلنا.

وبعده حَ: رواحلنا جمع "راحلة": وهي الناقة التي تختار للرحيل والركوب. "بزّنا "غلبنا"، و"الهم": هنا: الهِمَّةُ. يقال: له هَمٌّ، أي: هِمَّة.

يقول: الهِمَّةُ هي التي تسوق إبلنا الى الملك حتى حَسِبنا انها هي المطايا.

١٤- إذا خَلَعَ اللَّيْلُ النَّهارَ رَأَيْتَها
بِإرْقَالِها مِنْ كُلِّ وَجْهٍ تُقَاتِلُهْ[٢٧]

قال الصولي :

يقول: تجدّ في السير إذا أقبل الليل كأنها تقابله، لأن سير النهار أحبّ إليها.[٢٨]

وفي الكتاب العجمي :

إذا أخرج الليل النهار، لأن الليل إذا مَضَى فكأنَّ النهار أَخرجه، أي: تُسئد الليل كله، فكأنها تقابل الليل بإسآدها.

وفي الطرّة: "تقابله". قال: وهو أجود.

١٥- الى قُطْبِ الدُّنيا الذي لَوْ بِفَضْلِهِ
مَدَحْتُ بَني الدُّنيا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهْ

---

(٢٧) رواية الصولي والتبريزي "تقابله" بالباء.

(٢٨) شرح الصولي في كتابه مبنيّ على "تقابله". وقد نقل التبريزي شرح الصولي الى كتابه وفيه "تقابله". وقال بعد ذلك: "تقابله" بالباء يدلّ على سير الليل أحبّ إليها بجدّها من الارقال.

قال الآمدي :

في قوله: "الى قطب الدنيا الذي لو بفضله"، هذا تفصيل في غاية الاستقصاء والجودة والحُسْن والصحّة، ولا يقال مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء لقوله: "مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله".

وذكر من معاني البحتري أبياتاً غضّ منه في بعضها:[٢٩]

---

[٢٩] جاء في كتاب الموازنة للآمدي : ٢/ ٣٥١: وهي الأبيات التي "غضّ منه في بعضها"، كما قال المبارك بن أحمد" قال الآمدي:

ومثله في الجودة، بل يزيد عليه ـ قول البحتري في المتوكّل.

يا ابنَ عَمّ النَّبيّ حَقّاً ويا أز
كَى قريشٍ نفساً وديناً وعِرْضا

بِنْتَ بالفضل والعُلُوّ فاصْبَحْـ
ـتَ سماءً وأصبحَ الناسُ أرْضا

ولو قال قائل مثل هذا لغير خليفة لكان قد تجشم أعظم الخطأ، إذ ليس أحد من الناس يطالبه بأن يمدحه هذا المدح، ولا أن يفضله هذا التفضيل.

وقال البحتري أيضاً في المهديّ:

أقرّتْ له بالفضل أمّةُ أحمد
فدان له مُعْوَجُّها وقويمها

والتفضيل الحسن الذي لا غلوّ فيه ـ وكأن قائله قد غلا ـ قول البحتري أيضاً في أبي ليلى الحارث ابن عبدالعزيز بن دلف:

يبين بالفضل أقوام فيفضلهم
مُوَحَّدُ بغريب الذكرِ منفرد

تَوَحَّدَ القَمَرُ السّاري بشُهرته
وأنجُمُ الليل نُثْرُ حوله بَدَدُ

ومثله في الحُسْن قوله في الفتح :

ولمّا جَرى في المجدِ والقومُ خَلْفَهُ
تَنُوّل أقْصَى جُهْدِهِمْ وهو وادِعُ

وهل يَتَكَافا الناسُ شَتّى خِلالُهُمْ
وما تتكافا في اليدين الأصابعُ=

وقال آخِراً: ومِن أجل قول أبي تمام: "الى قطب الدنيا" أجعله والبحتري متكافئين.

هذا لـمّا عَلاَ أبو تمام البحتري في هذا الباب، ووجد البحتري وقع دونـه تكافأ عنـده، فظهر عليه الميل على أبي تمام مع وصفه له لترك الإشادة على البحتري بمـا نَسَبه أكثـر مِن الغُلـوّ في قوله في الحارث بن عبدالعزيز بن دلف:

يَـبينُ بالفـضل أقـوامٌ فيفـضُلُهم
مُوَحَّـدٌ بِغَريـبِ الـذِّكْرِ مُنْفَـرِدُ[٣٠]

تَوَحَّـدَ القَمَـرُ الـسَّارِي بِـشُهْرَتِهِ
وأنْجُـمُ اللَّيـلِ نثـرٌ حَوْلَـهُ بَـدَدُ

١٦ـ مَـنِ البـأْسُ والمعْـروفُ والجُـودُ والتُّقَـى
عِيـالٌ عَلَيْـهِ رِزْقُهُـنَّ شَـمَائِلُهْ[*]

= وهذا كله من عجيب معانيه، ولكنهما في معانيهما حَذْوٌ على قول مَعن بن أوس:

ومـا بَلَغَـتْ كـفُّ امـرئٍ مَتَطـاوِلٍ
يَـدَ المجـدِ إلا حيـثُ مـا نِلْـتَ أطـولُ

ومـا بلـغ المُهْـدونَ في القـولِ مِدْحَـةً
ولـو أكثـروا إلاَّ الـذي فيـك أفـضل

[٣٠] هذان البيتان من قصيدة مطلعها :

يكـادُ يُبْـدِي لليلـى غَيْـبَ مـا أجِـدُ
تَحَـدُّرٌ مِـن دراكِ الـدَّمْعِ يَطَّـرِدُ

ورواية الشطر الأول من البيت الشاهد في الديوان "تنازع المجد أمجاداً ففَاتَهُمُ". أنظر ديوان البحتري: ٦٤٦/٢. طبعة المعارف.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

١٧ـ جَـلا ظُلُمـاتِ الظُّـلْمِ عَـن وَجْـهِ أُمَّـةٍ
أضـاءَ لَهَـا مـن كَوكَـبِ الحَـقِّ آفِلُـهْ

قال الصولي :

يقول: شمائله كأنها تَرزُقُ هذه الأشياء. الواحد: "شمال".[٣١]

وقال الآمدي :

ليس قوام هذه الأشياء إلا به، ولولاه لكانت درست وذهبت، لأنها مجتمعة فيه، فجعل شمائل الممدوح التي هي أخلاقه المشتملة على هذه الخِلال كأنها رزق لها، لمّا لم تذكر إلاّ به، ولم تك لها عادة إلا من أخلاقه. جعلها كالعيال عليه، وجعل ما فيه منها ينبوعاً لها يمدّها، فهو كالرزق لها. فالغرض فيه صحيح على بُعْد، وأظنّه سمع قول جرير في يزيد بن معاوية، فاحتذى عليه:

الحزم والجود والإيمان قد نزلوا
على يزيد أمين اللّهِ فاختلفوا[٣٢]

وهذا أيضاً ليس بالجيد. وقد كان ينبغي أن يجعل هذه الخِلال طبائع له، وغرائز فيه، فأمّا أن يجعلها نازلة عليه مختلفة، ويجعلها ذاك عيالاً، فان هذا من بعيد الإستعارات، وقبيحها، ورديُ المدح.

١٨- وَلاَذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلاَفَةُ وَالْتَقَتْ
علــى خِدْرِها أَرْماحُهُ وَمَنَاصِلُهْ

١٩- أَتَتْهُ مُغِذّاً قَدْ أَتَاها كأَنَّها
ولا شَكَّ كانَتْ قَبْلَ ذاكَ تُرَاسِلُهْ[٣٣][**]

---

[٣١] جاء في كتاب الصولي بعد ذلك :
والشمائل : الخلائق.

[٣٢] لم أجد هذا البيت في ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب.

[٣٣] رواية الصولي والتبريزي "مُعِدّاً" بالعين غير المعجمة والدال.

[**] وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

٢٠ـ بِمُعْتَصِمٍ باللّهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ
عُرَا الدِّينِ والْتَفَّتْ عليها وَسَائِلُهْ =

في طرّة الكتاب العجمي :

أي: عاذت به والتجأت إليه، و"الحقوان": الخصران وما تحتهما، أي: ان الخلافة التجأت إليه فحمَى خِذْرها بمناصله وسيوفه، ومعه أتت الخلافة في حال كان "مُعِذاً" بالعين. و"مُغذاً" بالغين. مسرعاً.

قال الآمدي :

وأنشد يقول: "ولاذت بحقويه... "وواتته مغذّاً..." البيتين:

فالبيت الأول جيد بالغ. والبيت الثاني: في غاية السخف والرداءة. لأنه جعل الخلافة قد أتته، وجعله قد أتاها. وكان ينبغي أن يقتصر على إتيانه إياها، أو إتيانها إياه، وهو أجود. فأمّا أن يجمع بين الحالين فما وجهه؟

وكان ينبغي أن يُعْلِمنا لمّا توجّه كل واحد منهما الى صاحبه، أين التقيا؟ في منتصف الطريق أو غيره!

وقصد هذا الرجل الإغراب في الألفاظ والمعاني، ومن هاهنا فسد أكثر شعره.

= رواية الصولي "عليه".

وللآمدي كلام على هذا البيت ذكره في الموازنة، قال:

وهذا يصلح أن يُقال لِمَنْ له نباهة وديانة وقولٌ بحقٍّ. ولكن خصصه بالخليفة قوله: "والتفّت عليه وسائله". [ولعله محق بذلك، ربما لأنه لا يرى في المعتصم هذه الصفات].

٢١ـ رَعَى اللّهُ فيهِ للرَّعِيَّةِ رَأْفَةً
تُزَايِلُهُ الدُّنيا وَلَيْسَتْ تُزَايِلُهْ

٢٢ـ فأضْحَوْا وَقَدْ فاضَتْ إليه قُلُوبُهمْ
ورحمَتُهُ فيهمْ تَفِيضُ ونائِلُهْ

وقال الآمدي في الموازنة: ومع وصف الخليفة بالتقَى والورع يجب أن يوصَف بالرأفَة والرحمة. فقال: "رعى الله" و"فاضحوا وقد فاضت" فقوله "فاضت إليه قلوبهم" ليس بالجيد لأن هذه اللفظة غير مستعملة في مثل هذا. وإنما يقال ذلك من أجل قوله "ورحمته فيهم تفيض". وقال في الواثق:

فغدوا وقد وثقوا برأفةِ واثقٍ
باللّهِ طائِرُهُ لهم ميمون

وقوله: "ولا شكّ" من سخيف الألفاظ وسفسافها هاهنا. وهي حشو رديء، ليس بالبيت إليه حاجة. والجيد النادر في هذا قول البحتري:

بـــارِكَ اللّـــهُ للخليفـــةِ في المُلْـــ
ـــكِ الـــذي حَـــازَهُ لـــه المِقْـــدَارُ[٣٤]
رُتْبَـــةٌ مِـــنْ خِلاَفَـــةِ اللّـــهِ قَـــدْ طَـــا
لَـــتْ بهـــا رِقْبَـــةٌ لـــهُ وانتِظَـــارُ
طَلَبَتْـــهُ فَقْـــراً إليـــهِ ومـــا كـــا
نَ بـــهِ ســـاعةً إليهـــا افتقـــارُ

آخر كلامه.[٣٥]

---

[٣٤] هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الخليفة المهدي، مطلعها:

أقْـــصِرا إنَّ شـــانيَ الإقـــصارُ
وأقِـــلاّ لـــن يُغْـــني الإكثـــار

أنظر ديوان البحتري: ١/١٢٢، دار صادر، بيروت.

[٣٥] لم يكن هذا آخر كلام الآمدي في الموازنة، فقد أورد أمثلة أخرى من الشعر، منها:
ومثله في الجودة قوله فيه:

سَـــرَتْ تَتَبَغّـــاه الخِلافـــةُ رَغْبَـــةً
إليـــه بـــأوْفى قَـــصْدِها واعتمادهـــا
فمـــا عَلِقَتْـــهُ خَـــبْطَ غاشـــية الـــدّجَى
ولكنهـــا اختارتْـــهُ بَعْـــدَ ارْتيادِهَـــا

فهذه هي المعاني الصحيحة واللفظ السليم والسَّبك الرصين. وما أحسن ما قال سَلْم الخاسر في المهدي:

هَبَطَـــتْ إليـــك مِـــن الـــسماء خِلافَـــةٌ
دَفَعَـــتْ إليـــك زِمامَهـــا وقيادَهـــا

ومثل قول البحتري قول الحطيئة :

أنـــت ألإمـــام الـــذي مِـــن بعـــد صـــاحبهِ
ألقَـــى إليـــك مقاليـــد النُّهـــى البَـــشَرُ=

أغفل القول في الكلام على قوله: "وما كان ساعة إليها افتقار". كيف لا يكون به افتقار إليها وهي تالية النُّبُوّة، ووارثة الرسالة، والمنصب الذي دونه كل ولاية. والمحلّ الذي يقصر عنه كل ولاية. ولقد أحسن عبدالله بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب:[٣٦]

فَعَيْنُ الرِّضا عن كل عيبٍ كليلة
ولكن عَيْنَ السُّخْطِ تبدي المساويا
ولستُ بِرَاءٍ عَيْب ذي الوُدِّ كلَّه
ولا بعض ما فيه إذا كنتَ رَاضِيا[+]

= ما آثَرُوكَ بها إذْ قدّموك لها
لكنْ بك استأثروا إن كانت الأثرُ

وقال ابن هرمة في المنصور :

وما الناس أعطوك الخلافةَ عنوةً
ولكنه مَنْ يُعْلِهِ اللّهُ يَسْتَعْلِي

[ثم عاد الى الإستشهاد بشعر البحتري] فقال: ومن ذلك في الجودة قول البحتري:

اليوم أُطْلِعَ للخِلافَةِ سَعْدُها
وأضاءَ فيها بَدرها المُتَهلِّلُ

...... الخ.

(٣٦) عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. من شجعان الطالبين وأجوادهم وشعرائهم، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أميّة سنة ١٢٧هـ بالكوفة. وبايع له بعض أهلها وخلعوا طاعة بني مروان، وأتته بيعة المدائن، ثم قاتله عبدالله بن عمر والي الكوفة، فتفرّق عنه أصحابه سنة ١٢٩هـ فخرج الى المدائن، ولحق به جمع من أهل الكوفة فغلب بهم على حلوان والجبال وهمذان واصبهان والري. وقصده بنو هاشم كلهم حتى أبو جعفر المنصور. واستفحل أمره، فجبَى له خراج فارس وكورها. وأقام بأصطخر، فسيّر ابن هبيرة الجيوش لقتاله، فانهزم الى شيراز ومنها الى هراة، فقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر أبي مسلم الخراساني: وُضع الفراش على وجهه فمات. وقيل مات في سجن أبي مسلم سنة ١٣١هـ وهو صاحب البيت المشهور (الشاهد): "وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة...". أخباره في: ابن الأثير، حوادث سنة ١٢٧ و١٢٩. ومقاتل الطالبين: ٦١، وابن خلدون: ٣/١٢١، والطبري: ٥/٥٩٩، ولسان الميزان: ٣/٣٦٣، والملل والنحل: ١/٢٦، وسرح العيون: ١٩٣.

(+) هذا التعقيب فيما يبدو للمبارك بن أحمد.

٢٣ـــ وَقَــامَ فَقَــامَ العَــدْلُ في كُــلِّ بَلْــدَةٍ
خَطِيبــاً وأضْــحَى المُلْــكُ قَــدْ شَــقَّ بَازِلُــهْ(*)

في النسخة العجمية :

أي: لَمَّا وَلِيَ المعتصم قام العدل خطيباً يأمر بالنصَفَة وينهى عن الجور، وأضحى الملك مستحكماً بلغ منتهاه وغايته.

ويقال: صار العدل مشهوراً، فكأنه ينطق بلسان، وكان قبل أَخْـرَس. ويقال: قرح الملك بعدما كان صغير السِّنِّ.

وقال أبو العلاء :

قوله: "شَقَّ بازله": كلمة مستعارة من صفة البعير. يقال: شَقَّ بازله: إذا ظهر نابه. فالنَّاب بازل، والبعيرُ بازلٌ.

٢٥ـــ رَضِــينا عَلَــى رَغْــمِ اللَّيــالي بِحكْمِــهِ
وَهَــلْ دَافِــعٌ أَمْــراً وذو العَــرْشِ قَابِلُــهْ(٣٧)(**)

قال الآمدي :

قابله : أي متقبله ، وراض به.

وفي النسخة العجمية: رضينا بحكم الممدوح وعدله وإن رغمت الليالي، لأن حكمها الظلم.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

٢٤ـــ وَجَــرَّدَ سَــيْفَ الحَــقِّ حتَّــى كأنَّــهُ
مِــنَ الــسَّلِّ مُــودٍ غِمْــدُهُ وحَمَائِلُــهُ

(٣٧) رواية الصولي "على حكم الليالي" ورواية الصولي والتبريزي "قائله".

(**) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢٦ـــ لَقَــدْ حَــانَ مَــنْ يُهْــدِي سُــوَيْداءَ قَلْبِــهِ
لِحَــدِّ سِــنَانٍ في يَــدِ اللَّــهِ عَامِلُــهْ

وفي نسخة "على رغم الأعادي". و"ذو العرش قائله" و"فاعله".

٢٧- وكـــم ناكِــثٍ للعَهْــدِ قــد نَكَثَــتْ بــهِ
أمانِيـــهِ واسْـــتَخْذَا لِحَقِّـــكَ باطِلُـــهْ[٣٨]

قال أبو العلاء :

أصل "استخذا" الهمز. يقال: استخذأت له: أي: ذللت. والتخفيف في هذا ومـا يجـري مجراه جائز.

٢٨- فأَمْكَنْتَـــهُ مِـــنْ رُمَّـــةِ العَفْـــوِ رَأْفَـــةً
ومَغْفِـــرَةً إِذْ أَمْكَنَتْـــكَ مَقَاتِلُـــهْ[*]

قال الصولي :

"الرُّمَّة" : الجملة، هاهنا، يقال: أعطيته الشيء بِرمَّتِهِ. وأصله ان رجـلاً أعطـى آخـر جمله بحبله. و"الرُّمَّة": الحبل الخلق.[٣٩] قال الأعشى:

فقلـــت لـــه هـــذه هاتهـــا
بأدمـــاء في حبـــل مقتادهـــا[٤٠]

---

[٣٨] رواية الصولي "بالعهد".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

٢٩ـــ وحَـــاطَ لَـــه الإِقْـــرَارُ بالـــذَّنْبِ رُوحَـــهُ
وجُثْمَانَـــهُ إِذْ لم تَحُطْـــهُ قَبَائلُـــهْ

[٣٩] قال الصولي في كتابه بعد ذلك :
ويروَى: "مِن ذمَّةِ العفو".

[٤٠] هذا البيت من قصيدة مدح بها سلامة ذا فائش بن يزيد بن مرّة بن عريب بن مرثد بن صُريم الحميري. مطلعها:

أجـــدَّك لم تَغْـــتمضْ ليلـــةً
فترقُـــدَها مـــع رقَادِهـــا

أنظر: ديوان الأعشى الكبير، شرح د. محمد محمد حسين، ص ١١٩، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤. وديوان الأعشى، تحقيق فوزي عطوي، ص ٩٥. ورواية البيت الشاهد فيه "فقلنا له".

وقال أبو العلاء :

قوله: "مِن رُمّة العفو": أي: مِن الحبل الذي يُقتادُ به، وأصل "الرّمّة": الحَبْل البالي، إلاّ انهم استعملوه في معنى الرَّسَن. وصار مستعاراً كالمثل. يقال: أخَذَ الشيءَ برمّته: إذا استقصاه.

٣٠ــ إذا مـازِقٌ بالغَـدْرِ حَـاوَلَ غَـدْرَهُ
فَـذَاكَ حَـرِيٌّ أنْ تَئِـيمَ حَلاَئِلُـهُ[٤١]

وروى الصولي :

"حاول غَدْرَةً فذاك حقيق".

وروى الآمدي :

إذا مـا امـرؤٌ بالغَـدْرِ جـاوز عمـره
فـذاك حـريّ أن تئـيم حَلائلـه

وقال: فإنْ شئت كان قوله "جاوز عمره"، أي: جاوز عيش نفسه أو حياته بالغدر. كأنّه يريد: إذا جاوز عمرَ نفسهِ بالغدر فقد عرض عمره للذهاب. ومجاوزته عمر نفسه بالغدر كأنه الإصرار على الغدر والإقامة عليه.

وإن شئت: كان معناه: إذا ما امرؤ بالغدر جاوز عمره، أي عمر الممدوح يريد محلّه وجنابه فذاك حرِيّ أن يئيم حلائله. وهن أزواجه. أي: يصرن أيامَى، لا أزواج لهن.

والأول أجود.

ووجدت في بعض النسخ: "أبغض عمره"، وهي رواية الصولي.

وفيها: "حاول غيره". قال: وهو أجود.

وفي متن النسخة هذه: "إذا مارق بالغَدْر جاوز عَقره"، أي: أصله.

٣١ــ فـإنْ باشَـرَ الإِصـحَارَ فـالبيضُ والقَنَـا
قِـرَاه وأحْـوَاضُ المَنَايـا مَنَاهِلُـهْ

---

[٤١] رواية الصولي والتبريزي "حاول غَدْرَةً".

في طرّة النسخة العجمية:

"الإِصْحَار": البروز الى الصحراء. "باشره": حضره، أخذ من البشرة. أي: وإن خرج الى الصحراء هرباً منك، جعلت قِراه ـ كقِرَى الضيف ـ السيف والرمح، أي: تقتله، ولا يفوت هرباً منك.

٣٢- وإنْ يَبْنِ حِيطَاناً عليه فإنّما
أُولئكَ عُقَّالاتُهُ لا مَعَاقِلُهْ(*)

قال أبو العلاء :

"العُقّالات" جمع عُقّال. وهو داء يعرض للخيل. كأنَّ الفرس في أول جريه يُعقل عن الجري، ثم يزول عنه ذلك.[٤٢]

و"المعاقل": جمع مَعْقِل، وأصل ذلك في الجبل. يقال: قد عَقَل الوعل: إذا حَصَلَ في موضع عالٍ لا يوصل إليه. ثم قيل لكل حصنٍ: مَعْقِل.[٤٣]

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية :

٣٣ـ وإلاّ فأَعْلِمْهُ بأنّكَ سَاخِطٌ
وَدَعْهُ فإنَّ الخَوْفَ لا شَكَّ قَاتِلُهْ

٣٤ـ بيُمْنِ أبي اسحاقَ طالَتْ يَدُ العُلاَ
وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ واشْتَدَّ كاهِلُهْ

قال الآمدي في الموازنة : ١/ ٣٤١:
وهذا بيت جيد. وقد قال قبله: "وأضحى الملك قد شَقّ بازله".

٣٥ـ هُوَ اليُمُّ مِنْ أيِّ النَّواحي أتَيْتَهُ
فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ سَاحِلهْ

رواية الصولي "هو البحر".

[٤٢] ورد كلام أبي العلاء هذا في كتاب التبريزي. وجاء بعده الإستشهاد الآتي:
ومنه قيل لبعض فحول الخيل: ذو العقال. قال الشاعر:

وَتَرَى جيادَ الخيلِ حولَ بيوتنا
مِن نَسْلِ أعوجَ أوْ لِذي العُقّالِ

[٤٣] جاء في كتاب التبريزي بعد ذلك التعقيب الآتي: =

وفي الحاشية العجمية: "عُقّالاته": جمع العُقّالة. وهي ما يعقل رجليه عن المشي. ويجوز "عَقّلانه" بفتح العين. أي: عَاقِلات رجليه.

وأصل العُقّال: داء يأخذ قوائم الخيل في الشتاء.

٣٦- تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتَّى لو أنَّهُ
ثناها لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ

قال الصولي :

ويروي قوم بعد هذا:

٣٧- ولَوْ لمْ يَكُنْ في كفِّهِ غيرُ رُوحِهِ
لجَادَ بها فَلْيَتَّقِ اللّهَ سَائِلُهْ(*)

قال الصولي :

وهذا لزهير.[٤٤] على انه قد قيل أخذه من قول مسلم:

يجود بالنفس إذ ضَنَّ الجواد بها
والجُود بالنفس أقْصَى غاية الجود[٤٥]

= ثم كثر ذلك حتى قيل: فلان مَعْقِلي. أي: الذي أمتنعُ به، وكذلك: سيف فلان مَعْقِلُه، أي: يقوم له مقام المَعْقِل.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٣٨ـ عَطَاءٌ لو اسْطَاعَ الّذي يَسْتَمِيحُهُ
لأصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى وَهُوَ عَاذِلُهْ

(٤٤) يقصد زهير بن أبي سلمى في قوله:

تراه إذا ما جئتَهُ متهللاً
كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

(٤٥) رواية الشطر الأول من البيت الشاهد في الديوان "تجود بالنفس إذ أنت الضَّنِين بها". وهذا البيت من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب. مطلعها:

لا تَدْعُ بي الشوقَ إني غيرُ معمود
نَهَى النُّهَى عن هَوَى الهيف الرَّعاديد=

٣٩ـــ إذا آمِـــلُ رَجَـــاهُ قَـــرْطَسَ في المُنَـــى
بأسْـــــهُمِهِ حتَـــــى يُؤَمَّـــــلَ آمِلُـــــهُ[٤٦]

قال الصولي:

ويروى "إذا آمل ساماه وقرطس في المنى مواهبه".

وقال المرزوقي:

وروى "ساماه" و"قرطس في المُنَى مواهبه".

"الهاء" في "آمله" يجوز أن تعود الى الممدوح، وان تعود الى "آمل ساماه". فأمّـا الأول، فان معنى البيت عليه يكون أن يغني آمله. ويصدّق أمانيـه حتّى يبلغ حـــدّاً يرجـى لـه نوالـه. ويعلق الأمـل به، ومثله قوله في أخرى:

فكـــم نظـــرة أهـــديتها لابـــن نكبـــة
فأصـــبح منهـــا ذو عفـــاف ونائـــل[٤٧]

وقولــه :

× مواهب ليست منه وهي مواهب ×[٤٨]

= أنظر: ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد، تحقيق: د. سامي الدهان، ص ١٦٤، دار المعارف بمصر.

(٤٦) رواية الصولي: "إذا آمل رجّاه قرطس في المنى بأسهمه".
ورواية التبريزي: "إذا آمل ساماه قرطس في المنى مواهبه".

(٤٧) هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

غَـــدَا المُلْـــك معمـــور الحـــرا والمنـــازل
مُنَـــوَّر وحـــفر .لـــروض عَـــذْبَ المناهـــل

وقد مرّ ذكرها.

(٤٨) تمام البيت :

ففـــي كـــل نجـــد في الـــبلاد وغـــ .
مواهـــب ليـــست منـــه وهـــي مواهبـــه

وهذا البيت من القصيدة التي مطلعها : =

وقولـــه :

فأُبْــــتُ مِـــن عنـــده ولـــي رَفَـــدٌ

ينالـــه المعتفـــون مِـــنْ رفـــده[٤٩]

وعلى الوجه الثاني يصير المعنى أبلغ. كأنه أراد: ان آمِله إذا ساماه أغناه وعلّمه الجود والكرم حتى يُؤَمَّل مَنْ يُؤَمَّل ذلك الأمل ويقصده.

وفي طرّة الكتاب العجمي :

"ساماه": أي سما إليه بأمله. و"قرطس": أَصاب القرطاس، وأصله من الرمـي. أي: نِبال المعتصم تقرطس قرطاس الراجي. أي: توصل إليه عطاياه. جعل مواهـب المعتـصم كالنبال. ورجاء الراجي كالقرطاس.

أي: يغني آمله حتّى يعطي غيره. ومنه أخذ المتنبي.

× يُعطي فتعطى من لُهَا يده اللَّهَى ×

آخر كلامه.

قال المبارك بن أحمد :

مَنْ روى "رَجّـاه" و"باسهمـه"، كانت "الهـاء" في "رجّـاه" عائـدة على المعتصـم. وباقي الضمـائـر المـرفوعـة والمجـرورة تعـود على "الآمـل" الأول. أي: ان آملـه يصيب باسهمـه غَـرض المنـى فينـال ما يرجوه منه حتى يُؤمِّل آمله.

=أهـــن عـــوادي يوســف وصـــواحبه

فعزمـــاً فقـــدماً أدرك الثـــأر طالبـــه

وقد مرّ ذكرها.

[٤٩] ويروى "فرحت من عنده" وهذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

مـــا لكثيـــب الحِمَـــى الى عَقِـــدِه

مـــا بـــالُ جَرْعائـــهِ الى جـــرده

وقد مرّ ذكرها.

وما ذكره المرزوقي من الوجه الأول: "ان الضمير في آمله يعود الى الممدوح" لا يصحّ. لأن الآمل إذا رجا الممدوح وقرطس باسهمه في المنى، أو قرطس الممدوح حتى يُؤمل آمِل الممدوح؛ لا معنى له إذا حققته وتأمّلته. وإعادة "الهاء" في "آمله" الى الآمل الأول أوْلى وأبلغ في المدح.

ومعنى قوله: "إذا آمل ساماه قرطس في المنى مواهبَهُ" بنصب "مواهبه". "ساماه"، أي: باراه، أي: بارى الممدوح وعارضه في فعلة الجود. أي: يغني الممدوح آمله حتى يباريه في جوده فيقرطس الآمل في منَى مَنْ يُؤمّله مواهبَه، أي: يثبتها في مناه حتى يُؤَمَّلَ آملُ الأملِ الأول.

وفي هذا المعنى مِن المبالغة أكثر مما في القول الثاني الذي ذكره المرزوقي.

ولا يكون "ساماه" في البيت من قولهم: "فلان لا يُسامي"، أي: لا ينازع في السُّمُوّ، وهو العلوّ، وقد عَلاَ مَنْ ساماه.

٤٠ـ لُهىً تَستَثِيرُ القَلْبَ لَوْلا اتِّصَالُهَا
بِحُسْنِ دَفَاعِ اللّهِ وُسْوِسَ سَائِلُهْ(*)

في النسخة العجمية:

"يستثير": يهيج. و"سُوِس": أراد قوله تعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}.(٥٠) أي: لولا حُسْن دفاع الله عن سائله لتحيّر من كثرة ما يجد مِن عَطَائه.

وفي نسخة: "لُهىً تَسْتَفِزّ القلب"، وآخره "وسْوَس حامله".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٤١ـ إمامَ الهُدَى وابنَ الهُدَى أيُّ فَرْحَةٍ
تَعَجَّلَهَا فيكَ القَرِيضُ وقائِلُهْ

ج

(٥٠) الآية (٧) من سورة العلق.

قال : وذكّر لأنه ذهب الى اللفظ.

٤٢ــ رَجَاؤكَ للباغِي الغِنَى عَاجِلُ الغِنَى
وأوّل يَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ آجِلُهْ

وفي نسخة: أي: "يستغني فلا يحتاج الى العود"

وفي النسخة العجمية :

أي: إذا رُزق باغي الغِنَى رجاءك فقد رُزق عاجل مناه وآجله أول يوم يلقاك فيه. يعني: ان رجاءه إياك أول مناه وآخرها يوم يلقاك.

ويقال: لكل شيء عاجل وآجل. فإذا رجاك كان ذلك عاجل أمنيته، وإذا أتاك كان ذلك آجل أمنيته. لأنه تعطيه من غير عِدة ولا تأخير.

ويقال: تعطيه ساعة يصل إليك بلا تأخير طويل في ذلك.

وكرر، فكتبته على فصّه وحكايته.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدح محمّدَ بنَ عبدِالملكِ الزّيات. وقيل: محمد بن حسّان.[1]

٢ــ بِمُرَوَّقِ الأخلاقِ لوْ عَاشَرْتَهُ
لَرَأَيْتَ نُجْمَكَ مِنْ جَميعِ خِصَالِهِ[*]

[1] هناك اختلاف في اسم الممدوح. فقد ورد في نسخة من نسخ الصولي "وقال يمدحه" أي: يمدح الممدوح في القصيدة السابقة، وهو محمد بن يوسف. وفي نسخة أخرى من نسخ الصولي أكدت حين ذكرت الاسم: "وقال يمدح أبا سعيد" وهو محمد بن يوسف، أما التبريزي فقد ذكر انه يمدح محمد بن عبدالملك. وفي نسخة من ديوان شعر أبي تمام: "وقال يمدح محمد بن حسان الضَّبّي".

[*] ورد قبل هذا البيت في القصيدة البيت الآتي ، وهو المَطْلع:

١ــ بِمُحمّدٍ صَارَ الزّمانُ مُحَمّدا
عِنْدي واعْتَبَ بَعْدَ سُوءِ فِعَالِهِ

قال ابو العلاء :

أي: كأن أخلاقه قد رُوِّقَتْ. أي: صُفِّيَتْ، كما يُرَوَّقُ الشراب.

ويروى: "بمهذب الأخلاق". ويروَى: "في جميع خصاله".

٣- مَـــنْ وَدَّنــــي بِلِــــسَانـهِ وبِقَلْبِــــهِ

وأنالَنــــــــي بيَمينِــــــهِ وشِــــمَالِهِ

قال ابو العلاء :

هذه أجود الروايتين. لأنَّ معناها بَيِّن. ولفظها مستقيم.

ومَنْ روَى "أمالني" بالميم، فلها وجه. لأنه يقال: مُلتُ الرجل وأَمَلْتُه. إذا أعطيتَه المال.

وفي نسخة: "وأمالني" ، أي: الى نفسه.

روى الآمدي :

مَـــنْ ودّنـــي بلـــسانه وبقلبـــه

فـــوداده بيمينــــه وشمالــــه

وقال: أي: مَنْ ودّني من الناس بالكلام أو بالنيّة التي لا فعل معها فوداد هذا الرجل ـ المدوح ـ بيمينه وشماله. أي: يودّني بالعطاء وكثرة النائل، فهو يعطيني بيمينه وشماله.

وفي الحاشية ، بخطّ يحيى بن محمد بن عبدالله الارزني: الرواية:

مَـــنْ ودّنـــي بلـــسانه وفـــؤاده

وأمـــالني بيمينــــه وشمالــــه

وهذا كلّه عائد الى الممدوح. وهو أبلغ وأحسن.

قال المبارك بن أحمد :

هذه الرواية التي فيها: "مَنْ ودّني بلسانه وبقلبه، وأنالني أو أمالني"، هي الرواية الحسنة، لأنه جمع له بين المودّة باللسان والقلب. وهو أصحّ الوُدّ، لأنه ربما ودّ الإنسان صاحِبَه بقلبه، ولا يودّه بلسانه.

قال الأحوص:[٢]

فَمَــن كــان لا يعــدُو هــواه لِـسَانَهُ
فَقَــدْ حَــلَّ في قلــبي هَــوَاهُ وخَيَّمــا[٣]
ولــيس بتزويــق اللــسان وَصَــوْغِهِ
ولكنَّــه قــد خــالَطَ اللحــم والــدَّما

وقابله بمثله عدداً فقال: "وأنالني بيمينه وشماله"، وهما اللّتان يقع بهما العطاء، كما يقع الودّ باللسان والقلب، ويقوّي ذلك قوله بَعْدَه:

٤- أَبَــداً يُفيــدُ غرائبــاً مِــنْ ظَرْفِــهِ
وَرَغائبــاً مِــن جُــودِهِ وَنَوالِــهِ[٤][*]

---

[٢] هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة. شاعر هجّاء من طبقة جميل ونصيب. وكان معاصراً لجرير والفرزدق، وهو من سكان المدينة، وفد على الوليد بن عبدالملك في الشام فأكرمه، ثم أمرَ بجلده ونفيه الى (دهلك) في اليمن لسوء سيرته. ثم أطلقه يزيد بن عبدالملك. ولقّب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه. توفي سنة ١٠٥هـ أخباره في الشعر والشعراء: ٢٠٤، وخزانة الأدب: ٢٣٢/١، والذريعة: ٣١٩/١، والموشح. ٢٣١.

[٣] رواية البيت الأول في الديوان:

ومَــنْ كــانَ لا يعــدو هــواه بلــسانه
فقــد حــلَّ في قلــبي هَــوَاكَ وخَيَّمــا

وهذان البيتان من مقطوعة مطلعها:

أَكَلْــثمُ فُكِّــي عانيــاً بِــكِ مُغْرَمــاً
وشُــدِّي قُــوَى حبــلٍ لنــا قَــدْ تَــصَرَّما

أنظر شعر الأحوص الأنصاري، جمع عادل سليمان جمال، ص ٢٢٥. الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

وقال أبو الفرج في الأغاني: ٢٨٦/١ بعد ان ذكر الأبيات.

"الشعر للأحوص. وقيل : انه لسعيد بن عبدالرحمن بن حسان".

وورد هذان البيتان في الأغاني أيضاً: ٢٧٩/١ منسوبين لعمر بن أبي ربيعة.

[٤] رواية الصولي "تفيد" ورواية التبريزي "يفيد".

[*] ورد بعد هذا البيت في المقطوعة البيتان الآتيان، وبهما تختتم: =

والعرب تقول: ان الظّرف في اللسان.

وقال الجوهري: الظّرف: الكياسة.

وفي نسخة: "أبداً تفيد" بالتاء. أي: تستفيد.

وفي نسخة بعد قوله: "مَنْ ودّني بلسانه" قوله:

لــــك شـــاهد في وَجْهِـــهِ بـــل حَـــالِفٌ
متـــــسرع إنَّ العُـــــلاَ مـــــن بالِـــــهِ

وقال: أي: يسرع الحَلِفَ.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدح الحسن بن وهب، ووجّه بها إليه من الموصل.

١ـــ لَـيْسَ الوُقَــوفُ بِكُــفْءِ شَــوْقِكَ فَــانزَلِ
تَبْلُـــــلْ غَلِـــــيلاً بالـــــدُّموعِ فَتَبْلِـــــلِ

قال أبو العلاء :

يقول: شوقك أعظم، أن يكون وقوفك كُفُواً له، فـانزلْ بمطيّتـك في هـذا الربـع لأنـه يستحق أن يُنزَل فيه.

و"تُبْلِل": مِن أَبِلّ المريض: إذا بَرَأَ. يقال: بَلَّ وأبَلَّ. فإنْ قِيل: "تَبْلُل" بفتح التاء فَحَسنٌ. لأنه يُحمل على "بَلَّ".

ويروى "فَتَبْلِل" كأنه رده الى العليل. وهو حُرْقَة القلب.

وفي نسخة: "يكفُّ شَوْقك".

= ٥ــ وَسَــأَلْتَ عَــن أمْــرِي فَـسَـلْ عَــنْ أمْــرِهِ
دُونــــي فَحَــــالي قِطْعَــــةٌ مِــــنْ حَالِــــهِ

٦ــ لَـــوْ كنـــتَ شاهِـــدَ بَذْلِـــهِ لَـــشَهِدْتَ لـــي
بوِرَاثَـــــةٍ او شِـــــركَةٍ في مَالِـــــهِ

والأول المشهور.[1]

٢- فلَعَـــلَّ عَبْـــرَةَ سَـــاعَةٍ أَذْرَيْتَهـــا
تَـــشْفِيكَ مِـــن إربـــابِ وَجْـــدٍ مُحْـــولِ

قال الصولي :

إربّ بالمكان ، يربُّ إربابا: إذا أقام به.

يقول: لعل بكاءك ساعة يشفيك من إقامَةِ وَجْدٍ بقلبك[2] مدخول.[3]

٣ـــ وَلَقَـــدْ سَـــلَوْتُ لَـــو انّ داراً لم تَلُـــحْ
وَحَلُمْـــتُ لَـــو أنَّ الهَـــوَى لم يَجْهَـــلِ[4]

٤ـــ وَلَطَالَمـــا آســـى فُـــؤَادكَ مَنْـــزِلاً
وَمَحِلَّـــــةً لِظِبَـــاءِ ذَاكَ المَنْـــــزِلِ[5]

قال الآمدي :

أي: سلوتُ لولا ان الدار لاحت وبانت رسومها فهاجت شوقي، وحلمتُ لولا جهل الهوى.

---

(١) قال الآمدي في الموازنة: ١/ ٤٣١. وأنشد البيت:

لـــيس الوقـــوف يكـــفُ شـــوقَك فـــانزل
وابْلُـــلْ غليلَـــكَ بالمـــدامع يُبْلَـــلِ

قال: وهذا معنى ظريف. وقد جاء مثله في الشعر. قال الأصم الباهلي ـ واسمه عبدالله بن الحجاج ـ ولا أعرف غيره. وأظن أبا تمام عثَرَ به واحتذى عليه، لأنه كان مولعاً بغرائب الألفاظ والمعاني:

أتنـــزلُ اليـــومَ بـــالأطلالِ أم تَقِـــفُ
لا بـــل قـــفِ العـــيسَ حتّـــى يَمْـــضِي الـــسَّلَف

السلف: الذين تقدموه، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطيّ، ولا يكادون يذكرون نزولاً.

(٢) في كتاب الصولي "عليك" مكان "بقلبك".

(٣) ذكر التبريزي كلام الصولي هذا بأغلب لفظه في كتابه ولم ينسبه إليه.

(٤) رواية التبريزي "سلوتَ" و"حلمتَ" للمخاطب.

(٥) رواية الصولي والتبريزي "أمسى" مكان "آسى".

فقولــه: "ولطالما آسى فؤادك منزلاً". أي: لطالما كانـت أسـوةً لـه في ان كـان مركبـاً ومحـلاً لظبائه. أي: للأحباب الذين كانوا يحلّونه. لأن قلبي لم يكن يخلـو مـنهم لـشدّة وجده، وتعلقه بهم، وكان محلاً لهم. كما ان المنزل كان محلاً لهم.

وفي الطرّة بخطّ يحيى بن محمد الأرزني:

الرواية "أمسى"، و"آسى" في هذا الموضع بعيد عن الحلاوة.

وفي نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث :

الرواية "سلوتَ". وروى: "لو ان الهوى لم يحول"، لأن عليه حَـوْل. وهـذا أبعـد مـن "آسى" في الحلاوة.

٥ــ إذْ فيــهِ مِثْــلُ المُطْفِــلِ الظَّمْــأَى الحَــشَا
رَعَــتِ الخريــفَ ومــا القَتُــولُ بِمُطْفِــلِ

قال أبو العلاء :

"المطفل": الوحشية التي معها ولدها. وأراد بـ"الظَّمْأَى الحشا": الخميـصةَ الـبطن. أي: ليست بمنتفخة القُرْبين. وهم يستحسون الوحشية إذا كان معها طفلها كما قـال امرؤ القيس:

× بناظرة من وحش وجرة مطفل ×[٦]

فالمعنى : ان هذه الموصوفة كأنها وحشية مطفل، وليست بذات طفل، لأن المرأة إذا لم تلد كان أفضل لها في النعت.

و"القَتُول" في هــذا الشعر يجوز أن يكون اسم المرأة. ويجوز أن يكون صفة لها.

---

[٦] تمام البيت :

تــــصدّ وتُبــــدي عـــن أســـيل وَتَتَقـــي
بنـــاظرةٍ مـــن وحـــش وجـــرة مطفـــل

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة التي مطلعها: "قفا نبك مِن ذكرى حبيب ومنزل". أنظـر: شرح ديوان امرئ القيس، ص ٣٤، دار الفكر للجميع، بيروت.

وفي نسخة : "وما البتول بمطفل". وهي التي لم يمسّها أحد.

٦- إنّـــي امْـــروٌ أسِـــمُ الـــصَّبَابةَ وَسْـــمَها
فَتَغَزُّلـــــي أبـــــداً بِغَيْـــــرِ المُغْـــــزِلِ[٧]

قال الصولي :

يقول: لا أضع الحبّ إلا في موضعه. "بغير الغزِل"، أي: بمَنْ لا تتغزّل بغيري.

وقال المرزوقي :

"أَسِمُ الصَّبابة وَسْمها": أي: أضعها موضعها. أي: لا أُشبب بالمطفل وإنما أميل الى الأبكار.

وقال أبو العلاء :

أي: أضع الصّبابة في موضعها، فلا أُحبُ إلاّ مَنْ يستحقّ ذلك. ولا أتغـزّل إلا بـأمرأة لا ولد لها. وكنّى بـ"المُغزِل": وهي التي معها غَزالَها عن ذات الطفل من الإنس.

ويحتمل المعنى: بغير المغزل ، ولغير المغزل. بالباء واللام.

٧- عَـــالِي الهَـــوَى مِمّـــا تُعَـــذّبُ مُهْجَـــتي
أَرْوِيَّـــــةُ الـــــشَّعَفِ الـــــتي لم تُـــــسْهِلِ[٨]

قال الصولي :

"اروِيّــة": أنثــى الوعــل. والجمــع "أراوي". و"الــشَّعَف": أعــالي الجبــال. والجمــع "الشعاف".

"عالي الهوى" يقول: أسمو بهواي الى مَنْ يمتنع كامتنــاع هــذه الارويّــة التــي تنــزل الجبال، ولا تسهل.

وروى المرزوقي: "مما يرقِّصُ هامتي". وقال:

---

[٧] رواية المرزوقي "وتغزّلي".

[٨] رواية الصولي "غالي الهوى" بالغين المعجمة.

"عالي الهوى"، أي: لا أهوى إلا العزيز الممتنع الذي إذا طلبته عنّاني، وأتعبني، كأنه اروية في رأس جبل لا تصير الى السهل.

و "اروية" مرتفع بالإبتداء. أي: مما يرقّص هامتي هذه.

قال أبو العلاء:

وبعضهم يروي "مما يرقص هامتي". أي: يلعب بعقلي حتّى يرقص مني هامتي. وهذه الرواية أشبه بمذهب الطائي، لأنه يؤثر الإستعارة.

وروى الخارزنجي: "غالي الهوى مما يرقِّصُ هامتي". وقال:

عشقي غال، غير رخيص. أي: أسمو الى الشريفة التي لا تطمعني نفسي بها لشرفها، لأنها في النفار كالاروية.

وفسّر ما بعدها بنحو مما فسروه.[9]

٨- شَاكِي الجَوَانِحِ مِنْ جَوَانِحِ ظَالِمٍ
شَاكِي السِّلاحِ الى المُحِبِّ الأَعْزَلِ[10]

قال الصولي:

ويروى "مِن خلائق ظالم".

"شاكي السلاح": يعني هواه على المحبّ الأعزل، يعني نفسه. و"الأعزل": الذي لا سلاح معه، يقول: معه سلاحه، أي: حسنه، وأنا أعزل.

٩- تُرْدِي ولمْ تُبْلِغْكَ آخِرَ سُخْطِهَا
والسَّمُّ يَقْتُلُ وهْوَ غيرُ مُثَمَّلِ

---

[9] قال التبريزي في كتابه: ٣/٣٣:
أسمو بهواي الى المواضع المُنِيفة، ولا أرضى أن أجعله في المواطن المنخفضة. كأنّه يدَّعي انه يَعْلَق وَجْدَه بذوات الشرف والعِزّ. وكنى عن مراده بالاروية، لأنها تكون في شعاف الجبال ورؤوسها. وطَلَبُ الارويّة أشَقّ مِن طلب ظبية السهل.

[10] رواية الصولي والتبريزي: "على المحب الأعزل".

قال الصولي :

وروَى أبو مالك "تردي ولم تبلغك أقصى سخطها".

ويروى: "ولم تعلقك".

يقول: تقتل بأول غضب وسخط، ولا تبلغك الى آخر سخطها، كما ان السُّمَّ قد يقتل من غيرِ أن يُنقع ويُثمّل بأول حالاته.

وقال أبو العلاء.

إذا رويتَ "تَرْدِي" فهو خطاب للسامع. والمعنى: تَهْلِك. ومَنْ روى: "تُرْوى" بضم التاء، فالمعنى: تُهْلِك. ويجعله إخباراً عن المرأة.[١١]

وروى: "ولم تبْلِغْك آخرَ سُخْطِها"، يقول: هذه المرأة تقتل بقليل سخطها، كما ان السّمّ قد يجوز أن يقتل وإن لم يبلغ الغاية في إحكامه.

ولا معنى لقوله "بقليل سخطها". والمعنى ما ذكره الصولي.

١٠- قَدْ أَثْقَبَ الحَسَنُ بنُ وَهْبٍ في النَّدَى
نـاراً جَلَتْ إنْسَانَ عَيْنِ المُجْتَلي

١١- مأدُومَةً للمُجْتَدِي مَوْسُومَةً
لِلْمُهْتَدِي مَظْلُومَةً للمُصْطَلِي

قال الصولي :

"مأْدومَةً": أي: مخلوطة. أي: هي مجمع للمجتدي بِشراً وغنىً وشرفاً. "موسومة": أي: معروفة لِمَنْ أراد أن يهتدي بها ويقصدها. "مظلومة": أي: هي ليست للإصطلاء، وإنما هي للغِنَى، ولو كانت للإصطلاء لكانت في البيوت. و"الظلم" في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه.

---

[١١] جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء ما يأتي:
وسَمٌ مُثمَّل: أي: قد عُمِل وتُرِك حتى يجود. يقال: ثمَّلَهُ تثميلاً. ويقال: سَمٌّ ثميل.

وقال الآمدي:

قوله "مأْدومة للمجتدي": أي يجد عندها القِرَى والجدوى. وقوله: "موسومة للمهتدي"، أي: ان كل أحدٍ يراها على بُعدٍ لِعظمها. وانهم يعتمدون إيقادها لهذه الحال، وليهتدي إليها كل طارق. وقوله: "مظلومة للمصطلي": أي: لم توقد للإصطلاء، وإنما أُوقدت للقِرَى والكرم، فلهذا جعلها مظلومة. أي: مَنْ اصطلى بها فقد وضع الأمر في غير موضعه. لأن "الظلم" هذا حقيقته في كلام العرب: هو وضع الشيء في غير موضعه. مِنْ قول النابغة:

× بالمظلومة الجلد" ×[١٢]

وقال أبو العلاء :

أثقب النار: إذا أضاءها. يقال: ثَقَبَتْ هي وأثْقَبَها غيرُها. و"مأْدومة"، أي: كأنها قد خلط بها الأُدْم.

والمعنى: انَّ الأضيافَ يَقْرَوْن عندها فيؤدم لهم الطعام. و"موسومة": تُعْرف وتُمَيَّز. و"مظلومة للمصطلي": كل هذه أمثال واستعارات، وإن لم يكن ثمَّ نار.

وهذا يحتمل وجوهاً كثيرة، منها: انه يظلم ماله للسائل فيعطيه منه أكثر مما يجب. وبقيّة الوجوه تجري هذا المجرى.

وكأنه جعل النار تُذَلَّل للمصطلي، وكأنها تُظلم بذلك، أو يأخذ منها قبساً فينقصها به، وهو نفع له وإدفاء.

---

(١٢) تمام البيت :

إلاّ الأواريَّ لأْياً ما أُبيِّنُها

والنُّؤْيَ كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

هذا البيت من قصيدة يمدح بها النعمان ويعتذر إليه عما رماه به المنخل اليشكري مطلعها:

يا دار مَيّةَ بالعلياءِ فالسند

اقوت وطال عليها سالفُ الأبدِ

أنظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، ص ٣٠، دار صادر، بيروت.

وهذا أقرب الأقوال في معنى هذا البيت.

وقال الخارزنجي :

يقول: هذه النار المرفوعة له هي لِمَنْ يجتديه، جامعة إطعامٍ مأدوم، مُعْلِمةٌ لِمَنْ يقصدها من الطُّرَّاق. يعلمون انها لهم رُفِعَت. وانها لِمَنْ يصطليها مظلومة، واحاطتهم بها من كل وجه.

وقالوا في قوله عليه السلام: "واعلموا انكم معروضون على أعمالكم": يجوز أن يكون قد جعل أعمالهم كأنها هي التي تجازيهم. وانَّ الفعل لها. والحكم إليها، لأن الجزاء يومئذٍ بحسبها يكون. فجعل ما هو سبب الجزاء مجازياً على طريق المجاز والإتّساع، كما يقال للظالم: ظلمه أهلكه. والعادل: عَدْله أنجاه.

قال المبارك بن أحمد :

لَمّا كثرت مصاحبة ناره لما يُؤْدَم، وطالت ملابستها له سمّاها باسم ما هو من سببها على الإتساع. كما قالوا: "وُلِدَ له ستون عاماً"، فأسندوا الفعل الى "الستين" لَمّا كانت الولادة فيها. وكذلك هذه النار: لَمّا كان الإدام فيها وبها اسند الفعل إليها.

وأوضح من هذا: أنْ تجعل النار نفسها تؤدم. أي: تُطْعَم الوقود لأجل المصطلي. فجعل الوقود لها كالإدام. وقد قال عدي بن زيد:[١٣]

رُبَّ نارٍ بِتُّ أرمُقُها
تَقْضم الهنديَّ والغارا[١٤]
عندها ظبيٌ يؤرِّثها
جاعل في الجيد تقصارا

---

[١٣] ذكرنا له ترجمة في صفحات هذا الكتاب.

[١٤] أنظر الأغاني: ٢/١٤٧. يتقدم هذان البيتان بيت هو :

يا لُبَينى أوقدي النارا
إنَّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حارا

وجاء في الأغاني "عاقد" مكان "جاعل".

وكرره عَديّ فقال :

وأحـــور العـــينِ مربـــوبٍ لـــه غُـــسَنٌ
مُقَلَّـــد مـــن جَنَـــاح الـــدُّرِّ تَقْـــصَارا

قـــد أصـــطلي نـــاره حينـــاً ويـــضرمها
إذا خَبَـــا ضـــووُها الهنـــديَّ والغـــارا

"الغُسَنُ" خُصَل الشّعر من العرف والناصية والذوائب.

ويجوز أن يكون "مأدومة" بمعنى: آدِمَةٍ. أي: تأْدِمُ المجتدي بما يلقَى عليها مـن أدم. وقد جاء (مفعول) بمعنى (فاعل). قالوا في قوله تعالى: {انّـهُ كـان وَعْـداً مأْتيّـا}.[١٥] أي: آتياً. كما قالوا "حجاباً مستوراً"، أي: ساتراً.

والوجه الأول أوْلى للإزدواج لفظاً ومعنى.

ويجوز أن تحمل "مأدومة" على ظاهرها مجازاً. أي: هي مأكولة، كما قـال بعـض المحدثين.

النـــارُ فاكهـــة الـــشتاء فمَـــنْ يُـــرد
أكْـــلَ الفواكـــه شـــاتياً فليمطـــلِ

ان الفواكـــــه في الـــــشتاء شَـــــهِيَّةٌ
والنَّـــارُ للمقـــرور أفـــضل ماكـــلِ

١٢ـــ مـــا أنْـــتَ حِـــيْنَ تَعُـــدُ نـــاراً مَثْلَهَـــا
إلاّ كتـــــالي سُـــــوْرَةٍ لمْ تُنْـــــزَلِ

قال الصولي :

أي: إن عدلت بنَارِه ناراً، فأنت تكذب. وإن زعمت ذلك.

١٣ـــ قَطَعَـــتْ الى الـــزَّايِيْنِ هِبَاتُـــهُ
إلْثَـــاثَ مـــأْمُورِ الـــسَّحابِ المُـــسْبِلِ

---

[١٥] الآية (٦١) من سورة مريم.

قال ابو العلاء :

"الزابيان" اسم يقع على موضعين متصلين أو متقاربين، كما يقال: أبانان والشُّعبتان. وأصل "الزَّبْي": الحَمْل.

و"الإلثاث" من قولهم: ألَثَّ السَّحابُ: إذا دام مطره.

و"مأمور السحاب": يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون أمره اللّهُ بالمطر. من الأمر. والآخر: أن يكون من قولهم: مُهْرَةٌ مأْمورة. أي: كثيرة الولد، مُبَارِكة.

قال المبارك بن احمد :

هذا أحد القولين في المهرة المأْمورة، وقد جاء في الحديث: "خيرُ المال مهرةٌ مأمورة وسكّة مأبورة".[١٦]

فقالوا: أمرته وآمرته: لغتان. بمعنى: كثَّرتُه. قاله أبو عبيد.[١٧] قالوا: ولم يَقُلْه أحدٌ غيره.

وقالوا في "المأْمورة" إنما أتى بها للإزدواج. والأصل "مُؤمَرة" على (مُفْعَلةٍ).

والذي قاله الصولي.

أراد ان هباته تقطع الزابيين إليه من بغداد الى الموصل، وتدوم دوام هذا المطر المأْمُور بالهطل.

ولم يذكر غيره. وهو أوْلى لعدم الخلاف في المأْمور بمعنى: الكثرة.

١٤- مِنْ مِنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ
بِكْرٍ وإِحْسَانٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ

قال الخارزنجي:

أي: هي مشهورة في المِنن، لا توازيها مِنّة. وليس لها أخت من غيره، وإحسان متشاهر متعالم.

---

(١٦) اللسان مادة "أبر". نقلاً عن النهاية لابن الأثير.

(١٧) جاء في اللسان: قال أبو عبيد: آمرته وأمَرْتُهُ: لغتان، بمعنى: كَثَّرْته. مادة "أمر".

وقوله "بكر": أي: هي أول صنيعة صنعها إليّ. ويجوز أن تكون بكراً بالإضافة الى صنائع غيره.

١٥– وَلَقَدْ رَأَيْتُ وما رَأَيْتُ كَوَارِدٍ
والخُمْسُ بَيْنَ لَهَاتِهِ والمَنْهَلِ

قال الصولي :

يقول: لم تَرَ وارداً خِمْسه بين لَهَاتِهِ ويدِهِ غيري، لأنّي لا أبرح ولا أسير، والذي يجيئني (كذا).

و"الخِمْس": أن ترد الإبل في كل خمسة أيام مرَّة.[١٨] وقد ردَّد هذا المعنى.

وقال أبو العلاء :

"المنهل": الموضع الذي يُنهل منه، أي: نُشرت بينه وبين لهاته خِمْس.

وفي كتاب أبي زكريا :

يقول: ما رأيت أعجب من وارد الماء بينه وبين ورده الخِمْس، وهو يشربه على بُعده. وإنما أراد: انه أنفذ إليه بِرّاً من بلده وبينهما مسيرة أيام.

وقال الخارزنجي :

يقول: هل رأيت كوراد يَرد الخِمس وهو عطشان. وذلك الخِمس الذي يرده هو في فِيهِ لا يظمِئه، ذلك يعني ان الخمس بعيد منه.

وفي الحكومة أن يأتيه ليلة في الفَرْط،[١٩] فهو له رِفْهٌ في كل يوم.

---

[١٨] جاء في كتاب الصولي بعد ذلك:
"والسِدْس في ستة أيام، وكذلك السِبع الى العشر".

[١٩] يقال: فَرَطْتُ القومَ أفْرُطُهُمْ فَرْطاً: إذا سبقتهم الى الماء. فأنا فارِط، والجمع فُرَّاط. قال القطامي:
فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا
كما تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ

وفُرّاطُ القَطَا: متقدّماتها الى الوادي والماء. قال الراجز:
ومنهل وردتُهُ التقاطا
لم أرَ إذ وردتُهُ فُرَاطا =

وهذا يحتاج الى بيان.[٢٠] وقد فسّر ذلك في البيت الثاني، وهو قوله:

١٦- وَلَقَدْ سَمِعْتَ فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَوْطِنٍ
أرضَ العِرَاقِ يُضِيفُ مَنْ بالمَوْصِلِ

وروى المرزوقي :

"كموطن صحن العراق" وقال:

يقول: رأيت أشياء عجيبة، فهل رأيت أعجب ممن يرد الماء وبين المورود وبينه خمس ليال. وكذلك سمعتَ فهل مقرياً[٢١] يقري مَنْ بالموصل.

وإنما يعني الحسن بن وهب بالعراق. والطائي بالموصل، فصار إليه معروفه وجداه. والمعاني في شرحها متقاربة. وفي كلٍّ زيادة لا بأس بها.

١٧- لِلّهِ أَيّامٌ خَطَبْنَا لِينَها
في ظِلِّهِ بالخَنْدَرِيسِ السَّلْسَلِ

قال الصولي :

أي: كنّا نُلَيِّنُ دَهْرَنا بِعِشرته.

وهذا تفسير لفظه ردئ.

١٨- بِمُدامةٍ نَغَمُ السَّمَاعِ خَفِيرُها
لا خَيْرَ في المَعْلُولِ غَيْرَ مُعَلَّلِ

قال الصولي :

لا خير فيمَنْ يُعَلَّ بالراح ، ولا يُعَلَّل بالغِنَاءِ.

=إلا الحَمَامَ الوُرْقَ والغَطَاطَا

[٢٠] جاء في كتاب التبريزي: ٣/٣٥:

أصلُ "الخِمْس" في إظماء الإبل، فاستعاره هاهنا لنفسه. يقول: قد سمعت بأشياء فما سمعت بإنسان يَرِدُ المنهل ـ الموضع الذي ينهل منه، أي: يشرب ـ بينه وبين لَهَاتِهِ خمس، وقد فسّر ذلك في البيت الثاني. وهو قوله "ولقد سمعت...".

[٢١] في مخطوطة النظام "مغرقاً" وهو تحريف.

وقال الخارزنجي :

يقول: صوت الغناء خفير هذه الخمرة. أي: ضمينها. لأنّه لا خير فيمَنْ يُعَلّ ثمّ لا يُعَلّل بما يُؤنسه ويُلهيه.

وقال أبو العلاء :

جعل نغم السماع كالخفير للمدامة. و"المعلول": الذي يُعَلُّ بالشراب، أي: يُسْقَى مَرَّة بعد مَرَّة. و"المُعَلَّل": كل مَنْ عُلِّل بشيء مِن الأشياء. يقال للرجل: عَلِّلْنا. أي: غَنِّنا.

وفي كتاب أبي زكريا :

الجيد أن يقال: لا خيرَ في الشراب الذي يُعَلّ به صاحبُه ما لم يكن مُعَلَّلاً بالغناء. والتقدير: لا خيرَ في المعلول به غيرَ مُعَلَّلٍ بالغناء.

وقال الآمدي :

أي: لا خير فيمَن يُعَلّ بالشراب ولا يُعَلّل بالسماع. وأراد: انها لا تمرّ في العروق إلاّ بالسماع. فلذلك جعله خفيرها.

وهنا قول حسن.

قال المبارك بن أحمد :

الذي أراه انه أراد بقوله: "بمدامة نغم السماع خفيرها": ان السماع يمنعها مِن أن تُشْرَب كثيراً، لأنهم يشتغلون بسماع الغناء عنها في وقته. فكأنهم يخفرونها. أي: يجيرونها من الشُّرْب ذلك الوقت. فكأن السماع كالخفير لها.

وفي طرّة الكتاب العجمي :

أي: شرب النبيذ بلا غناء إناء يُفرغ في إناء.

ووجدتُ في كتاب ذُكِرَ انه بخطّ الوزير أبي علي بن مقلة،[٢٢] قال أحمد بن أبي الطيب: أنشد بعضهم:

---

[٢٢] هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي. وزير. من الشعراء الأدباء، يضرب المثل بحسن خطه. ولد ببغداد سنة ٢٧٢هـ استوزر للمقتدر ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه الى فارس، واستوزره القاهر بالله ثم اتهمه بالمؤامرة على قتله فاختبأ خوفاً منه، واستوزره الراضي بالله ثم قبض عليه=

ليس مِنْ ساعةٍ تمرُّ مِنَ الدَّهْرِ بأَوْلى من تركها بالضَّياعِ
لكَ مِن ساعةٍ تُشاغَلُ فيها بنبيذٍ فَردٍ بغير سماعِ

وقبله: "الشراب كالجسم والسماع كالروح".

١٩- يَغْشَى عليها وَهْيَ تَجْلُو مُقْلَتَيْ
بازٍ وَيَغْفَلُ وَهْوَ غيرُ مُغَفَّلِ[٢٣]

قال الصولي :

يصف كرم عشرته، وحُسْن خُلقِهِ، انه يَغْشَى، أي: يغمض عينه عن الشيء وهو مِن صحّة بصره ينظر بعينَيْ باز. ويغفل عَمَّن يُسيء أدبه. وليس بمغَفّل في الحقيقة.

قال أبو العلاء :

"يَغْشَى": يعني المعلول، أي: لا يرى عَيْبَ نديمه.[٢٤]

وقال: يقول: هذا الشارب يغفل إذا شرب، وهو غير مُغَفّل في الحقيقة.[٢٥]

=وقطع يده اليمنى فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه وسجنه، فلقي شقاء شديداً، حتى كان يسقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات في سجنه سنة ٣٢٨هـ أخباره في: وفيات الأعيان: ٢/ ٦١، والأعلام: ٦/ ٢٧٣.

[٢٣] رواية الصولي والتبريزي "وهو يَجْلُو".

[٢٤] ذكر التبريزي كلام أبي العلاء هذا في كتابه ، وذكر بعده التعقيب والإستشهاد الآتي:

أي: لا يرى عيب نديمه وهو أشدّ بصراً من بازٍ، وهم يصفون البازيّ والصقر والعقاب بحدّة النظر. قال الشاعر:

كأنّي أشهلُ العينين طاوٍ
على علياءَ شبَّهَ فاستَحَالا

يعني بازياً، وقال آخر:

وإنّي وهَجْري الإنسَ من بعد وَصْلِهِمْ
وتَرْكيَ خِلاً كنتُ ما إنْ أزايلُهُ
لكالصَّقْرِ جَلّى بعدما صادَ قِنيةً
قديراً وَمَشْوِيّاً عَبيطاً خَرادِلُهُ

[٢٥] جاء في كتاب أبي زكريا التبريزي بعد ذلك:

وأصل "الغَشَا" ألاّ يبصر بالليل شيئاً. ثم أستعير ذلك في قلّة البصيرة ونحوها.

وقال المرزوقي :

يعني الممدوح، وحُسْن عشرتِهِ في الشراب. فيقول: يتجاهل عليها ويتغاضى وهو فَطِن،[٢٦] كأنَّ عينيه عَيْنا بازٍ. ويتغافل لا عن جهل، ولكنّه كريم.

وأظنّ أبا العلاء كره أن يقال للممدوح مُغفّل، فحمله على المعلول. والصحيح ما ذهب إليه الصولي والمرزوقي.

وقال الآمدي :

فقوله: "يَغْشَى عليها": أي: لا يبصرُ من السكر، وإنْ كان حادّ النظر. وقوله: "يغفل وهو غير مغفّل": أي: يُغضي عليها عما كان لا يُغضَى عن مثله في حال الصحو.

وفي حاشية كتابه بخطّ يحيى بن محمد بن عبدالله الارزني:

لم يُرِد بقوله: "يَغْشَى عليها" إلاّ إغضاءه ولينَ أخلاقه، وقلّة تتبّعهِ لِمَا يبدو مِن ندمائه. ليس للسكر هاهنا معنى.

ووافق الآمديَّ الخارزنجي فقال:

"عليها": على هذه المدامة بالثمل الذي يرهقه، وهو في ذاك حادّ البصر حاضر الذهن. و"يغفل" وهو غير منسوب الى الغفلة في حال الصحو. وإنما غفوله للسكر.

٢٠- ولا طائِشٌ تَهْفُو خَلائِقُهُ ولا
خَشِنُ الوَقَارِ كأنَّهُ في مَحْفِلِ

قال الخارزنجي :

أي: لا خفيف يهفو، أي: يَسْهُو. أي: هو في حال شربه رزينٌ رَكِين، كأنّه في محفل، لا كغيره.

قال المبارك بن أحمد

"الطائش": الخفيف. و"تهفو خلائقه": أي: تزل، بل هو ثابت. وقوله: "ولا خشن الوقار كأنه في محفل": أي: ولا يخشن وقاره كما يكون في المحفل فلا ينبسط ندماؤه لخشونة وقاره وصلابته.[٢٦أ]

---

[٢٦] في كتاب المرزوقي المسمى "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة": "ويتعامى".

[٢٦أ] جاء في كتاب التبريزي :

أي: ولا هو صُلب لا ينبسط مِن أجله نُدَماؤه.

٢١- فَكِـــهٌ يُجِـــمُّ الجِـــدَّ أحْيانـــاً وَقَـــدْ
يُنْــضَى وَيُهْـــزَلُ عَـــيْشُ مَـــنْ لمْ يَهْــــزِلِ

قال الصولي :

"فَكِهٌ": ضحوك. "يُجِمُّ": مِن الجِمَام. أي: يريح.

يقول: يدعُ الجِدّ في أوقات الهزل واللهو، ويهزل. ومـن لـم يفعـل مثـل هـذا فعيـشه (نضو) هزيل من السرور.

وقال الخارزنجي :

يقول: لا يأتي الجد من القول في كل أحواله ، بل يخلط بالهزل ليؤنس به.

وهذا أوْلى مما قاله الصولي.

وقال الآمدي :

"يُجِمُّ الجِدَّ": أي: يتركه ويريحه حتّى يجم. وقد ينـضى، أي: يـصير نـضواً. "ويهـزل عيش مَنْ لم يهزل": أي: مَنْ لم يستعمل الهزل. أي: مَنْ لم يرح نفـسه مـن التّعـب أضرّ ذلك به في جسمه ونفسه.

وإنما نسب الإنضاء والهزال الى العيش، لا الى الجسم والنفس.[٢٧]

٢٢- قَيْـــدُ الكـــلامِ لِـــسَانُهُ حِـــصْنٌ إذا
أَضْـــحَى اللِّـــسَانُ اللَّغْـــبُ مِثْـــلَ المَقْتَـــلِ

---

[٢٧] جاء في كتاب التبريزي : ٢/٣٧:
"يُجِمُّ الجِدَّ": استعارة من إجمام الفرس. وهو أن يترك من الركوب، أي انّه يَذَر الجِدّ أحياناً. وهذا كمـا جاء في الحديث: "أرِيحُوا القُلُوبَ تَسعِ الذِّكْرَ". ويقال: هَزَل الرجلُ: من الهَزْل الذي هو ضدّ الجِدّ. فهـو يَهْزِل بكسر الزاي.
والمعنى: ان الإنسان إذا حَمَلَ أمرَه على الجِدّ لقي شدَّة العيش تنضيه، لأن الإنسان يَملّ لـزوم الطريقـةِ الواحدة.

قال الصولي:

"قيـد الكلام": أي: لا تفلت البلاغـة والـصواب منـه.[٢٨] و"لـسانه حِـصْن": إذا أراد حجّـة قام بها، فهو حصن لَمْنْ يحتـجّ عنه إذا كان اللسان العيّ[٢٩] بمنـزلة المقتـل. أي: يأتي بالخطـأ فينـال الخصم منه ما يضرّه.

قال أبو العلاء :

"اللَّغْب" من السهام: وهو الضعيف الـريش. فجعلـه للـسان. وجعـل الممـدوحَ قيـدَ الكلام. أي: انّه يُقَيِّده. كما يقـال: فلان قَيْدُ مائةٍ. أي: إذا أُسِر أُخِذَ في فِدائه مائة من الإبل. وهذا الفَرس قَيْدُ الأوابد، أي: إذا طُردت عليه فكأنها مُقَيَّـدة، أي: لـسان هـذا الرجل كأنه يُحَصِّن الأَجَلَ إذا كان لسان غيره كالمقتل. أي: يُخشَى منه القَتْـل.

ومَنْ رَوَى "المُقْفَل" فله وجه صحيح. إلا انَّ "المقتل" أشبه بصدر البيت.

٢٣- أُذُنٌ صَـفُوحٌ لـيسَ يَفْـتَحُ سَـمَّها
لِدَنِيَـةٍ وأنامـلٌ لم تُقْفَـلِ[٣٠]

قال أبو العلاء :

"صفوح": يحتمل أن يكون مِن: صَفَحَ عن الـذنب. ويجـوز أن يكـون مـن قـولهم: صَفَح: إذا مال بصفحته.[٣١] الأصلُ في المعنيين واحد.

---

[٢٨] عبارة الصولي في كتابه :
ويروى: "قيد الصواب"، أي: لا تفلت البلاغة منه.

[٢٩] في مخطوطة النظام "الغبي".

[٣٠] رواية الصولي "سمعها" مكان "سَمّها".

[٣١] جاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء الإستشهاد الآتي:
كما قال كثير:
صَـفُوحاً فمـا تلقـاك إلاّ بخيلـةً
فمـن مَـلَ منهـا ذلـك الوَصْـلَ مَلَّـتِ

و"سَمُّ الأُذُن": ثقبها الذي يُسْمَع به. ولمّا ذكر الفتح في أول البيت استعار الإقفال للأنامل. وهذا يدلّ على ان قافية البيت الأول "المَقْتَل"، وأنَّ "المَقْفَل" تصحيف.

وفي نسخة : يروى "قيد الصواب".

٢٤- لا ذُو الحُقُودِ اللُّقَّحِ اللاَّتي تَرى
كَشْحَ الصَّدِيقِ ولا العَدِاتِ الحُيَّلِ(*)

قال الصولي :

أبو مالك يروي: "تَرِي جوف الصديق".

يقول: ليس بذي حقودٍ لقّح تحمل الضّغائن. و"اللآتي" و"اللائي" واحد، جمع "التي".

ويروَى "تدي" و"روى جوفه" و"دَوي" بمعنى.

يقول: ولا تُدوِي جوف الصديق ولا ذو عِدَاتٍ حُيّل، أي: تحول ولا تلقح.

وقال الآمدي:

قوله "لا ذو الحقود اللُّقَّح": الحوامل التي تَرِي كشح الصديق، أي: تحرق. يقال: وَرَاهُ يَريه. قال الشاعر:

وَرَاهُنَّ ربِّي مثلما وريْنني
وأحمي على أكبادهن المكاويا

وقوله: "كشح الصديق": إنما أراد ما تحت الكشح، وهو الكَبِد.

أي: ليس هو بحقود ينمي كيده ويزيده حتى يصل الى صديقه ويحمي كبده.

"ولا العدات الحُيّل": وليس مِمّن يَعِدُ فيخلف. و"الحائل": التي حمل عليها فلم تحمل، فجعله مثلاً، وإنما قال "الحقود اللقّح" من أجل العِدَاتِ الحُيّل. آخر كلامه.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢٥ـ نَفْسِي فِداءُ أبي عليٍّ إنَّهُ
صُبحُ المُؤمَّلِ كَوكَبُ المُتَأمِّلِ

وقال ابو العلاء :

"الحُيّل": جمع حائل، وهي التي لمْ تحمل. و"الحُوّل" بالواو أجـود، لأنـه مـن ذوات الواو، فتظهر في جمعه، كما يقال: صائم وَصُوَمْ، وقائمُ وَقُوَّمُ، وقد قُلِبَـتْ مـن الـواو الى الياء استثقالاً للتشديد مع الواو، كما قالوا: صُيَم في جمع صـائم، ونُـيَّم في جمـع نـائم، وهما من الصوم والنوم.[٣٢]

٢٦- قَـدْ كُنْـتُ لِلْمُتَمَـوِّهِ الْمُكْـدِي أخـاً
مِـثْلاً فـأوْجَف بـي مَـعَ الْمُتَمَـوِّلِ

قال ابو العلاء :

"المتموِّه": يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من التمويه الـذي هـو إظهـار شيءٍ في الباطن غيرُه. وإنما يُراد بذلك التَّحمُّل والتَّنَفُّق. أي: كنتُ أُموِّه نفسي فـأتموّه. أي: أظهـر أنّي غنيّ وأنا مُكدٍ.

والآخر: أن يكون من قولك: تموّهت، أي: طلبت الماء بالحفر ونحوه، وهذا أشـبه مـن الأول.

و"المكدي": الذي بلغ كُدْيَةً مِن الأرض، وهي صفاةٌ غليظة. و"أَوْجَفَ": من الوجيـف، وهو ضرب مِن السير. و"المتموّل": صاحب المال.

---

[٣٢] وجاء في كتاب التبريزي : ٣/٣٨:
واستعار "اللّقاح" للحِقْد، كما يُستعار للحرب وغيرها، ويجـوز "اللاتـي" و"اللائـي". و"تَـرِى": مِـن وَرَيْتُه: إذا أصبتَه، وهو داء في الجوف. قال الراجز:

قَـدْ ادْلَفَـتْ وَهْـيَ لا تَرَانـي
الى البيـوتِ مِـشْيَةَ الـسَّكرانِ
وَحُبُّها في الصَدْرِ قَدْ وَرَاني

و"الكشح": الخاصرة. وقولهم: العدوّ الكاشح: هو الذي يُضمر العداوة في كَشْحِهِ. وقيل: هو مـن كَـشَحَ: إذا ولاّه خاصرته، كما يقال: نَكَبَ عنه: إذا وَلاّه مَنْكِبَه. وقيل: الكاشـح مـن قـولهم: كَـشَحَ القـوم: إذا افترقوا. ومن الأمثال القديمة: "جَرْيُ المُذَكّي كَشَحَتْ عنه الحُمُر".

قال المبارك بن احمد :

لو لم يقل "مِثْلاً" أمكن أن يكون غنياً، وهو أخو المكدي، فلما قال "مِثْلاً" صار مثله في حاله. ويجوز أن يكون "مِثْلاً" بدلاً وصفةً.

وقول أبي العلاء: "أي: كنت أموّه نفسي" لا حاجة إليه مع ما قدّمه من شرحه، وفيه نظر.(٣٣)

٢٧ـ أكْرِمْ بِنِعْمَتِهِ عليّ ونِعمَتِي
مِنهـا علـى عَـافٍ جَـدَايَ وَمُرْمِلِ

قال أبو العلاء :

"المُرْمِل": القليل الزاد.(٣٤)

ومَنْ رَوَى "عافِي جَدَايَ" على إضافة "العافِي"، فلا يجوز أن يروى إلاّ "مُرْمِلي" بالياء، إذا حُمِل ذلك على ما يُعرف من مذهب الطائي. فإنَّ نُوِّن "عَافٍ" ساغ أن يُرْوَى "مُرْمِل" بغير ياء. وهذا الذي تحكم به صناعة النَّظم.

والرواية الصحيحة: التنوين في "عافٍ" و"مرمل" للعموم. لأنَّ المرمل قد لا يكون مِمّن يعفو جداه، ولكنه ينعمُ عليه، ولأنَّ مَنْ يروي "مرملي" بالياء فلا بدّ لهذه الإضافة أن تكون ياؤها عائدة الى أبي تمام، فإنْ كانت على معنًى: هو الذي أرمله فهذا خلفٌ من القول. وإنْ كانت على معنى التخصيص لحلّ الغرض، أي: هو مرمله المعروف به فجائز، على ما فيه مما يقرب الى الذمّ.(٣٥)

---

(٣٣) قال الصولي في كتابه :
"المتموّه": الذي يَتَمَوَّه بمال، ولا مال له.

(٣٤) ذكر التبريزي كلام أبي العلاء هذا في كتابه، وذكر بعده ما يأتي:
وأصل ذلك انه قد فنَى ما عنده فلم يبق له إلا الرّمل. كما ان المُدْقِع: الذي لَصِقَ بالدَّقْعَاء.

(٣٥) قال الصولي في كتابه : ٢/٢٥٦:
يريد: أكرم بنعمته عليّ، ونعمتي منها إنما هي على عاف جَداي: أي الطالب معروفي. و"مرمل"، أي: فقير. والذي لا زاد معه: مرمل.
وجاء في كتاب التبريزي :
"المُرْمل": الذي يلجأ إليّ ويقصدني.

٢٨- تاللـــهِ مـــا أَحْلَـــى مَرَاشِـــفَهَا علـــى
حَنَـــكٍ وأَجْمَلَهـــا علـــى مُتَجَمِّـــلِ

قال الخارزنجي :

يقول: ما أحلى هذه النعمة لمَنْ يذوق مراشفها وينال منهـا. ومـا أجملهـا عـلى مَـنْ يتجمل بها فلا يسأل أحداً.

قال المبارك بن أحمد :

هذا البيت لا يحتاج الى بيان. وإنما كتبته لسوء استعارته، ولأن أبا تمام كَلِفَ بالبديع حتى تجاوز الى ما يستقبح.

وقوله "على حَنَك" ردئ جداً، ولو قال "على شـفةٍ" أوْ نحوهـا لكـان أقـرب مأخـذاً. و"الهاء" في "مراشفها" عائدة على نعمة الممدوح، لأنـه لا يحـسُن أن يَـصِفَ أبـو تمـام نعمته بأكثر مما وصفها.

٢٩ـــ لمْ يَقْرِنـــي بِـــشْرَ البَخيـــلِ يُغِـــيرُ في
أَمَلـــي ولمْ يَـــشْمَخْ بـــأَنْفِ المُفْـــضِلِ

قال الصولي :

يقول: لم يلقني حينَ حَيّيته بتقطيب، وهذا بِشرُ البخيل. ويُغِيرُ في أَمَلي: لأنـه يُـذْهِب الأمل.

وقال ابو زكريا في كتابه :

كأنه ينتهبُ الأَمَل فيذهب به، وبِشْرُ البخيل لا فائدة فيه غيرُ الطمع.

وفي طرّة الكتاب العجمي :

(أبو زيد): سر البخيـل، أي: بسُوره وكلوحـه. ومعـــه أبـو أحمـد: لا أعـرف البـسر بمعنى البسور.[٣٦]

---

(٣٦) جاء في اللسان: في التنزيل العزيز: {ووجوهٌ يومئذٍ باسِرَةٌ}. وفيه: {ثمَّ عَبَسَ وبَسَر}. وبَسَرَ الرجلُ وَجْهَهُ بُسوراً، أي: كَلَحَ. مادة: بسر.

٣٠- وَغَــــدا فلـــمْ يُطْلِـــلْ علـــيَّ بِطْرفِـــهِ
شَوَســـاً وذُو المعـــروفِ يَنْظُـــرُ مِـــنْ عَـــلِ

قال أبو العلاء :

"يُطلِل" من أَطَلَّ على الشيء: إذا أشرف عليه. وقد شرح أوّل البيت بآخره، لأنه يقـول: "وذو المعروف ينظر من عل"، كالبيان للجملة الأولى.

ويروَى: "فلم يظلل" بالظاء المعجمة.

يقول: لم يرفع طرفه عليّ ويشمخ بمعروفـه عندي، وحقّ لمثلـه أن ينظر من عل.(٣٧)

٣١ــــ مُتَقَـــيِّلاً وَهْبـــاً وتِلْـــكَ خَلائِـــقٌ
فَـــضْفَاضَةٌ شَـــطَطٌ عـــلى المُتَقَيِّـــلِ(٣٨)

قال أبو العلاء :

يقال: تَقْيَّلَ أباه: إذا أشبهه. و"فضفاضـة": أي واسـعة. و"شـطط": أي ذات جَـوْر. و"المتقيِّل" في آخر البيت ليس للممدوح، وإنما يريد: أنَّ خلائق والده واسعةٌ تُـشِطُّ عـلى مَنْ يتقيّلها من غير ولـده. فأمّا ولدُه فهي غير شاقَةٍ عليه، لأنه فُطِر عليها.

وقد يجوز أن يعني به الممدوح، لأن كلامه بعد ذلك قد دلّ عليـه، فيكـون مثـل قـول زهير:

هـــو الجـــواد فـــإنْ يَلْحَـــقْ بـــشأْوهما
علـــى تكاليفـــه فمِثْلُـــه لَحِقَـــا(٣٩)

---

(٣٧) هذا الشرح للصولي ورد في كتابه لكن المبارك لم ينسبه إليه.

(٣٨) رواية الصولي "متقيّلٌ" بالرفع.

(٣٩) هذان البيتان من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان مطلعها:

ان الخَلِـــيطَ أجَـــدَّ الـــبينَ فانفرقـــا
وَعَلَّـــقَ القلـــب مـــن أسمـــاء مـــا عَلِقَـــا

أنظر: شرح شعر زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب. تحقيق: د. فخرالـدين قبـاوة، ص ٤٦، منشورات دار الآفاق الجديدة.

او يَـــسْبقاهُ علـــى مـــا كـــانَ مِـــنْ مَهَـــلٍ

فَمِثْـــلُ مـــا قَـــدَّما مِـــنْ صـــالح سَـــبَقَا

ويروى "مُتَقَيِّلٌ" بالرفع.

وقال الخارزنجي :

هو متقيِّلٌ أباه وَهْباً، وخلائقُ وهبٍ أبيه واسعةٌ، فمَنْ يرومها شَقَّتْ عليه، فلا يطيقها.

٣٢- وابـــنُ الكـــريمِ مُطالَـــبٌ بِقَدِيمِـــهِ

غَلِـــقٌ وصـــافي العَـــيْشِ لابـــنِ الزُّمَّـــلِ

قال الصولي :

يقول: ابن الكريم يُطالَب بقديمه أن يكون كأبيه، فهو في تَعَبٍ لابتنائه المكارم، وقيامه بالحقوق.

و"ابن الزُّمَّل": هو الضعيف.[٤٠] و"صافي العيش"": طيبه، لأنه لا يتعب للمجد. وهو مثل قول مسلمة بن عبدالملك:[٤١]

وإن ســـــيادة الأقـــــوام فـــــاعلم

لهـــا غلـــواء مطلبهـــا شـــديد[٤٢]

---

[٤٠] جاء في كتاب الصولي بعد ذلك:
يريد: ضعيف الكرم.

[٤١] مَسْلَمَة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. أمير قائد. من أبطال عصره، من بني أُميَّة في دمشق، يلقَّب بالجرداة الصفراء. له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في حكم أخيه "سليمان". وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية. وولي إمرة العراقين ثم أرمينية، وغزا الترك سنة ١٠٩هـ ومات بالشام سنة ١٢٠هـ وإليه نسبة "بني مسلمة" وكانت منازلهم في الاشمونين بمصر. قال الذهبي: كان أوْلى بالخلافة من سائر اخوته. أخباره في: تهذيب التهذيب: ١٠/١٤٤، ونسب قريش: ١٦٥، ونهاية الأرب: ٣٣٩، وابن العبري: ١٩٦، ورغبة الأمل: ٥/١٦ و٦٤ و١١٨، والمرزباني: ٣٧٢.

[٤٢] رواية الصولي "لها صعداء". والبيت كما ستقرأ بعد سطور هو لحبيب الأعلم الهذلي، ورواية الشطر الثاني "لها صعداء مطلعها طويل".
وهذا البيت من قصيدة مطلعها :=

ومنه قولهم: أطيب الناس عيشاً ذو الجِدَة والخمول، حتى لا يحمل عليه كما حمل على آبائه، ولا يتصنّع تصنّعهم، ويركب لذاته.

وفي الحاشية : الشعر للأعلم الهذلي، وهو :

× لها صعداء مطلعها طويل ×

كذا هو في شعر الأعلم. واسمه حبيب بن عبدالله الهذلي، أخو صخر الهذلي.

وقال أبو العلاء

"الزُّمّل": الضعيف. وهذا البيت يُقَوِّي كون "المُتَقَيِّل" في البيت الذي قبله للممدوح. والمعنى الأول أوكد في المدح، لأنه في الثاني يجعل الولد في مشقّةٍ من اتباع أخلاق أبيه. وهذا الغرض نحو قوله:

لا تحسِبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُه
لن تُدْرِكَ المجدَ حتّى تَلْعَقَ الصَّبْرا

٣٣ـ والحَمْدُ شَهْدٌ لا تَرَى مُشْتَارَهُ
يَجْنِيهِ إلاّ مِنْ نَقِيعِ الحَنْظَلِ

قال الصولي :

"المشتار": الذي يشتار العسل. أي: يأخذه.

يقول: الحمد والمدح طيّب إلا انه من أَمرٍ شديد يُجنى بِكَدٍّ وتعب. وهذا يشير الى قول منصور النمري:[43]

ما أَعْلَمَ الناس ان البذل مكسبة
للحمد لكنّه يأتي على النَّشَبِ[44]

=أَعَبْدَ اللّهِ يُنْذِرُ يا لسَعْدِ
دمي إن كان يَصْدُق ما يقول

أنظر ديوان الهذليين. القسم الثاني. ص ٨٧. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

[43] مضت للشاعر ترجمة في هذا الكتاب.

[44] رواية البيت في الأغاني : =

٣٤- غُـــلٌّ لِحامِلِــهِ وَيَحْسَـبُه الـــذي
لم يُـــوهِ عَاتِقَـــهُ خَفِيْـــفَ المَحْمَـــلِ

قال المرزوقي :

يعني: شكر المنعِم، وانه يلزم المنعَم عليه، مُثْقِلاً كاهله حتّى يصير كالغُلّ على عاتقه متى كان عارفاً بالمِنن وما تقتضيه، وبالأيادي وما توجبه. ومَنْ لا يلزمه ولا يتحمّله يُقَدّر انه خفيف المحمل.

قال أبو زكريا :

أي: اكتسابه صَعْب ثقيل على حامله، ومَنْ لم يُجرّبه يُقَدِّره خفيفاً.

كأنَّ أبا زكريا أو مَنْ نقل عنه أراد بذلك كسب الحمد وحيازة المكارم، وانها كالغُلّ لِمَنْ يعرفها، وخفيفة على مَنْ لم يجرّبها. ولم يضعف عاتقه حملها.

٣٥- هَـلْ تَـشْكُرَنَّ لَـكَ المُـرُوءَةُ أَنْ جَلَـتْ
كَفَّـــاكَ دَاثِرَهــــا جِــــلاءَ المُنْـــصُلِ(*)

وروى أبو العلاء :

"كفّاك نُقْبتَهَا جِلاءَ الصَّيْقَلِ"، وقال:

= مــا أعـــرف النـــاس ان الجـــود مَدْفَقـــةٌ
لِلـــذَّمَ لكنّـــه يـــأتي علـــى النـــشبِ

وهو من قصيدة ـ كما يقول الشاعر ـ قالها في غانية. ثم عدل عن ذلك فمدح بها يزيد بن مزيد، أول أبياتها:

لـــو لم يكـــن شـــيبان مـــن حـــسب
ســـوى يزيـــد لفاقـــوا النـــاس بالحَـــسَبِ

قال الشاعر: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

انظر: الأغاني، ط: الدار: ١٣/١٥٧.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٣٦ـــ لـــوْلاكَ كانَـــتْ ثُلْمَـــةً لم تَنْـــسَدِدْ
أبـــداً وكانَـــتْ عِـــدَّةً لم تَكْمُـــلِ

"النُّقْبة": اللون. وقيل: جلدة الوجه، وكلاهما مستعار للمروءة، لأنها لا لون لهـا، ولا جلدة وجهٍ.[٤٥]

وقوله: "أنْ جَلَت"، أي: مِن أجل أن جلت".

٣٧- فَمَتَـــى أُرَوِّي مِـــنْ لِقَائِـــكَ هِمَّـــتي
ويُــرَاحُ قَــوْلي مِــنْ سِــوَاكَ ومِقْــوَلي[٤٦]

قال الصولي :

و يروى: "ويفيق قولي". أي: مَتَى تبلغ همّتي فيك، ولا أمدح غيرك.

وفي كتاب أبي زكريا:

ويروَى "هـامتي". يقول: متى أَملأُ عيني من لِقَائكَ، وأشفِي غُلّة شوقي.

الأول أجود.

---

[٤٥] جاء في كتاب أبي زكريا بعد ذلك التعقيب والإستشهاد الآتي:
وعلى هذا المعنى قول الراجز:

هَــــلْ عنــــدَ ذاتِ النُّقْبَـــةِ الحَيَّـــهْ
لَـوِيَّـــةٌ تَـــشْفِي مِـــنَ البَلِيَّـــهْ

(اللويّة: ما خبأته لغيرك من الطعام). وقد ورد هذا الرجز في اللسان منسوباً الى أبي جهيمة الذهلي عـلى الوجه الآتي:

قلـــت لـــذات النّقبـــة الحيّـــهْ
قـومـــي فَغَدّينـــا مـــن اللويّـــهْ)

فسّروا "النّقبة" هاهنا ـ والكلام لأبي زكريا ـ الوجه، وجعلوا الحيّة صفةً للنُّقبة. ولا يمتنع أن تكون "النقبة" الموضع الذي تنظر منه المرأة المُنْتَقِبة. و"النّقبة" أيضاً: شيء كالسراويل له حُجْـزَة وأسـفله كالثوب. قال جِران العود:

عليـــك برَبّـــاتِ النُمُـــورِ فـــإنّني
رَأيـــتُ لِقَـــاءَ المـــوتِ في النُّقَـــبِ الـــصُفْرِ

يقول: عليك بالإماء.

[٤٦] رواية الصولي والتبريزي "ويُفِيقُ" مكان "ويراح".

٣٨- وتَهُـــبُ لـــي بِعَجَـــاجِ مَوْكِبِـــكَ الـــصَّبَا
إنَّ الـــصَّبَابَةَ تَحْـــتَ ذاكَ القَـــسْطَلِ[٤٧]

قال الصولي

"القَسْطَل": الغُبار. يريد بالصَّبا: عطاياه.

يقول: متى تهبّ لي رياح عطايـاك، وهـي أخـت الجنـوب، وبهمـا يُـضرب المثـل (في العطايا)، لأنهما يجمعان الغيم.

ويروى: "إن السّماحة" و"إن العطايا".

٣٩- بالرَّاقِـــصاتِ كأنَّهـــا رَسَـــلُ القَطَـــا
والمُقْرَبـــاتِ بِهِـــنَّ مِثْـــلُ الأفْكَـــلِ

قال الصولي :

"رَسَل": جمع أرسال.[٤٨] و"المُقْربـات": الخيـل التـي تُقَـرَّب مـن البيـوت لكرمهـا، و"الأفكل": الرِّعدة. يعني: نشاطاً كالجنون.

وقال الخارزنجي :

الإبل التي سَيْرُها الرَّقص، فهي في تتابعها وتواليها كقطا أرسال، يعني: انـك إذا قدمت فهذه صفته.

وقال أبو العلاء :

الرّاقصات: الإبل. وَقَد كثر في كلامهم القَسَمُ بالراقصات الى مِنَى.

٤٠- مِـــنْ نَجْـــلِ كُـــلِّ تَلِيـــدةٍ أعراقُـــهُ
طِـــرْفٍ مُعَـــمٍّ في الـــسَوَابِقِ مُخْـــوَلِ

قال الخارزنجي :

يعني ان هذه الخيل مُعْرَقَةٌ في الكرم والنَّجابة من قبـل اخوالهـا وعمومتهـا، تـسبق غيرها في الرّهان.

---

[٤٧] رواية الصولي والتبريزي: "السماحة" مكان "الصَّبابة".

[٤٨] الرّسل: القطيع مِن كل شيء. والجمع: أرسال. والرّسل: الإبل. اللسان مادة: رَسَل.

لا معنى لقوله: "تسبق غيرها في الرهان".

و"طِرْف": صفةٌ أوْ بَدَل، والصفة أجود.[٤٩]

٤١- كالأجْـــدَلِ الغِطْرِيـــفِ لاحَ لِعَيْنِـــهِ
خُـــزَزٌ وأنـــتَ عليـــهِ مِثْـــلُ الأَجْـــدَلِ

قال الخارزنجي :

شبّه هذه الخيل في الشهامة والذكاء بالصقر الفتيّ، وقد جَلّى للصيد فَهَمَّ به، وأذكى ما يكون وقتئذٍ. وشبّه راكبه بالصقر في استوائه وانتصابه.

قال الصولي:

"الخزز": ذكر الأرنب. والأنثى: عِكْرَشَةٌ.

قال أبو العلاء :

"الأجدل" الصقر، يشبّه به الفرس والإنسان، وهو يستعمل مرّة إسماً ومـرّة وصـفاً. فإذا استعمل إسـماً صُرف في النكرة. وإذا استعمل وصفاً لم يُصْرف.[٥٠] آخر كلامه.

٤٢- يَـــرْدِي بـــأَرْوَعَ يَغْتَـــدي وَيَـــرُوحُ مِـــنْ
زُوّارِهِ وَضُـــــيُوفِهِ في جَحْفَـــــلِ[٥١]

---

[٤٩] قال الصولي في شرحه : ٢/٢٦١:
أبو مالك [يرويه]: "كرم طِرْف". أي: كريم. وسمعت أحمد بن يحيى يقـول: رجـل طِـرف، أي: كـريم. والطِّرف مِن كل شيء: خيره وأكرمه. أنشدنا:

شـــــربنا شـــــربة مِـــــن ذات عـــــرق
بـــــأطراف الزجـــــاج مـــــن العـــــصير

ويروى "ظرف".

[٥٠] جاء في كتاب أبي زكريا: ٣/٤٣:
"الغِطْريف": الظريف المُتَيَقِّظ.

[٥١] قال الجوهري في صحاحه: قال ابن السكيت: رَدَى الفرس بالفتح يَرْدِي رَدْياً ورَدَياناً: إذا رَجَـم الأرض رَجْماً بين العَدْوِ والمشي الشديد. قال الأصمعي: قلت لمنتجِع بن نبهان: ما الرَّديان؟ قال: عَدْوُ الحمـار بين آرِيِّهِ ومُتَمَعَّكِهِ
وجاء في اللسان: وقيل: الرديان: التقريب. وردي: الغُراب يَرْدى: حَجَلَ. مادة: رَدَى.

٤٣- حتَّـــى تَقَـــرَّ عُيُونُنَـــا وَقُلُوبُنَـــا
بالمَاجِـــدِ المُـــسْتَقْبَلِ المُـــسْتَقْبِلِ[٥٢]

قال الصولي :

"المُسْتَقْبَل": لجلالته. و"المُسْتَقْبِل" في سِنِّهِ.

وفي طرّة الكتاب العجمي:

المُسْتَقْبَل: الذي يُتلقَى بالإكـرام. والمُسْتَقْبِـل: الشـابّ الذي يَسْتقبل عُمرَه.

وفي الطرّة: المستقبل الذي نسب مِن قبل الأم. قال الكميت:

فأمَّـــا أمَيَّـــةُ مِـــنْ وائـــل
فَمُـــسْتَدبر المجـــدِ مُـــسْتَقبَل[٥٣]

ورَوَى أبو القاسـم الآمـدي: "المُـسْتَقْبَل المُـسْتَقْبَل" بفـتح البـاءين منهمـا. وقـال: "المستقبَل" الأول: أي: مستقبـل الخير. و"المستقبَل" الثاني: يريـد به المنتظر.

ويجوز أن يكون الأول من الإقبال.

ورواه أبو العلاء مثله. وقال:

"المستقبَل": يحتمل أن يكون من استقبال الغائب، ومـن اسـتقبال العُمْـر، وأيّهمـا شئت جعلته الأول.

واستعار "تَقَرّ" للقُلُوب، وإنما هو للعُيُون. وهذا أَيْسَرُ مِن أن يُضمَر فِعلٌ للقلوب غير "تَقَرّ" المستعملة في الأعين.

وقال الخارزنجي :

مَتَى نَرَاك على هذه الصِّفة، وقد قَدِمت فتقرّ عيوننا. وتسرّ قلوبنا بـك أيهـا الـشريف الذي يُستقبل عند قدومه، وهو مستقبل معالي الأمور ومساعيها.

---

[٥٢] رواية التبريزي في كتابه "المُستقبَل" بالفتح للاثنين.

[٥٣] أنظر: شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع د. داود سلوم: ٢/ ٣٤، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩م.

والصحيح ما ذهب إليه الخارزنجي في أن الأول "المستقبَل" عند قدومه، لأنه قال: "فمتى ارويّ من لقائك همّتي".

وقال: "تردى بأروع" فتمنّى لقاءه فجعله مستقبلاً.

وعلى أيّ معنى فسّر الثاني فليكن. وتقديم معنى المستقبل عند القدوم أوْلَى، وإنْ جاز تأخيره.

٤٤- بمُحَمَّـــــدٍ ومُكَفَّـــــرٍ وَمُحـــــسَّدٍ
ومُـــــــسَوَّدٍ وَمُمَـــــــدَّحٍ ومُعَـــــذَّلِ

قال الصولي :

بمحمدٍ في خصاله، ومكفّرٍ نِعَمهُ ومُحَسَّدٍ في سُوْدُدِهِ.

وقال الآمدي :

قوله "بمحمد"، أي: محمدٌ كثيراً. و"مكفّر"، أي: يكفر نعمه فلا تُشْكَر، وإنما جعله مكفور النِّعم لكثرةِ نِعَمِهِ وعِظَمِها واتّصالها وعمومها، فلن يَصِل أحد الى مجازاةٍ عليها، ولا مقابلة لها، فصارت كأنها مكفورة. وقد قال لبيد يرثي قوماً:

فكـــائِنْ رأيْـــتُ مـــن بهـــاءٍ ومنظـــرٍ
وَمِفْـــتَحِ قيـــدٍ للأســـيرِ المُكَفَـــرِ[٥٤]

فأراد هاهنا "بالمكفر" الذي تُكْفَرُ نعمه فلا تُشْكَر، ويُتْرَك فلا يُفادى.

وقد يجوز أن يكون لبيد ذهب الى معنى أبي تمام، وإنْ يكون أبو تمام منه أخذ.

وقال الخارزنجي :

---

[٥٤] هذا البيت من قصيدة مطلعها:

أعـــاذلَ قُـــومي فاعـــذُلي الآن أو ذري
فلـــستُ وإنْ اقْـــصَرْتِ عنّـــي بمُقْـــصِرِ

أنظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. احسان عباس، ص ٥٤، الكويت، ١٩٦٢.

يعني انه يُحمد في موضع الحمد عند العطاء. ويُكْفَرُ عند نِكاءته في الأعداء. أو يُحسد إذ هو مقهور على شأوه.

وقال أبو العلاء :

قوله "بمحمدٍ" بَدَل مِن قوله "بالمستقبَل"، ثم عطفَ بعضَ الصفة على بعـض، كمـا قال تعالى: {وسَيِّداً وحَصُوراً ونبيّاً من الصالحين}.(٥٥)

و"الـمُـكَـفَّـر" : يحتمل أن يكون مِن كُفْر النّعمـاء، أي انـه تُكْفَـر نِعَمَـهُ، وهـو لا يمتنـع مِن الإحسان الى الكافـر، ولا يبعد أن يكون قوله "ومُكَفَّر" من كفــرتُ الـشيء: إذا سترتَـه. أي: ان الناسَ يجتمعون حولـه حتى يَكْفُره بعضُهم على بعض.

ويجوز أن يكون مِن قولهم: كَفَرَ الذِّمّيُّ: إذا وضع يديه على صدره وهو يريد التعظيم للرئيس والخُضوع له، كما قال:

فــإذا سمعـــتَ بحـــرب قـــيسٍ بعـــدَها
فَـــضَعُوا الـــسلاح وكفِّـــروا تكفـــيرا(٥٦)

٤٥- بِحَدِيقَـــةِ الأَدَبِ الّـــتي قَـــدْ حـــصَّنَتْ
باللُّـــــبِّ إنَّ العَقْـــــلَ أحْـــــرَزُ مَعْقِـــــلِ

قال الخارزنجي :

يقول : هو بستان الأدب في صنوفه، ويقارنه وُفُور العقل فيزيّن أدبـه ويحصِّنـه. لأن العقـل إذا تبـع الأدب كان في أحصن حصن من قدح قادح.

ويروى: "إنَّ الفَضْل".

---

(٥٥) الآية (٣٩) من سورة آل عمران.

(٥٦) هذا البيت لجرير، من قصيدة يهجو بها الأخطل مطلعها:

صـــرم الخلـــيط تبايُنـــاً وبكـــورا
وحـــسبتَ بيـــنهُمُ عليـــك يـــسيرا

أنظر ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمـد أمـين طـه: ١/ ٢٣١، دار المعـارف بمصر. وقد ورد هذا البيت في اللسان، مادة: كفر.

٤٦- بِســـراجِ كُـــلِّ مُلِحَّـــةٍ في لَوْنِهـــا
كَلَـــفٌ وَمَعْلَـــمِ كُـــلِّ أَرْضٍ مَجْهَـــلِ

قال الصولي :

الأرض المَجْهَل: التي لا أعلام فيها يُهتَدَى بها. وهذا مثل.

يقول: يتبيّن كل ما يجهله الناس، وَيُضِيءُ رَأْيه إذا أظلمت آراؤهم.

وقال الخارزنجي :

"المعلم": المشهور. الذي لا يُخْفَى مكانه فيُقْصَد.

٤٧- فـــانْهَضْ وإنْ خِلْـــتَ الـــشِّتاءَ مُـــصَمِّماً
حَـــزْنَ الخَلِيقَـــةِ جامِحـــاً في المِـــسْحَلِ[٥٧]

قال الصولي :

يقول لنفسه: فاخرج الى هذا الممدوح من الموصل الى سرّ مَنْ رأى، وإنْ كان الشتاء حَزْن الخليقة. (أي: خشن الخليقة).[٥٨] وهذا مثل واستعارة.

"جامحاً": يقول: وإنْ كان الشتاء جامحاً في المسحل. "في المسحل": وهو حديدة اللجام. و"المصمم": الجادّ في الأمر.

قال أبو العلاء :

هذا مستعار للشتاء، وأصله للفرس، كما يقول جرير:

× غَمْرَ البديهة جامحاً في المسحل ×[٥٩]

---

[٥٧] رواية التبريزي "الخليفة" بالفاء.

[٥٨] الكلام المحصور بين القوسين زيادة في الشرح وردت في كتاب الصولي.

[٥٩] تمام البيت :

طلبـــتْ قيـــونُ بـــني قفـــيرةَ ســـابقاً
غَمْـــرَ البديهـــة جامحـــاً في المِـــسْحَلِ

وهذا البيت من قصيدة قالها للفرزدق. مطلعها:

لِمَـــنِ الـــديار كأنّهـــا لم تُحْلَـــلِ
بـــينَ الكنـــاس وبـــينَ طَلْـــحِ الأعْـــزَلِ =

وقال الخارزنجي :

يخاطب نفسه. يقول: فانهض إليه، وإن ظننت أن الشتاء يصمم ببرده على المسافرين، وأنت في ذلك خشنُ الخليقة في الصَبّر. ماض على عزمك لا تثنيك عن المُضِيِّ مَشَقَّةُ الشُقَّةِ كاعتزام الفرس على لجامه إذا فتح فمه وركب رأسَهُ.[٦٠]

٤٨- وَلَـدَيْكَ آلاتٌ جَنُـوبٌ كُلُّهـا

فـاحْطِمْ بأَصْـلَبِهِنَّ صُـلْبَ الـشَّمْأَلِ[٦١]

قال الصولي:

"فاحْطِم بأصلبهنّ أنف الشمْأل".

وقال الآمدي عقيب هذين البيتين: وروى.

× فاحطِمْ بأصلبهنّ أنف الشَّمْأَل × بالحاء المهملة:

كأنه يحثّه على الخروج في سفره. أي: فانهض، وإنْ ظننت ان الشتاء يأتيك مصمّماً حَزْن الخليقة. أي: شديداً خشناً.

و"الخليقة": الخُلق، أي: وإن ظننته يأتي بِسَجِيّةٍ وطبع خشن.

"جامحاً في المسحل": الجامح مِن الخيل: الذي لا يمرّ على سُنَنٍ مستقيم، لشدّة مرحه ونشاطه. و"المسحل": حديدة اللجام التي تكون تحت الحنك الأسفل. و"الجحفلة":[٦٢] السُّفلى. شبّهه بالفرس الذي يجمح في مسحله، أي: لجامه.

وبخطّ يحيى بن محمد الارزني:

=انظر ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب. تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه: ٢/٩٤١، دار المعارف بمصر.

[٦٠] جاء في كتاب أبي زكريا :

أصل "التصميم" أن يصيب السيف غيرَ مَفْصِل فيقطع، إنما أُخِذَ من صميم الشيء، وهو خالصه وأشدّه. ومِن ذلك قالوا للشدَّة: صِمّة. ثم قيل لكل جادٍّ في أمْر: مُصَمِّم. قال المازني:

إذا هَـمّ أَلْقَـى بَـينَ عينيـه عَزْمَـهُ

وصَـمَّمَ تَـصْمِيمَ الـسُّرَيجيّ ذي الأثـرِ

[٦١] رواية الصولي والتبريزي "فلديك".

[٦٢] الجَحْفَلة للحافر: كالشَّفَةِ للإنسان. والجحفلُ: الغليظ الشَّفة. قاله الجوهري.

الرواية: "فاخطم بأصلبهنّ صُلْب الشمْأل".

وهذه عادة أبي تمام، ولمّا ذكر أنف الشمأل كان الأشبه أن يقول: "فأخطم" بالخاء، فانّه ألْيَق بذكر الأنف.

وقد تقدمت هذه الرواية.

ويروَى: "ولديك آلات جنود كلها".

وقال أبو العلاء :

وقد تردد في شعر الطائي وشِعْر غيره، حَمْدُ الجنوب، لأنها تجيء بالمطر. ويذمّون الشمال، لأنها تهبّ في الشتاء، ويكون معها بَرَد.

وقال الخارزنجي :

يقول: مِن عُدَدِ الشتاء ما يقتُلُ برده، فتصير الشَّمْأل وهي ريح باردة جنوباً، فاخطم بهذه العُدَدِ أنف الشمال لينقاد لك.

وفي حاشية: الآلات: الثياب والفِراء.

٤٩- عَامٌ وَشَهْرٌ مُقْبِلانِ كِلاهُمَا
مَا اسْتَجْمَعَا إلاَّ لِحَظٍّ مُقْبِلِ

قال الخارزنجي :

يقول: هذا العام، وهذا الشهر الذي نسافر فيه أقبلا إليك. وما ذاك إلاّ لِحَظٍّ قد أقبل عليك.

٥٠- الوَقْتُ بَسَّامٌ يُخَبِّرُ أَنَّهُ
مِنْ خَيْرِ عُضْوٍ في الزَّمانِ ومَفْصِلِ

في كتاب أبي زكريا :

أي: مَنْ سافَرَ في هذا الوقت حَمِدَ عاقبةَ سفره.[٦٣]

[٦٣] ورد هذا الشرح في كتاب أبي زكريا تحت البيت السابق "عامٌ وشهر...".

وقال الخارزنجي :

الوقت طلق الوجه ليس به عبوس، فهو يبشّرك انه مِن خيرِ أوقات الزمان وأحايينه.

وقال المبارك بن احمد :

إنما أراد ان السفر في هذا الوقت صالح، لأنه مِن خيرِ أوقات الزَّمان، لا انّهُ ممّا يَحْمدُ فيه المسافر عاقبة سفره.

* *

وقال أبو تمام :

يمدحُ مالكَ بن طَوْق :

١ـ قُلْ لابْنِ طَوْقٍ رَحَى سَعْدٍ إذا خَبَطَتْ
نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَعْلاها وأَسْفَلَها

قال أبو العلاء :

"أَرحاء الحرب": شُبِّهوا بأرحاء الطحن. وهم قبائل تكون لكل قبيلة منهم أرض تحلّها وتحميها، ومياه تردها. تستدير بتلك البلاد ولا تظعن عنها في شتاءٍ ولا صيف.[١]

أي: إذا وطئت نوائب الدهر أعلا هذه الرّحا وأسفلها. أي: شريفها ومشروفها عاذوا به، وأقاموا عنده في معروفه. وسعد قبيلته.

---

[١] ذكر أبو زكريا كلام أبي العلاء هذا في كتابه، وذكر بعده ما يأتي:
و"الأَرْحاء": فيما ذكر أبو عُبيد سِتّ: اثنتان في مُضَر، وهما: كِنانة بن خزيمة، وتميم بن مُرّ. واثنتان في ربيعة، وهما: بكر بن وائل، وعبدالقيس بن أفصى. واثنتان في اليمن، وهما: طيئ بن أُدَد وكلب بن وَبْرَة.
وأراد الطائي بـ"رَحى سعد": ان هذا الممدوح عِماد قومه، يُطيفون به. وأَوْمَأَ الى أنه كأحَدِ هذه الأرحاء المتقدّم ذكرها في عظم الشأن وحماية البلاد. ومن ذلك قيل "رَحَى الحرب": أي مُعظَمُها وموضع مجالها.
ويجوز أن يكون الأصل في هذا ان "الرَّحَى" أرض مرتفعة مستديرة، فَشُبِّهت القبيلة بها كما شبِّهَتْ بالجبل والهَضْب. قال الشاعر:
إذا ما القُفُّ ذو الرَّحْيَيْنِ أبْدَى
زَخارِفَهُ وأفْرَخَتِ الوُكُور

٢- أَصْبَحتَ حَاتِمَها جُوداً وأحْنَفَها
حِلْماً وكيِّسَها عِلْماً وَدَغْفَلَها[*]

قال الصولي:

"الكيّس"، يعني: النمر بن تولب.[٢] وكان يلقب الكيّس لحكمته.

قال أبو العلاء:

حاتم الطائي: مشهور.[٣] والأحنف بن قيس بن سعد من زيد مناة.[٤] والمعروف عند النسابين: زيد بن الكيِّس. ودغفل.[٥]

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٣- مَالي أرَى الحُجْرَةَ الفَيْحاءَ مُقْفَلَةً
عَنّي وقَدْ طَالَما استَفْتَحْتُ مُقْفَلَهَا

٤- كأنّها جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً
وَلَيْسَ لي عَمَلٌ زَاكٍ فأدْخُلَها

(٢) النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي. شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية وكان فيها شاعر "الرباب"، ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهّاباً لماله، يشبّه شعره بشعر حاتم الطائي. أدرك الإسلام وهو كبير السن. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلّم، فكتب عنه كتاباً لقومه فيه: هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم لبني زهير بن أقيش: "انكم إن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأدّيتم خُمس ما غنمتم الى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأنتم آمنون بأمان الله عزّ وجل". وروى عنه حديثاً. وعاش الى أن خرف، فكان هجيراه: "أقروا الضيف وأنيموا الراكب وانحروا له". مات في نحو ١٤هـ قال الجمحي: كان عمرو بن العلاء يسميه "الكيّس" لحسن شعره. أخباره في: خزانة الأدب: ١/١٥٦، والشعر والشعراء: ١٠٥، وجمهرة أشعار العرب: ١٠٩، والإصابة ت: ٨٨٠٤.

(٣) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عَدِي، فارس شاعر جواد جاهلي، يُضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماويّة بنت حجر الغسّانية، ومات في عوارض(جبل في بلاد طيئٍ) سنة ٤٦ق،هـ قال ياقوت: قبر حاتم عليه، وأرّخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم. أخباره في: تهذيب ابن عساكر: ٣/٤٢٠، والشعر والشعراء: ٧٠، وخزانة الأدب: ١/٤٩٤، ونزهة الجليس: ١/٢٨٤.

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين المريّ السعدي المِنقَري التميمي، أبو بحر، سيّد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم. وُلد بالبصرة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يره، ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه في المدينة، فاستبقاه عمر رضي الله عنه، فمكث عاماً، وأذن له فعاد الى البصرة، فكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الأشعري:=

ويجوز أن يكون الطائي استغنَى بالكيّس، وهو أبوه عن ذكره، لأن المشهور هو "زيد". قال الشاعر:

فمـا ابـنُ الكـيِّسِ النَّسَّابُ منكم

ولا أنتم هناك بدغفلينا[6]

وهذين الرجلين عنَى القطاميُّ بقوله:

أحاديثُ مِنْ عَادٍ وجُرْهُمَ جَمَّةٌ

يُثَوِّرها العِضَّانِ زيدٌ وَدَغْفَلُ[7]

=أما بعد فادن الأحنف وشاوره واسمع منه، وشهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع عليّ رضي الله عنه. ولمّا انتظم الأمر لمعاوية عاتبه، فأغلظ له الأحنف في الجواب. فسئل معاوية عن صبره عليه، فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيمَ غضب، وولي خراسان، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير أمير العراق. توفي سنة ٧٢هـ أخباره في: ابن سعد: ٦٦/٧، وابن عساكر: ٧/١٠، وابن خلكان: ١/٢٣٠، وجمهرة الأنساب: ٢٠٦، والأعلام: ١/٢٧٦.

(٥) دَغْفَل النّاسب: هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهليّ الشيباني، نسّابة العرب. يضرب به المثل في معرفة الأنساب. قال الجاحظ: لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً. قيل: اسمه حجر ولقبه دغفل. وفد على معاوية في خلافته، فسأله عن العربية وعن أنساب الناس والنجوم فأعجبه علمه، فأمره أن يتولى تعليم ابنه يزيد، ففعل، وغرق يوم دولاب بفارس في وقعة الازارقة سنة ٦٥هـ أخباره في: الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة، والبيان والتبيين، والكامل لابن الأثير، وميزان الاعتدال: ١/٣٢٨، والمحبر: ٤٧٨، والأعلام: ٢/٣٤٠.

(٦) رواية الشطر الأول من البيت في الديوان:

× فما ابن الكيّس النَّمَرِي فيكم" ×

أنظر شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع: د. داود سلوم: ٢/١٣٣، مطبعة النعمان، النجف: ١٩٦٩.

(٧) يثوّرها : ينشرها.

ورد بيت القطاميّ هذا في اللسان. وقال:

يريد بالعضَّيْنِ: زيد بن الكيّس النُّمري. ودغفلاً النسّابة. وكانا عالمي العرب بأنسابها وأيامها وحِكَمِها.

فإنْ كان الطائيّ أراد: زيد بن الكيّس فاسْتَغنَى بالأب فهو كما قال أوس:[٨]

فَهَــــلْ لكمـــا فيهـــا إلـــيّ فـــإنَّني
بَــــصيرٌ بمـــا أعْيَـــا النطاســـيّ حِـــذْيمَا[٩]

أراد ابن حِذْيم فيما ذكره الرواة.[١٠]

× قـل للأميـر فتى سَعْـد ×

وذكر انه قالها في المعتصم [كلمة غير واضحة]. قال: وزيد بن الكـيّس النمـيري مـن النمر بن قاسط. ودغفل: النّسّابة: من بني ذهل بن ثعلبـة.

* * *

وقال أبو تمـــام :

يمدح أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دُوَاد الأيادي:

١- بَــــوَّأْتُ رَحْلِـــي في المَـــرَادِ المُبْقِــلِ
فَرَتَعْـــتُ في إثْـــرِ الغَمَـــامِ المُـــسْبِلِ

---

(٨) أوس بن حجـر بن مالك التميمي، أبو شريـح، شاعر تميـم في الجاهلية، أو مـن كبـار شـعرائها. في نسبه اختـلاف بعد أبيه حجر، وهو زوج أُمّ زهير بن أبي سلمى. كـان كثـير الأسـفار، وأكثـر إقامتـه عند عمرو بن هنـد في الحيرة. عمّــر طـويلاً، ولـم يـدرك الإســلام. في شـعره حكمـة ورقــة. وكان غـزلاً مغرماً بالنساء. قال الأصمعي: أوس أشعر من زهيــر، إلا ان النابغـة طأطـأ منه. أخباره في: معاهد التنصيص: ١/١٣٢، والأغــاني: ١١/٧٠، وخزانـة الأدب: ٢/٢٣٥، وسـمط اللآلي: ٢٩٠.

(٩) هذا البيت من أبيات مطلعها :

فــــإنْ يـــأتِكُمْ منّـــي هجـــاء فإنّمـــا
حَبَـــاكمْ بـــه منّـــي جميـــل بـــن أرقمـــا

أنظر ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، ص ١١١، دار صادر، بيروت. وروايـة البيـت فيه "طبيب" مكان "بصير".

(١٠) جاء في كتاب أبي زكريا :

النمر بن تولب: كان يسمّى: الكيّس، لحلمه.

٢ـــ مَـــنْ مُبْلِـــغٌ أفنـــاءَ يَعْـــرُبَ كُلَّهـــا
أنِّـــي ابْتَنَيْـــتُ الجـــارَ قَبْـــلَ المَنْـــزِلِ

قال أبو العلاء :

جعل الجار يُبتَنى كما تُبتنَى الدار. وهـذا مجـانس لقولـه تعـالى: {ومكـروا ومَكَـرَ اللَّـهُ}،[1] لأنه جعل جزاءهم على المكر مكراً.

وكذلك الجارُ لَمّا كان حالاً الى جانب الدار، جاز أن يُستعار له ما هو لهـا في الحقيقـة. وذلك مثل قولهم للرّجل إذا رَأَوْه يَخِيط ثوبه وقد انهدم له بيت: خياطةُ بيتك أوجـبُ مِـن خياطة ثوبك. والبيت لم تجرِ العادة باستعمال الخياطة فيه.

ومثل هذا كثير، يُستعار ما هو للشيء المقارب غيرَه فينقَلُ الى ما قاربه. ويقوّي قولـه "ابتنيتُ الجار": ان الإبتناء تثبيت وإحكام. أي: أوثقت أمري مع الجار، وارتـدْتُ أفـضل مَنْ أقدِرُ عليه.

أسْرَف أبو تمام في استعمال البديع حتّى أتى بما لا يحسُن من الإستعارة، نحـو هـذا البيت، ونحو قوله:

١–والوقـــــت بــــسّام يخبّـــــر انــــه
مِـــنْ خـــيرِ عـــضوٍ للزمـــان وَمَفْـــصِلِ[2]

فجعل للزمان أعضاء ومفاصل.

"افناء" جمع: فنو: وفلان مِن افنـاء العرب: مِن جملتهم. لا تُعْرَف قبيلته.

٢– وأخَـــذْتُ بـــالطِّوَلِ الـــذي لم يَنْـــصَرِمْ
ثِنْيـــاهُ والعَقْـــدِ الـــذي لم يُحْلَـــلِ[*]

---

[1] الآية (٥٤) من سورة آل عمران.

[2] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

٣– لـــيس الوقـــوف بكـــفٍ شـــوقك فـــانزل
تبلُـــل غلـــيلاً بالـــدموع فَتُبْلِـــلِ

وقد مرّ ذكرها.

[*] وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:=

قال ابو العلاء :

"الطّـوَل": الحَبْـل. و"ثِنيـاه": طرفـاه. والعـربُ تكني عن العقـد والعهد بالحبل.

ومنهـــا:

٧- فاســـلَمْ لجـــدِّهِ سُـــوْدُدٍ مُـــسْتَقْبَلٍ
أُلْـــفٍ وَبَـــرْدِ شَـــبِيبَةٍ مُـــسْتَقْبَلِ

في نسخة: بفتح الباء فيهما. وفي نسخة: بفـتح البـاء في الأولى. وكـسرها في الثانيـة، وفيها: مستقبل، أي: استقبل، ويلقى بالإكرام، وقبلهُ.

٨- شَـــرْخٌ مِـــنَ الـــشَّرْفِ المُنِيـــفِ يَهُـــزُّهُ
هَـــزَّ الـــصَّفِيحَةِ شَـــرْخُ عُمْـــرٍ مُقْبِـــلِ

٩- كـــمْ أَدَّتِ الأيّـــامُ مِـــن حَـــدَثٍ كَفَـــتْ
أيَامُـــــه حَـــدَثَ الزَمـــانِ المُعْـــضِلِ

الحَدَث الأول: الفَتَى. والثاني: مِن احداث الزّمان.

١٠ـــ لِلْمَحْـــلِ يَكْـــشِفُهُ ولمْ يَبْعَـــلْ بـــهِ
والثِّقْـــلُ يَحْمِلُـــهُ ولـــيسَ بِمُثْقَـــلِ[٣]

يقال: "بَعِلَ" بالكسر: إذا دهش وَتَحَيَّر.

=٤- هَتَـــكَ الظَّـــلامَ أَبُـــو الوليـــد بِغُـــرَّةٍ
فَتَحَـــتْ لنـــا بـــابَ الرَّجـــاءِ المُقْفَـــلِ

٥ـــ بـأَتَـــمُّ مِـــنْ قَمَـــرِ الـــسَّماءِ وإنْ بَـــدَا
بَـــدْرَاً وأَحْـــسَنَ في العُيُـــونِ وأَجْمَـــلِ

٦ـــ وأجَـــلُّ مِـــنْ قُـــسٍّ إذا اسْـتَنْطَقْتَـــهُ
رَأيـــاً وأَلْطَـــفَ في الأُمـــورِ وأجْـــزلِ

[٣] رواية الصولي: "تكشفه" و"تبعل" بالتاء.

١١- والخَطْـــبُ أُمَّـــتْ مِنْـــكَ أُمُّ دِمَاغِـــهِ
بالقُلَّـــبِ المَاضِـــي الجَنَـــانِ الحُـــوَّلِ

قال أبو العلاء:

"أُمَّت": تحتمل وجهين يرجعان الى معنى واحد. أحدهما: أن يكون "أُمَّت" مِن "الأمّ" الذي هو القَصْد.

والآخر: أن يكون من الشَّجَّةِ الآمَّة التي تبلغ أُمَّ الدِّماغ مِن العظام.

١٢- وَمَقَامَـــةٍ نَبْـــلُ الكـــلامِ سِـــلاحُها
لِلقَـــوْلِ فيهـــا غَمْـــرَةٌ لا تَنْجَلِـــي

قال أبو العلاء :

"المَقَامة": المجلس والمحفل الذي يقام فيه بالخطبة والكلام (الذي يُراد بـه مـصلحة القوم)،[٤] لمشورة في الحرب أو حملِ دياتٍ، أو نحو ذلك. وربما قيل "المَقَامـة": العـشيرة: والمراد انهم إذا اجتمعوا قام فيهم قائم فتكلّم فيهم بما يريد، فصاروا كالمَوْضِع للقيام.

١٣- قَـــوْلٌ تَظَـــلُّ مُتونُـــهُ مُنْهَلَّـــةً
سَـــمَّيْنِ بَـــيْنَ مُقَـــشَّبٍ وَمُثَمَّـــلِ

قال الصولي :

"المثمّل": المبلول. و"المقشّب": الذي لم يبلل. وعـلى هـذا الوجـه كأنّـه في قِـشبه، أي: قِشره.

يقول: تنطق بما يقتل عاجلاً أو آجلاً.

وقال أبو العلاء :

"المُقَشَّب" من السَّمِّ شيء يُجْمَع مِن أخلاط شَتَّى.[٥] و"المُثَمَّل": الذي تُرك حتّى يجود. ويرفع "قولٌ" على انه خبر مبتدأ محذوف.

---

[٤] الكلام المحصور بين القوسين زيادة في الشرح ذكرها التبريزي في كتابه ضمن كلام أبي العلاء.

[٥] جاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء ما يأتي:
يقال: نَسْرٌ مُقَشَّب إذا أُلقِيَ له ذلك الفَنُّ مِنَ السُّمام. ونَسْرٌ قشيب أيضاً.

١٤- فَرَّجــــتَ ظَلْمَتَهـــا بِخُطْبَـــةِ فَيْـــصَلٍ
مَثَــلٌ لهـــا في الـــرَّوْعِ طَعْنَـــةُ فَيْـــصَلِ(*)

قال الصولي :

"مَثَلٌ لها": أي: صفة لها.(٦) ويروى "مِثل لها".

وقال ابو العلاء :

يجوز "مِثَل لها" و"مَثَل لها".

والمعنى : انــه يقولُ كلمــةً تفصل بين القــوم، كأنها طعنـــة فيـصل. وهــي التي يُطعَن بها رئيس القــوم في الحــرب فتــؤدي الى قتلـه، فيكــون ذلـك ســبب انهزامهــم ولا تُغادر لهم تلك الطعنــة بَقِيَّــةً ولا ثباتــاً في الموقف.وفيهـــا :

١٩- إنْ يَعْجَـــبِ الأقـــوامُ أنِّـــي عِنْـــدكُمْ
مِـــنْ دُونِ ذي رَحِـــمٍ بهـــا مُتَوَسِّـــلِ

٢٠ـــ فَبَنُـــو أُمَيَّـــةٍ الفَـــرَزْدَقُ صِـــنْوُهُمْ
نَـــسَباً وكـــانَ وِدَادُهُـــمْ للأَخْطَـــلِ(٧)

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

١٥ـــ جُمِعَـــتْ لَنَـــا فِـــرَقُ الأمـــاني مِـــنكُمُ
بِـــأَبَرَّ مِـــنْ رُوحِ الحَيَـــاةِ وأوْصَـــلِ

١٦ـــ فَـــصَنِيعَةٌ فـــي يَوْمِهـــا وَصَـــنِيعَةٌ
قَـــدْ أحْوَلَـــتْ وصَـــنِيعةٌ لمْ تُحْـــولِ

١٧ـــ كالمُـــزْنِ مِـــنْ ماضـــي الرَّبـــابِ وَمُقْبِـــلِ
مُتَنَظَّـــــرِ وَمَخَـــــيِّمٍ مُتَهَلِّـــــلِ

١٨ـــ لـــي حُرْمَـــةٌ وَالَـــتْ علـــيَّ سِـــجَالَكُمْ
والمـــاءُ رِزْقُ جِمَامِـــهِ لـــلأَوَّلِ

رواية الصولي "رِزْق".

(٦) قال الصولي في كتابه بعد ذلك:
وقوله : مثل الحيّة: أي صفة الحيّة.

(٧) رواية الصولي والتبريزي: "في الأخطل".

قال الصولي :

أبو مالك يروي "بأنّي إلفكم".

يقول: أي: عجبوا اني عندكم بهذه المنزلة دون أقاربكم، فبنو أميّة مِن مُضَر. والفرزدق مُضَريّ. وكان الأخطل وهو من ربيعة أحبّ إليهم منه لمدحه إياهم.

ويروَى وهو ردئ "فبنو أميّة والفرزدق منهم نسباً".

وقال أبو العلاء :

وفي بعض النسخ: "فبنو أميّة والفرزدق" بواو. وفي آخر البيت: "ووِدادهم للأخطل".

وذلك ردئ لأنه يفتقر الى أن يجعل إحدى الواوين زائدة. ويجب أن يكون الطائي، قال: "فبنو أُميّةٍ الفرزدقُ" بالتنوين وحذف الواو.

وقوله: "انّي عندكم"، أي: مُختصّ بكم.[8]

* *

وقال أبو تمام :

في عِلّة أحمد بن أبي دُوَاد :

١- لا نَالَــكَ العَثْــرُ مِــنْ دَهْــرٍ ولا زَلَــلُ
ولا يَكُــنْ للعُــلاَ مِــنْ فَقْــدِكَ الثُكُــلُ[1](*)

---

[8] قال أبو زكريا التبريزي في كتابه : ٣/٥١:
أراد ان بني أُميّة مِن مُضر، وتميمُ بن مُرٍّ من مُضَر أيضاً، والفرزدق منهم، وكنانة مِن خُزَيمة، وتميم ابن مُر يجمعهم خِنْدق، وهي ليلَى ابنة حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة. فجعل الطائي الفرزدق صِنْواً لبني أُميّة، أي: أخاً. كما يقال للرجل: يا أخا مُضَر، أي: أنه واحدٌ منهم وإن كان النسب متباعداً. وإذا حُمِل الأمر على ذلك فبنو آدم كلهم إخوة.
والأخطل مِن ربيعة. فأراد الطائي ان بني أُميّة كانوا يُقَرِّبون الأخطل، والفرزدقُ أقربُ إليهم في النسب.
يقول: فأنا مِن طيئٍ وأنتم مِن إياد بن نزار، وقد مِلْتُ عن قومي إليكم، وآثرتموني على غيري مِن الشعراء، فكان مَثَلي معكم مَثَلَ الأخطل مع بني أُميّة، لأنهم قرّبوه، وهو مِن ربيعة، وتركوا الشاعر المُضَريّ.

[1] رواية الصولي "ما نالك العَثر مِن دهر ولا الزلل". ورواية الصولي والتبريزي: "في فقدك"/ وجاء في مخطوطة النظام: وردت لفظة (الزلل) تحت السطر ولفظة (في) فوق السطر.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:=

٣ــ تَــضَاءَلَ الجُــودُ مــذْ مُــدَّتْ إليْــكَ يَــدٌ
مِــنْ بَعْــضِ أيْـدِي الـضَّنَى واسْتَأْسَـدَ البَخَـلُ[٢][**]

قال أبو العلاء :

"استأسَدَ": أي: عَظُم شأنه فصار كالأسد. ويجوز أن يكون مِن قولهم: استأسد النبت: إذا اتّصل بعضه ببعض.

قال المبارك بن أحمد:

الأوّل أوْلى، لقوله: "تضاءل الجود" فجمع بين الضّعف والقوّة.

وقال الخارزنجي :

يعني: تصاغر الجود، وتجرّأ البخل عليه، حتّى كأنه غلبه بعد ان كان مغلوباً.

٦- وأَعْـيُنُ الخَلْـقِ تُعْطِـي فَـوْقَ مـا سُـئِلَتْ
عَلَيْــكَ والــصَّبْرُ يُعْطِــي دُونَ مــا يُــسَلُ

قال أبو العلاء :

أي: إن الناسَ يبكون مِن شِدَّة جزعهم فتجود أعينهم بأكثر مما يُطْلَبُ منهم، والصَّبْرُ يُسْأل فلا يُعطَى إلاّ قليلاً نَزْراً.

قال المبارك بن أحمد :

للّه العباس بن الأحنف في قوله :

=٢- لا تَعْتَلِــــلْ إنَّمـــا بالمكْرُمَـــاتِ إذا
أنْــتَ اعْتَلَلْــتَ تُــرَى الأوجَــاعُ والعِلَــلُ

[٢] رواية الصولي "النّوى" مكان "الضّنى".

[**] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٤- لمْ يَبْــقَ في صَــدْرِ رَاجِــي حَاجَــةٍ أمَــلُ
إلاّ وَقَــدْ ذابَ سُــقْماً ذلــكَ الأمَــلُ

٥- بَيْنـــا كـــذلِكَ والـــدُّنيا علـــى خَطَـــرٍ
والعُــرْفُ فِيــكَ الى الــرَّحْمنِ يَبْتَهِــلُ

إذا مـــا دَعَـــوْتُ الـــصَّبْرَ بَعْـــدَك والبُكـــا
أجـــابَ البُكَـــا طَوْعـــاً ولم يَجِـــبِ الـــصَّبْرُ[٣]

٧- حَبَـــا بِـــكَ اللّـــهُ مَـــنْ لـــوْلاَكَ لانْبَعَثَـــتْ
فيـــهِ اللَّيـــالي ومنهـــا الوَخْـــدُ والرَّمَـــلُ

قال أبو العلاء :

أجود الكلام أن يقال: "لولا أنت". وقوله "لانبعثت فيه الليالي": أراد خطوب الليالي ورزاياها التي كانت تَفْتَنّ في أذاه كما تَفْتَنُّ الإبل في سيرها فَتَخِدُ وتَرقِل.

وفي نسخة: "لابتُعِثَتْ مِنه الليالي". وفسّر قوله "لابتعثت"، أي: لقامت. و"فيه الليالي"، و"منه". والأول أجود.

و"حَبَا بك اللّه": جواب.

وقوله: "بَيْنا كذلك".[٤] وكأنه أراد: "بينا نحن كذلك"، أي: كما وصف في الأبيات قبل.

ويروَى "احْيَا بك": إذا ساء الحال.

وقال الخارزنجي :

"حَبَا بك الله من لولاك": عنى بقوله "مَنْ" نفسه. أي: حباني الله بصحّتك مِن عِلّتك حباءً.

والأوْلى أن تكون "مَنْ" غير مخصصة. وهو أبلغ مدحاً:

٨- سُـــقْمٌ أُتِـــيحَ لـــهُ بُـــرْءٌ فَدَغْدَغَـــهُ
والـــرُّمْحُ يَنْـــآد حِينـــاً ثُـــمَّ يَعْتَـــدِلُ[٥]

---

[٣] هذا البيت من بيتين ثانيهما:

فـــإنْ تَقْطَعِـــي منـــكِ الرَّجـــاءَ فانَّـــهُ
سَـــيَبْقَى عليـــكِ الحُـــزْنُ مـــا بَقِـــيَ الـــدَّهْرُ

أنظر ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: د. عاتكة الخزرجي، ص ١٣٧، ط. دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

[٤] يعني البيت الخامس في هذه القصيدة الذي لم يذكره المبارك بن أحمد. وهو "وبينا كذلك والدنيا على خطَر... البيت". وقد ذكرناه في الهامش.

[٥] رواية الصولي "فَدَغْدَغه" بالدال والغين المعجمة.

"ذعذعه": حرّكه وفرّقه.

قال الآمدي :وأنشد: "سُقْم أُتيحَ له بُرْءٌ فذعذعه"... البيت". وعليه في هذا التمثيل مقال:

لأن الرمح ينآد من عيب فيه ولا عِلّة تعرَض له فيجعله مثالاً للسقم السقيم، بل إنما ينآد مِن لينه، واللِّين هو المحمود فيه، وإذا لم يك فيه لين فقد يبس وجفّ وصار حطباً.

والعذر له يتوجّه أن يكون أراد بقوله "ينآد حيناً"، أي: يكون مُعْوَجّاً وقتاً فيثقف فيعتدل. ألا ترى الى قوله في موضع آخر: "ما في متنه أود"، أي: اعوجاج.

وقال الخارزنجي :

فأتى بمعنى الآمدي، واختصر، وقال:

مثل عِلّتك كالرمح، ربما يعوجّ لشيء يصيبه ثم يستقيم.

٩- وحَالَ لَوْنٌ فَرَدَّ اللّهُ نَضْرَتَهُ
والنَّجْمُ يَخْمُدُ شيئاً ثُمَّ يَشْتَعِلُ

قال الآمدي :

وهذا مما يُسْأَل عنه، فيقال: أي: نجم رَآه خَمَدَ ثم اشتعل؟ فإنّما النجم يسترهُ بخار أو هبوَةٌ، فإذا انجلت أضاء. فيقال: فذلك الذي أراده وإليه ذهب.

١٠- أَجْرٌ أتاكَ ولمْ تَعْمَلْ لَه وبَلاً
فِكْرُ المُقِيمِ على تَوْحِيدِهِ عَمَلُ

ويروَى: "وعك المقيم".

وقال الخارزنجي :

ويُروَى: "وكَسْبُ أجرٍ" و"عك المقيم". يقول:

قد آجرك الله على ما قاسيت مِن أَلَم هذه العِلّة. وهذا كسب لم تعمل له.

ثم قال. بَلى ، إنما أصابك من وَعْك الحُمّى بعد توحيدك من أفضل الأعمال التي يؤجر عليها صاحبها.

و"الهاء" في "توحيده" تعود الى المقيم. وأراد به: المؤمن المقيم على توحيده. أي: الذي لم يغيّره المرض عن معتقده.

وهو معنى ردئ بارد.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدح أبا بِشْرٍ عبدالحميد بن غالب، ويصف ورداً وشراباً وحملاً أهداها إليه:

١- أمّا أبو بِشْرٍ فَقَدْ أضْحَى الوَرَى
كَلاً على نَفَحَاتِهِ وَنَوَالِهِ

ويُرْوَى: "أضْحَى النَّدَى". أي: كَلَّ جود دونَ جوده.

ورَوَى الخارزنجي: "فقد أَضَحَى النَّدَى". وقال:

"الكَلّ": العيال. و"النفحات": العطايا.

يقول: أمّا أبو بشر فقد غلبت عطاياه ونفحاته الجود، فصار عيالاً عليها.

٢- فَمَتَى تُلِمَّ بِهِ تَؤُبْ مُسْتَيْقِناً
أنْ لَيْسَ أوْلَى مِنْ سِوَاهُ بِمَالِهِ

في النسخة التي لأبي المظفر ابراهيم بن أحمد بن الليث:

"مَنْ سواه": مفتوحة الميم. أي: ليس أحد أوْلَى بالمال منه، لوضعه إياه في موضعه، ولتتبّعه مواقع الحقّ به.

قال المبارك بن أحمد :

هذا على ان يجعل "مَنْ سواه" اسم ليس. و"أوْلَى" خبرها. وتكون "مَنْ" موصولة، ويكون قد حذف المبتدأ من صلتها، كأنه قال: مَنْ هو سواه.

ويجوز أن تكون "مَنْ" نكرة. أي: ليس رجل سواه أوْلَى بماله. ويعمل في الباء فعل دلّ عليه "أوْلَى".

ووجدت في غير نسخة: "مِن سواه" على انه حرف جرٍّ. ووجدت في نسخة: فتح الميم وكسرها معاً.

ومعنى البيت إذا كان "مِن" حرفاً جاراً: انك متى تلمُم به تعُد وأنت مستيقنٌ أنْ ليس أوْلَى بماله من غيره. لأن غيره يحكم فيه كما تحكم، ويكون في "ليس" ضميره، وهو اسم "ليس"، "أوْلَى" خبرها. وضمير الشأن محذوف.

والتقدير في كِلا الوجهين : انه ليس.

ومَتَى وجدتُ أحداً فسّر هذا البيت ألْحَقْته بهذا الموضع إن شاء الله تعالى.

٣- كَرَمٌ يَزِيدُ على الكِرَامِ وَتَحْتَهُ
أَدَبٌ يُفَكُّ القَلْبَ مِنْ أَغْلاَلِهِ

وروى الخارزنجي :

"كرم يُريهِ عُلا الأمور"، وقال :

العُلا: المكارم. يقول: له كرم يُريه معالي الأمور، فهو يسمو إليها بهمّتهِ، وتحت ذاك الكرم أدب ينفي الشَّكَّ عن القلب ويُعطي الصواب.

٤- أُبْلِيتُ مِنْهُ مَوَدَّةً عَبْدِيَّةً
رَاشَتْ نِبَالي كُلَّهَا بِنِبَالِهِ

في النسخة العجمية :

أي: أُعْطيتُ منه مودّةً كمودّةِ السيّد لِعَبْدِه، وشفقتهِ عليه. يعني: انه اعتدَّ بي اعتدادُه بمَنْ هو في جُملته من عبيده. وأصلح أموري كما يصلح أمورهم.

ويقال: أُعْطِيتُ منه مودّة تطاوعني على مرادي كأنّها عبدي.

وفي نسخة: أبليت منه وراشت نصالي كلها بنصاله، ويكون "أُبليت" من قولهم: أَبلاه الله بلاءً حَسَناً. أي: اختبره. فتكون أبليت: أي: أختبرتُ.

وقال الخارزنجي :

أُبْليتُ: أُعْطِيتُ. يقول: أعيطتُ منه مودّة تطاوعني فيها على كل ما أريده، وتواتيني فيها مواتاة العبد سيّده.

٥- حتَّـــى لـــوَ انَّـــكَ تَسْتَـــشِفُّ ضَـــمِيرَهُ
لَـــــرَأيْتَني في الــــصَّدْرِ مِـــــنْ آمالِــــهِ

قال الخارزنجي :

"تَسْتَشِفّ": تبصر ما فيه مِن ورائه.

يقول: أعطيتُ منه هذه المودّة، وخَصّني بها حتّى لو انك نظرت الى ضميره لرأيتني أملاً من آماله، يأمُله ويتمنّاه.

٦- أوَ مـــا رَأيْـــتَ الـــوَرْدَ أتْحَفَنَـــا بِـــهِ
إتْحَـــافَ مَـــنْ خَطَـــرَ الـــصَّدِيقُ بِبَالِـــهِ؟

هذا التشبيه الذي ذكره من الإتحاف لا يؤدي معنى ان مَنْ خطر الصديق بباله أتحفه، سيما ومِن جملة تُحفهِ مسلُوخَةُ حَمَلٍ.

٧- وَرْداً كَتَوْرِيـــدِ الخُـــدودِ تَلَوَّنَـــتْ
خَجَـــلاً وأبْـــيَضَ في بَيَـــاضِ فَعَالِـــهِ

٨- والقَهْـــوَةَ الـــصَّفْرَاءُ ظَلَّـــتْ تُـــسْتَقَى
مِـــنْ طَيِّبَـــاتِ المُجْتَنَـــى وَحَلالِـــهِ[1]

في نسخة : لعلّه كان مطبوخاً.

ويُروَى: "تُسْتَقَى مِن طيّبات المُسْتَقَى وزلاله" و"حلاله".

وقال الخارزنجي في شرحه

أي: التي تستقَى مِن الخوابي التي أَعدّها لمثلها في منزله. ليست مما يُحمل إليه لرشوة أو مصانعة، لكنها من خاصّ ماله الحلال.

ويُروَى: "المختبي" بالخاء. وله وجه بعيد، كأنه مما ترك في الخوابي.

ويُروَى: "المُجْتبَى".

[1] رواية الصولي والتبريزي "الصّهباء" مكان "الصفراء".

٩- مَـــشْمُولَـةٌ تُغْنِـــي المُقِـــلّ وإنّمـــا
ذَاكَ الغِنَـــى التَّزْيِـــدُ في إِقْلاَلِـــهِ[٢]

قال ابو العلاء :

إذا وُصِفت الخمرة انها مشمولة: أُريـد بها انّها طيّبة الرائحة، وقيل: بـل يُراد أنَّ لها عَصْفَةً، كَعَصْفَة الشمال، وقيـل: أصل ذلك ان الماء إذا أصابتـه الشمال، قيل: شُمِل وبَرَدَ لذلك وطاب. فاستُعِيرَ لَمّا كَثُرَ للخمر وإنْ لم يكن ثَمَّ شمال.

وقوله "تُغْنِي المُقِلّ"، كما قال الآخر:

وإذا ســكـــــــــــرتُ فـانـنـــــــــي
ربّ الخورنـــــــــق والـــــــــسَّدير[٣]

أي ان الخمر توهم الفقير انه غَنيّ، وهي تزيد في فقره وإقلاله. آخر كلامه.

وفي النسخة العجمية :

أي: إذا شربها الـمُقِلّ طرب. فصار كالغَنيّ، وإنمـا عنـاه ذلـك ممـا يزيـد في إقلالـه وفقره، لأنه يسهو عن طلب معاشه، فيكون ذلك زائداً في إقلاله.

هذا كلام الخارزنجي إلاّ شيئاً يسيراً.

١٠- كَمُدَحَّـــجٍ لاقَـــى الكُمـــاةَ مُـــدَجّجاً
فَـــسَعَى لـــبعض خِبالِـــهِ وَضَـــلالِهِ[٤]

هذا البيت لم أَرَهُ إلاّ في النسخة العجمية دُونَ غيرها.

---

[٢] رواية الصولي والتبريزي "مشمولةً" بالنصب.

[٣] هذا البيت للمنخَّل بن الحارث اليشكري من قصيدة مطلعها :

إن كنـــــت عـــــاذلتي فـــــسيري
نحـــــو العـــــراقِ ولا تَحُـــــوري

أنظر ديوان الحماسة. تأليف أبي تمام، تحقيـق: د. عبـدالمنعم أحمـد صـالح، ص ١٥٢، وروايتـه فيـه "فـإذا انتـشيتُ فانني".

[٤] لم يذكر الصولي والتبريزي هذا البيت في شرحيهما.

١١- وَمُلَحَّبــــاً لاقَــــىَ المِنِيّـــــةَ حَاسِـــراً
والمَـــــوْتُ أحْمَــــرُ وَاقِفــــاً بحِيالِـــــهِ

قال ابو العلاء :

"مُلَحّباً". أي: مصروعاً. وكان هذا الممدوح أهدى الى الطائي شراباً وكبشاً مِـن ضـأن أو حَمَلاً، فكنى بـ"الملحَّب" عنه.

واختلف الناسُ في قولهم "الموت أحمر"، وأحسن ما يقال في ذلك انه يـراد بـه القَتْـل، لِحُمْرَةِ الدّم.[٥]

ويجوز رفع "الموت" ونصبـه. يريد: انه ذُبح فلاقَى الموت أحمر، ثمّ سُلخَ فَعَرَّتْه المُدَى من جلده. وإنْ نصب "المـوت" يجب نصب "أَحمر" على الحال.

ويُروَى: "وملحّباً لي بالمنيّة حاسِراً".

وقال الخارزنجي :

"الملحَّب" المقطّع. يعني به المسلوخ الذي أنفذه إليه مع الورد والشراب.

وقوله: "لاقى المنيّة حاسِراً": يعني انه ذبح ولم يكن عليـه سـلاح، والمـوت بحيالـه: يعني المُدْية التي ذبح بها كانت مَعَدَّةً بجنبه.

١٢- فـــأَتَى وَقَـــدْ عَرَّتْــــهُ مُرهَفَـــةُ المُـــدَى
مِــــنْ رُوحِــــهِ جَمْعــــاً ومِــــنْ سِـــرْبالِهِ[٦]

ورَوَى ابو العلاء :

"من جِلْدِهِ طوراً ومِن أوصاله".

يريد: انه قُطِعت أعضاؤه وأُخرِجت العظام منها، وهـي التـي تـصل بعـض الجَـسَد ببعض.

---

[٥] جاء في كتاب أبي زكريا التبريزي بعد كلام أبي العلاء هذا. ما يأتي:
ورُوي عن الأصمعي انه قال: إنما قيل: الموتُ الأحمر، لأن الحمرة مِن ألوان الأسود. وقال بعضهم: إنمـا أرادوا أنَّ نَظَر الإنسان يعـرض له أن يرى الدنيا حمراء، وذلك لأمر يُدركه، كالصفراء والسوداء.

[٦] رواية الصولي "مِن أوصاله".

وإنْ رويت "ومِن أفضاله": فهو جمع فـضل، أي: أُخِـذ مـا الحاجـة إليـه، وتُركـت الفضول التي لا خير فيها.

وقال الخارزنجي :

أتاني هذا المسلوخ بعد ان كان ذا روح وجلد، وهو سرباله. وقد عَرّته المُدْية مِن جلده، وسلبته روحه فتركته عرياناً.

١٣- فَكَبَـا كمـا يَكْبُـو الكَمِـيُّ تَـصَرَّفَتْ
أيّامُـهُ وانْبَـتَّ مِـنْ أبْطَالِـهِ

ويُروَى: "تمـزّقت"، أي: مَضَتْ أيامـه، ودنا أجلـه. و"انْبَتَّ": انقطع.

١٤- لـوْ كـان يُهْـدَى لامْـرِئٍ مـا لا يُـرَى
يُهْـدَى لِعُظِـمِ فِرَاقِـهِ وزِيالـهِ[٧]

١٥- لَـرَدَدْتُ تُحْفَتَـهُ عَلَيْـهِ وإن عَلَـتْ
عَـن ذاك واسْـتَهْدَيْتُ بَعْـضَ خِـصَالِهِ

ويروَى: "عليه معمِلاً إذ ذاك". والأول أجود.

وقال الخارزنجي :

أي: لو كان يُهْدَى لامرئ ما لا يتهيّأ اهداؤه لِعظَمِ فراقه، إذا زال عن صـاحبه لـرددت تحفته، وسألته أن يهدي لي بعض خصاله المحمودة، ولكن لا سبيل الى ذلك.

وفي أخرى: لعظم فراقه وزياله على مهديه.

* * *

وقال أبو تمام :

لأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ:

---

[٧] رواية التبريزي "وذياله" بالذال المعجمة.

١- عَجَبٌ لَعَمْرِي أنَّ وَجْهَكَ مُعْرِضٌ
عَنِّي وأنْتَ بِوَجْهِ نَفعِكَ مُقْبِلُ(*)

ويروى: "عَجَباً" بالنصب. قالوا: وهي الرواية.

٤- حَلْيُ الصَنِيعَةِ أنْ يكونَ لِرَبِّها
لَفْظٌ يُحَسِّنُها وَطَرْفٌ قَلْقَلُ

قال ابو العلاء :

"طَرْف قُلْقُل". أي: طرف يتردّد الى المُسَلِّم ويُكرِّر فيه. وأصل "القُلْقُل الكثير الحركة. ولم يُستعر ذلك مِن قبل الطائي.

ويُرْوَى: "لفظٌ يُحَسِّنهُ".

٥- وَمَوَدَّةٌ مَطْوِيَّةٌ مَنْشُورَةٌ
فيها الى إنْجَاحِهَا مُتَعَلَّلُ

في الكتاب العجمي :

أي: وتكون لربها مودّة مطوية في القلب. منشورة ظاهرة في الوجه بالبشر والطلاقة.

أي: فيها الى ان تنجح الصنيعة متعلّل.

وقد تقدّم ذكر الصنيعة.

٦- إن تُعْطِ وَجْهاً كاسِفاً مِن دُونِهِ
كَرَمٌ وحِلْمٌ خَلِيقَةٍ لا تُجْهَلُ[1]

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٢- بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ ودَارُ بَابُها
لِلْخَلْقِ مَفْتُوحُ وَوَجْهُكَ مُقْفَلُ

٣- أَوَلا تَرَى أنَّ الطَّلاقَةَ جُنَّةٌ
مِنْ سُوءِ مَا تَجْنِي الظُّنُونُ وَمَعْقِلُ

[1] رواية الصولي والتبريزي "من تحته" مكان "مِن دونه".

٧- فَلَــرُبَّ سَـارِيَــةٍ عَلَيْــكَ مَطِــيرَةٍ
قَــدْ جَــادَ عَارِضُــها ومَــا يَتَهَلَّــلُ

قال أبو العلاء :

أي: وما يَضحك بالبرق. يقال: تهلَّل السَّحاب. فأمّا "اسْتَهَلَّ" فمعناه: شِدَّةُ الوقع وظهورُ صوتِهِ.

* * *

وقال أبو تمام :

لاسحق بن [أبي] ربعيّ كاتبِ أبي دُلفَ، وسأَلَه أن يَشْفَع [له] إليه.

١- إنَّ الأَمِيــرَ بَــلاكَ في أَحْوَالِــهِ
فَــرآكَ أَهْزَعَــهُ غَــدَاةَ نِــضَالِهِ(*)

قال الصولي :

"الأهزع": سهم يُعتمد عليه، وهو آخر ما يبقى في الكنانة. قال فيه:

× لأنك كالرامي بغير أهزعا ×

قال الجوهري: الأهزع: آخر ما يبقى مِن السهام في الكنانة، جيّداً كان أو رديئاً.

فعلى ما فسّره الصولي وقع مدحاً. وعلى ما ذكره الجوهري يبعد عن المدح.

وقال أبو العلاء:

وأكثر ما يستعمل في النفي مع التنكير. يقال: ما في الكنانة أهزع. وقد استعمله النمر بن تولب غير منفي. فقال:

(*) ورد بعد هذا البيت في المقطوعة البيت الآتي:

٢- آسَــيْتَهُ في المكْرُمَــاتِ ولــم تَــزَلْ
رُكْنــاً لِمَــنْ هــو مُمْــسِكٌ بِحِبالِــهِ

فـــــأخْرَجَ مِـــــن نَبْلِـــــهِ أهْزَعـــــا
فَـــــشَكٍّ نَواهِقَـــــه والفَمَـــــا[1]

وقد أخرجه الطائي الى الإيجاب، وزاده التعريف بالإضافة.

٣ـــ فَغَـــدَوْتَ مَحْبُوبـــاً الى هِمَّاتِـــهِ
وَغَـــدَوْتَ مَقْلِيّـــاً إلى عُذّالِـــهِ[2](**)

قال الصولي :

ويُروَى: "محبوباً الى أضيافه".

٥ـ فَلَقِيـــتُ بـــينَ يَدَيْـــكَ حُلْـــوَ عَطَائِـــهِ
وَلَقِيـــتَ بَـــيْنَ يَـــدَيَّ مُـــرَّ سُـــؤَالِهِ(***)

في نسخة بإزائه: أي: مِن أجلي.

ويروى في البيت: "ثمار فعاله" و"ثمار نواله". و"إن جنت" و"أدجنت".[3]

* * *

---

[1] رواية الشطر الأول للبيت في اللسان: "فأرسل سهماً له أهزعاً". والنواهق: من الخيل والحُمر حيث يخرج النهاق من حلقه. مادة: نهق. وانظر ديوانه، ص ١٠٥.

[2] رواية التبريزي: "محبوباً الى أضيافه".

(**) ورد بعد هذا البيت في المقطوعة البيت الآتي:

٤ـ فمَتَـــى النُهُـــوضُ بحَـــقّ شُكْـــرِك إنْ جَنَـــت
بالغَيْـــبِ كَفُّـــكَ لـــي ثِمـــارَ فِعَالِـــهِ

(***) ورد بعد هذا البيت في المقطوعة البيت الآتي. وبه تختتم:

٦ـــ وإذا امْـــرُؤٌ أسْـــدَى إليـــك صَـــنِيعةً
مِـــن جَاهِـــهِ فكأنهـــا مِـــنْ مَالِـــهِ

[3] يقصد بذلك البيت الرابع المذكور في الهامش، وهو "فمتى النهوض...".

وقال ابو تمام :

ويسأله كتاباً بسلامته:[1]

١- يـــا عِــصْمَتي وَمُعَــوَّلي وثِمــالي
بَــلْ يـــا جَنُــوبي غَــضَّةً وشَــمالي

قال أبو العلاء :

قد تردد في شعره ذكر "الجنوب" على معنى الحمد. وذكر "الشمال" على معنى الـذّمّ. وإنما يريد هاهنا: انّك جنوبي التي يأتيني منها الخير، وشَمالي التي تُعينني على عدوّي. وقد جاء في شعره وصف الـشمال بالعــراق، يحمـدها فيـه، وسـوف يـأتي ذلـك في موضعه.

٢- بَــل لأمَــتي ألْقَــى بهــا حَــدَّ الــوَغَى
بــل كَــوكَبي أسْــرِي بـــهِ وَهِلالـــي

"اللأمَة": الدِّرْع.

وهذا كما قال الهذلي :

شــهابي الــذي أعْــشوا الطَّريــق بِــضَوْئهِ
ودرعــي فليــلُ البــأس بَعْــدَكَ أسْــوَد[2]

ورُوي "حَدّ الوَغى" و"لجج الوغى".

---

[1] كأن القصيدة متعلقة بالممدوح السابق، وهو اسحاق بن أبي ربعي كاتب أبـي دلـف، وجـاء في إحـدى نسخ التبريزي: "وقال: وكتب بها الى الحسن بن وهب بجرجان". وجاء في إحدى نسخ شرح الـصولي: "وقال يمدح بعض الكتاب، ويسأله كتاب شفاعة".

[2] هذا البيت لساعدة بن جؤبة يرثي ابن أبي سفيان. ورواية الشطر الثاني في ديوان الهذليين "ودرعي دليل الناس بعدك أسود". والبيت من قصيدة مطلعها:

ألا بـــاتَ مـــن حَــوْلي نيامــاً ورُقَّــداً
وعـــاودني حُزنـــي الـــذي يتجـــدّد

أنظر: ديوان الهذليين: ١/ ٢٣٦. المجلس الأعلى للفنون والآداب، بمصر ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

وقالوا: خصّ الهلال بالذكر لأنه أراد نموّه وزيادته في كل ليلة.

٣- شَكَلَتْ رَجَاءَ أخيك فُرْقَتُكَ التي
قَدْ أمْسَكَتْ بِمُخَنَّقِ الآمالِ

في كتاب أبي زكريا :

"المخنَّق": الموضع الذي يُخنق مِن الحَلق.

يقول: قَيَّدتْ فرقتُك رجائي لمّا فارقتني بعد ان كان مُطْلَقاً.

٤- فَوَجَدْتُها في هِمَّتي ورَأَيْتُها
في مَطْلَبي وَعَرَفْتُها في مَالي

وفي كتابه.[٣]

أي: قد أَثَّرتْ فُرقتك وأَوْهَنتْ كلَّ أموري. والضمير عائد الى الفُرقة.

٥- وَغَدَوْتُ تَخْطُوني العُيُونُ ضُؤُولَةً
مِن بَعْدِ أُبَّهَةٍ لَدَيْك وخَالِ[*]

قال الجوهري :

الأُبَّهة: العظمة والكِبر. يقال: تأَبَّهَ الرَّجلُ: إذا تَكَبّر.

---

[٣] يقصد كتاب أبي زكريا التبريزي.

[*] وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

٦- مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ التي قَدْ أفْرَطَتْ
فكأنَّها في العَيْنِ شِدَّةُ حَالي

٧- فأجْلُ القَذَى عن مُقْلَتَيَّ بأسْطُرٍ
يَكْشِفْنَ مِنْ كُرُباتِ بَالٍ بَالي

٨- سُودٌ يُبَيِّضْنَ الوُجُوهَ بِمُصْطَفَى
تِلْكَ النَّوادرِ مِنْكَ والأمثالِ

٩- وآخُتْ أنامِلَكَ السَّوابغَ بَيْنَها
حتَّى تَجُولَ هُنَاكَ كُلَّ مَجَالِ

وقال ابو العلاء :

إذا قيل: فلان ذو أُبَّهةٍ، فإنّما يُراد انَّ العُيُون تُرفع إليه لِعِظَم قَدْره وشأنه. و"الخال": الخُيَلاء.

والقول ما قاله الجوهري، وهو أليق بقوله "وخال".

وفي كتاب أبي زكريا :

أي: صرتُ ذليلاً بعد فرقتك، لا يُنْظَر إليّ ولا يُعْرَف قدري. هذا وَجْه. ويجوز أنْ يكون معناه: انه أَضناه الشوق لفرقته حتّى صغُر في النظر.

والوجه الأول أجود.[4]

١٠- ما زِلْنَ أَظْآرَ البلاغةِ كُلِّها
وحَوَاضِنَ الإحسانِ والإجمالِ[*]

قال الصولي :

"أظآر": جمع ظِئر: وهي الناقة التي تعطف على غيرِ ولدها. يقال: ظأرتها أظأرها، ظأراً، فهي مظؤورة. وظئير. والجمع ظؤارٌ.[5]

يقول: ما زالت أصابعك تعطف عليها البلاغة، وحواضن الإحسان تعطف إليه.[6]

---

[4] وجاء في كتاب أبي زكريا بعد ذكر كلام أبي العلاء :
"الأُبَّهَة" مِن قولك: ما أَبَهْتُ له. أي: ما فَطَنْتُ

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:
١١- في بَطْنِ قِرْطاسٍ رَخيصٍ ضُمِّنَتْ
أحْشاؤه دُرَرَ الكلامِ الغَالي
١٢- إنّي أُعِدُّكَ مَنْقِلاً ما مِثْلُهُ
كَهْفٌ ولا جَبَلٌ مِنَ الأجبالِ

[5] جاء في اللسان: والجمع أظْؤُرٌ وآظآرٌ وظُؤُرٌ. على "فُعال" بالضمّ. مادة: ظئر.

[6] صيغة العبارة في كتاب الصولي جاءت على الوجه الآتي:
يقول: ما زلن، أي: أصابعك تعطّف عليك البلاغة. وحواضن الإحسان تأوي إليها.

وقال ابو العلاء :

"أظآر": جمع ظِئر. فيجوز أن يكون على أن البلاغة تُرضعها. فيكون على معنى أنهنَّ أظآر البلاغة.

ويحتمل أن يجعلهن يُرضعن البُلَغاء. فيكون على معنى "مِن"، كأنّه أراد: أظآراً مِن البلاغة.

قال المبارك بن احمد :

"الظِّئر": التي تُتَّخَذُ للولد تُرْضِعه. والحاضنة: التي تقوم بتربية الصَّبيّ.

فيقول: ما زالت أنامِلُكَ تُرْضع البلاغة وتغذّيها. وتقوم بتربية الإحسان والإجمال.

١٣- وَأَرَى كِتَابَكَ بالسَّلامَةِ مُغْنِياً
عَنْ كُتْبِ غَيْرِكَ باللُّهَى والمَالِ

ويروى: "عن كتب أهل زماننا بالمال".

ويروى: "عن كتب غيرك بالغنَى".

ويروى: "عن كتب أولاد الزِّنا". وصحح عليه في نسخه، وليس بشيء.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدح عبدالحميد بن غالب، ويسألَهُ إتمام حَاجَةٍ إبتدأ بها:

١- أبَا بِشْرٍ قَدِ اسْتَفْتَحْتَ بَاباً
وَقَدْ أتْمَمْتَهُ إلاّ قَلِيلا[1]

٢- فأَصْبَحَ وَهْوَ جَبَّارٌ وَعَهْدي
بِهِ مُذ أَشْهُرٍ يُدْعَى فَسِيلا

---

[1] رواية الصولي "أمراً" مكان "باباً".

وروى التبريزي "باباً". وقال: ويروى: "استفتحت أمراً".

"الجَبّار" من النخل ما فات اليَدَ.[٢] و"الفسيل": صغار النخل.[٣]

أراد: انه قَدْ تَمَّ واستوى كالجبار من النّخْل. وكان عهدي به قديماً، وهو أوّل ما غرس.

٣- فما أَدْري مَنِ الأَعْلَى فِعَالاً
ومَنْ يَبْني العُلاَ عَرْضاً وطُولا[١]

٤- أَمُعْطِيَّ الجَزِيلَ بِلا امْتِنانٍ
بِهِ أمْ مَنْ أَفَدْتُ بِهِ الجَزيلا

ويروَى: "وإن بنينا العُلا".

وأفدت: بمعنى استفدت.

٥- وَتُصْرِخُ مَنْ دَعاكَ الى المَعَالي
بِيَا عَبْدَ الحميدِ ويا بَجِيلا

---

[٢] ورد هذا الكلام في كتاب أبي زكريا. وجاء بعده الإستشهاد الآتي:

قال الشاعر :

أبعْدَ عطيَّتي مائةً تباعاً
مِنَ الجبَّار زيَّنَها الهرَاءُ

[رواية هذا البيت في اللسان:

ابعدَ عطيّتي ألفاً جميعاً
مِن المرجو ثاقبة الهرَاءِ

أنشده أبو حنيفة. قال: ومعنى قوله "ثاقبة الهراء" ان النخل إذا استفحل ثُقَبَ في أصوله. و"الهراء" اسم شيطان مُوَكَّلٌ بقبيح الأحلام. مادة: [هرأ].

[٣] جاء في كتاب أبي زكريا بعد ذلك الإستشهاد الآتي:

قال :

باتَ يُروِّي أصُولَ الفسيـ
ـلِ فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرَّجُلْ

[١] رواية الصولي والتبريزي: "فلا أدْري".

قال أبو العلاء :

يكنى بـ"البجيل" عن الشيخ : السِّيد والرَّجُل الضَّخْم الشأن.[٥]

وفي النسخة العجمية :

"يا بجيلا": على سبيل الندبة. أراد: يا بجيلاه، فحذف الهاء للقافية.

وهذا قول بعيد.

ويروى في نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث: "با بخيلاً"، أي: يا بخيلاً بعرضه.

والمعروف "الجيم".

وقبله :

٦- رَأَيْتُـــكَ تَعْــرُكُ الحَاجَـــاتِ حَتَّـــى
تُعيـــدُ يَـــدَاكَ أصـــعَبَها ذَلُـــولا[٦]

عَرَكْتُ الشيء، أعْرُكُهُ: إذا دَلكْتَه وليَّنته.

ويروى: "حتَّى تعيد نَدَاك": إشارة الى العرك. والأكثر "يَدَاك" تثنية "يدٍ".

ويروى: "اصبعها ذليلا".

ورواية "يَدَاك" مثناة و"ذَلُولا" بالواو أجود.

٧- هُـــوَ الـــشُّكْرُ الجَـسِيمُ علـــى الأعـــادي
إذا شُـــكْرُ الرِّجَـــالِ غَـــدا ضَـــئِيلا[*]

ويروى في الكتاب العجمي :

---

[٥] جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء التعقيب الآتي:
ومِن ذلك قول الناس: بَجَّلْتُه، أي: عَظَّمْتُه. ويقال: بجيل وبَجَال.

[٦] رواية الصولي والتبريزي "بِذَاك" مكان "يَدَاك".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي وبه نختتم:

٨- فإنَّـــكَ لـــوْ تَـــرَى المَعْـــرُوفَ وَجْهـــاً
إذاً لرأيْتَـــهُ حَـــسَناً جَمِـــيلا

هــــو الحمـــــد المُعَمَّـــــرُ فاهْتَبلــــــه
إذا حَمْـــــدُ الرّجــــالِ غَـــدَا ضَـــئيلا

وقال: الاهتبال: الإغتنام. والهبالة: الغنيمة.

قال المبارك بن أحمد :

قول: "فاهتبله" ينبغي أن يكون مِن قولهم "هَبَّلَه اللحم" و"أهبله": إذا ركب بعضه بعضاً. ليطابق قوله "ضَئيلا". وإذا لم يحمل على مثل ذلك كان الأوّل بعيداً مِن الثاني.

ويجوز أن يريد بـ"المُعمّر": الذي يُعمّر فيكبر، فيكون قريباً مِن مضاده الضئيل.

ورواية المتن أجود وأحسن.

وروى: "هو الشكر الجسيم على الأعادي"

وقوله: "على الأعادي"، أي: جسيماً ثقيلاً عليهم.

وقوله: "إذا حمد الرِّجال غَدا ضئيلا": يحتمل أن يكون الحمد مضافاً الى الفاعل أو الى المفعول. والمعنى فيهما صحيح.

وكذا قوله: "إذا شكر الرجال".

وأنشد الآمدي من هذه الأبيات ما يأتي ذكره على ما تراه:

رَأيتُـــــك تعـــــركُ الحاجـــــات حتّـــــى
تُعيـــــدُ يَـــــدَاك ريِّـــــضها ذَلُـــــولا
وتُـــــصْرِخُ مَـــــنْ دعــــاك الى المعــــاني
فيــــا عبـــد الحميـــد ويـــا بخـــيلا
هُـــــوَ الحمــــــدُ المُعَمَّـــــى فاهتبلـــــه
إذا حَمْـــــدُ الرجــــال غَـــدَا ضَـــئِيلا

وقال: فقوله: "حتى تعيد يداك ريّضها ذلولا": فالريّض: ها هنا: كأنه أراد به الصعب. لأنه جعله ضدّ الذلول. وقد قال في موضع آخر:

يـــا أحمـــد بـــن أبـــي دُوَاد دعـــوة
ذَلَّـــتْ بِـــشُكْرِكَ لـــي وكانـــت رَيِّـــضا[٧]

أي: ذلت بشكرك وكانت صعبة. ولا أعلم هذه الحرف يكون إلاّ مِن الرياضة، كأنه الذي قد ريّض ولم يستحكم رياضته بعد صعوبة.

وقوله: "فيا عبد الحميد ويا بخيلا":[٨] أي: بخيلاً بعرضه أو بسؤدَدِهِ، فهو أبداً يحامي عليه، فيغرق في المكارم وطلب المعالي، وبذل العوارف.

وقوله: "هو الحمدُ المُعَمَّى فاهتبله"، إنما أراد قوله "يا بخيلا". وقوله: "إذا حَمْدُ الرجال غَدَا ضئيلا". فكان يجب لمّا قال "هو الحمد المُعَمَّى" أن يقول: إذا حمدُ الرجال غَدا واضحاً مكشوفاً. فيأتي بقافية تتضمّن هذا المعنى.

وأظنه قال: إذا حَمْد الرجال غدا حفيّاً لطيفاً. أي: إذا حَمَد أحدٌ حَمْداً يحفَى ويلطف، فهذا منه. فجعل قوله "ضئيلاً" في موضع قوله: حفيّاً لطيفاً. أو أن يكون أراد: هو الحمد المعمّى إذا حمد الرجال غَدَا ضئيلا. أي: لطيف الموقع حفيّاً. أي: إذا لطف موقع حمد الرجال فهذا الحمد المعمّى منه، كما قال: فلان يدخل كلامه في القلب مدخلاً لطيفاً، وفلان يحلّ منّي محلاً لطيفاً. فجعل ضئيلاً في موضع لطيف. واللّه أعلم.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدح نُوحاً بن عَمْرو السَّكْسَكيّ:[١]

---

[٧] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

أهلـــوكِ أضـــحوا راحـــلاً ومقوّضـــا
ومزمّمـــاً يـــصف النـــوى ومغرضـــا

وقد مرّ ذكرها.

[٨] جاء في حاشية مخطوطة النظام بإزاء شرح الآمدي ما يأتي:

بخطّ يحيى بن محمد الارزني: الرواية: "يا عبدالحميد". أي: دعاك بهذا الاسم.

[١] جاء في كتاب الصولي: "نوح بن عَمْرو بن حُوى السَّكْسكي من كندة".

١ - يَــــوْمَ الفِــــرَاقِ لَقَـــدْ خُلِقْـــتَ طَــوِيلا
لمْ تُبْـــقِ لــــي جَلَـــداً ولا مَعْقُـــولا(*)

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:
٢ــــ لـــوْ حَــارَ مُرْتَــادُ المَنِيَّــةِ لمْ يُــرِدِ
إلاَّ الفِـــرَاقَ علـــى النُّفُــوسِ دَلــيلا
رواية الصولي "لم يَجِدْ".
٣ــــ قـالـــوا الرَّحِيـــلُ فمـــا شـككْتُ بأنّهـــا
نَفْـــسِي عَـــنِ الـــدُّنيا تُريـــدُ رَحِـــيلا
٤ــــ الــصَّبْرُ أجْمَـــلُ غيـــرَ انَّ تَلَـــدُّداً
في الحـــبِّ أحْـــرَى أن يكـــون جَمِـــيلا
ويروى "تلذذاً. و"التّلدد": التّلَـفُّت يميناً وشمالاً تحيّراً. مأخوذ من لَدِيدي العنق: وهما صفحتاه.
٥ــــ أتَظُنُّنِـــي أجِـــدُ الــسَّبِيلَ الى العَـــزا
وَجَـــدَ الحِمَـــامُ إذاً إلـــيَّ ســـبيلا؟
٦ــــ رَدُّ الجَمُـــوحِ الــصَّعْبِ أسْــهَلُ مَطْلَبـــاً
مِـــنْ رَدِّ دَمْـــعٍ قَـــدْ أصـــابَ مَـــسِيلا
ويروى: "أيسر مطلباً".
قال الآمدي :
وهذا البيت أحسن فيه كل الإحسان في البكاء على الظاعنين.
وقال في موضع آخر: في هذا البيت والبيت الذي قبله، انه:
من المعاني الحسنة في زوال الصبر وقلّة التجلّد. وقال: وقد قال نحوه في مرثية ادريس بن بدر الشامي:
وقـــد كـــان يـــدعى لابـــس الـــصبر حازمـــاً
فأصـــبح يُـــدعى حازمـــاً حـــين يجـــزع
٧ــــ ذَكَرتُكُـــمُ الأنـــواءُ ذِكْـــرَى بَعْـــضِكُمْ
فَبَكَـــتْ علـــيكم بُكْـــرةً وأصِـــيلا
٨ــــ وبِنَفْـــسِيَ القَمَـــرُ الـــذي بِمُحَجَّـــرٍ
أمْـــسَى مَـــصُوناً للنَّـــوَى مَبْـــذُولا
محجّر: موضع.=

١٢ـــ مَــنْ كــانَ مَرْعَــى عَزْمِــهِ وَهُمُومِــهِ
رَوْضُ الأمـــــاني لم يَــــزَلْ مَهْــــزُولا

قال أبو العلاء :

هــذا الــبيت ذكــره أبــو علـيّ الفــارسي،[٢] في كــتابــه المعــروف بــ"الــعَضُدِي". وإنمــا ذكــره عــلى سبــيل الــتمثيــل، لا انــه يُستشهد

=٩- إنِّــي تأمَّلْــتُ النَّــوَى فـوجـدتهــا
سَـــيْفاً علــيَّ مـــع الهَـــوَى مَـــسْلُولا

قال الآمدي :

قد عابه ابن عمـار وغيره في قوله: "إني تأمّلت النوى". وقالوا:مثل هذا الأمر الفظيع الذي مكروهه أبداً مضبُوبٌ على الخَلْق لا تعلم البليّةُ فيه إلاّ بعد التأمّل. وهذا إنكار صحيح، وليس هذا كقول البحتري:

ولقـــد تأمّلـــت الفِـــراق فلــم أجِـــدْ
يـــومَ الفـــراق علــى امـــرئٍ بطويـــل

لأن مثل هذا يوجبه التأمّل. وقد فسَّرَه البحتري وذكر علّته. وكأنه رد لقول أبي تمام "يوم الفراق لقد خلقت طويلاً".

١٠ـــ لا تأخـذينـــي بالـزَّمـــان فلـــيسَ لـــي
تَبَعـــاً ولَـــسْتُ علــــى الزَّمـــانِ كَفِـــيلا

رواية الصولي: "لا تأخذنّي".

١١ـــ مَـــنْ زَاحَـــفَ الأيّـــامَ ثُـــمَّ عَبَـــا لهـــا
غَيْـــرَ القَنَاعَــــةِ لم يَـــزَلْ مَفْلُـــولا

جاء في كتاب أبي زكريا :

المعروف في "عَبَأَ" الهمز. وتخفيفه جائز. قال الشاعر:

عَبَـــأتُ لـــه رمحـــاً طـــويلاً وآلـــة
كـــأنْ قَـــبَسُ يُعْلَـــى بـــهِ حـــينَ يُـــشْرَعُ

[٢] أبو علي الفارسي: هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفّار الفارسيّ الأصل، أبو علي. أحَدُ الأئمّة في علم العربية. ولد في فسا من أعمال فارس سنة ٢٨٨هـ ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ وتجوّل في كثير من البلدان. وقدم حلب سنة ٣٦١هـ فأقام عند سيف الدولة، ثم عاد الى فارس فصحب عضد الدولة، فعلّمه النحو. وصنف له كتاب الإيضاح. كان كثير التصانيف، فما يحلّ بحاضرة إلا وله فيها أجوبة على أسئلة تُوجّه إليه. من تلامذته ابن جني. توفي سنة ٣٧٧هـ أخباره في: وفيات الأعيان: ١/ ١٣٠، ونزهة الألباب: ٣٨٧، وتاريخ بغداد: ٢٧٥، وانباه الرواة: ٢٧٣.

به.[٣] وجعل في "كان" ضميراً. وما بعدها إبتداء وخبر. وإن أُخْلِيَتْ من الضمير فجائز. ثمَّ أنت مخيّر في الاسمين، أيهما شئت جعلته الخبر والآخر إسماً "لكان". وقد انكر ذلك على أبي عليّ، لأن طبقته لم تجر عادتهم بذلك.[٤]

١٣- لَوَ جَازَ سُلْطَانُ القُنُوعِ وحُكْمُهُ
في النَّاسِ ما كانَ القَلِيلُ قَلِيلا[٥]

قال أبو العلاء :

استعمل "القُنوع" في معنى القناعة، وذلك جائز. وأكثر ما يستعمل "القنوع" في معنى السؤال.

قال الجوهري: قال بعض أهل العلم: ان "القنوع" قد يكون بمعنى: الرِّضا. و"القانع": بمعنى الرّاضي. وهو مِن الأضداد.

فعلى هذا القول يصح حمل بيت أبي تمام عليه.[٦]

١٤- الرِّزْقَ لا تَكْمَدْ عَلَيْهِ فإنَّهُ
يأتي ولم تَبْعَثْ إليهِ رسُولا[٧]

"الرزقَ" بالنصب أجود منه بالرفع. وموضعه غير هذا.[٨]

---

(٣) العبارة في مخطوطة النظام "لأنه استشهد به". والصواب ما ذكرناه في المتن.

(٤) وقال الآمدي في الموازنة :
يريد: مَنْ لم يقنع ، وكان أبداً يتمنّى ـ لم يزل مهزولاً.

(٥) رواية الصولي والتبريزي: "في الخلق" مكان "في الناس".

(٦) قال الآمدي في الموازنة :
قوله "لو جاز سلطان القنوع": وهو يريد القناعة، لأن المتأخّرين في هذا الموضع يستعملون "القنوع". "ما كان القليل قليلا": أي: لو كان حكم القناعة جائزاً نافذاً في الخلق. أي: لو قنع الخلق ما كان القليل قليلاً. أي: ما كان يستقلّ القليل، بل كان عنده بالقناعة كثيراً. أفصح بمدح القناعة فقال: البيت الثاني: "الرزق لا تكمد عليه فانه".

(٧) رواية التبريزي "الرزقَ" بالنصب.

(٨) جاء في كتاب التبريزي:
"الرزقَ" بالنصب أجود، ألا ترى ان قولك: زيداً لا تَضْرِبْه أحْسَن من "زيدٌ" بالرفع، لِعِلَّة ليس هذا موضع ذكرها.
=

١٥– لِلَّــــهِ دَرُّكَ أيُّ مَعْبَــــرِ قَفْــــرَةٍ
لا يُـــوحِشُ ابــــنَ البَيْــضَةِ الإِجفــيلا

قال الآمدي: ـ وأنشده ـ :

قوله: "أيُّ مَعْبَرِ قَفْرَة": أيّ قاطع قفرة، أيّ فَلاة تقطعها وتعبرها، وتكون معبر قفرة مِن قولهم: فلان عُبْر أسفار، وبعيرٌ عُبْرُ أسفار: إذا كان قويّاً على السير صبوراً.

وقوله: "لا يُوحش ابن البيضة"، أي: الظّليم، أي: لكثرة سكونها الفيافي قد أَنِس بها النّعام، فلا تنفر. وجعله "إجفيلا" لشدّة نفوره وشراده.

وفي الحاشية: بخطّ يحيى بن محمد الارزني:

"لا يوحش ابن البيضة": يعني: الفلاة، وإنما أراد بها فلاة لا تسلك. فالنعام لا ينفر فيها من شيء. فوصف ناقته، وانها تقطع مثل هذه الفلاة التي لا يسكنها أحد.

وقال في كتاب الموازنة

"ابن البيضة": الظليم. يقول: لا توحشه هذه الناقة لكثرة قطعها الفيافي وإلْف الظُّلْمان لها. ودَلّ على انه الظليم بقوله: "ابن البيضة"، ولو كان جرى له ذكر لما كان لذكر البيضة معنى.

وقال المرزوقي ، وأنشد معه قوله :

١٦– بِنْــتُ الفَــضَاءِ متَــى تَخِــدْ بِــكَ لا تَــدَعْ
في الــصَّدْرِ مِنْــكَ علــى الفَــلاةِ غَلِــيلا

"المَعْبَر": الذي يعبَرُ به، أي: يقطع. ولذلك سُمِّيت السفينة معبراً، ومنه الاعتبار. و"المَعْبَر"بفتح الميم، و"العِبر": جانب الوادي، ويجوز أن يكون من هذا.

= وقال الآمدي في الموازنة: ٢/٢٤٤ ـ وروى "الرِّزقُ"" بالرفع ـ، وقال إنما أخذ هذا من قول عُروة ابن اذينة:

أسْــعى إليــه فيُعنــيني تَطلّبُــهُ
ولــو قَعَــدْتُ أتــاني لا يُعنّــيني

و"ابن البيضة": أراد بـه: النّعام. و"الإجفيـل": السريع المرّ، الخفيف القلـب. ولـذلك يقال: أنْفرُ مِن نعام. وإنما يصف ناقته على وجه التعجّب:

للّه دَرُّك أيّ معـبر يقطـع بـه المفاوز أنتِ لا تُـوحِش. ويجـوز أن يكـون أراد: انهـا لسرعة مرّها تجتاز بالظليم فلا يعلم بها فيستوحش منها، وأخذه من قول لبيد:

تَسْلُبُ الكانِسَ لم يُوْأَزْ بِهَا
شُعْبَةَ السَّاقِ إذا الظِّلُّ عَقَلْ[٩]

ومعنى "لم يؤأز": لم يذعر.

ويروى: "لم يـورأ": أي: لم يشعر بها. ويجوز أن يكون أراد: انها مِن طول ملازمتهـا للقفار أَلِفَنْهـا النّعـام فلا تستوحش منهـا. ودلّ عليـه قوله: "بنت القفار".

ولا يمتنع أن يكون معنى بنت الفضاء: انها تبقى على قطع المفاوز فـلا تـؤثر فيهـا لقوّتها. وهذا كما يقال للباقي على الدهر: هو ابن الدّهر.

"متى تخذْ بك": أي: متى صارت تحتك شفتك مِن الفلاة وبلغتك مرادك فيها حتّـى لا يبقى في نفسك غليل عليها.

وقال أبو العلاء :

خرج الى صفة الناقة بغير ذريعة الى الخروج. يقول:

للّـهِ دَرُكِ يا ناقة، أيُّ مَعْبَرِ قَفْرَةٍ أنت. أي: تَعْبُر عليك القفرة، ولا يُـوحش هـذا المعـبرُ ابنَ البيضة، أي: الظليم. و"الإجفيل": الكثير الإجفال.

وفي نسخة أبي زكريا :

---

[٩] هذا البيت من قصيدة قالها في رثاء أخيه مطلعها:

إن تقوَى ربِّنا خيرُ نفل
وبإذنِ اللّهِ رَيْثي وَعَجَلْ

أنظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري. تحقيق: د. إحسان عباس، ص ١٧٥، الكويت. وانظر ديوانـه بشرح ابراهيم الجزيني، ص ١٤٣، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت.

(العبدي): "لا تُوحِش"، يعني: القَفْرة.

وفي نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث:

يخاطب ناقته. أراد: لله دَرُّكِ أيّ معبر قفرة أنت لا تُوحِش، يعني: القفرة. و"ابن البيضة": الظليم.

وروى "على الفضاء غليلاً".

وفي النسخة العجمية :

أي: أَلِفَتْ النّعامة هذه الناقة لكثرة سيرها في المفاوز، فلا تنفر النّعامة منها، وقيل: مِن حُسْن ما نسير، ولين ما تسير.

وقال الآمدي :

في قوله: "بنت الفضاء"... البيت".

"بنت الفضاء": يعني: الناقة، أي: لا تدعك تسخط على الفلاة، ولا تكسر نفسها لهوان السير عليها.

وقال أبو العلاء :

يعني ناقته. أي انّها معاودةٌ للسير في الفضاء من الأرض على مذهب قولهم: ابنُ قَفْرٍ، وابنُ لَيْلٍ. وهو كثير في كلامهم.

يقول: هذه الناقة كأنها بنت فضاءٍ: مَتَى تَخِدْ بك تشفِ صدرك. وهذه كلّها استعارات.

١٧- أَوَ مَا تَرَاهَا مَا تَرَاهَا هِزَّةً
تَشْأَى العُيُونَ تَعَجْرُفاً وذَمِيلا

قال الآمدي: ـ وروى ـ :

أَوَ ما تَرَاهَا لا تَرَاهَا هِزَّةً
تَشْأَى العُيُونَ تَعَجْرُفاً وذميلا[١٠]

---

[١٠] رواية كتاب الموازنة للآمدي: "ذو القاً" مكان "تعجرفاً".

أي: لا تراها مِن سرعتها. "هِزَّة وذميلاً": أي: لهزتها وذميلها. وليس هذا الوصف بالجيد، لأن الذميل ليس هو من سير الإبل السريع. بل هو من سيرها اللّين.

و"الذوالق": الحداد. ونصب "ذو القاً" على الحال من "تَشْأى"، أي: تسبق العيون حدّة.

ويروى "ذوالقا". أي: مواضٍ. و"ذوالق"، أي: خوارج في السير على غيرهنّ.

قال المبارك بن أحمد :

لا تصحّ رواية "ذوالق" ولا "ذيالق" على الجمع. لأن الإخبار عن ناقة واحدة. اللهمّ إلاّ أن يجعل "ذوالق" المعجمة الذال جمع "ذولق". وذولق كل شيء: حدّه. فأمّا "دوالق" بالدال المهملة فإنّما يجعله جمع "دالق": وهو السيف إذا كان سلس الخروج من غِمده. ويكون قد خرج عن بابه، لحصرهم ما جاء مِن (فواعل) جمع (فاعل)، وليس هذا منها، ولا واحد له مِن لفظه كالذوالق المعجم الذال فيجمع عليه.

وقال الآمدي في كتابه الموازنة:

"ذوالقاً": جمع ذليقة. والذلاقة: السرعة والمضاء.

ويروى "دوالقاً" بالدال غير المعجمة. جمع "دالقة". والدالق: الخارج.

يقال: فلان له سيفٌ دالقٌ: إذا كان خارجاً مِن غِمْدِهِ.

وكان ينبغي أن يقول: تَشْأى العُيُونُ اندلاقاً وذميلا. أو ذلاقة ـ معجمة الذال ـ وذميلا. لأن قوله: "وَذَميلا" لا يكون منسوقاً مع "ذوالق"، وأظنّه جعل "الذميل" منسوقاً على "هِزَّة".

و"الذميل" ها هنا رديء. لأنه ضرب من سير الإبل لَيِّن. وهو يصف السرعة.

قال أبو عبيد:

إذا ارتفع السير عن العَنَق قليلاً فهو التَّزَيّد. وإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل.

وقال الأصمعي :

ولا يذمل بعير يوماً وليلة إلاّ مهريّ.

فالذّميل ليس من السير اللّين، لأن العَنَق ضرب من سير الإبل مُسْبَطر.

وقال أبو العلاء :

هذا لفظٌ يصحّ على مذاهب الشعراء والمبالغة في الأوصاف.

ويجوز أن تكون "تَرَى" هاهنا مِن رؤية العَين.[11] فالمعنى: أَوَ ما تَرَى هذه الناقة في حالك التي أنت فيها غيرَ مَرْئيّةٍ فيما يُستقبل؟. وهذا كلام صحيح، كما تقول للرجل: أراك في هذه الساعة لا أراك في غدٍ مُعْطِياً شيئاً.

وإذا جعلتهما مِن رؤية القلب فهو أصحّ. وكذلك إن جعلتَ الأولى من رؤية القلب والثانية من رؤية العين. أوْ جعلت الأولى من رؤية العين والثانية مِن رؤية القلب.

وكأنهما إذا جُعِلَتا مِن رؤية العين يدخل على الكلام شيء من الفساد في بعض التأويلات. لأنه قد أثبت الرؤية ثم نفاها مِن بعدُ.

[12]ويروى: "اولقاً" على التوحيد و"أوالقاً" على الجمع. والأولق: مثل الجنون، وقد مَرّ. ومَنْ رواه على التوحيد؛ وجب أن يقول: "تشْأَى النواظر أولقاً" فإنْ لم يفعل صار في البيت زحاف يُكره. يسمّى "الوقص".

وهذا القول الذي ذكره أبو العلاء يسقط ما رواه المرزوقي، وفسّره به، وهو تَشْأَى العيون أوالقاً". وقال:[13]

قوله "أَوَ ما ترى": تعجّبٌ منها وتفخيم لأمرها، "ما تراها": نفي. أي: لا يمكنك أن تراها، لأنها في سرعتها تسبق طرفك. و"هِزَّة": مصدر لعِلّة، أي: لا تراها لهزّتها التي تسبق العيون اولقها وذميلها.

والاهتزاز في السير، والأولق: شبه الجنون. والذّميل: سرعة في السير.

---

[11] ذكر أبو زكريا كلام أبي العلاء هذا في كتابه ، وجاء بعده:
"فإن جُعِلتْ تَرَى" في الموضعين من رؤية العين ، فالمعنى... الخ".

[12] أذكر هنا هذا الحرف كما ورد في كتاب أبي زكريا وذلك بعد قوله: ثم نفاها بعدُ:
ويروى "تشأي العيون أوالقاً" و"تشأى النواظر أولقاً". والأولق: الجنون، ومَنْ روى "تشأى العُيُون اولقاً" صار في البيت زحاف يُكره، وهو الذي يُسمّى "الوقص".

[13] القول بعد ذلك للمرزوقي. وقد ورد في كتابه "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة".

ويروى: "أَوَ ما تراها لأنني بك هِزّةً". ويكون "تشأى العيون" بدلاً مِن قوله "لأنني بك". وله إعراب يطول هذا الموضع بذكره.

١٨ - لــــوْ كـــانَ كَلَّفَهــــا عُبَيْـــدُ حَاجَــــةً
يَوْمـــــاً لأُنْـــسِيَ شَـــدْقماً وجَــــديلا

قال أبو العلاء :

هذا البيت يُختلف في روايتــه. فكــان النــاس ينـشدون في أول الأمــر: "لَزَنَّـي شـدقماً وجديلا". فاستضعفوا هذه الكلمة، لأنها عاميّة. فَغُيِّرت بغيرها. فبعضهم يقول: "لَعَنَّفَ شدقماً وجديلا".[١٤] وفي بعض النسخ "لَرَثَّى شدقماً وجديلا". وكل هذه المعــاني تـصحّ. ومعنى "الترثية" يصحّ إذا اعْتُقِدَ ان "عُبَيْداً" هو الراعي الشاعر، لـو كلّـف هـذه الناقـة حاجةً لرأى مِن عَنائها في السير ما يوجب عليه أن يَرْثي شـدقماً وجـديلا لأنهـا تُنْـسَب إليهما.

قال الآمدي:

"عُبَيْد": يعني: البيطار الذي ذكره الأعْشَى في شعره. فقال يصف ناقةً:

لم تَعَطَّـــــفْ علــــى حُـــوَارٍ ولم يَقْــــ
ـــطَعْ عُبَيْـــدٌ عُرُوقَهَـــا مِـــن خُمَـــالِ[١٥]

وكان يعالج الإبل. أي: لو كلّفها عُبَيْد حاجةً، أي: سيراً عليها لحاجـة لزنّـى شـدقماً وجديلا: وهما فحلان من فحول العرب النجيبة المذكورة، لِما يُرى مِن سرعتها ونجابتها.

---

[١٤] جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء التعقيب الآتي:
يأخذه مِن التعنيف. ومنهم مَنْ يقول: "لأنسى شدقماً وجديلا" وفي بعض النسخ "لَرَثَّى... الخ".

[١٥] هذا البيت مِن قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي. مطلعها:
مـــــا بكـــــاء الكـــــبير بــــالأطلالِ
وســــؤالي فهـــــل تَـــــرُدَّ ســــؤالي
أنظر: ديوان الأعشى ، تحقيق: فوزي عطوي، ص ٢٤، الشركة اللبنانية للكتاب.

وهذا غاية ما يكون من سخف المعـاني وركاكتـه، لأن "زَنَّـأ" مِـن ألفـاظ الـصبيان والجهال.

وإنما أراد: لو سار عليها عبيد، هذا العالِم بأمور الإبل في بعض حاجاته، لصغر عنده، أوْ لهانَ عليه أمْر شدقم وجَدِيل. فلم يهتد للفظ مِـن هـذا النحـو، فقـال: لزنَّـأ شـدقماً وجديلا. أتراه لو كان يقول لهما: يا زانيين، أو يا بني الزانية.

إن هذا مِن حماقات الطائي المُحَكَمَة، وسخفه العجيب مـع مـا في أبياتـه هـذه مـن نقض المعنى الأول الذي ذكره في الأبيات قبلها مِن الحثِّ على القناعة والقعود عن الحركة والاضطراب.[١٦]

وفي حاشية على نسخة من نسخه بإزاء هذا الموضع:

بل أراد الراعي: واسمه عبيد بن حُصَين بن معاوية. أراد: لو ان الراعي ركبهـا لحقّـر أمر هذين الفحلين. وهما فحلان كانا لبني آكل المرار. آخره.

قال المبارك بن أحمد :

وكذا قال الصولي.[١٧] وروى "لأُنْبِيَ". وقال: شدقم وجديل: فحلان.

وكأنه أراد بـ"زنى"،[١٨] أي ان هذين الفحلين أو أحدهما زنّى أُم هذه الناقة، فجـاءت بنتها تشبهها.

وعلى كل حال فإنَّ "زنّى" كلمة رديئة. واستعارة قبيحة.

١٩- بالسَّكْـــــسَكيِّ المَـاتِـــــعيِّ تَمَتَّعَــــــتْ
هِمَـــــمٌ ثَنَـــتْ طَـــرْفَ الزَّمـــانِ كلـــيلا[*]

---

[١٦] تجد كلام الآمدي هذا في موازنته: ٢/٢٤٥.

[١٧] قال الصولي في شرحه: ٢/٢٩٤:

يعني بعُبَيْد: عُبيداً الراعي النمري، لأنه أوصف الناس للإبل. لذلك سُمّيَ الرّاعي. يريد: فلو رآها وسرعتها لنسي ما يوصف من هذين الفحلين: شدقم وجديل.

[١٨] الزِنَى: يمدُّ ويقصر.

[*] وردت في القصيدة بعد هذا البيت الأبيات الآتية:=

قال الجوهري :

"السَّكاسِك": أبو قبيلة من اليمن، وهو السكاسك بن حمير بن سَبأ. والنسبة إليه: سَكْسَكيّ. و"ماتع": مِن كندة.

ومنهـا :

٢٣- ثَبْتُ المَقَامِ يَرَى القَبِيلَةَ وَاحِداً
وَيُرَى فَيَحْسَبُه القَبِيلُ قَبِيلا[*]

=٢٠- لا تَدْعُونْ نُوحَ بنِ عَمْرٍو دَعْوَةً
للخَطْبِ إلاّ أنْ يكونَ جَليلا

٢١- يَقِظٌ إذا ما المُشْكِلاتُ عَرَوْنَهُ
ألْفَيْتَهُ المُتَبَسِّمَ البَهْلُولا

٢٢- ما زالَ يُبْرِمُهُنَّ حتى إنَّهُ
لَيُقَالُ، ما خَلَقَ الإلهُ سَحِيلا

[السحل والسحيل: ثوب لا يبرم غزله. أي: لا يفتل طاقين. أنظر اللسان مادة: سحل].

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

٢٤- كم وَقْعَةٍ لَكَ في المَكَارِمِ فَخْمَةٍ
غادَرْتَ فيها ما مَلَكْتَ فتيلا

رواية الصولي: "قتيلاً" بالقاف.

٢٥- أوطأتَ أرضَ البُخْلِ فيها غارةً
تركَتْ حُزُونَ الحَادِثاتِ سُهُولا

رواية الصولي: "أهل البخل".

٢٦- فرَأَيتَ أكثرَ ما صَبَوْتَ مِنَ اللُّهى
نَزراً وأصْغَرَ ما شُكِرْتَ جَزِيلا

٢٧- لمْ يَتْرُكْ في المَجْدِ مَنْ جَعَلَ النَّدَى
في مالِهِ للمُعْتَفِينَ وَكِيلا

قال أبو العلاء :

يُوصَفُ الرجلُ بـ"ثبت المقام": يريدون أنّه تثبت قدمُه إذا زَلّتْ أقدامُ الرّجـال.[19] و"القبيلة" عندهم مِن أبٍ واحد. و"القبيل": الجماعة من الناس. ويجوز أن يكونـوا مِن آباءٍ متفرّقين. وإذا حُمل الكلام على الإستعارة جاز أن يوضـع كـلٌّ واحـد منهمـا في موضع الآخر.

٢٨- أوَلَـيْسَ عَمْـروٌ بَـثَّ في النّـاسِ النَّـدى
حتّـى اشْـتَهَيْنَا أنْ نُـصِيبَ بَخِـيلا[**]

"عمرو" أبو الممدوح. وأخذ هذا مِن قول أبي نواس:

سَـنَّ للنـاسِ النَّـدَى فنـدوا
فكـأنَّ البخـل لم يَكُـنِ[20]

"ندوا": أي: تنادوا، من الندى، يقال منه: ندوت، أندو.

*　　*

---

[19] جاء في كتاب أبي زكريا بعد ذلك:
وكذلك قالوا: بإنه لثَبْت الغَدَر.
[جاء في اللسان: الغَدَر: الأرض الرخوة ذات الحجرة، وكل موضع صعب لا تكاد الدابة تنفذ فيه، ويقال: ما أثبت غدره. أي: ما أثبته على الغدر. يقال ذلك للفرس والرجل إذا كان لسانه يثبت في موضـع الزلـل والخصومة].

[**] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان. وبهما تختتم:
٢٩ـ أُشْـدُدْ يَـدَيْـكَ بِحَبْـلِ نُـوحٍ مُعْـصِماً
تَلْقَـاهُ حَـبْلاً بالنَّـدَى مَوْصُـولا
٣٠ . ذاكَ الّـذي إنْ كـانَ خِلَّـكَ لَـمْ تَقُـلْ
يـا لَيْـتَني لمْ أتّخِـذْهُ خَلِـيلا

[20] هذا البيت من قصيدة مطلعها:
يـا كـثيرَ النَّـوْحِ في الـدِّمَنِ
لا عليهـا بـل علـى الـسَّكَنِ
أنظر ديوان أبي نواس، ص ٦٤٦، دار صادر، بيروت.

وقال أبو تمام :

يمدح أبا المُسْتَهِلّ محمّدَ بن شقيق الطائي :

١- تَحَمَّـــل عَنْـــــهُ الـــصَّبْرُ يَـــوْمَ تَحَمَّلُـــوا
وَعَـــادَتْ صَـــبَاهُ فِي الـــصِّبَا وَهْـــيَ شَـــمْأَلُ

قال الآمدي :

جاء بـ"الشمْأل" هاهنا لأنها تفرّق السحاب وتبدّده. كما ان الجنوب تؤلفه وتجمعه. فقال: "وعادت صَبَاه". وكان الأجود أن لو قال: وعادت جنوبه، وإنما أراد التجنيس: بالصَّبا والصِّبا. إلاّ ان "الصَّبا" أيضاً ريح تحمد في هذه الحال، فأراد: انها عادت شمالاً، أي: متفرّقة.[1]

قال المرزوقي :

الصَّبا في الأرواح: سهلة ليّنة المَرّ، مستدرّة للمطر، جامعة للسحاب..[2]

فيقول: ما كان يوافقني من الصَّبا واللهو ويواتيني ويجمع المحابّ لي عادَ مخالفاً عليّ مؤذياً مُفرِّقاً لملاذي:

---

(١) وقال الآمدي أيضاً في كتاب الموازنة: ٢/١١:

قال ذلك لأن الصَّبا: ريح تُحبُّها العرب محبتها للجنوب، لأنها ريحٌ ليّنة عذبة، وقد تجلِب المطر في بعض أقطار الأرض كما تجلبُه الجنوب. قال امرؤ القيس:

رَاحَ تَمْرِيــــهِ الـــصَّبا ثُـــمَّ انْتَحَـــى
منــــه شــــؤبوبُ جَنُـــوبٍ مُنْفَجِـــرْ

فأراد ان صباه، أي: ريحه في الصّبا التي كانت تؤلف له ما يهواه ويحبه مع مَنْ يحبّه، عادت شمالاً، لأن الشمال في أكثر نواحي الأرض لا تؤلف السحاب، بل تمحَقُه وتشِينه، كما قال:

لعمـــري لـــئن ريـــحُ المـــودّة أصـــبَحَتْ
شـــمالاً لَقِـــدْماً كُنْـــتُ وهـــي جنـــوب

(٢) جاء في كتاب المرزوقي بعد ذلك:

"مؤلّفة له، و"الشمأل": باردة متفرّقة".

قال المبارك بن احمد

قول الآمدي "ان الصَّبا ريح تحمد في مثل هذه الحال" يعضد أبا تمام في استعمالها مقابلة للشمال، وهي تقوم مقام الجنوب، فلا وجه لقوله" وكان الأجود أن لو قال: وعادت جنوبه".

قال الجوهري: ويزعم العرب ان الدبور تزعج السحاب وتُشْخِصُهُ في الهواء ثم تسوقه، فإذا عَلاَ كشفت عنه واستقبلته الصَّبا فودّعت بعضَه على بعض حتى يصير كِسْفاً واحداً. والجنوب تلحق روافدَه به وتمدُّه من المدد. والشمأل تمزّق السحاب.

٢- بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ
وَوَجْدِيَ مِنْ هذا وَهَذَاكَ أَطْوَلُ

قال أبو العلاء:

لَمّا جعل للدّهر طولاً وَوَصَلَه بالعَرْض على معنى الإستعارة. ولا حقيقة بأن يوصف الدهر بذلك. وإنما هو طويل لا غير. وأمّا العرض فانه على الأماكن وما جرى مجراها. فأمّا الدّهر فطويلُ؛ ما أعلم ان أحداً قبل الطائي وصفه بالعرض، ولكن لمّا تقدّم ذكر الطول استجاز أن يجيء بضدّه.

كثيراً ما يقول أبو العلاء نحو قوله: "وما أعلم ان أحداً قبل الطائي ذكر، أو سبق إليه" وشبههما.

يريد: ممّا يستعيره الطائي، وليست الإستعارات محصورة، فإنْ وافق محدث مِن الشعراء من تقدّمه في شيء منها فإمّا تعمّداً أو اتفاقاً، وإلاّ فهي مما يستعملها كل شاعر إذا قصدها على ما يعرض له.[٣]

---

(٣) قال الآمدي في الموازنة: ١/١٩٦. وقد أنشد البيت، فقال:

فجَعَل للدهر ـ وهو الزمان ـ عَرْضاً، وذلك محض المحال، وعلى انه ما كانت به إليه حاجة. لأنه قد استوفى المعنى بقوله "كطول الدهر" فأتى على الغَرَض من المبالغة.

فإن قيل: فَلِمَ لا يكون سَعَة ومجازاً في الكلام.=

=قيل: هذه الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق، وهي بعيدة عن المجاز. لأن المجاز له صورة معروفة. وألفاظ مألوفة معتادة، لا يُتجاوز في النطق بها الى ما سواها، وهي قول الناس: عِشنا في خفضٍ ودَعَة زمناً طويلاً عريضاً. وما زلنا في رخاءٍ ونعمةِ الدهر الطويل العريض. فإنّما أراد تمامه وكماله واتّسَاعه لهم بما أحبوه، لأنهم إذ وصفوا بالطول والعرض ما له طول وعرض على الحقيقة إنما يريدون تمامه وكماله وسَعَته، نحو قولهم: ثَوبٌ طويل عريض، أي: تامّ واسع. وأرض طويلة عريضة، أي: تامّة في الطول والسَّعَة، وكذلك وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة، إنما يريدون التمام والكمال. ألا ترى الى قول الشاعر، وهو الراعي:

أنتَ ابنُ فَرْعَيْ قُرَيشٍ لَوْ تُقَايِسُها
في المجد صار إليك العَرْضُ والطُّولُ

[رواية الديوان "لو تقايسهم" و"مجداً لصار إليك".

فاستعار للمجد هاهنا الطول والعرض، لأنه أراد: صار إليك المجد بتمامه وكماله. وكذلك قول كثير:

بِطَاحِيٌّ لـه نَسَبٌ مُصَفًّى
وأخلاقٌ لها عَرضٌ وطُولُ

أي: لها سَعَة وتمام وكمال في الفضائل والمحاسن. وكذلك قوله:

إذا ابتدرَ الناسُ المكارم بَزَّهُمْ
عَرَاضَةُ أخلاقِ ابنِ ليلَى وطُولُها

أي: بزّهم سعة أخلاقِهِ وتمامها وكمالها في الفضل، لأن الأخلاق تمدح بالسّعة وتذمّ بالضِّيق، إلاّ ان الأكثر فيما يأتي مِن كلامهم العرض، إنما يراد به السَّعة إذا جاء منفرداً عن الطول. نحو قولهم: فلان في نعمة عريضة، وله جاه عريض، وكما قال الله عزّ وجل: {وجنّةٍ عرضُها السماواتُ والأرض}. أي: سعتها، وكما قال الله عزّ وجلّ في موضع آخر: {وإذا مَسّهُ الشّرُّ فذو دُعَاءٍ عريض}. وكما قال تميم بن أُبيّ بن مُقبل:

يقطعْنَ عَرْضَ الأرض غيرَ لوَاغبٍ
وكَأنَّ بحَرْيَهـا لَهُنَّ صَحَارِ

أي: يقطعن سعة الأرض، وكما قال الآخر:

سأجعلُ عَرْضَ الأرضِ بيني وبينكم
وأجعلُ بيتي في غِنًـي وأغْصُرِ

وكما قال العجاج:

إذا تَغَشَّوْا بعد أرضٍ أرضا
حَسِبْتَهُمْ زادوا عليها عرضا=

=فهذا إذا جرى على اللفظ المستعمل حَسُنَ ولم يقبح. وإذا عدلت به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة الى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنتَ مخطئاً. لأنك إذا قلت: مضى لنا في الخفضِ والدَّعة دهر طويل وكان طوله كعرضه، لم يجز ذلك. لأنَّ هذا على هذا الترتيب كأنه وصف للأشياء المجسّمة، كما قال الطائي:

× بيوم كطول الدهر في عرض مثله ×

فكان بهذا اللفظ كأنه يذرع ثوباً، أو يمسح أرضاً. أو يصف بالإجتماع والتدوير رجلاً، كما قال تميم ابن أُبيّ بن مُقبل:

وكُلُّ يَمَانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ
فليْسَ لَهُ وَصْلٌ ولا طَرَفَانِ

فإنْ قيل: فإذا جعلت للزمان العرض الذي هو سعة على المجاز، فَلِمَ لا تجعل له العرض الذي هو خلاف الطول على المجاز؟

قيل: العرض الذي هو خلاف الطول حقيقة، والزمان لا عرض له على الحقيقة، فكيف تكون الحقيقة مجازاً.

فإنْ قيل: إن الزمان لا يوصف بالسَّعَة أبداً، كما يوصف بالعرض، فلِمَ استعرت له العرض الذي هو السَّعة؟

قيل: العرض ـ وإنْ جاء وصفاً وحِلْية للزمان في قولهم: عاش فلان في نعمة زمناً طويلاً وعريضاً ـ فإنما يصلح لأنك وصلته بالطول، وقرنته به، فكأنَّ المعنى: عاش في زمن تمَّ له وكمل واتّسَع بما أحبّه، كما أخبرتك، والزمان قد يوصف بالسعة. فيقال: قد اتّسع لك الوقت والزّمان في فعل كذا، ولا يقال: عَرَض لك في الوقت سعة ولا يقال عَرُض. والعرض ههنا هو السَّعَة. ولكن جرى هذا على حسب ما استعملوه، وإنما يراد في الوقت فسْحة لك وامتداد، يراد به معنى الطول. وقال ضِرارُ بن الخطاب:

ولولا هاجر وبنو قتال
وما لاقيتُ في الزَّمَن العَرِيضِ

فذكر العرض مفرداً من الطول: أي: الزمن الذي اتّسع له.

وقد يجوز ـ إنْ قلت: عاش في الخير دهراً عريضاً ـ تُريد بالعَرْض: سعة الخير فيه، لا سعته في نفسه، كما قالوا: ليل نائم: أي يُنام فيه، ولَمْحٌ باصر: أي يُبْصَرُ فيه. وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هي له، إذا احتملت معنى يصلح لذلك الشيء الذي استعيرت له ويليق به، لأن الكلام إنما هو مبنيّ على الفائدة في حقيقته ومجازه. وإذا لم تتعلّق اللفظة المستعارة بفائدة في النطق فلا وجه لاستعارتها، ولو كان الزمان يوصف بالعرض على الحقيقة ـ وهذا محال ـ لَمَا كان له في بيت أبي تمام معنى. لأنه إنما أراد أن يبالغ في طول وَجْدِهِ، إذ كان الوجد إنما يوصف بالطول، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما فيقال: طَالَ وَجْدي، وطال شَوْقي، وطال غرامي، وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول، فيقال: طال ليلي، وطال نهاري. فماكانت حاجته الى العرض، وهو إنما فضل وَجْدَه على الدهر وعلى اليوم الذي جعله كالدّهر، من جهة الطول، لا من جهة العرض، ألا تراه قال:

× وَوَجدِيَ مِنْ هذا وهذَاكَ أطْوَلُ ×=

= وقد ذكر أبو تمام العرض في بيت آخر، فقال:

إنَّ الثنـــاءَ يَســيرُ عَرْضـــاً في الـــوَرَى
ومحَلُّـــهُ في الطُّـــولِ فَـــوْقَ الأَنْجُــمِ

وكيف يعقل سَيْر الثناء عَرْضاً في الورى، وهو لم يحدّد موضعاً بعينه فيحسن ذكر الطول والعرض فيه، فيكون كما قال الراعي:

وجَـــرَى علـــى حـــدب الـــصُّوى فطـــردْ تُـــهُ
طَـــرْدَ الوســـيقَةِ في الـــسماوَةِ طُـــولا

فحسن أن يقول "طولا" لأنه ذكر السماوة.
وكما قال النابغة. ويقال: انه محمول عليه:

جُنِـــبْنَ مَـــعَ النُّطَـــاطِ يُقَـــدْنَ حتَـــى
قَطَعْـــنَ الحَـــزْنَ عَرْضـــاً والرِّمـــالا

فصلح لأنه ذكر انهنّ قطعن عرْض الحزن والرمال.
ومثل قول أبي تمام قول المَرَّار:

فَلَـــوْ كانـــت تَجُـــوبُ الأرضَ عرضـــاً
ولكـــن جَـــوْبُهُـــنَّ الأرضَ طُـــولا

وله ولبيت أبي تمام معنى غامض يصحان به، وأنا أذكره مع شرح المعاني الغامضة مِن شعر أبي تمام.
ومما يشبه قولَ أبي تمام :

× بيوم كطول الدهر في عرض مثله ×

أو يقاربه، قول الكُميت يصف عددَ قومٍ بالكثرة:

كالليـــل ، لا ، بـــل يَـــضْعَفُو
نَ عليـــهِ مِـــن بـــادٍ وحاضِـــرِ

وكيف يتحصّل مقدار الليل حتى يتحصّل ضِعْفُه؟ وهذا يصحّ على السَّبْرِ والتفتيش إذا حصل معناه، وذلك لأن الليل لا يغشى الأرض كلها بظلمته، وإنما يغشى بعضها. فلعلّ الكميت أراد أنهم يأخذون مِن الأرض ما أخذه الليل منها إذا غشيها على سبيل المبالغة، كما قال الأحمر بن شجاع الكلبي:

بِجَـــأْوَاءَ تُغْـــشِي النـــاظِرِين كأنَّهـــا
دُجَـى الليـلِ بـل هِـي مِـن دُجَـى الليـل أكثـر =

٣- تَوَلَّوْا فَوَلَّتْ لَوْعَتي تَحْشُدُ الأَسَى
عليَّ وَجَاءَتْ عَبْرَتي وَهْيَ تَهْمُلُ[٤]

"تحشد": تجمع. ويروى "تولّوا فولّوا لوعتي بفراقهم عليّ".

و"ولّت" مع "جاءت" أحسن، وإنْ كان في "تولّوا" من المعنى ما في "تولت".

٤- جَدَرْتُ لهم مَكْنُونَ دَمْعِي فإنْ وَنَى
فَشَوْقي على ألاّ يَجِفَّ مُوَكَّلُ[٥][*]

ويروى "بذلت معاً".

وقالوا: الرواية "بذرت"، وأظنّه لقوله "يجفّ".[٦]

٦- أأَتْبَعُ ضَنَّكَ الأَمْرِ والأَمْرُ مُدْبِرٌ
وأدفَعُ عَنْ صَدْرِ الغِنَى وَهْوَ مُقْبِلُ[٧]

---

(٤) رواية الصولي "تحمل الأسى" مكان "تحشد الأسى" و"مقلتي" مكان "عبرتي".

(٥) رواية الصولي "نذرتُ" ورواية التبريزي: "بذلت".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٥- ألا بَكَرَتْ مَعْذورَةً حينَ تَعْذِلُ
تُعَرِّفُني م العَيْشِ ما لَسْتُ أجْهَلُ

(٦) قال الآمدي في الموازنة: وأنشد:

"تولّو فولّت لوعتي..." و"بذلت لهم مكنون دمعي...".

"وهذا جيد بالغ. وأجود منه وأحسن قوله:

فكاد شوقي يتلو الدمعَ مُنْسَجماً
إنْ كان في الأرض شوقٌ فاضَ فانْسَجَمَا

ولم يذهب هاهنا الى نحو ما ذهب إليه البحتري في قوله:

ان الدُّموعَ هي الصبابةُ فاطَّرِحْ
بعضَ الصَّبابة تَسْتَرِحْ بِهُمُولِهَا

وإنما ذهب الى انه بكى لشدّة شوقه وغلبته حتى كاد شوقه يفيضُ بفَيْضِ الدمع.

(٧) رواية الصولي والتبريزي "في صدر الغِنَى".

في نسخة ابن الليث :

دفعه في صدر الغِنَى: ان أقام وترك الرحيل الى الممدوح. يريد: ان الإقبال في قصده.

ويروَى "في بحر الغِنَى". وكأنه "نَحر" فصحّف "ببحْر".

٧- مُحَمَّدُ يا ابنَ المُسْتَهِلِّ تَهَلَّلَتْ
عَلَيْكَ سَمَاءٌ مِن ثَنَائِيَ تَهْطُلُ(*)

كذا في النسخ "يا ابن المستهِلّ". وكنية الممدوح "أبو المُسْتَهِل". ولعلّ في آبائه مَنْ يسمّى "المستهل". نسبه إليه.

وفي نسخة: "محمد يا أبا المستهل". ويروَى: "مِن ثنائي تهلَّلُ".

١٠- تَحَمَّلْتَ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ
لَفَكَّرَ دَهْراً أيُّ عِبْأَيْهِ أثْقَلُ(**)

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٨ـ وكَمْ مَشْهَدٍ أشْهَدْتَهُ الجُودَ فانقَضَى
ومَجْدُكَ يُسْتَحْيا ومَالُكَ يُقْتَلُ

٩ـ بَلَوْنَاكَ أمَّا كَعْبُ عِرْضِكَ في العُلاَ
فَعَالٍ ولكِنْ خَدُّ مَالِكَ أسْفَلُ

(**) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

١١ـ أبُوكَ شَقِيقُ لم يَزَلْ وَهْوَ للنَّدَى
شَقِيقٌ ولِلْمَلْهُوفِ حِرْزٌ وَمَعْقِلُ

١٢ـ أفادَ مِنَ العَلْيَا كُنُوزاً لَوَ أنَّها
صَوَامِتُ مَالٍ مَا دَرَى أيْنَ تُجْعَلُ

١٣ـ فَحَسْبُ امْرِئٍ أنْتَ امرؤٌ آخِرٌ لَه
وَحَسْبُكَ فخراً أنَّهُ لَكَ أوَّلُ

١٤ـ وهَلْ للقَرِيضِ الغَضِّ أوْ مَنْ يُحُوكُهُ
على أحَدٍ إلاّ عَلَيْكَ مُعَوَّلُ=

قال الآمدي :

جعل الدهر يفكّر دهراً. والدّهر لا يكون له دهر، فجاء به على أقبح ما يكون مِن الإستعارات وأبعدها من الصواب. وفي المعنى أدنى غموض أيضاً.

لأن "الهاء" التي في "شطره" و"الهاء" التي في "عبأيه" راجعتان الى "ما". أي: تحملت شيئاً لو حمّل الدهر شطره. أي: نصفه أو بعضه لفكّر دهراً أيّ عبأَيْهِ. أي: أيُّ الحملين من ذلك الشيء أثقلُ. أم ما تحملته أنت، وهو جميع الشيء أثقلُ عليك، أم ما تحمله الدهر، وهو بعض ذلك الشيء أثقل عليه.

كأنه يريد: ان الدهر أوقع الفكر: هل يجد الممدوح من ثقل الكلّ ما يجده هو من ثقل البعض؟

وهذا معنى في غاية الهجانة والبُعد عن الصواب، ومن طريق المعاني الصحيحة والإستعارات اللائقة. لأنه جعل الدهر يفكّر دهراً. فكيف يكون الدهر في أول الكلام حاملاً أحد العبأَين، ومفكّراً في أيهما أثقل.

=١٥ـ لِيَهْنِ امْرأً أثْنى عَليكَ بأنّهُ
يَقُول وإن أرْبى فلا يَتَقَوَّلُ

١٦ـ سَهُلْنَ عليك المكْرُماتُ فَوَصْفُها
عَلَيْنا إذا ما استَجمعتْ فيك أسهلُ

١٧ـ رَأيْتُكَ للسَّفرِ المُطَّرِّدِ غايَةً
يَؤُمُّونَها حتَّى كأنك مَنْهَلُ

قال الصولي:

ويُروَى بعد هذا بيتان مدخولان. قال أبو مالك: والله ما قالهما قطّ، ولا عرفهما. وهما:

سَألْتُكَ ألاّ تسألَ اللّهَ حاجةً
سِوَى عَفْوِهِ ما دُمْتَ تُرْجَى وتُسْأَلُ

وإيّاكَ لا إيّايَ أمْدَحُ مِلْمَما
عليكَ يقيناً لا عليَّ المُعَوَّلُ

وفي آخره: طرفاً وقعت تلك الفكرة فيه. وما أحسن ما قال البحتري:

ولو بِعتُ يوماً منك بالدّهر كلِّهِ
لفكّرْتُ دهراً ثانياً في ارتجاعِهِ[٨]

فتخلّص بقوله "دهراً ثانياً".[٩]

وقال المرزوقي :

يقول: استقللت من الأثقال واضْطَلَعْت من الأَعْيَاء ما لو جمع ثم جُعِل نصفين، فقيل للدهر: احمل أيهما شئت، لبقِيَ الدهر يفكّر دهراً أيّ النصفين أثقل، فيتركه ويعمد الى الأخف.[١٠]

ويُروَى "بحملك ما لو حمل الدّهر شطره لفكّر دهراً".

وفي النسخة العجمية :

"أيّ عِبْأَيْه": أيّ ثقليه أثقل: ثقل الدهر. وثقل حملك.

وفي نسخة أبي زكريا :

---

(٨) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عبيدالله بن يحيى. مطلعها:

يَبيتُ لهُ مِن شوقهِ ونِزاعِهِ
أحاديثُ نفسٍ أوْشكَتْ من زماعِهِ

أنظر ديوان البحتري: ٢ / ٨١، دار صادر، بيروت.

(٩) وقال الآمدي في موازنته: ١ / ٢٧١:

فجعل للدهر عقلاً، وجعله مفكّراً في أيّ العبأين أثقل، وما شيء هو أبعد من الصواب من هذه الإستعارات. وكان الأشبه والأليق بهذا المعنى لما قال "تحملت ما لو حمل الدهر شطره" أن يقول: لَتَضَعْضع، أو لانْهَدّ أو لأمِن الناس صروفه ونوازله، ونحو هذا المعنى مما يعتمده أهل المعاني في البلاغة والإفراط.

وإنما رأى أبو تمام أشياءَ يسيرة مِن بعيد الإستعارات متفرّقةً في أشعار القدماء كما عرفتك لا تنتهي في البُعد الى هذه المنزلة، فاحتذاها وأحبَّ الإبداع والإغراب بإيراد أمثالها، فاحتطب. واستكثر منها.

[ثم استشهد بجملة من الأبيات لذي الرمة وتأبط شراً ومعقل بن خويلد وامرئ القيس تضمنت بعض الإستعارات التي تؤيد ما ذهب إليه].

(١٠) ذكر التبريزي كلام المرزوقي هذا في كتابه بلفظه، ولم ينسبه إليه.

"تحملت": أي ان الدهر تحمّل أثقال الخلق ولا يقدر على النهوض بشطر ما حُمِّلْتَ.

١٨- سَأَلْتُــــكَ أَلاَ تَـــسْأَلَ اللَــــهَ حاجــــةً
سِــوَى عَفْــوِهِ مــا دُمْــتَ تُرْجَـــى وتُــسْأَلُ

١٩- وإيَّــــاكَ لا إيَــــايَ أمـــدَحُ مِثْلَمَــــا
عليـــــكَ يقينــــاً لا علـــــيّ المَعْـــــوَّلُ

قال المرزوقي :

يستبطئه. يقول: مَدْحي فيك لا في نفسي، كما ان مُعَوّلي عليك حقاً لا على نفسي، فإذا كان المعوّل عليك والمدح فيك فلا تماطل بمعروفك لئلاّ ينقطع الثناء عليك. ويدلّ على هذا ما بعده، وهو:

٢٠- ولا تَرَيَـــنْ أنَّ العُـــلاَ لـــكَ عنـــدما
تَقُــولُ ولكـــنَّ العُـــلاَ حِـــيْنَ تَفْعَـــلُ[١١]

و"يقيناً" نصب على الحال، وهو مؤكد للخبر. كما تقول: هذا زيدٌ حقّاً.[١٢]
وتلخيص الكلام: مثلما عليك المعوّل يقيناً وحقّاً لا عليّ. آخر كلامه.

٢١- ولا شَـــكَّ أَنَّ الخَيْـــرَ مِنْـــكَ سَـــجِيَّةٌ
ولكـــنَّ خـــيرَ الخَيْـــرِ عِنْـــدِي المُعَجَّـــلُ

قال الصولي :

ويروى بعده بيتان مدخولان. وذكره بعد قوله: "رأيتُـك للسَّفْرِ المُطَرَّدِ غايةً".
قال أبو مالك: والله ما قالهما قط، ولا عرفهما. وهما:
"سألْتُك ألاّ تَسْأَلَ الله....".
و"إيّاك لا أيّاي أمدح...".

* * *

---

[١١] رواية الصولي والتبريزي "ولَسْتَ تَرَى أنَّ العُلاَ...".

[١٢] ورد هذا الكلام في كتاب التبريزي بعد البيت "وإيّاك لا إيّاي....".

وقال ابو تمام :

يمدح الحسن بن رجاء الكاتب.[1]

١- كُفِّـــي وَغَـــاكِ فـــإنّني لَـــكِ قَـــالي
لَيْـــسَتْ هَـــوَادِي عَزْمَتـــي بِتَـــوَالي[*]

ويُروَى "وغاك" و"وعَاك" ، أي: صوتك.[٢]

٣-عَطَفَـــتْ مَلامَتَهـــا عـــلى ابـــنِ مُلِمَّـــةٍ
كالـــسَّيْفِ جَـــأبِ الـــصَّبْرِ شَـــخْتِ الآلِ

وروى الخارزنجي: "عطفت عزيمتها". وقال:

"الجأب": الغليظ، و"الشخت": الدقيق. و"الآل": الشخص..

يقول: ردَّتْ عليّ عزيمتي وأمرتني بغيرها بعدما قاسيته من الشدائد. وبُليتُ بالنوازل، واستحكم صبري، ودقّ جسمي لمعاناة العَناء فيها.[٣]

---

[١] جاء في حاشية مخطوطة النظام، بإزاء اسم الممدوح ما يأتي: "ابن أبي الضّحاك".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢ـــ أنـــا ذُو عَرَفْـــتِ فـــإنْ عَـــرَتْـــكِ جَهَالَـــةٌ
فأنـــا المُقِـــيمُ قِيَامَـــةَ العُـــذَّالِ

جاء في كتاب أبي زكريا :

أي: أنا الذي لا أُطيع العُذَّال وأقيم قيامتهم.

[٢] الوَغَى الوَغَى بالتحريك: الجَلَبة والأصوات، وقيل: الأصوات الشديدة، والوَغَى: الأصوات في الحرب. اللسان مادة: وَعى ووَغَى.

[٣] ذكر التبريزي كلام الخارزنجي هذا بلفظه في كتابه ولم ينسبه إليه، وجاء بعده:

و"الجأب": الغليظ، وأكثر ما يستعمل ذلك في حمير الوحش. يقال: حمار جأب وأتان جأبة. وربما استعملوا ذلك في الرجال، فقالوا: رجل جأب. قال الشاعر يصف اروية:

فمـــا جأبَـــةٌ عَفْـــراءُ تَعْلـــوا بعُفْرِهـــا
ذُرَا الهَـــضَبَاتِ الـــشُّمِّ مِـــنْ وَطَـــدَانِ

فأمّا قولهم للظبية: جأبة المِدْرَى، وجأبة القَرْن، فقيل إنما وُصِفَت بذلك لأن قرنها أوّلَ ما ينبت يبدو منه شيءٌ غليظ هو أصله، ثم يَسْتدقُّ حتى ينتهي الى طرفه. وقيل: وُصِفتْ بذلك لأن قرنها حديد،=

٤- عَـــادَتْ لـــه أيَامُـــهُ مُـــسْوَدَّةً
حتَّـــى تَـــوَهَّمَ أنَّهُـــنَّ لَيَـــالِي

قال الخارزنجي :

يقول: عادت حالات سروره كحالات هموم غيرِه، وكأنَّ أيامهنَّ ليالي. كأنه مِن قول فاطمة عليها السلام، أنشد فيه شيخنا أبو الحَزَم رحمه الله، لها:

مـــا ضَـــرَّ مَـــنْ قَـــدْ مَـــسَّ تُرْبَـــةِ أحمـــد
ألاّ يمـــسَّ مـــدى الزمـــان غواليـــا
صُـــبَّتْ علـــيَّ مـــصائبٌ لـــو أنها
صُـــبَّتْ علـــى الأيـــام عُـــدْنَ لياليـــا

٥ـ لا تُنْكِـــرِي عَطَـــلَ الكـــريمِ مِـــنَ الغِنَـــى
فالـــسَّيْلُ حَـــرْبٌ للمكـــان العَـــالي(**)

قال الخارزنجي:

المعنى: الكريم يلقَى عطلاً مِن المال، واللئيم يكثر ماله، كما ان السيل يميل عن المكان العالي الى المكان المُطْمئن، فيسقيه ويجتمع فيه ماؤه.

وفي طرّة كتابه:

الكريم تسرع إليه النوائِب من الحمالاتِ والعطيّاتِ والمؤن، لأنه يحتملها طلباً للمعالي، كما ان السيل ينحى على ما ينازعه ويقاويه من مكان مشرف.

وفي النسخة العجمية تتمّة هذا الكلام:

=فكأنه يجوب الأشياء، أي يخرقها. فهو على القول الأول مهموز الأصل. وعلى القول الثاني لا يجوز الهمز.

(**) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٦ـ وَتَنَظَّـــري خَبَـــبَ الركـــابِ يَنُـــصُّها
مُحْيِـــي القَـــرِيضِ الى مُميـــتِ المَـــالِ

أو سَدٌّ مَسْدود، يقال: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما تباعد وبغض.

٧- قَـدْ قلْـتُ وَهْـيَ تَنـالُ مِـنْ عَـرْضِ الفَـلا
بِملاطِـــسٍ في الوَخْــدِ غـــير أوالـــي[٤]

"الملاطس": يعني أخفاف الإبل التي يُسافر عليها. و"الأوالي": المقصرات العاجزات. كأنَّ أخفافها ملاطس، يعني قطعاً مِن الصَّخْر. قال ذلك الخارزنجي.

٨- أحَوَامِـــلَ الأثقـــال إنَّـــكِ في غـــدٍ
بفنـــاءِ أحْمَـــل مِنْـــك للأثقـــالِ[٥][*]

في نسخة:

"الأثقال" الأولى: تعني: نفسي وزادي وراحلتي. والثانية: المؤن التي تلزمه.

والقول الأول في الأثقال ليس بشيء، سيما قوله "وراحلتي".

ورَوَى الخارزنجي: "انَّك من غد".

١٠- أحْيَـــى الرجـــاءَ لنـــا بِـــرَغْمِ نَوَائِـــبٍ
كَثُـــرَتْ بِهِـــنَّ مَـــصَارِعُ الآمَـــالِ[٦]

"كثرت": صفة "نوائب". أي: كثيراً ما خيبت الآمال، فكأنها صرعتها.

١١- أغْلَـــى عَـــذَارَى الـــشِّعْرِ إنَّ مُهُورَهَـــا
عِنْـــدَ الكَـــريمِ وإنْ رَخُـــصْنَ غَـــوَالي

---

(٤) لم يرو التبريزي هذا البيت. ورواه الصولي في كتابه. وروايته للشطر الثاني: "والطُّولُ أبْعَدُ مَطْلَبٍ ومنَال".

(٥) لم يذكر التبريزي هذا البيت في شرحه وقد ذكره الصولي. وروايته "أحمولة" مكان "أحوامل".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٩- لمّـــا بَلَغْنـــا سَاحَـــةَ الحَـــسَنِ انقـــضَى
عَنّـــا تَعَجْـــرُفُ دَوْلَـــةِ الإمْحَـــالِ

رواية الصولي "تملّك" مكان "تعجرف".

(٦) رواية الصولي والتبريزي بَسَطَ الرجاء".

في كتاب أبي زكريا:

جعل قصائد الشعر عَذارى، وعَطاءَه مُهُورَها.

ويروى: "إذا رَخُصْن".

١٢- تَـــرِدُ الظُّنُـــونُ بـــهِ علـــى تَـصْدِيقِهَا
وَيُحَكِّـــمُ الآمَـــالَ في الأمْـــوَالِ

في كتاب أبي زكريا :

أي: مَنْ ظنّ به ظَنّاً مِن الخير وَرَدَ به ظَنُّهُ على ما أَمَّلَهُ عنده.[٧]

١٣- أَضْـحَى سَـمِيٌّ أبيـكَ فيـكَ مُـصَدَّقاً
بأَجَـــلِّ فَائِـــدَةٍ وأيْمَـــنِ فَـــالِ

قال أبو العلاء :

المعنى: ان هذه القصيدة مدح بها الحسن بن رجاء، فلذلك قال: "أضْحَى سَمِيَّ أبيك فيك مُصَدَّقاً".[٨]

هـذا البيت لا يحتاج الى شـرح إذا عُلِمَ الممـدوح من أول القصيدة.

١٤- وَرَأَيْــتَني فَـــسَأَلْتَ نَفْـــسَكَ سَـــيْبَها
لـــي ثُـمَّ جُـــدْتَ ومــا انْتَظَـرْتَ سُـؤالي

قال الخارزنجي :

يقول: رأيت حالي ورثاثة هيئتي، فاقتضيت نفسك إنعاشي، وجبر فاقتي قبل تَعَرُّضي لمسألتك.

١٥- كالغَيْــثِ لَــيْسَ لَــهُ - أُريــدَ غَمَامُــهُ
أوْ لمْ يُـــرَدْ ، بَـــدٌّ مِـــنَ التَّهْطَـــالِ

---

[٧] هذا الكلام للصولي ، ذكره التبريزي في كتابه.

[٨] جاء في كتاب أبي زكريا بعد أن ذكر كلام أبي العلاء، ما يأتي:
و"الفأل" أصله الهمز، ولا يجوز أن يهمز هاهنا، وأكثر ما يستعمل في الخير، وربمـا اسـتُعمِل في الـشَّرّ كالمستعار.

قال الخارزنجي :

أراد: "أأُريد" على الإستفهام، فترك الألف. ومَنْ أخذه من: رَادَ يَرُود. فهو "أُريد"، أي: طُلِبَ.

يقول: هو كالغيث، ليس له بُدٌّ من البذل والجود، سُئل أم لم يُسْأل، كما ان الغيث يجود بمائه، أُرِيْدَ أمْ لمْ يُرَد.

* * *

وقال ابو تمام:

يمدح أميرَ المؤمنين المُعْتَصِم:[1]

١- غَـدَا المُلْـكُ مَعْمُـورَ الحَـرَا والمَنَـازِلِ
مُنَـوَّرَ وحْـفِ الـرَّوْضِ عَـذْبَ المَنَاهِـلِ[*]

قال الخارزنجي :

"العَرَا" و"الحَرَا": السَّاحة. و"الوَحْف": المُلْتَفّ مِن النبات.

أي: صار المُلْك معموراً منازله وساحته بالمعتصم بالله، ونوّرت رِيَاضه وَعَذُبَتْ مَنَاهله.

ويروى: "معمور الحِمَى".[2]

---

[1] جاء في كتاب الصولي وكتاب التبريزي "يمدح المعتصم والافشين".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢- بِمُعْتَصِمٍ باللّهِ أصْبَحَ مَلْجَأً
ومُعْتَصَماً حِرْزاً لِكُلّ مُوَائِلِ

وَألَ إليه يَئِلَ وَألاً ووَئيلاً ووَاءَل مُواءلةً ووآلاً: لجأ وخَلَصَ. والوَأْل: والمَوْئل والَ وواءل: طلب النجاة. والموئل: طلب النجاة.

[2] قال الصولي في كتابه:

يريد انه منوّر ملتفّ روضه. ونباتٌ وحفٌ: متكاثف.

٣- لَقَــدْ أَلْــبَسَ اللّــهُ الإمــامَ فــضائلاً
وَقَــى طرفيهــا بــاللّهَى والفَوَاضِــلِ[٣](**)

قال الخارزنجي :

"الفضائل": جمع فضيلة. وهي الخصلة المحمودة. و"الفواضل": جمع فاضلة: وهي النّعمة الجزيلة.

يقول: قد خصّ اللّـهُ أميرَ المؤمنين بفضائل، فهو [كلمة غـير واضـحة] ويقيهـا مـا يشينها بالعطايا الجزيلة. وهذه الفضائل محاسن أخلاقه من الجود والبأس، آخر كلامه.

لو لم يقل "مِن الجود والبأس" لأصاب الصواب، لأنه إذا وَقَى الجود بـاللّهى والفواضـل: وهي العطايا، فقد وَقَى الشيء بنفسه. ولو قال: تلك الفضائل هي بأسه وإقدامـه وعزائمـه وأخلاقه الحسنة، وهي التي وقاها باللّهى. والفواضل لطبق المفصل.

روى أبو زكريا: "وتابع فيها باللّهى والفواضل". وقال:

"أَلْبَسَه": أي: خَصَّه بالفضائل. أي: الجود والبأْس والتُّقَى. و"اللّهى": العطـايـا.

كأنه أراد: تابع الفضائل الأولى بعطايا وفضائل أخرى.

والأول أجود.

٥- مَوَاهِــبُ جُــدْنَ الأَرْضَ حتّــى كأنَّمــا
أَخَــذْنَ بــآدابِ الــسَّحَابِ الهَوَاطِــلِ

قال الخارزنجي :

"جُدْنَ": مِن الجود والغيات.

---

(٣) رواية الصولي والتبريزي: "وتابعَ فيها باللُّهى والفَوَاضِلِ".

(**) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٤ــ فأضْــحَتْ عَطـايَــاهُ نَــوَازِعَ شُــرَّداً
تُــسَائِلُ في الآفــاقِ عَــنْ كُــلِّ سَــائِلِ

قال التبريزي:

نوازع : من قولهم: ناقةٌ نازِع، وكذلك الجمل، أي: انَّها تَحِنُّ الى العافين، فتسير إليهم.

يقول: عطاياه مواهب تجود المحاويج والعُفَاة فتخصبهم، فكأنما تأدّبَتْ بآداب السحاب المواطر، وتخلقت بأخلاقها.

٦- إذا كانَ فَخْراً للمُمَدَّحِ وَصْفُهُ
بيومِ عِقَابٍ أوْ نَدىً مِنْهُ هامِلِ

٧- فكم لَحْظَةٍ أهْدَيْتَها لابنِ نَكْبَةٍ
فأصبَحَ مِنها ذا عِقَابٍ ونَائِلِ

قال الصولي :

يقول للمعتصم: إذا وُصِف الممدوح وافْتُخِر له بيوم حرب، أي: انتقام في حرب، أو بيوم نائل، فانك تلحظ المنكوب[٤] بعفوٍ، فيصير بصورة مَن مُدِح ووُصِفَ بالعِقاب والنائل. أي: أنت أجلّ مِن أن تُوصف بهذا الوصف وإنما يوصف بهذا مَنْ يلحظه.

لا معنى لقوله "تلحظ المنكوب بعفوٍ". والصحيح وأقرب منه: ما قاله المرزوقي، وهو: يقول:

إذا عُدّ فخراً للممدوح أن يوصف بأنّه أَثَّرَ يوماً في أعدائه وعاقبهم، وأعطى أولياءه وقتاً وحباهم؛ فكم منكوب رمقتَه وأعرته لحظك، فأصبح من بعد يُعاقب مَنْ يشاء وينيل مَنْ يشاء. آخر كلامه.

المنكوب: الذي نكبه واجتاحه. ولا معنى معه للعفو.

وروى الخارزنجي: "لابن عثرة". وقال:

هو الذي يجني جناية تجب عقوبته عليها. قال: وابن النكبة: الذي أصابته نكبة من نكبات الدهر. و"جائحة": اجتاحت ماله. آخر كلامه.

و"العثرة": الزّلّة. وكأنه أراد: زَلَّ وعثر في زمانه. وأخطأ قصْده. ومنه قولهم: لا حليم إلاّ ذو عثرة، ولا حكيم إلاّ ذو تجربة. وهذا يقرب من قول الخارزنجي.

و"ابن نكبة" أَوْلَى وأوضح.[٥]

---

[٤] الرواية في كتاب الصولي "المكروب".

[٥] قال أبو زكريا في كتابه:=

٨- شَهِــــدْتُ أميـــرَ المـــؤمنينَ شَـــهادَةً
كَـــثِيرُ ذَوُو تَـــصْدِيقِهَا في المَحَافِـــلِ
٩- لَقَـــدْ لَـــبِسَ الأَفْـــشِينُ قَـــسْطَلَةَ الــوَغَى
مِحَـــشًّاً بِنَـــصْلِ الـــسَّيْفِ غَـــيرَ مُوَاكِـــلِ[٦][*]

أي شَهدتُ ان صاحبك الافشين باشر الحرب بنفسِه.[٧]

قال أبو العلاء :

أَنَّثَ "القَسْطَل": وهو الغبار. كما يقال: عثيرة في العَثير. وعجاجة في العجاج. ويجوز أن يكون "القَسْطل" جمعاً لـ"قسطلة". كما يقال: جندل وجندلة.[٨]

ويروى "مخشاً" بالخاء المعجمة.

فالمحش: ما تحرّك به النار من حديد. ومنه قيل للرجل الشجاع: نِعْم محش الكتيبة.

و"المخش": بالخاء المعجمة: الرجل الجرئ على الليل. قاله الجوهري.

ونصبهما معاً على الحال مِن الأفشين. و"المُوَاكل": الذي يَكِل أمرَهُ الى غيره.

١١- فَجَـــرَّدَ مِـــنْ آرائِـــهِ حِـــينَ أُضْـــرِمَتْ
بِـــهِ الحَـــرْبُ حَـــدّاً مِثْـــلَ حَـــدِّ المَنَاصِـــلِ[٩]

= يقول: إذا فخر الممدوح بأنْ يوصف بأنّه يُعاقِب يوماً أعداءَه في الحرب. ويجود يوماً على أوليائه بندىً هامل، فكم مِن فقيرٍ نظرتَ إليه نظرةَ رأفةٍ فأغنيتَه حتى صار ممن يعاقب عدوَّه ويُنيلُ وِليَّهُ.
[وهذا الكلام يشبه ما ذكره المرزوقي].

(٦) رواية الصولي "مخشاً" بالخاء المعجمة.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

١٠- وسَـــارَتْ بِـــهِ بَـــيْنَ القَنَابِـــلِ والقَنَـــا
عَـــزَائِمُ كانَـــتْ كالقَنَـــا والقَنَابِـــلِ

جاء في كتاب التبريزي:
قنابل: جمع قَنبلة، وهي القطعة من الخيل.

(٧) ذكر أبو زكريا التبريزي هذا الكلام بلفظه في كتابه.

(٨) ذكر التبريزي كلام أبي العلاء هذا في كتابه وذكر بعده:
أي: دَخَل في غبار الحرب، وهو كمحشِّ النّار في نفوذه واصطلائه نار الحرب.

(٩) رواية التبريزي "وَجَرّد".

ويُرْوَى: "حِيْنَ أُصْلِيتْ"، أي: أوقِدَتْ.

ورَوَى الخارزنجي: "أُصلتت" بتاءين. وقال:

أي: شهرت وأفشيت.

وكلّ الروايات صحيحة المعاني في هذا الموضع.

"حَدّاً": أي: رَأْياً.

١٢- رَأَى بَابَكُ مِنهـا الـتي لا شَـوَى لهـا
فَيُرْجَـى سِـوَى نَـزْعِ الـشَّوَى والمَفَاصِـلِ[١٠]

قال الخارزنجي :

"الشَّوى": البقيا. و"الشَوَى الآخر": القوائم.

يقول: رأى بابك مِن آراء الافشين الخطّة التي لا بُقْيالهُ عليها إلاّ أن ينزع شوى رأسه وأصحابه وأقربائه، فيستأصلهم ويجتاحهم.

ويروى "منه"، أي: من الأفشين.

وقال الصولي :

[١١]يقول: رأى بابك منه شدّة ليس فيها أخطاء لمقتله، ولا يرجو منها سوى نزع الشوى: وهي الأطراف.[١٢]

فيقول: ان هذا لا يرجو إلا نزع شواته وشوى أصحابه.

وفي نسخة أبي زكريا:

[١٣]لا شوى لها "سوى سَلْمِ ضَيْمٍ أو صفيحة قاتل".

---

[١٠] رواية الصولي والتبريزي "منه" و"فَتُرجى".

[١١] قال الصولي في كتابه قبل ذلك:
يقول: رماه فاشواه: إذا أخطأ مقتله.

[١٢] جاء في كتاب الصولي أيضاً بعد ذلك:
أي: لا يرجو إلاّ نزع أطرافه ومفاصله، و"الشوى" أيضاً: جمع شواة: وهي جلدة الرأس.

[١٣] جاء في كتاب التبريزي قبل ذلك:
"لا شَوَى لها". أي: "لا إخطاء"

يقول: رأى من عزائمه ما لا يخطيء مقاتلـه. ولا شَـوَى لهـا سـوى سـلم ضـيْم أو صفيحة قاتل. أي: سواء[*] يُلْقي بيده الى السّلم على ذُلّهِ وهوانه، أوْ تُعرض عليه صفائح السيوف. آخره.

١٣– تَـــرَاهُ الى الهَيْجـــاءِ أوّلَ رَاكِـــبٍ

وَتَحْـــتَ صَـــبِيرِ المَـــوْتِ أوّلَ نَـــازِلِ[*]

وفي نسخة: "رآه" وصحح عليه.

و"الصبير": سحابٌ فوقه سحاب.

وفي نسخة: "تراه لدى".

وفي نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث: "نازل" بمعنى "منازل".

قال المبارك بن أحمد:

يجوز أن يكون "نازل" في قوله "أوّل نازل" على وجهه. ويكون من قول المهلهل:[١٤]

لم يطيقـــــوا أن ينزلـــــوا فنزلنــــــا

وأخـــو الحـــربِ مَـــنْ أطَـــاقَ النـــزولا

---

[*] العبارة في كتاب التبريزي: "أي سوى أن يُلْقِي".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

١٤– تَـــسَرْبَلَ سِرْبـــالاً مِـــنَ الـــصَّبْرِ وارْتَـــدَى

عليـــــهِ بعَـــــضْبٍ في الكريهـــــةِ قَاصِـــــلِ

[١٤] المهلهل: هو عَدِيّ بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جُشَم. من تغلب، أبو ليلى. الشاعر: من أبطال العرب في الجاهلية، من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس. لقّب مهلهلاً لأنه أول مَنْ هلهل نسج الشعر، أي: رقّقه. وكان مِن أصبح الناس وجهاً ومِن أفصحهم لساناً. عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب "زير النساء"، أي: جليسهنّ. ولما قتل جساس بن مرّة كليباً ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللهو وآل أن يثأر لأخيه فكانت وقائع بكر وتغلب دامت أربعين سنة. مات في نحو ١٠٠ق.هـ أخباره في: الشعر والشعراء: ٩٩، وجمهرة أشعار العرب: ١١٥، وخزانة الأدب: ١/ ٣٠٠.

ونحو قول ربيعة بن مقروم الضَّبيّ:[١٥]

فَــــدَعَوْا نَـــزَالِ ، فكنـــتُ أوّلَ نـــازلٍ
وعــــلامَ أرْكَبُـــهُ إذا لم أنْـــزِلِ[١٦]

وَلَقَـــدْ شَـــهِدْتُ الخيـــلَ يـــومَ طِرادِهـــا
بـــسليم أوْظَفَـــةِ القـــوائم هيكـــلِ

إلا ان أبا تمام جعله أوّل راكب وأوّل نازل.[١٧]

١٥- وَقَـــدْ ظُلِّلَـــتْ عِقْبـــانُ راياتـــهِ ضُـــحىً
بِعِقْبَـــانِ طيْـــرٍ في الـــدِّماءِ نَوَاهِـــلِ[١٨][*]

قال الصولي :

"العِقبان" الأولى: الرّايات. الواحدة: عقاب. والأخرى: جمع عِقاب: الطائر. وهـذا هـو التجنيس من الشعر.

---

[١٥] ربيعة بن مقـروم بن قيس الضَّبيّ. من شعراء الحماسة، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وَفَدَ على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض فتوح الإسلام. وحضر وقعة القادسية. توفي بعد ١٦هـ أخبـاره في الشعر والشعراء: ١١٥، وخزانة الأدب: ٥٥٦/٣، والإصابة: ٢٢٠/٢، والأغاني: ٩٧/٢٢.

[١٦] أنظر الأغاني: ١٠٣/٢٢، ط. دار الكتب. وانظر شرح الحماسة للمرزوقي. وفيه البيت الثاني قبل الأول: ٦١/١.

[١٧] جاء في كتاب أبي زكريا:
قال أبو العلاء: "الصبير" سحاب فيه سواد وبياض. وربما قيل: هو السحاب الأبـيض. وقـال بعـضهم: هو المتراكب. كأنه صُبِّرَ بعضه على بعض. أي: حُبس. وجمعه: صُبُر.

[١٨] رواية الصولي والتبريزي "اعلامه" مكان "راياته".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:
١٦ــ أقامَـــتْ مـــع الرّايـــاتِ حتّـــى كأنّهـــا
مِـــنَ الجَـــيْشِ إلاّ أنّهـــا لم تُقَاتِـــلِ

يقول: ان الطيور قد وثقت بنصره، وقَتْلِهِ مَنْ يحاربه، فهي تسير مع أعلامه لتأكل من جيفهم.(١٩)

١٧- وَلَمَّا رآه الخُرَّمِيُّونَ والقَنَا
بِوَبْلِ أعَالِيهِ مُغيثَ الأسَافِلِ(٢٠)

قال الصولي :

يريد: ان مطر أعاليه: يعني الدم من السنان يروي أسفل الرمح.

---

(١٩) وقال الصولي في كتابه بعد ذلك:
وأول مَنْ أحسن هذا النابغة، فقال:

إذا ما غزوا بالجيشِ حَلّقَ فوقَهُمْ
عَصَائبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائب

جَوَانِح قد أيْقَنَّ أنَّ قَبيلَهُ
إذا ما الْتَقَى الجمعانِ أوّلُ غائب

وقال أبو نواس :

تتأيّا الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ
ثِقَةً بالشِّبْعِ مِنْ جُزُره

وقال مسلم:

قد عَوّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها
فهنَّ يَتْبَعْنَهُ في كُلِّ مُرْتَحَلِ

ومن أحسن القول بعد النابغة قول أبي تمام:
هذه الزيادة في المعنى: البيت الذي يجيء بعده.
وجاء في كتاب أبي زكريا:
شبّه البُنُود بالعِقبان. وجعل عِقبان الطّير آلِقَةً لها، لما اعتادت من أكل لحوم الأعداء، وورود دمائهم.
وقال الآمدي في الموازنة: ١/٢٥٥:
"نواهل": من النَّهْل. وهو الشُّرب الأول. والعَلَل: الشرب بعد الشرب، و"العقبان" وسائر جوارح الطير لا تشرب الدماء. وإنما تأكل اللحوم.
[ان ما قاله أبو تمام إنما هو إستعارة تتردد كثيراً على ألْسِنَة الناس، فمن ذلك قولهم في حالة الغضب: إنْ إلتقيته فسوف أشرب من دمه، فهل هو في الحقيقة إن إلتقاه سوف يشرب من دمه، ولعل في هذا معنًى: أجهز عليه.]

(٢٠) رواية الصولي والتبريزي "فلما".

وروى الخارزنجي:

"بوبـل أعاليهـا رواء الأسافـل". أي: رويت أسافلـه بمـا وبلتها أعاليه من الدماء.

وقال الآمدي :

أي: مغيث الأسافل بما وصل إليها مِن وَبْلِ أعاليه، فيكون الوبل مضافاً الى أعاليه..

ويروى: "مَغيث الأسافل" بفتح الميم. أي: أصابه الغيث. وهو ألْيَق بالمعنى.

وقال الخارزنجي :أي: لمّا رأى الخرّميُون هذا الجيش الجـرّار، ومُطـاعنتهم بالرِّمـاح وسفك الدّماء. رأوا عنقفيرا، أي: داهية.

ويروَى "بوبل أعاليه".[٢١]

١٨- رَأَوْا مِنْـــهُ لَيْثـــاً فابْذَعَـــرَّتْ حُمَاتُهُـــمْ
وَقَـــدْ حَكَمَـــتْ فيـــهِ حُمَـــاةُ العَوَامِـــلِ[٢٢]

قال أبو العلاء:

"ابذعَرّت": تفرّقت. و"حُماتهم": جمع حام. أي: الذي يحميهم.

و"حماة العوامل": يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون جمع حـام مثـل الأول. كأنـه جعل العوامل تحمَى.

والآخر: أن يكون جمع حُمَةٍ: يراد بها السَّمُّ وسورته. وهذا أشبه بمذهب الطائي مـن الوجه الأول.

والوقف في هذا القول على التاء، لأنها مثل "تاء" ثُبَات، والوقـف في الوجـه الأول عـلى "الهاء"، لأنها مثل "قُضاة". إلاّ على رأي مَنْ قال: رَحْمَتْ ونِعْمَتْ في الوقـف عـلى رَحْمَـةٍ ونِعْمة.

---

[٢١] جاء في كتاب أبي زكريا:
أي: ما يُثيره السِّنان من الدم يُرَوِّي أسفل الرُّمح.

[٢٢] رواية نسخة شرح الصولي "رأوا عنقفيراً" وقد ذكرها المبارك بن أحمـد في شرح البيـت الـسابق. مـن خلال كلام الخارزنجي.

وقال الصولي :

حُماة: جمع حُمَة. والحُمَةُ: السَّمُّ.[٢٣]

ويروى: "وقد عملت فيهم رؤوس العوامل".

ورواها الخارزنجي: "حمات" بتاء الجمع. وفسّره: بجمع حُمَة: وهي سَمّ كل شيء.

وروى: "رأوا عنقفيراً" وقد فسّره قبل.

ويروى: "وقد حكمت فيهم رؤوس".

١٩- عَشِيَّةَ فَرَّ البَابَكِيُّ عَنِ القَنَا
صُدُودَ المُقَالِي لا صُدُودَ المُجَامِلِ[٢٤]

قال أبو العلاء :

إن كان أراد بـ"البابكي" صاحباً من أصحاب "بَابَك" فلا كلام فيه، وإنْ كان أراد "بابَك" نفسَه فمثل ذلك قليل، إلاّ انه جائز، كأنّه نَسبه الى إسمه. وهذا في النُّعوت موجود، فأمّا في الأسماء الأعلام فقليل. ولا يمتنع في القياس أنْ يُقال: هذا الفرزدقيّ والجريريُّ. يُراد هذا الذي يُسمّى الفرزدق أوْ جرير، فيُنسب الى اسمه.

وقد حكوا في شعر الصَّلَتان:[٢٥] "أنا الصَّلَتَانيّ"،[٢٦] وهو مِن طريقة القياس جائز لا خُلْف فيه.

---

[٢٣] قال الصولي في كتابه بعد ذلك:

... والحُمَةُ: السَمّ. يقول: هي شوكة العقرب. وشوكة الزنبور.

[٢٤] رواية التبريزي "عَشِيّة صَدّ".

[٢٥] الصَّلَتان العبدي: هو قثم بن خبيّة العبدي، من بني محارب بن عمرو، من عبد القيس. شاعر حكيم.

قال فيه الآمدي. مشهور خبيث. وهو صاحب القصيدة التي أولها:

أشاب الصغير وأفنى الكبير
كرُّ الغداة ومَرُّ العَشيّ

وله قصيدة في الحكم بين جرير والفرزدق، وفيها فضل جرير، يقول فيها:

أرى الخطفى بذّ الفرزدق شأوه
ولكن خيراً مِن كليب مجاشع=

فأما قول القطاميُّ للصَّقْر، فهو من قولهم: أحْمَرِيٌّ لأَحْمَر. وبَحْزَجِيٌّ لِبَحْزَج، وقد حُكي "قَطَامٌ" غيرَ منسوب. قال الشاعر:

مـا هـاجَ شـوقَكَ مِـن بُكـاء حمامـةٍ
تـدعو علـى فَـنَنِ الغُـصُون حَمامَـا
فَقَـدَتْ أبـا فـرْخَيْنِ صـادف طـائراً
ذا مِخْلَبَـيْن مِـن الـصُقور قَطَامَـا

وقال الراجز:

يَـصُكُّهُنَّ جانبـاً فجانبـا
صَـكَّ القَطـامِيِّ القَطَـا القواربـا

وهذا في النكرات كثير. آخر كلامه.

هذان البيتان البائيان هما للقطامي الشاعر، واسمه: عُمَيْر بن شُيَيْم بن عمرو التغلبي.

قال أبو سنان:

وإنما قطمه قوله:

يَحطُّهُـنَّ جانبـاً فجانبـا
حَـطَّ القطـامي القَطَـا القواربـا(+)

= توفي في نحو ٨٠هـ أخباره في: سمط اللآلي: ٥٣١، والمختلف والمؤتلف: ١٤٥، والشعر والشعراء: ١٩٦، والخزانة: ١/٣٠٨.

(٢١) تمام البيت:

أنـا الـصَّلَتانيُّ الـذي قـد علمـتمُ
متـى مـا يحكِّـمْ فهـو بـالحقِّ صـادع

أنظر الشعر والشعراء: ١/٤٠٨، ط. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩.

(+) رواية أخرى للبيت.

و"قطام" في البيت الميمي يجوز أن يكون من صفة الصقور، لقوله: "ذا مخلبين من الصقور". يقال: قطم الصَّقرُ اللحمَ: اشتهاه. فيكون "قطام" على (فَعَال) صفة.

و"المُقَالي": المباغض. و"المُجَامِل": المَدارِي.

٢٠- تَحَــدَّرَ مِــن لِهْبَيْــهِ يَرْجُــو غَنِيمَــةً
بِـسَاحَةِ لا الــوَانِي ولا المُتَخَــاذِلِ

٢١- فكــانَ كَــشَاةِ الرَّمْــلِ قَيَّــضَهُ الــرَّدَى
لِقَانِــصِهِ مِــن قَبْــلِ نَــصْبِ الحَبَائِــلِ

قال أبو العلاء :

"اللَّهْب"" طريق ضَيِّق في الجبل.[٢٧]

قال الخارزنجي :

انحدر بابَك من حصنه الى الافشين رجاء أن ينال منه ومن أصحابه، ويغنم منهم ثقةً بنفسه.

وكان بابك في وقوعه بساحة الافشين كشاة الرّمل قيّضه الهلاك لمَنْ كان يريد صيده بالحبالة. حتّى أخذه قبل بثّ حبائله، ونَصْبِ شركِهِ.

"شاة الرمل": يُريد بها البقرة الوحشية.[٢٨]

٢٢- وفي سَــنَةٍ قَــدْ أنفَــذَ الــدّهرُ عُظْمَهَــا
فلــمْ يُــرْجَ مِنها مُفْــرَجٌ دُونَ قَابِــلِ

قال الصولي :

تبيّنوا أن يفتح في هذه السنة ففتحها.

---

[٢٧] وجاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء. والكلام عن "اللَّهْب".
وقيل: هو ما استقبلك مِن حائطه.

[٢٨] جاء في كتاب أبي زكريا: ٣/ ٨٤:
أراد بـ"شاة الرمل": البقرة الوحشية. ويقال للثور الوحشي: شَاةٌ أيضاً. وإذا ذكرت العرب في التشبيب الشاة، ولم يُتَبَيَّن، فإنما يريدون الكناية عن المرأة.

وقال الخارزنجي :

وروى "عُظمها": بضم العين. و"مُفْرِح": مِن أفرحته. والمفرح: ما يفرح به الإنسان فيسرّه.

يقول: كان ذلك الفتح في سنة تَصَرَّم أكثرها، ولم يُطمَع منها مفرِح يَفْرَحُ به دون السَّنة.

و"القابلة": يعني كان ذلك على يأس مِن الوصول إليها تلك السنة. وكان التقدير: أن يكون ذلك العام القابل.[٢٩]

وقال أبو العلاء

هذا كلام محمول على الإستعارة. وقد وقع فيه اختلاف. فالذي ينشد: "عَظْمها" بفتح العين، قد لزم مذهب الطائي في العارية، لأنه جعل السنة عَظْماً. وقد يمكن أن يكون "العَظْم" هاهنا: عَظْمَ مَن تشمله السّنة. فهذا لا استعارة فيه.

ومَنْ روى "مُفْرَخ": فهو يحتمل أن يكون أن يُراد به: فَرْخ الطائر. لأن الطير لا تُفْرِخ حتّى تشبع. والكسر يُراد به الطائر الذي يُفرخ. والفتح: يعني به الولد.

ولو رويت "مُفْرَج" بالجيم، من: فرجتُ الأمرَ. أو "مُفْرِج" مِن الفَرَجِ لجاز.

وفي النسخة العجمية :

"أنفد": أفنى معظمها، ومضى أكثرها، لانقضاء الصيف وإطلال الشتاء على الافشين.

٢٣- فكانَتْ كَنَابٍ شَارِفِ السِّنِّ طَرَّقَتْ
بِسَقْبٍ وكانَتْ في مَخِيلَةِ حَائِلِ[*]

---

[٢٩] ذكر أبو زكريا كلام الخارزنجي هذا في كتابه على رواية "مُفرج" بالجيم. ولم ينسبه إليه.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢٤- وعَاذَ بأطْرَافِ المَعَاقِلِ مُعْصِماً
وأنْسِي أنَّ اللّهَ فَوْقَ المَعَاقِلِ

قال الصولي :

يقول: كانت كنابٍ شارف. و"النّاب": المُسِنّة. لا تلد فولدت.

وقال الخارزنجي :

"النّــاب": الناقــة الهرمــة. وكذلك "الشارف". و"السّقب": الذكر من أولاد النوق.

يقول: هــذه السّنة لمّــا أتت من الفتــح بما لم يطمع فيه بعد انقضــاء أكثرها، كناقة توهّمها صاحبها حائلاً لقِدمها وهرمها، فأتت بالسقب.

طرّفت الأُمّ بالولد: إذا ضاق مخرجه. قاله أبو العلاء:[٣٠]

٢٥- فَــوَلّى ومــا أبْقَــى الــرَّدَى مِــنْ حُمَاتِــهِ
لـــــهُ غَيْـــرَ آسَـــارِ الرِّمـــاحِ الـــذَّوابِلِ

قال أبو العلاء :

"آسار الرّماح" : بقاياها.

والمعنى: ان أصحابه طُعِنُوا بالرماح. فهلكوا. وقد أسْأَرت الرّماح منهم شيئاً قليلاً:

وأوضح مِن هذا قول الخارزنجي :

---

[٣٠] وقال المرزوقي في كتابه "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة"، ص ١٢٩:
يصف سنة كانت قد مضت، ويئسوا من أن يكون فيها حــرب. فــاتّفق أن حــاربوا في آخرهــا، فظفــروا وغنموا. فيقول: كانت هذه السنة كناب شارف. وهي المُسِنّة من الإبل، قد يئس من حملها. فأيأس ما كــانوا من حملها، طرقت بولد: أي أبدت طرقتــه، وهي رأسه ويــده. وكانت تُخال من قبل انها حائل لا تلقح.
وجاء في كتاب أبي زكريا: ٣/٨٥:
يقول: مَثَلُ هذه السنةِ ومَثَل النّعْمَةِ التي جاءت فيها مثل النّــاب: وهــي المُــسِنّة مــن الإبــل، و"شــارف السّنّ": أي كبيرة. وطرقت الأُمُّ بالولد: إذا ضاق مخْرجه. وكذلك القَطَاة بالبيضة. قال الجَعْدِيُّ:

زَفِـــــيرُ المُـــــتِمّ بالمُـــــشَيّاءِ طَرّقَـــــت
بكاهلــــه فمــــا يَــــرِيمُ المُلاقيــــا

(أتمّتْ المرأة فهي متمّ. أي: دنا ولادها. و"المشيّاء": تصغير ماشية. و"الملاقي": من الناقة: لحم باطن حيائها).
يقول: كانت هــذه السنة كالنّــاب الشارف قد يُئِسَ مِن حَمْلها، والانتفاع بلبنها، وَوَلدها. فيسَّرَ الله لها ذلك بِلُطْفِهِ.

يقول: فولّى بابك منهزماً بعد ان لم يبق مِن أصحابه الحماة إلا بقايا أخطأتها الرماح، فلم تُمِتْها.

٢٦- أمَا وأبيهِ وَهْوَ مَنْ لا أباً لهُ
يُعَدُّ لَقَدْ أمْسَى مُضِيءَ المَقَاتِلِ

قال أبو العلاء :

أقسم بأبي المنهزم على معنى الهُزْء والعكس. لأن أصل هذا القَسَم إنما هو لِمَنْ يُكرم أبوه. وقوله: "مُضِيء المقاتل: الوجه أن يُحمل على مذهب الطائي، ويُجعل من المستعار كما قال في موضع آخر: "لما غَدَا مُظْلِمَ الأحشاء"، أي: قد ظهرت مقاتلُه فهي مُضِيئةٌ لَمَنْ يطلبها، لأنها تُشْكِل على المُلْتمس.

وإنْ حُمِل على قول الأنصاري:

× لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءَها ×[٣١]

فله وجه. يريد: ان هذا المذكور كأنه بهذه الواقعة قد طُعِنَ طَعْنَةً في المَقتل. تُضيء بسعَتها على نحو ما ذهب إليه قيس بن الحطيم في قوله:

× يَرَى قائماً من دونها ما وراءُها ×[٣٢]

---

[٣١] تمام البيت :

طعنتُ ابنَ عبد القيسِ طعنةَ ثائرٍ
لها نفذٌ لولا الشعاعُ أضاءها

وهذا البيت من أبيات قالها قيس بن الخطيم بعد قتله قاتل جده، مطلعها:

ثأرتُ عَديّاً والخَطِيمَ فلم أُضِعْ
ولايةَ أشياخٍ جُعِلْتُ إزاءها

أنظر الأغاني : ٣/٣. وانظر ديوانه ، ص ٢١.

[٣٢] تمام البيت:

ملكت بها كفيَّ فانهَرْت فتقها
يرى قائماً من دونها ما وراءها =

وقال الخارزنجي :

يقول: وأبيه ان بابك أمْسَى مقتولاً ظاهر المقتل. صادقاً خبر قتله، لا شكَّ فيه. وقوله "وأبيه": يعني: وأبي بابك. ثم قال: وهو مَنْ لا أباً له، لأنه ولد لغير رشده.

٢٧- فُتُـــوحُ أَميـــرِ المُـــؤْمِنينَ تَفَتَّحَـــتْ
لَهُـــنَّ أَزَاهِـــيرُ الرُّبَـــا والخَمَائِـــلِ(*)

قال أبو العلاء :

جَمَع "زَهَراً" على "أزهار". وجَمَع "أزهاراً" على "أزاهير"[٣٣]

قال الخارزنجي :

يقول: فتوح أمير المؤمنين تفتّحت له أبواب الرحمة والغيث، فيمطر بها البلاد حتى ينبت النبات، وتكثر الأنوار والزهر بها.

و"الخميلة": رملة تنبت الشجر.[٣٤]

٢٩- ومَـــا هُـــوَ إلاَّ الـــوَحْيُ أَوْ حَـــدُّ مُرْهَـــفٍ
تَميـــلُ ظُبَـــاهُ أخْـــدَعَيْ كُـــلِّ مَائِـــلِ

قال أبو العلاء :

يقول: ما هو إلا أن يتبـع الإنسان الوحي، أو يُضـرب بالسيف لخروجـه عن الإسلام.

= [رواية المخطوطة "ويرى قائم" والصواب ما ذكرناه] وهو من أبيات القصيدة التي ذكرنا مطالعها في الهامش السابق، أنظر: ديوانه: ٢٢.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢٨- وَعَـــادَاتُ نَـــصْرٍ لـــم تَـــزَلْ تَـــستَعِيدُها
عِـــصَابَةُ حَـــقٍّ في عِـــصَابَةِ بَاطِـــلِ

ج

(٣٣) قال أبو العلاء بعد ذلك كما ورد في كتاب أبي زكريا:
كما قال: أنعَام وأناعيم. وأسطار وأساطير.

(٣٤) قال الصولي في كتابه :
"الخميلة" ما ينبت من الرمل، ومنه قيل: قطيفة مخمل.

فحذف المضاف الى الشيء لعلم السامع بالغرض.[٣٥]

٣٠- فَهــذا دَوَاءُ الــدَّاءِ مِــن كُــلِّ عَــالِمٍ
وَهَــذَا دَوَاءُ الــدَّاءِ مِــنْ كُــلِّ جَاهِــلِ

قال المرزوقي :

يعني: الإسلام. وان له دواءين: السيف والقرآن. فالعَالِم يُدَاوَى بالقرآن فيشفى به، والجاهل المعاند يداوى بالسيف فيقيمه.

٣١- فَيَــا أَيُّهــا النُّــوَامِ عَــن رَيِّــقِ الهُــدَى
وَقَــدْ جَــادَكُمْ مِــن دِيْمَــةٍ بَعْــدَ وَابِــلِ[*]

قال أبو العلاء :

"الرَيِّق": مستعار مِن رَيِّق السَّحاب، وهو أَوَّلُهُ. و"الدِّيمة": مَطَر ليس بشديد، يدوم يوماً وليلة.[٣٦]

---

[٣٥] جاء في كتاب أبي زكريا في شرح البيتين: "وعادات نصر..." و"ما هو إلا الوحي..."
أي: عاداتٌ مِن النصر والتأييد عوّدها الله عصابة الحقّ، وهم المسلمون و"الوحي": أراد به القرآن.
أي: فالإيمان بالقرآن والعملُ بما فيه دواءُ كلِّ مسلم. والسيف دواءُ كل جاهل، وقد فسّره بقوله: (البيت التالي).

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي وبه تختتم :
٣٢- هُــوَ الحَــقُّ إنْ تَــسْتَيْقِظُوا فيــه تَغْنَمــوا
وإنْ تَغْفُلُــوا فالــسَّيْفُ لَــيسَ بِغَافِــلِ

وجاءت في حاشية مخطوطة النظام بخط مختلف عن خطّ النسخة المعتاد رواية هذا البيت:
"هــو الــسيف إن تــستيقظوا فيــه تغنمــوا
وإنْ تغفلــوا فالــسيف لــيس بغافِــلِ"

[٣٦] جاء في كتاب أبي زكريا ـ والكلام عن الديمة:
وهو من ذوات الواو في الأصل، إلاّ انهم ألفُوا الياء حتى قالوا: دَيَّمَ المطرُ، وقالوا: كثيب مُدَيَّم: إذا سقَتْه الدِّيمة. وحُكى: دامَ المطرُ يَديم. فيجوز أن يكون له أصل في الياء.

قال الخارزنجي :

"الرِّيِّق": الصافي من كل شيء. و"النُّوَّام": عَنَى به الكُفَّار.

* * *

وقال أبو تمام :

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف حين خرج من عَمُورِيَّةَ الى مَكّة.

١- مَـــالي بِعَادِيَـــةِ الأيَـــامِ مِـــنْ قِبَـــلِ
لمْ يَـــثْنِ كَيْـــدَ النَّـــوَى كيْـــدِي ولا حِيَلـــي(*)

في النسخة العجمية :

"عادية": ما يعدو على. وقيل: عادية: ظالمة. وهي مصدر، مثل: اللائمة. "مـن قِبَـل": أي: طاقة.[1]

٣- قَـــدْ قَلْقَـــلَ الـــدَّمْعَ دَهْـــرٌ مِـــن خَلائِقِـــهِ
طُـــولُ الفِـــرَاقِ ولا طُـــولٌ مِـــنَ الأَجَـــلِ(**)

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢ـــ لا شـــيء إلاّ أباتَتْـــهُ علـــى وَجَـــلٍ
ولمْ تَبِـــتْ قَـــطُّ مِـــن شـــيء علـــى وَجَـــلِ

(1) يرى الآمدي ان هذا المطلع من إبتداءاته الجيدة.

(**) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

٤ـــ سَـــلْني عَـــن الـــدِّين والـــدُّنيـــا أُجِبْـــكَ وَعَـــنْ
أبـــي سَـــعِيدٍ وفقْدِيـــهِ فـــلا تَـــسَلِ

جاء في كتاب أبي زكريا :

أي: فانّي لا أُجِير جواباً.

٥ـــ مَـــنْ كـــانَ حَلْـــيَ الأمـانـــي قَبْـــلَ ظَعْنَتِـــهِ
فَـــصِرْتُ مُـــذْ سَـــارَ ذا أمنِيَّـــةٍ عُطُـــلِ

رواية الصولي: "فصار مذ سار". =

قال الصولي :

يقول: مِن خلائق الدهر الفراق، لا (طول) العمر.

ويروى: "قد شَرَّدَ الدمع".

على ما فسّره الصولي يكون الواو في قوله "ولا طول".[٢]

ووجدت في نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث:

يقول: من خلائق الدهر الفراق لا طول العمر.[٣]

والذي ذكره الخارزنجي:

"قلقل": أي: حرّكه من موضعه. يقول:

قد امتاح الدمع حوادث دهرٍ مولع بتفريق الأحِبّة، فمن شأنه تفريق. طول الفراق فيه وإن كان العمر قصيراً فيه لإهلاكه أهله بالتفريق بين الأحِبّة.

٨- مَلْقَى الرَّجاءِ ومُلَقَى الرَّحْلِ في نَفَرٍ
الجُودُ عِنْدَهُمُ قَوْلٌ بِلا عَمَلِ

قال الخارزنجي :

يقول: تخلفت. وقد ألقيت رجائي. وألقيت رَحْلي، فلا أُسافر. وبقيت في قوم بعده لهم مواعيد ولا ثمر لها.

=٦- نَأْيُ النَّدَى لا تَنَائي خُلَّة وهَوىً
والفَجْعُ بالمَجْدِ غيرُ الفَجْعِ بالغَزَلِ

جاء في كتاب أبي زكريا:

أي: نأيه نأيٌ للندى والمجد.

٧- لَئِنْ غَدَا شاحِباً تخدِي القِلاصُ بِهِ
لَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ شاحِبَ الأَمَلِ

[٢] كذا ورد الكلام في مخطوطة الكتاب.

[٣] هذا ما ورد في كتاب الصولي. ونحن نعرف ان نسخة ابن الليث نسخة مِن كتاب الصولي.

و"ملقى" منصوب الموضع صفة لما قبله من قوله: "لقد تخلّفْتُ عنه شاحِبَ الأمـل". أو بدلاً منه.[٤]

٩- أَضْـحَوْا بِمُـسْتَنٍّ سَـيْلِ الـذَّمِّ وارْتَفَعَـتْ
أَمْـوَالُهُمْ في هِـضَابِ المَطْـلِ والعِلَـلِ

مُسْتنّ السيل: الموضع الذي يصيبه السيل، واستعاره للذم. وتحصّنت أموالهم بالمطل والعلل، فلا ينالها سائل.[٥]

١٠- مِـن كُـلِّ أَظْمَـى الثَّرَى والأرضُ قَـدْ نَهِلَـتْ
وَمُقْـشَعِرُّ الرُّبَـى والـشمسُ في الحَمَـلِ

استعار لِمَنْ ذمّه الظماء للثرى. والإقشِعْرَار: للرُّبى لِقِلّة الخير، وفَقْدِ المعروف. وجعل ذلك في الوقت الذي تُروَى فيه الأرض وتتـزيّن بالنبـات. وهـو وقـت نـزول الـشمس في الحمـل عند ذهـاب الشتاء، وإقبـال الربيـع. فكـأن ذلك زيادةٌ في ذمّـه.[٦]

---

[٤] جاء في كتاب أبي زكريا :
قطع همزة الوصل في أول النصف الثاني. وقد ذكر ذلك سيبويه، وأنشد قول لبيد:
أَوْ مُـذْهَبُ جُـدَدٌ علـى ألواحِـهِ
النـاطِقُ المـبرورُ والمختـومُ
وهـذا يدلّ على ان انقضاء النصف الأول موضع وقفٍ عندهم، فلذلك استجازوا فيه قطع الموصول، كما قالوا:
لا نَـسَبَ اليـومَ ولا خُلَّـةً
إتّـسعَ الخَـرْقُ علـى الرّاقِـعِ

[٥] جاء في كتاب أبي زكريا: ٣/ ٨٩:
أي: أموالهم بحيث لا ينالها السائلون. مُتَحَصّنة.

[٦] جاء في كتاب أبي زكريا:
أصْل "الظَمَأ" في العطش أن يكون مهموزاً، فخفّفه هاهنا. واستعار "الثّرَى" للإنسان، وذلك مثل ضربـه في قِلّة الخير وفقد المعروف. ويقال: أرض مُقْشِعَرّة: إذا وُصِفت بأنها غَـبْرَاء مُمْحِلـة، لأن المُقْـشَعِرَّ مِـن شأنه أن يتغيّر عن حاله الحَسَنة، قال الشاعر:
وأصـبَحَ بَطْـنُ مَكَّـةَ مُقْـشَعِرّاً
كـأنَّ الأرضَ لـيس بهـا هِـشامُ=

١١ – وأخْـــرَسِ الجُــودِ تَلْقَـــى الــدَّهرَ ســـائِلَهُ
كأنَّــــــهُ وَاقِـــفٌ مِنْـــــه علــــــى طَلَــــلِ(*)

يريد: ان وجـوده أخـرس، لا يجيب سائله، وكأنـه واقف منه على طلل.

و"الهـاء" في "سائله" و"منه" تعود على الجود. وإن عاد على مَنْ ذمّه فعلى بُعْد.

= وقوله: "والشمس في الحَمَل": أن هذا المذموم مُقشعر الرُّبى في وقت الربيع وذلـك أوان حُـسْن الزمـان ونضارته، لأن الشمس إذا حَلّت برأس الحَمَل فقد انصرم فَصْلُ الشتاء ودخل فَصل الرَّبيـع، وتزيّنـت الأرضُ بالزَّهر والنبات.

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

١٢ – قَـــدْ كـــانَ وَعْــدُكَ لـــي بَحْـــراً فَـــصَيَّرني
يـــــومُ الزِّمـــاعِ الى الضَّحـــضَاحِ والوَشَـــــلِ

١٣ – وَبَــــيَّنَ اللَـــــهُ هـــــذا مِـــنْ بـرِيَّتِـــــهِ
في قولـــه "خُلِــقَ الإنـــسانُ مِـــن عَجَـــلِ"

جاء في كتاب أبي زكريا في شرح هذين البيتين ما يأتي:
أي: قد كان وعدك إياي للعطاء الجزيل بحراً فاستعجلتُ حتى لم أصل الى كل ما قدّرتُه، وحرمنـي حظّـي العَجِل.

واختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: {خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَل} فقال قوم: هو على القلب، كأنه قال: خُلِقَّتِ العَجَلة مِن الإنسان.وقال بعضهـم: إنما المعنى: أنه يكثر العجلةَ فهو مائـل في جانبهـا، فكأنّـه خُلِـقَ منها. ومثل ذلك يتردّد في الكلام: تقول للصبي الذي يحبّ اللعب ويُكثره: ما أنت إلاّ مخلوقٌ مِن لَعِب.

وادّعَى قومٌ ان "مِن" هاهنا بمعنى "الباء"، كأنه قال: خُلِقَ الإنسان بِعَجَل، وقال بعـض أهـل النَّحْـل: "العَجَـل" هاهنـا: الطّين. وهـذا مما يجـوز أن يكون مُفْتــرىً عـلى العَـرَب. وبيـت الطـائي يحمـل عـلى الوجوه المتقدّمـة، ولا يحسن أن يُحمـل على هذا الوجه. وقد صنعوا بيتاً واستشهدوا به. وهو قول القائل:

والنَّبْـــــعُ في الـــــصَّخْرةِ الــــصَّمَّاءِ مُنْبِتُـــــــه
والنَّخْـــــلُ يَنبُـــــتُ بـــينَ المـــاءِ والعَجَـــــلِ

١٤ – لِلّـــــهِ وَخْـــــدُ المَهَـــــارِي أيَّ مَكْـرُمَــــــةٍ
هَــــــزَّتْ وأيَّ غَمَــــــامٍ قَلْقَلَــــــتْ خَـــــضِلِ

١٥ – خَيْـــــرُ الأخِــــلاَّءِ خَيْــــرُ الأرضِ هِمَّتُـــــهُ
وأفْـــــضَلُ الرَّكْــــبِ يَقْـــرُو أفْــضَلَ الــسُّبُلِ

١٦- حُطَّــتْ إلى عُمْــدَةِ الإســلامِ أرْحُلُــهُ
والــشَّمْسُ قَــدْ نَفَــضَتْ وَرْســاً علــى الأُصُــلِ(*)

قال أبو العلاء :

"عُمْدَة الإسلام": يجوز ان يعني به: الكعبة أو مَكّة.(٧)

وروى الخارزنجي: "تربة الإسلام".

أي: مَكّة عَشيّاً حين اصفرّت الشمس. و"الأُصُل": جمع أصيل. شبّه الشمس بـالتّبر، وهو الذهب صفرة. آخر كلامه.

وهذا القول منه غير مرضيّ.

ورُوي في نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث: "الى عمدة" و"الى كعبة".

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

١٧- مُلَبِّيــاً طَـالَمـــا لَبَّـــى مُنَـادِيَـــهُ
إلى الـــوَغَى غَيْـــرَ رِعْدِيـــدٍ ولا وَكَـــلِ

جاء في كتاب أبي زكريا:

"مُلبّياً"، يقول: لَبَّيك اللّهُمَّ لبَّيْك. وعند سيبويه أنَّ "لبَّيْك": مُثنَّاة ومعناه: إلباب بطاعتك بعدَ إلباب. وقـد ذهب غيرُه الى ان "الياء" ليست للتثنية، وإنما انقلبت عن الألف كما فُعِل بها في "إليك" و"عليك".

و"الرِّعْديد": الجبان. و"الوكَل": الذي يَكِل أمرَه الى غيره. يقال: وَكِلَ وَوَكَلَ.

١٨- ومُحْرِمـــاً أحـرَمـــت أرضُ العِـــرَاقِ لـــهُ
مِـــنَ النَّـــدَى واكْتَـــسَبَتْ ثوبـــاً مِـــنَ البَخَـــلِ

١٩- وسافِكـــاً لِـدِمَـــاءِ البُـــدْنِ قَـــدْ سُــفِكَتْ
بـــهِ دِمـــاءُ ذَوي الإِلْحَـــادِ والنِّحَـــلِ

جاء في كتاب أبي زكريا:
أي: يَسْفِكُ دماء البُدْن تَقَرُّباً الى الله كما يُقَرِّبُ إليه بسفكِ دماء الكفّار في الغزوات.

(٧) ذكر أبو زكريا كلام أبي العلاء هذا في كتابه، وذكر بعده:
وقوله: "والشمس قد نفضت وَرساً على الأُصل"، أي: دَنَتْ للمغيب فاصفرّت، وهذا مثل قول الراجز:

مِـــن غَـــدْوَةٍ حتّـــى كـــأنَّ الشَّمْـــسَا
في الأُفُـــقِ الغَرْبِـــيِّ تُكْـــسَى الوَرْسَـــا

ويروى "الى ارحل الإسلام أرحُلُه".

ومنهـــا :

٢٠- وَرَامِيــاً جَمَــراتِ الحَــجِّ في سَـــنَةٍ
رَمَـــى بهــا جَمَــراتِ اليَــوْمِ ذي الــشُّعَلِ(*)

قال الخارزنجي:

يقول: هو يرمي جمرات الحجّ كما رَمَى في نحر الكفّار يوم الحرب جمرات النيران وشعلها بالنَّفّاطات، هذه السنة.

وفي كتاب أبي زكريا: ـ وذكر ما تقدّم ـ

ويجوز أن يريد انه رَمَى عن نفسه بما أقام في حِجَّته مِن المناسك ورَمْي الجمار، نار يوم القيامة وجمراتها.

وفي نسخة: جمرات الروم: أي: جمع في هذه السَّنَة بين الغزو والحجّ.(٨)

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

٢١- يَـــرْدِي ويُـــرْقِـــلُ نحـــوَ المَـــرْوَتَيْنِ كمـــا
يَـــرْدِي ويُـــرْقِـــلُ نَحْـــوَ الفَـــارِسِ البَطَـــلِ

جاء في كتاب الصولي:

أي: يسرع ويرقل.

٢٢- تُقَبِّـــلُ الرُكْـــنَ رُكْـــنَ البيـــتِ نافِلَـــةً
وظَهْـــرُ كفِّـــكَ مَعْمُـــورٌ مِـــنَ القُبَـــلِ

رواية الصولي: "مغمور" بالغين المعجمة.

٢٣- لمّـــا تَركْـــتَ بُيُـــوتَ الكفـــرِ خَاوِيـــةً
بـــالغَزْوِ آثَـــرْتَ بيـــتَ اللّـــهِ بالقَفَـــلِ

(٨) قال المرزوقي في كتابه "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة": ص ٢٩٤:

يقول: رَمَى عن نفسه، وأبعد عنها بما أقام في حجّته من المناسك ورمى الجمار والصبر عليه من المشاق، نار يوم القيامة وجمراتها. ويجوز أن يكون أراد انه جمع في هذه السنة بين الحجّ والغزو مقرونان في قَرَن.
والمعنى: حججت في سنة استيقظت فيها واخمدت جمرات شرٍّ وشدائد يوم نار حَرْبه تشتعل.

٢٤- والحَـــجُّ والغَـــزْوُ مَقْرُونـــانِ في قَـــرَنٍ
فاذْهَـــبْ فأنْـــتَ ذُعـــافُ الخَيْـــلِ والإبِـــلِ[*]

قال أبو العلاء :

"الذُّعاف": السَّمُّ القاتـل. يعني: انك تهلك الخيـل في الغـزو، وتهلك الإبل في الحجّ.

وروى "اذهب". وقال: قطع ألف الوصل لأنـه أول النصف الثـاني. وقـد تـمّ الكـلام دونه، فحسن أن يوقـف عليـه. ومَنْ روى "فاذهب" فقد خلص من ذلك.

٢٥- نَفْـسِي فِـدَاؤُكَ إنْ كانَـتْ فِـدَاءَكَ مِـن
صَـــرْفِ الحَـــوَادِثِ والأيّـــامِ والـــدُّوَلِ

قال أبو العلاء :

المعنى: انّي ابـذُلُ نفسي في فـدائك، إنْ كانت في قَـدْرها أن تفـديـك.[٩] آخر كلامه.

"الدُّول" بكسر الدال: جمع دولة. وبفتحها: هو ان تدال إحدى الفئتين عـلى الأُخـرى. يقال: كان لنا عليهم الدولة.

وقالوا: "الدَّولة" بالفتح، في الحرب، وبالضمّ: في المـال. وقيـل: انهمـا لغتـان بمعنـى واحد.

٢٦- لا مُلْـــبِسٌ مالَـــهُ مِـــنْ دُونِ سَـــائِلِهِ
سِـــتْراً ولا ناصِـــبُ المَعْـــرُوفِ للعَـــذَلِ

ويروَى: "ولا تارك المعروف للعذل". وهو ظاهر معنىً وإعراباً.

وروى الخارزنجي :

"ولا مُنْصِت المعروف". وقال:

(*) رواية التبريزي "زعاف". وذعاف وزعاف بمعنًى.

(٩) ذكر أبو زكريا كلام أبي العلاء هذا في كتابه ، وجاء بعده:
كما يقول الرجل: مالي يذهب في قضاء دَيْنك إنْ كان يبلغ أن يقضيَ دَيْنَك، أي: أخاف أن يُقصّر عن ذلك.

لا يحجب السائل عن ماله، ولا يستمع معروفه لقول العاذل.

ومَنْ روى "ناصب المعروف للعذل": أي: لا ينصِب معروفه ليعذل. آخر كلامه.

روى الآمدي :

"ولا مُنْصِب المعروف للعذل". وقال :

أي: لا يجعل المعروف نصباً للعذل. ويدعه له.

ورَوَى: "ولا منصِت المعروف": أي: ولا يمسك عنه من أجل القول الذي هو عذل. أي: لا يسكت معروفه مِن أجل كلام العاذل.

والأول أجود.

وبخطّ يحيى بن محمد الارزني :

يقال: أنصَتَ: إذا أصاخ الى ما يقال، ليسمعه. والمعنى: ان معروفه لا يصيخ الى العذل. أي: لا يسمعه ولا يقبل عليه. آخر كلام يحيى.

ومنصت المعروف بمعنى: مُسْكِت المعروف، مِن نصت وأنصته. وإنْ كان الرباعي يحسن في هذا الموضع لازماً، إنما تعديته أحسن، لقوله: "لا ملبس" ليوازيه، سواء كان منصت متعدّياً أو لازماً.

قال المبارك بن أحمد :

قال الجوهري: الإنصات: السكوت والإستماع للحديث. يقول: انصتُوه وانصتوا له.

وقال ابن دريد: نَصَتَ ينصِت، نَصْتاً. وأنْصَتَ يُنْصِتُ إنصاتا. فهو ناصت ومُنصت في معنى السكوت. ومنصِت أعلى في اللغة.

فيكون موضع "المعروف" ـ إذا روي ـ "مُنْصِت" رفعاً على انه فاعل. ويكون على وجه الإستعارة. وإذا روي "ناصت": كان موضعه نصباً. ويكون "للعذل" منصوباً على انه مفعول به فيهما.

ويُروَى: "ناضب المعروف" بالضاد المعجمة، من قولهم: نضب الماء، يَنْضُبُ: إذا غار في الأرض. فيكون موضع "المعروف" رفعاً على انه فاعل. و"للعذل": موضعه النصب على انه مفعول له.

ويجوز أن يكون "ناضب" بمعنى البعيد. وهو قريب مِن الأول. لأن الماء إذا غادر فقد بَعُدَ. ويكون إعرابهما موضعاً مثل الأول.

٢٧- لا شَمْسَهُ جَمْرَةٌ تُشْوَى الوُجُوهَ بها
يَوْماً ولا ظِلُّهُ عَنْها بِمُنْتَقِلِ[١٠][*]

رواية الخارزنجي :

"تَشوِي الوجوه بها" و"منها". وقال:

يقول: لا يأتيك أذاه فيبلغ إليك إنْ كنت وَلِيّه، ولا ينطوي عنك نفعه وخيره.

وروَى غيره: "تُشْوَى الوُجُوهُ" على ما لم يسم فاعله و"عَنّا بمنتقل".

٢٩- سَارِي الهُمُومِ طَمُوحُ العَزْمِ صَادِقُهُ
كأنَّ آراءَه تَنْحَطُّ مِن جَبَلِ

قال الخارزنجي :

يقول: لا تُقيم همومه عنده، ولكن يوجّهها لوجوهها. وآراؤه نافذة في الأمور، مسرعة ماضية. كأنها تنحطّ مِن جبل سرعةً ومضاءً.

قال المبارك بن أحمد :

كأنه مِن قول امرئ القيس :

---

[١٠] رواية الصولي والتبريزي "عنّا" مكان "عنها". ورواية التبريزي: "تُشْوَى الوُجُوه".

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٢٨- تَحُولُ أمْوالُهُ عِنْ عَهْدِها أبَداً
ولمْ يَزَلْ قَطُّ عَن عَهْدٍ ولم يَحُلِ

مِكَـــرٍّ مِفَـــرٍّ مُقْبِـــلٍ مُـــدْبِرٍ معـــاً
كجلمـــودِ صَـــخْرٍ حَطَّـــهُ الـــسَّيْلُ مِـــن عَـــلِ[11]

قالوا: شبّهه في سرعته بما ذكره من الجلمود الذي وصفه.

وقوله: "طموح العزم": مِن قولهم: طمح بصره الى الشيء: إذا ارتفع، كأنه مرتفع العزم. أي: ناظرٌ عزمه الى معالي الأمور.

وقال الجوهري: قال بعضهم: طمح: إذا أبعد في الطّلب.

كأنَّ عزمه يبعد في الأمور.

ويجوز أن يكون قوله "تنحطّ مِن جبل": أي: تنقطع مِن جبل فتنحطّ منه، يريد بذلك صلابة آرائه.

ويعضد ذلك ما وجدته في نسخة: كأنَّ آراءه يُنْحَتْنَ. وصحح عليه.

وهو أجود من تنحطّ، لأنَّ وصف الرأي بالصلابة أكثر من وصفه بالسرعة، وإنْ كانتا مِن وصفيه.

٣٠- أَبْقَـــى علـــى جَوْلَـــةِ الأَيَّـــامِ مِـــن كَنَفَـــيْ
رَضْـــوَى وأَشْـــرَدُ في الآفـــاقِ مِـــن مَثَـــلِ[12]

وروى أبو العلاء :

"مِن كندي" وقال:

استعار "الكند" مِن الرجل لـ"رَضْوَى". ومَدَحه بالشيء وضدّه. فجعله أثبت مِن اكتاد رضوى، وأسْيَر مِن المثل في الأرض.

---

[11] هذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة التي مطلعها: "قفا نبك مِن ذكر حبيب ومنزل...". أنظر شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها. للشيخ أحمد الشنقيطي، ص ٨٧، دار الأندلس، بيروت.

[12] رواية الصولي والتبريزي "أسْيَرُ" مكان "اشْرَد".

فيجوز أن يعني الأمثال من الشعر. والأمثال السائرة من غير المنظوم، لأنَّ الصِّنفين يجوبان البلاد، ويكثران على أَلْسِنَةِ الناس.(١٢)

وفي نسخة: "على جَوْلَة الإسلام".

و "الكنف": الجانب.

٣١- نَبَّهْتَ نَبْهانَ بَعْدَ النَّوْمِ وانْسَكَبَتْ
بِكَ الحَيَاةُ على الأَحْياءِ مِنْ ثُعَلِ(*)

---

(١٢) جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء التعقيب الآتي:
كقولهم: "الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبن" و"أَطِرِّ فانك فاعِلَه" و"ذهب الخبرُ مع عمرو بن حُمَمَة"، فهذا من غير الموزون، فأمّا المُقَيَّد بالزِّنة فمثل قوله:

× سَتُبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً × نحوه.

وهذان الخبران يختصّان مِنَ السَّير بما لا يختص به سواهما إذْ كان المثل من المنثور وغيره يتمثّله المقيمُ والمسافر والرجل والمرأة والعبدُ والحرّ، ويستعمله البَرُّ والفاجر وعالمٌ من القوم وجاهل. قال ابن مُقْبل، وذكر ان الأمثال تجوب البلاد:

ظَنِّي بهم كَعَسَى وهم بِتَنُوفَةٍ
يتنازعون جَوانِبَ الأمثالِ

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٣٢ـ كَمْ قَدْ دَعَتْ لكَ بالإخلاصِ مِنْ مَرَةٍ
فِيهِمْ وَفَدَّاكَ بالآباءِ مِنْ رَجُلِ

جاء في كتاب أبي زكريا:
إذا عَدِمتِ "المرأةُ" الألف واللام فالأحسَنُ أن يلزمها ألفُ الوصل، فيقال: هذه امرأة. ولم يحفل الطائي بذلك إذ كان سائغاً في الكلام. ولو أراد تغييره حتى يقول: "مِن امرأةٍ" لكان ذلك يسيراً سهلاً.
وحال "المَرْء" كحال "المرأة" في تعاقب الهمز وعلامة التعريف. قال الراجز آخر:

تقولُ عِرسي وَهْيَ لي في عَوْمَرَهْ
بِئْسَ امْراً وإنني بِئس المَرَهْ

فهذا خَفَّف الهمزة مع الألف واللام. وقال الراجز آخر:

ولستُ أَرَى مَرْءاً تَطُولُ حَياتُه
فَتُبْقي له الأيامُ خالاً ولا عَمًّا =

قال الخارزنجي :

يقول: نَوَهَت باسم نبهان، واحيـاء بني ثُعَـل بعـد خمـول. وهما حيّان من طيّئ.

وقال ابو العلاء :

هذا البيت فيه رفع الممدوح وغضٌّ مِن قومه، لأنه جعلهم من قبل أن يكون فيهم مِثلَ النِّيام. والنوم لا يذكر إلاّ في حال الذمّ، أو ما يقاربه مِن الشِّيَمِ. يقال: نامَ الثـوبُ: إذا بَـلِيَ. ونامَ الرّبْع: إذا دَرَسَ. وإذا عُنِّف الرجلُ على الغفلة قيل: كأنه نائمٌ. قال الشاعر:

أبْلِـــغْ بـــني كاهـــلٍ عنّـــي مُغَلْغَلَـــةً
أنَّ الـــذي فَعَلُـــوه فِعْـــلُ نُـــوّامِ[١٤]

و"الأحياء": جمع حيٍّ مِن العرب، ولا يمكن أن يُجعل جمع الحيّ الذي هو ضدّ الميِّت. لأن السَّيِّد إذا تُنُوهِي في وصفه ادّعى له انه قد أحيا سالف قومه بما يفعلـه مـن عظـيم المكارم.[١٥] آخر كلامه.

وفي نسخة بازاء: "وانْسَكَبَتْ بك الحياة": أي: بعطائك.

وفي نسخة: أي: نبّهت نائم نبهان.

= فحذف همزة الوصل مع غير الألف واللام.

[١٤] لهذا البيت رواية أخرى وهي:

أبلـــغ أبـــا مالـــك عـــني مغلغلـــة
وفي العِتـــاب حيـــاةٌ بـــين أقـــوام

أنشده ابن بريّ. والمغلغلة": الرسالة. ورسالة مُغَلْغَلة: محمولة من بلد الى بلد. اللسان، مادة: غلل.

[١٥] جاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء الإستشهاد الآتي:

كقول الشاعر:

أحْيَـــا جِـــسَاماً فلمّـــا حـــان مَـــصْرَعُهُ
خَلّـــى جِـــساماً لأقـــوامٍ سَـــيُحْيُونَهُ

وقال المبارك بن أحمد:

ويجوز أن يريد بقوله: "نبّهت نبهان بعد النوم"، أي: أعَدْتَ ذكرهم جديداً بعد أنْ بَلىَ.

وبقوله: "وانسكبت بك الحياة على الأحياء مِن ثُعَلِ": أي: انصبت بوجودك الحياة على الحيِّ الموجود منهم، فيجمع في ذلك بين الميّت والحـيّ.

٣٣-إنْ حَـــنَّ نَجْـــدٌ وأهْلُـــوهُ إليـــكَ فَقَـــدْ
مَـــرَرْتَ فيـــهِ مُـــرُورَ العَـــارِضِ الهَطِـــلِ(*)

قال الخارزنجي:

يقول: إنْ حنّ أهل نجدٍ إليك فلا عجب، لأنك أحسنت إليهم حين مررت بهم.[١٦]

٣٥- مـــا زال للـــصَّارِخِ المُعْلِـــي عَقِيرَتَـــهُ
غَـــوْثٌ مِـــنَ الغَـــوْثِ تَحْـــتَ الحَـــادِثِ الجَلَـــلِ

قال المرزوقي:

أي: لم يزل للمستغيث الرافع صوته غياثٌ وحِرز تحت الحـوادث مِـن الغَـوْث. وهـي قبيلة طيئ.

ويروى: "غوثاً" بالنصب، أي: يغيثه مِن بني الغوث.

وهي رواية الخارزنجي. وقال:

لم يزل للمستغيث الرافـع صوتـه إغاثـة مِن بني الغـوث. وهم مِن طيئ.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٣٤- وأيُّ أرْضٍ بـــهِ لـــم تكْـــسَ زَهْـرَتَهـــا
وأيُّ وادٍ بـــــه ظَمْـــــآنُ لم يَـــــسِلِ؟

[١٦] ذكر أبو زكريا التبريزي كلام الخارزنجي هذا في كتابه بأغلب لفظه ولم ينسبه إليه.

قال المبارك بن احمد :

رفع "غوث" أجود، لأنه أعمّ. أي: ما زال للصارخ مِن بني الغوث إغاثة تنصره. ويقوّيه قوله:

٣٦- مِنْ كُلِّ أبْيَضٍ يَجْلُو مِنْهُ سَائِلُهُ
خَدّاً أسِيْلاً بِهِ خَدٌّ مِنَ الأَسَلِ

وإذا نصب [ـ والكلام للمبارك بن أحمد ـ] خصّ به الممدوح. ويكون في "زال" ضمير اسمها. و"غوثاً": خبرها. ويكون المعنى: ما زال هذا الممدوح إغاثة لِمَنْ يستصرخه على بني الغوث الذين مِن طيئ.

وإنْ قال قائل: ويجوز مع النصب أنْ يريد بقوله: "مِن الغوث"، أي: مِن بينهم، فيكون قد غمض قومه، إذ لم يجعل فيهم مَنْ يغيث غيره.

وقال أبو العلاء :

هذا مِن قولهم: رفع عقيرته بالغناء. ووضع "المُعْلِي" مكان الرافع، والصارخ يكون المغيث والمستغيث. وهو هاهنا: الفَزِعُ المُسْتَنْصِر، يعني أنه يرفع عقيرته في دُعاء الغوث فيغيثونه.

وقال أبو العلاء :

في قوله "من كل أبيض... البيت :

يصفون الكريم بالبياض، لأنه مِن ألوان الأحرار. والسواد من ألوان العبيد. وقوله: "به خدّ مِن الأسل، أي: شَقّ من الطّعن.[١٧]

وقوله: "يَجْلُو منه سائلُهُ"، أي: أنه إذا سأله تهلّلَ وجهُه كأنه يجلوه بذلك، وإنْ شئت: مِن جلاء الصَّدَإ. وإنْ شئت: مِن جلاء العروس.

---

[١٧] ذكر أبو زكريا كلام أبي العلاء هذا في كتابه. وجاء بعده:
يقال: خَدَدْتُ الأرض: إذا شقَقْتها.

قال الخارزنجي :

بنو الغوث من كل أبيض يجلو خدّه سائل إذا سأله، لأنه يتهلّل عند ذلك، فكأنّه يجلوه إلاّ ان به أثراً من الطَّعْن.

* * *

وقال ابو تمام :

يمدح محمّد بن عبدالملك الزَّيَّات، ويُعاتبه :

١ - لَهَـــانَ عَلَيْنـــا أنْ نَقُـــولَ وتَفْعَـــلا
وَنَـــذْكُرَ بَعْــضَ الفَــضْلِ مِنــكَ وَتُفْــضِلا[1]

قال الخارزنجي :

"لهان علينا": أي: لقد هان علينا، كما قال:

× حلفت لها باللّهِ حلفة فاجر لناموا ×[2]

أي: لقد ناموا.

---

[1] رواية التبريزي "عنك".

[2] تمام البيت :

حلفـــت لهـــا باللّـــهِ حلفـــة فـــاجر
لنـــاموا فمـــا إن مـــن حـــديثٍ ولا صَـــالِ

وهذا البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها:

ألا عـــم صـــباحاً أيّهـــا الطلـــل البـــالي
وهـــل يعمـــن مَـــنْ كـــان في العُـــصُر الخـــالي

أنظر شرح ديوان امرئ القيس، ص ٤٨، منشورات دار الفكر للجميع.

يقول: ما أهون علينا أن نسأل بالقول، وتعطِي أنت بالفعل، ونمدحك ببعض ما فيك من الفضائل، وتكافئنا بالافضال علينا.[٣]

ويروى: "فتفعلا" و"فتفضِلا".

والواو فيهما أجود، وهي الرواية، كذا وجدته. واللام في "لهان" لام التأكيد. وقيل: لام التعجّب. أي: ما أهون ذلك.

٢- أبـا جَعْفَـرٍ أَجْرَيْـتَ في كُـلِّ تَلْعَـةٍ
لَنـا جَعْفَـراً مِـن سَـيْبِ كَفَّيْـكَ سَلْسَـلا[٤](*)

قال الخارزنجي:

"الجعفر": النهر الكبير. و"السَّلْسَل": الجاري. و"التَّلعَة": المكان المطمئن، يجتمع فيه الماء. و"التلعة": مِن الأضداد. ما ارتفع من الأرض، ومنها انهبط منها.

وقال أبو عمرو: "التلاع": مجاري أعلا الأرض الى بطون الأودية.

٤- رَجَعْـتَ المُنَـى خُـضْراً تَثَنَّـى غُـصُونُها
عَلَيْنـا وأَطْلَقْـتَ الرَّجـاءَ المُكَـبَّلا(**)

---

[٣] قال أبو زكريا في كتابه :
أي: لقد هان علينا. كما قال: "لناموا فما إن من حديث ولا صال".
[ثم ذكر كلام الخارزنجي في كتابه بلفظه، ولم ينسبه إليه].

[٤] رواية الصولي: "مِن فيض سَيْبِكَ سَلْسَلاً". ورواية التبريزي: "من فيض كفَّيْكَ سَلْسَلاً".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

٣- فَكَـمْ قَـدْ أثرْنَـا مِـنْ نَوَالِـكَ مَعْدِنـاً
وكَـمْ قَـدْ بَنَيْنَـا في ظِلالِـكَ مَعْقِـلا

(**) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي :

٥- مـا يَلْحَـظُ العَـافِي جَـدَاكَ مُـؤَمِّـلاً
سِـوَى لَحْظَـةٍ حتَّـى يـؤُوبَ مُـؤَمَّلا

قال الخرزنجي :

"المُكَبَّل": المُقَيَّد. يقول: حَقَّقْت رجاءنا فأطلقْته مِن وَثاقه بتحقيقهِ وتَصْدِيقه.[٥]

٦- لَقَدْ زِدْتَ أَوْضاحِي امتداداً ولمْ أكُنْ
بَهِيماً ولا أَرْضَى مِنَ الأَرْضِ مَجْهَلا

قال أبو العلاء :

"الأوضاح" جمع وَضَح: وهو البياض. يقال: هذا فرس به أَوْضاح، وهذا كالمثل المضروب لِمَا يملكه من المال، أو لِمَا يبلغه من الرتب والجاه.

يقول: لَمّا أكرمتني زدت في شرفي وقدري.[٦]

وقوله: "لم أكن بهيماً": لَمّا ذكر الأوضاح التي تكون في الخيل دعاه ذلك الى أن يذكر "البهيم": وهو الذي ليس به وَضَح، ولا يخالط لونَه لونُ غيره.

يقول: رفعتني بين الناس وشهرتني.[٧]

---

(٥) جاء في كتاب أبي زكريا التبريزي: ٣/٩٩:

"المُكَبَّل" المُقَيَّد. مأخوذ مِن الكَبْل. وقيل: هو الكِبْل، بكسر الكاف وعلى ذلك ينشد قول الشاعر:

ولمّا اتَّقَى القَيْنُ العِرَاقِيُّ باسْتهِ
فَرَغْتُ مِن القَيْن المُقَيَّد في الكِبْلِ

ويروى: "رددت" مكان "رجعت".

(٦) جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء ، التعقيب الآتي:

وهذا المعنى مثل قولهم: بيَّضَ فلان وجهي: إذا فعل به فعلاً حسناً، ومن أبيات المعاني:

أرَى بَنِيَّ قد ابيَضَّتْ وُجوهُهُم
واسْوَدَّ وَجْهِيَ إنَّ الدهرَ ذو غِيَرِ

فسّروه على انه أراد بـ"ابيضاض أوجههم": انهم وُلد لهم أولاد ذُكور. وبـ "اسوداد وجهه" انه وُلدت له أنثى.

(٧) جاء في كتاب أبي زكريا التعقيب الآتي :

لأنهم يصفون الفرس إذا كان أبلق بالشُّهْرَة. وإنما ذلك لكثرة أوضاحه، إلاّ انهم لا يحمدون البُلْق كحمدهم المُحَجَّلة. وقد بيّن معناه البيتُ الذي بعده، فزعم انَّ الممدوح وَجَدَه أغرّ فزاده حُجُولاً. وذكر العرب للأغرّ المُحَجَّل كثير، حتى أنهم قالوا: يوم أغرّ مُحجّل. أي: يوم مشهور من الزمن.

أخذه أبو تمام من قول أبي نخيلة[٨] لمسلمة بن عبدالملك:

وَنَبَّهْـتَ لـي ذِكـرِي ومـا كـان خـاملاً
ولكـن بعـضَ الـذكرِ أنبـه مِـن بعـضِ[٩]

قال الخارزنجي:

"ولا أرْضَى مِن الأرض مجهلا": وهو الذي لا علامة يهتدي فيه بها. ضربه مثلاً للخمول.

وفي نسخة : "ولا أرضى" على انه فعل ماضٍ.

والأول الرواية، وعليه المعنى وإنْ بَعُدَ معنى الرواية الثانية.[١٠]

٧- ولكـنْ أيـادٍ صَـادَفَتْنِي جِسَامُهَا
أغـرَّ فَخَلَّـتْنِي أغَـرَّ مُحَجَّـلا[١١]

---

(٨) أبو نخيلة: وهو اسمه، وكنيته: أبو الجنيد. بن حزن بن زائدة بن لقيط بن هدم، من بني حِمّان (بكسر الحاء وتشديد الميم) من سعدة بن زيد مناة بن تميم الحماني السعدي التميمي. شاعر راجز. كان عاقاً لأبيه. فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج الى الشام فاتصل بمسلمة بن عبدالملك فاصطنعه وأحسن إليه، وأوصله بالخلفاء واحداً بعد واحد، فأغنوه، ولما قامت دولة العباسيين انقطع إليهم ومدحهم وهجا بني أميّة واستمر الى أنْ قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد. فسخط عليه عيسى فهرب الى خراسان، فأدركه مولى لعيسى فذبحه وسلخ جلده سنة ١٤٥هـ أخباره في: الشعر والشعراء: ٥٨٤، والأغاني: ١٨/١٣٩، وخزانة الأدب: ١/٧٩، والأعلام: ٨/١٥.

(٩) هذا البيت من أبيات أولها :

أمَسْلَم إنـي يـا ابـنَ كـلِّ خليفـةٍ
ويـا فـارس الهيجـا ويـا جبـل الأرض

قال هذا أبو نخيلة في أول دخوله على مسلمة بن عبدالملك. أنظر الأغاني: ٢٠/٣٩٢.

(١٠) وقال الصولي: ٢/٣٠٧:

يقول: رفعتني ولم أكن وضيعاً، وأغنيتني ولم أكن فقيراً.

(١١) رواية التبريزي: "أغرّ فأوْفَتْ بي أغرّ مُحَجّلا".

قال أبو العلاء :

قد بيّن بهذا البيت معنى ما قبله. وزعم ان الممدوح وَجَدَهُ أغرّ فزاده حُجولاً. وذكرَ العرب الأغرّ المُحجّل كثيراً، حتى انهم قالوا: يوم أغرُّ محجّل، أي: يوم مشهور في الزمن. آخر كلامه.[١٢]

ويُروَى: "فأوفت بي".[١٣] ويروى: "فوافت بي".

قوله "فأوفت بي أغرّ محجّلا"، أي: أشرفت بي. أي: صرت بعد ان كنت محجّلا ذا وَضَح.

وقوله: "فوافت بي": أي جاءت أغرّ محجّلا. يحتمل أن يكون من وصفه، وهو أجود. وان يكون من وصف الممدوح.

ويُروَى: "فَحَلَّيْتني" بالحاء المهملة. من الحِلْيَة.

ونصب "أغرّ محجَلاً" على الحال في كلها ما لم يرد به الممدوح، فهو حينئذٍ مفعول به.[١٤]

٨- إذا أَحْسَنَ الأَقْوامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا
بلا نِعْمَةٍ أَحْسَنْتَ أَنْ تَتَطَوّلا

قال الخارزنجي :

"أحْسَنَ": من قولك: هُو يُحْسِن الأدب والعِلْم. أي: يعرفه. و"التطاول": التَّكَبُّر. و"التَّطَوّل": التّفضّل.

---

[١٢] ذكر التبريزي كلام أبي العلاء هذا شرحاً للبيت السابق "لقد زدت أوضاحي..." ولم ينسبه الى أبي العلاء فبدا وكأن الكلام له. وقد ذكرته في هامش سابق.

[١٣] وهي رواية التبريزي في كتابه.

[١٤] قال المرزوقي في كتابه بعد ان ذكر البيتين "لقد زدت أوضاحي..." و"لكن أياد صادفتني".
"الأوضاح": جمع الوَضَح. وهو البياض. و"البهيم" الذي لا شية به ولا وضح. ــ أيّ لون كان ــ و"المجهل": الأرض التي لا أعلام بها. ومعنى البيتين: كنت مشهوراً عند الناس معروفاً فزدت في شهرتي ورفعت من قدري باقبالك عليّ.

يقول: إذا كان علم الأقوام نافذاً بارعاً بأنْ يستطيلوا، وتكبّروا على الناس بالإحسان إليهم، كان علمك بارعاً للتفضّل عليهم وإكرامهم.

وقال أبو العلاء :

"التفاعل" يَقَعُ مِن الإنسان إذا ظهر شيئاً ليس مِن خُلُقه ولا غريزته.[١٥] وكذلك قوله "تطاول": أي: يظهر انه من أهل الطول. أي: الفضل. وقد يجوز أن يكون "التطاول" هاهنا. التكبّر. ويقال: تطوّل الرجل بالعارفة: إذا تفضّل بها. أي: أتى بـ"الطَّوْل" واستعمله. كما يقال: تكلّم: إذا أتى بالكلام.[١٦]

ويروَى: "بلا مِنّة".

٩- تَعَظَّمْتَ عَن ذَاكَ التَّعَظُّمِ مِنْهُمُ
وأَوْصَاكَ نُبْلُ القَدْرِ ألا تَنَبَّلا[١٧]

قال الخارزنجي :

أي: تَعَظَّمْتَ وأجَلَّك قدرك عن التَّعَظّم والإستطالة، كما فعلت الأقوام. لأن التعظّم إنما هو تكلُّف. وقد أغناك ما عَظُمَ مِن قدرك عن أن تتكلّف عظمة. وأوصاك مع ذلك نُبل قدرك وشرفك أن لا تتنبّل ولا تتكلّفه.

١٠- تَبِيتُ بَعِيداً أنْ تُوَجِّه حِيلَةً
على نَشَبِ السُّلْطَانِ أوْ تَتَأَوّلا

---

[١٥] جاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء هذا ما يأتي:
يقال: تكارَمَ الإنسان: إذا فعل فِعلاً يُوهم أنه كريم.

[١٦] وجاء في كتاب التبريزي بعد كلام أبي العلاء هذا ما يأتي:
و"تعَمّم: إذا لَبِس العمامة، وأحْسَنَ: من قولك: هو يحسن الأدب والعلم، أي: يعرفه".

[١٧] رواية الصولي: "أن تَتَنَبّلا".

قال الخارزنجي :

أنت بعيد عن أن تحتال على مال السلطان بحيلةٍ لتذهب به، أو تتأوّل فيه بوجه من التأويل لتجرّه الى نفسك.

١١- إذا مـــا أَصَابُـــوا غِــــرَّةً فَتَموَّلُـــوا
بهـــا راحَ بَيْـــتُ المـــالِ مِنْـــك مُحَـــوَّلا(*)

قال الخارزنجي :

"الغِرّة" الغفلة. و"المُمَوّل" الذي أكثر ماله.

يقول: إذا طلب غيرك من أصحاب السلطان حيلة على ماله ليذهب به، ويتوخّون غَفْلَةً منك فانّك توفي بيت المال حقّه، ولا تخون السلطان فيه كما يخونون.

(١٨)لا أعلم أي معنى في هذين البيتين مما يمدح به، لا سيما قوله "أو تتأوّلا" بمعنى: إلاّ أن تتأوّل. أي: إذا تأوّلت بتأويل تأوّلت مال السلطان. ولا معنى لقوله "غِـرّة منك". بل ينبغي أن يكون أراد: غِرّة على الإطلاق. فإنَّ البيت يدلّ على ذلك.

(*) وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:

١٢ـــ هَـــزَزْتَ أميـــرَ المـؤمنيـــنَ مُحَمَّـــداً
فكـــان رُدَيْنِيَّـــاً وأبـــيضَ مُنْـــصُلا

١٣ـــ فمـــا إنْ تُبَـالـــي أنْ تُجَهّـــزَ رَأْيَـــهُ
الى ناكِـــثٍ ألاّ تُجَهِّـــزَ جَحْفَـــلا

١٤ـــ تَـــرَى شَخْـــصَهُ وَسْـــطَ الخِـلافَـــةِ هَـضْبَةً
وخَطْبَتَـــهُ دُونَ الخِلافَـــةِ فَيْـــصَلا

١٥ـــ وإنّـــكَ إذْ ألْبَـــسْـتَهُ العِـــزَّ مُنْعِمـــا
وَسَـــرْبَلْتَهُ تلـــك الجَلالَـــة مَفْـــضِلا

١٦ـــ لِتَقْـــضِي بـــهِ حَـــقَّ الرَّعِيَّـــةِ آخِـــراً
وتَقْـــضِي بـــهِ حَـــقَّ الخِلافَـــةِ أوَّلا

(١٨) هذا الكلام الذي يبدأ من "لا اعلم"، إنما هو ـ فيما يبدو ـ تعقيب وتعليق للمبارك بن أحمد.

١٧- فمـا هَـضْبَتا رَضْـوَى ولا رُكْـنُ مُعْنِـقٍ
ولا الطَّـوْدُ مِـن قُـدْسٍ ولا أَنْـفُ يَـذْبُلا[١٩]
١٨- بأَثْقَـلَ مِنْـهُ وَطْـأَةً حِـيْنَ يَغْتَـدِي
فَيُلْقِـي وراءَ المُلْـكِ نَحْـراً وَكَلْكَـلا

قال الخارزنجي :

هذه جبال معروفة. وذكر انه شديد البطش ثقيل الوطأة على الأعداء، حين يحمي حوزة الإسلام. ويدافع عن حريمه، فوطأته على الأعداء أثقل من وطأة هذه الجبال التي ذكرناها. أي: إذا زاحم عن الملك.[٢٠]

١٩- مَنِيـعٌ نَـوَاحِي الـسِّرِّ فيـهِ حَـصِينُها
إذا صَـارَتِ النَّجْـوَى المُذَالَـةُ مَحْفِـلا[*]

---

[١٩] جاء في كتاب أبي زكريا بعد هذا البيت: ٣/١٠١:
هذه أسماء بلاد. فأما "رضوى" فمؤنَّثة في اللفظ تأنيث غَضْبَى وسَكْرَى، و"مُعْنِق" اسم مذكّر. والأسماء كلّها على التذكير إلاّ أن تظهر علامة تدلّ على غيره. و"قُدْس" مؤنّثة لا علامة فيها، وإنما حُكِم عليها بذلك لأن العرب تؤنّثها، وتترك صَرْفها، قال الشاعر:
كالمَـضْرحِيِّ غَـدا فأصْـبَحَ واقعـاً
في قُـدْسَ عنـد مَجَـاثم الأوعـال
[المضرحي: النسر] وقال قوم: قُدْس الشيء: أعلاه. و"يَذْبُل": جبل، سُمِّي بالفعل المضارع من ذَبَل الشيء، يذبل. وهو في الأماكن مِثل قولهم: يَشْكُرُ في الأنيس.

[٢٠] جاء في كتاب أبي زكريا:
أي: يُزَاحَمُ على الملك.

[*] وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية:
٢٠ـ تَـرَى الحَـارِثَ المُـسْتَعْجِمَ الخَطْـبِ مُعْجَمـاً
لَدَيْـهِ ومَـشْكُولاً إذا كَـان مُـشْكِلا
٢١ـ وَجَـدْنَـاكَ أنْـدَى مِـن رِجَـالٍ أنامِـلاً
وأحْـسَنَ في الحَاجَـاتِ وَجْهَـاً وأجْمَـلا=

قال الخارزنجي :

"المذالة": المهانة. يقول: هو كتوم لِما يُسْتَوْدَع من الأسرار (لا يبـوح بهـا) إذا أفـشى غيره، وصارت (عنده)[21] علانية.

أي: صارت النجوى عند غيره علانية تُذكر في حفل الناس. و"الهاء" في "فيه" تعود الى الملك.

٢٣- وَوَاللّــــهِ مــــا آتِيــــكَ إلاّ فريـــضةً
وآتـــــي جَمِيـــــعَ النّـــــاسِ إلاًّ تَـــنَفُّلا

قال الصولي: وروى:

ووالله ما أهواك إلا فريضة وأهوى جميع الناس...

وقال أبو العلاء :

في هذا الكلام حذف. وقد جاء مثله في غير هذا الموضع. وتمام اللفـظ أن يكـون: ومـا آتي جميع الناس. أو: ولا آتي جميع الناس. وحذف مثل هذا قليل. لأنَّ الجملـة الأولى قـد حال بينها وبين الجملة الثانية حرف الإستثناء وما بعده.

والكلام محمول على "ما"، ولو ان "لا" موضوعة موضعها لكـان ذلـك أسـوغ.لأن العرب كثر في ألفاظهم حذف "لا" في القَسَم. كقولهم: والله أدخل المدينة إلا راكباً.

٢٤- وَلَــيْسَ امــرؤٌ في النَّــاسِ كنــتَ ســلاحَهُ
عَـــــشِيَّةَ يَلْقَـــــى الحَادِثـــــاتِ بــــأعْزَلا

=٢٢ـــ تُـــضِيءُ إذا اســوَدَّ الـزَمــانُ وَبَعْــضُهُم
يَـــرَى المَـــوْتَ أن يَنْهَـــلَّ أوْ يَـــتَهَلَّلا

جاء في كتاب التبريزي:

"الانهلال": "الانصباب". و"التهلّل": الاستبشار.

[21] الكلام المحصور بين الأقواس زيادات وردت في كلام الخارزنجي المذكور في كتاب أبي زكريا التبريزي.

٢٥- يَـرَى دِرْعَــهُ حَــصْدَاءَ والــسَّيْفَ قَاضِــياً
وَزُجَّيْــهِ مَــسْمُومَيْنِ والــسَّوْطَ مِغْــوَلا

قال أبو العلاء :

"الحصداء": المحكمة النَّسْج.[٢٢] وجعل للرمح زُجَّيْنِ لمكان الزُّج والسِّنان. وهو مِن باب قولهم: العُمَرَان والقَمَران، ولكن الفرق بينهما أكثر. و"المِغْوَل": حديدة تكون في طَرَف عَصَا يُسَاق بها، فجعلها هاهنا للسوط. والمعروف في السياط أن تكون مفتولة مِن قِدٍّ أو غيره. وقد تُسمَّى المِقْرَعَة سَوطاً، وإنْ كان فيها عُود، لأن طرفها يكون مفتولاً.[٢٣]

وقال الخارزنجي :

"المِغْوَل": المشمل،[٢٤] وهو الشفرة. يقول: يَرَى درعه. يعني: درع مَنْ كنت سلاحه حصداء. وجميع سلاحه تامّاً. قد أعدّها ليعرِّض به مِن أجلك.

وفي نسخة: المغول: المشمل. وقيل: الشَّفْرَة. وقيل: الخنجر.

٢٦- سَأُقْطَــعُ أَمْطَــاءَ المَطَايَــا بِرِحْلَــةٍ
الى الــوَطَنِ الغَرْبِــيِّ هَجْــراً ومُوصِــلا[٢٥](*)

---

(٢٢) ورد في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء:
مأخوذ مِن أحصدتُ الحبل: إذا أحكمتَ فَتْلَهُ.

(٢٣) جاء في كتاب أبي زكريا:
واشتقاق "المِغْوَل": مِن غَالَ يَغُول. وهذا البيت يُنشد على وجهين:

أخرجــتُ منهــا ســلْقَةً مأزُولــةً
جَــرْداءَ يَبْــرُقُ نابُهــا كــالمِغْوَلِ

(السلقة: الذئبة. والمأزولة: المحبوسة).

(٢٤) المِغْوَل: سيف دقيق له قفا يكون غِمْده كالسوط. و"المِشْمَلُ": سيف قصير يشتمل عليه الرجل. أي يغطّيه بثوبه. قاله الجوهري.

(٢٥) رواية التبريزي "الى البلد" مكان "الى الوَطَن".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي: =

قال أبو العلاء :

"الهَجْر": الهاجرة، وهي نصف النهار في شدّة الحَرّ.[٢٦] و"موصلاً" من قولك: جئته بالأصيل. أي: آخر النهار. يقال: آصَلْنا. أي: صِرنا في ذلك الوقت، كما يقال: أظهرنا. أي: صِرنا في الظَّهيرة.[٢٧]

ويروَى: "الى البلد الغربيّ".[٢٨]

٢٨- قَبِيلٌ وأَهْلٌ لمْ أُلاقِ مَشُوقَهُمْ
لِوَشْكِ النَّوَى إلاَّ فُواقاً كَلا ولا

قال الخارزنجي :

يقول: الذين خلّفتهم ورائي هم قبيلي وأهل بيتي. ولم ألاق الذين يشوقهم فراقي منهم لسرعة وشك النّوى إلا ساعة يسيرة كَقَدْر فواق ناقة، أو كلا ولا، أي: كلا شيء من الأوقات.

=٢٧ـ إلى الرَّحِمِ الدُّنْيَا التي قَدْ أجَفَّها
عُقُوقي عَسَى أسْبَابُها ان تَبَلَّلا

قال أبو زكريا:
أي: عَسَى أن أصِلُها بالرجوع إليها.

[٢٦] جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء الإستشهاد الآتي:
قال الشاعر:

إذا قلت إنّي آيبٌ أهلَ منزل
وضعتُ على ظهر الوَلِيَّةِ بالهَجْرِ

(الولية: البرذعة تكون تحت الرَّحْل).

[٢٧] جاء في كتاب أبي زكريا بعد ذلك:
و"الإمطاء": جمع مَطاً، وهو الظَّهْر.

[٢٨] وقال الصولي في كتابه: ٢/٣١١:
"هجر": وقت الهاجرة. و"موصل": وقت الأصيل. أي: أسير أبداً. ويقال: آتينا أهلنا موصلين. أي: وقت الأصائل. ومهجرين: أي: وقت الهاجرة.

قال المرزوقي :

"الفواق": ما بين حلبتين. وقوله "كلا": أي: مقدار ما يقول القائل فيه "لا". ثم قال: "ولا". يريد: "ولم يكن ذلك القدر أيضاً. ومثله قول ذي الرّمة:

أَصَابَ خَصاصَةً وبَدَا كليلاً
كَلا وانْفَلَّ سائِرُهُ انْفِلالاَ[٢٩]

وعلى هذا تفسير قوله تعالى: {إنّما قَوْلُنا لشيءٍ إذا أَرَدْناه أن نقول له كن فيكون}.[٣٠]
فأمّا الطائي فإنما أخذ هذا مِن قول جرير يصف مفازة:

يكون نزول الرَّكْب فيها كلا ولا
غِشاشاً ولا يَدْنُونَ رَحْلاً الى رَحْلِ[٣١]

قال أبو العلاء :

يقال: كان ذلك كلا ولا. أي: وشيكاً عجلاً.

---

[٢٩] رواية الديوان "فبدا". وهذا البيت من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، مطلعها:

أراحَ فريقُ جيرتكَ الجمالا
كأنَّهُمُ يريدون احتمالا

أنظر ديوان ذي الرمة، ص ٤٢٩. بتحقيق كارليل هنري هيس مكارتني، مطبعة كمبردج: ١٩١٩م/ ١٣٧٧هـ

[٣٠] الآية (٤٠) من سورة النحل.

[٣١] هذا البيت من قصيدة يجيب فيها البعيث ويهجو الفرزدق. مطلعها:

عوجي علينا واربعي ربَّة البَغْل
ولا تقتليني لا يحلّ لكم قتلي

أنظر ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب بتحقيق د. نعمان أمين طه: ٢/٩٤٩. دار المعارف بمصر.

والمعنى: ان الإنسان إذا نهى غيره يكرّر: "لا". مثل أن يقول له: اذهب الى موضع كذا، فيقول لإرادة المبالغة: لا لا. فيجيء الحرفان متصلين لا تفاوت بينهما، فجعلوه مثلاً للسرعة.

و"فواقاً": منصوب على انه صفة مصدر محذوف، تقديره: إلاّ لقاءً قليلاً كقِلّة لا ولا في اللفظ.

ويروى: "قبيلي وأهلي".

٢٩- كأنّهُمُ كانُوا لِخِفَّةِ وَقْعتي
مَعَارِفَ لي أوْ مَنْزِلاً كان مَنْزِلا[٣٢]

قال المرزوقي:

يَصِفُ خِفَّة لبثِهِ فيهم، وسرعة ارتحاله عنهم، فيقول: كأنّهم لم يكونوا عشيرتي، ولم يجمعني وإياهم رَحِم وقرابة. لسرعة النّوى وقصر الإلمام، بل كانوا معارف، وكان منزلي ومسكني كان منزلاً مِن منازل السَّفَر.

وروى المرزوقي: "أو منزلي" بالياء.

ويروى: "لخفَّةِ وقفتي".

وقال الصولي:

يريد: أو منزلاً نزلته، وهو من منازل الطُّرق التي لا يلبث الناس بها إلا يسيراً، للراحة، ثم يرحلون. وكأنهم معارفي لا ذو قرابتي.

٣٠- ولَوْ شِيتُ لَمَّا الْتَاثَ بِرِّي عَلَيْهِم
ولم يَكُ إجمالاً لكانَ تَجَمُّلا[٣٣]

---

[٣٢] رواية الصولي والتبريزي "وقفتي" بالفاء.

[٣٣] رواية الصولي "فلم".

قال الخارزنجي:

يقول: لو شئت لمّا لم أقدر على الإحسان إليهم أن أتجمّل فأقيم فيهم قليلاً متجمّلاً لَفَعَلْتُ. و"التاث": تَعَسَّر وأبطأ. و"الإجمال": الإحسان الى ما يحبّ بمال أو معروف. و"التَجمُّل": التّصَنُّع.

٣١- فَلَمْ أجِدِ الأَخْلاقَ إلاّ تَخَلُّقاً
ولمْ أجِدِ الأفْضَالَ إلاّ تَفَضُّلا

قال الخارزنجي:

"التَخَلُّق": أن تتكلّف خُلُقاً. و"التَّفَضُّل": تتكلّف الفضل.

يقول: مَنْ لا يتكلّف الأخلاق الحسنة لم تتمّ له، ومَنْ لا يتكلف الفضيلة لم يصر فاضلاً.

ويحتمل أن يكون أراد: سأنصرف الى وطني فانّي لم أجد أخلاق زماني إلاّ تكلّفاً يتكلّفونها، وليست شمائلهم كريمة أصيلة. والإرتحال عنهم خيرٌ من المقام عليهم. والأول أجود.

٣٢- وأَصْرِفُ وَجْهي عَن بلادٍ غَدَا بها
لِسَانِيَ مَشْكُولاً وَقَلْبِيَ مُقْفَلا

قال الخارزنجي:

"وأصرف" معطوف على قوله "سأقطع أمطاء المطايا".

"أصرف وجهي عن بلاد جفاني أهلها حتى صار لساني معتقلاً بعد ان كان مطلقاً في الشِّعْر. وقلبي مقفلاً بعد أن كان مشروحاً منفتحاً بالعِلْم والحكمة لِجَفْوَتهم إياي".

ويروَى "معقولاً".

٣٣ــ وَجُـدٌ بهـا قَـوْمٌ سِـوَايَ فَـصَادَفُوا
بهـا الـصُّنْعَ أعْـشَى والزَّمـانَ مُغَفَّـلا[٣٤]

قال الصولي:

ويروى: "فصادفوا بها الرزق أعمى". وقال:

قولـه: "الصُّنع أعشَى": أي: لا يبصر مَـنْ يـستحِقّه، فهـو يقـع في غـير موضعــه، و"الزمان مغفّلا": أي: ينالون بــه ما يريدون. وهذا يقال للزمان الذي العيش فيه طيّـب: زمان غِرٌّ. وزمان مُغَفّل. وهو راجع الى معنى المغفّل الذي لا فطنـة له، إلا انــه يوصـف بالغفلة في الزمان الطيّب: مدحاً. وفي الزمان النكدِ: ذمّاً.

قال الخارزنجي:

أي: حظّ. وصار لهم جدُود وحظوظ. و"الأعشى": الذي لا يهتدي أمامه. وأراد بقولـه: "فصادفوا بها الصنع أعشى": أي: خصّ الصُّنع اللئام دوني فكأنه أعشى. والزمان كأنـه لا يحسن الاختيار.

وروى أبو العلاء: "وَجَدّ" بفتح الجيم، وقال:

جَـدَّ الرجـلُ: إذا صار ذا جَدٍّ. أي: حَظّ وعَظَمة. وفي الحديث: "كـان الرجــل منّــا إذا قـرأ البقـرة وآل عمران جَدّ في أعْيُننا"، أي: عَظُــم. وقــالوا: مَجْـدُود، أي: محظــوظ، فلهـذا يوجب أن يقــال: "جُدَّ" فهو مجدود.

وقوله: "بها الصنــع أعشى"، أي: قد ضعفت بصره فأخطـأ في حُلُولــه عنـد هـؤلاء القوم، لأن الضَّعِيف البَصَر لا يتصوَّر الأشياء على ما هي عليه.[٣٥]

٣٤- كِــلابٌ أغَــارَتْ في فَرِيْـسَةِ ضَـيْغَمٍ
طُرُوقــاً وهــامٌ أُطْعِمَــتْ صَـيْدَ أجْـدَلا

---

[٣٤] رواية الصولي والتبريزي "وَجَدّ" بفتح الجيم.

[٣٥] جاء في كتاب أبي زكريا بعد ذلك:
وقوله: "والزّمان مغفّلا": لأنه أعطى غيرَ مستحقّه.

قال الخارزنجي:

جعل هؤلاء المجدودين من الزمان بمنزلة الكلاب أغاروا على صيد الأسد. وهامٌ استولت على صيد الصقر. يعني: ان ما أصابوا من الأموال والغِنَى كان حَقِّي وحَظِّي. فغلبوني عليه كما يغلب الكلب صيد الأسد.

و"الهام": البوم.[٣٦]

٣٥- فإن صَريحَ الرَّأْيِ والحَزْم لامْرِئٍ
إذا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلا[٣٧]

قال المرزوقي:

واستطرف بعضهم قوله: "فإن صريح الرأي"، وأنشد وقال: "الشمس عند البَرْد يحتاج إليها، فلا يتحوّل عنها".

قال أبو علي (المرزوقي) أدام الله عزّه، إن أبا تمام جعل صريح الحزم والرأي للمرء في بلوغ الشمس أن يتحوّل، ولعمري ان عند البرد لا يكون الحزم في التحوّل عن الشمس. ولكن الرامي بالكلام إذا حصل به الإفهام عدّ ما وراءه زيادة.

ومِن أمثال العامّة: فمن صَبَر منتظراً لشيء ترقّب حتى بلغته الشمس، فهذا للمقرور، كما ان الذي ذكره أبو تمام للمجزوز.[٣٨] ولكلٍّ مُسائل يفهم منه المعنى. وإذا كان كذلك فلا معنى لمضايقته، فكان المعنى: إذا بلغته الشمس وقد استغنى عنها أو خاف التأذّي أن يتحوّل.

---

[٣٦] جاء في كتاب أبي زكريا:
أي: كأنهم أخذوا ما أنا أَوْلَى بأخذه.

[٣٧] رواية الصولي والتبريزي "وإنّ" و"لامرُؤٌ".

[٣٨] جاء في حاشية مخطوطة النظام بإزاء هذا السطر ما يأتي:
وهذا لا يفهم منه انه للمقرور، كما ان في [كلام] أبي تمام لا يفهم منه انه للمجزوز [الجزّ: الحصد. واستجز: استحصد، من صوف ونخل وغيره].

ومثل هـذا قد يترك من الكـلام. ألا ترى ان قول الله عزّ اسمه. وقد اجتمـع الفصحاء انه النهايـة في معناه ولفظـه: {وكأسٍ مِنْ مَعِين. لا يُصدّعُون عنها ولا يُنْزَفُون}.[٣٩] وان المراد: لا يجلب ذلك عليهم. وإنْ استكثروا منها إذا كان القليل مما يكون في الدنيا منـه لا يُصَدّع ولا ينزف. فحذف شرط الإستكثار، إذا كان المراد مفهوماً. آخر كلامه.

وقال الخارزنجي:

"صريح الأمر": خالصه. إذا بلغت الشمس مَنْ كان في الظِّـلّ أن يتحوّل.

يقول: الرامي الصريح للرجل أن يتحوّل عن أرض يجفوه أهلها. فـإنَّ الحُـرَّ لا يقـيم على الهوان.

٣٦- وإلاّ تكُـــنْ تِلْـــكَ الأَمَـــانِيُّ غَـــضَّةً
تَـــرِفُ فَحَـــسْبي أنْ تُـــصَادفَ ذُبَّـــلا

قال الصولي:

يقول: وَددْتُ إذا لمْ أجد مَرْعىً غضّاً أن أجدَهُ ذابلاً. ولكن لـم أجِـدْ شـيئاً بَتَّـةً. وهـذا مثل.[٤٠]

٣٧- فَلَـيْسَ الـذي قاسَـى المَطَالِـبَ غُـدْوَةً
هَبِيـــداً كمَـــنْ قاسَـــى المَطَالِـــبَ حَـــنْظَلا

قال الصولي:

"الهبيد": حبّ الحنظل، يُعْمل ويُؤْكَل. فهو أسهل من أكل الحنظل.

يقول: ليسَ مَنْ توسطت[٤١] مطالبه، فلم تكن صعبة ولا سهلة كمَنْ مطالبه صـعبة قبيحة.

[٣٩] الآية (١٨ و١٩) من سورة الواقعة.

[٤٠] جاء في كتاب التبريزي:

يقول: إلا تكن الأماني التي أتمنّاها غَضَّةً، ويئست أن أراها طِرِيّة فاني راضٍ ان أراها ذابلـةً بعـد ان آمَـنْ يُبْسَها.

[٤١] اللفظة في كتاب الصولي "تكافأت".

يعرّض بابن الزيات: انه لم يحظ منــه بشيء. وإنْ قدّم عليه مَنْ هو دونه.

وفي الكتاب العجمي:

أي: ليس مَنْ يصل الى مراده بالسهولة كمَنْ يصل بالشدّة.

قال أبو العلاء:

معنى البيت الذي قصده أبو تمام: ان بعض الشّرّ أهـون مِـن بعـض في تلـك الحـال. فالذي يأكل الهبيد أقلّ مشقّة مِن الذي يمارس الحنظل، لأنه في تلك الحـال لا يُوصَـل الى أهله، والهبيـد وإنْ كان مـذموماً فقد ينتفع به.(٤٢)

٣٨- لَـئِنْ هِمَمـي أَوْجَـدْنَني في تَقَلُّـبي
مـآلاً لَقَـدْ أفْقَـدْنَني مِنْـكَ مَـوْئِلا

قال الصولي:

لئن وجدتُ في انصرافي عنك ما أُريد لقد فقدتُ من أملي فيك مفقوداً به ومَنْ ألجأني في كل حال إليه.(٤٣)

وفي طرّة النسخة العجمية:

"تقلّبي": اضطرابي، و"مآلاً": منزلاً. و"مـوئلاً": حـصناً، وأجـود مـن هـذا: المـآل: المرجع. والمَوْئل: الملجأ. وهو ظاهر المعنى.

---

(٤٢) قال أبو زكريا في كتابه:
"الهبيد": حبّ الحنظل، وهو إذا عُولج وأُغلي ثم بدِّد ماؤه أمكن أن يؤكل، وهـم اليـوم يـستعملونه في تهامة والحجاز وتلك الناحية. وإنما يفتقرون إليه إذا فُقِدَتِ الأطعمة. وكـان أهـلُ الـسَّعَة يُعَـيِّرون الفقراء أكله. قال قيس بن الخطيم:

أكنتـم تحسِبُـونَ قتـالَ قـومي   كأكلكـمُ الغفـايـا والهَبيــدا

(الغفايا: عيدان الحنظل أو حطام البُرّ وما تكسر منه. وقيل: هو كل ما يخرج منه فيرمَى به. وقيل: قشر الحنطة. أو هو قشر صغير يعلو البُسْر. وقيل: هو التمر الفاسد الذي يغلظ ويصير فيه مثل أجنحة الجراد).

(٤٣) ورد الكلام في كتاب الصولي الوجه الآتي:
يقول: لئن وجدت في انصرافي عنك ما أريد، لقد فقدت منك من أملي معقوداً به، ومَنْ ألجأ إليه بكل حال.

وقال الخارزنجي:

لئن أوجدتني همّتي في انقلابي الى وطني مرجعاً ومنقلباً لقد أعدمتني منك ملجأ ألجأ إليه، وأتعزّز به. أي: إنْ أوجدتني سروراً بتجديد العهد بأهلي لقد أعدمتني سروراً برؤيته. آخر كلامه.

لا معنى لتخصيصه انقلابه بأهله، والأجود أن يكون عاماً، لأنه أبلغ في العتاب. ويدلّ عليه ما بعده من الأبيات. أي: انه يجد مرجعاً يرجع إليه غيره، وإنْ عدم منه ملجأ.

٣٩- وإنْ رُمْـتُ أمْـراً مُـدْبِرَ الوَجْـهِ إنَّـني
لأتْـرِكُ حَظّـاً في فِنَائِـكَ مُقْـبِلا[٤٤]

في حاشية ابراهيم بن أحمد بن الليث: قوله بخطّه:

يقول: إن ارتحلت عن هذه البلدة ففرحتُ بمفارقتها لِما قاسيت منها لقد بقيتْ لي أحْزَان لِمَا أفقده مِن الأُنس بك، والإِصابة من فضلك.

وهذا بعينه في كتاب أبي زكريا.

وبعده: وهذا تفسير قوله:

٤٠- وإنْ كنتُ أخطو سَاحَةَ المَحْلِ إنّني
لأتْـرُكُ رَوْضـاً مِـن جَـدَاكَ وَجَـدْوَلا

وروى الخارزنجي في البيت الأول: "وإنْ عفتْ أمراً".

وروى غيره: "إنَّني سأترك". وقال:

عفت: كرهت. يقول: وإنْ كرهت أمراً أدْبَر عنّي وجهه لِمَا أقاسِي مِن شدّة الزَّمان، وتواتر المِحَن، فإنّي تارك في فنائك حَظّاً مقبلاً منك وحسن نظر.

ويروى: "أعشى".

[٤٤] رواية التبريزي "سأترك".

٤١- كــــذلكَ لا يُلْقِــــي المُـــسَافِرُ رَحْلَـــهُ
الى مَنْقَــــلٍ حتّــــى يُخَلِّـــفَ مَـــنْقَلا

قال الصولي:

لَيَّنَ القَوْل بعد أن شدّده.[٤٥]

وقال الخارزنجي:

"المَنْقَل": الموضع الذي ينقل إليه الشيء.

يقول: كذلك يكون الأمر إذا انتقل الإنسان الى موضع لم يتهيّأ له ذلك حتّى ينقل مِن موضع. وأنا في انتقالي الى وطني وترك المقام بفنائك كمثل المسافر الذي هذه حاله.

٤٢- ولا صَـــاحِبُ التَّطْـــوَافِ يَعْمُـــرُ مَـــنْهَلاً
وَرَبْعـــاً إِذا لم يُخْـــلِ رَبْعـــاً وَمَـــنْهَلا

هذا هو معنى البيت الأول. والمعنى: انه لا يقدر أن يجمع بين الإقامة عنده والرحيل عنه. مثّل لذلك هذه الأمثالِ، والتي بعدها.

٤٣- ومَـــنْ ذَا يُـــدَاني أَوْ يُنَـــائي وَهَـــلْ فَتـــىً
يُحُـــلُّ عُـــرَا التَرْحَـــالِ أَوْ يَتَـــرَحَّلا

قال الصولي:

مَنْ يدنو من مكان حتى يَنْأَى عن مكان.

قال المرزوقي :

"يُنَائي": ينتصب بـ"ان" مضمرة بين الفعل و"أَوْ". وكذلك "يَتَرحّلا". إلا انه سَكّن الياء من "يُنَائي". و"أَوْ" فيهما بدلٌ مِن "إلاّ أن" كأنه قال: إلاّ أن يُنائي. وإلاّ أن يترحّل.

فيقول: مَنْ هذا الذي يمكنه أن يلقي عصا الترحال وتستقرّ به النّوى إلاّ بعد أن يبعد أوّلاً في طلب المعيشة، ويكدّ نفسه في إرتياد الغِنَى. وهل يقدر الفتى أن يحلّ عُرَى التّرحال، ويضع الاحلاس عن الرّكاب إلاّ بعد أن يترحّل زماناً. ومثله قوله في أخرى:

---

[٤٥] ورد كلام الصولي هذا في كتابه بعد البيت السابق: "وإن كنت أخطو ساحَة...".

× أرى العَفْوَ لا يُمْتاحُ إلا من الجَهْدِ ×[٤٦]

وذكر له ولغيره نظائر لهذا المعنى. إلا انه أطال للشرح معنى واحداً بألفاظ كرّر معانيها لغرضٍ واحد.[٤٧]

وقال الخارزنجي:

يقول: مَنْ الذي يدنو مِمَّن يحبّ إلاّ بمفارقة مثله، والارتحال عنه، وهل ترى فَتىً يطول مقامه في الدّعة والراحة إلاّ بأن يطول تصرفه وعناؤه فيما يريد مِن الغِنَى بالارتحال مِن بلد الى بلد، وكثرة الأسفار.

---

[٤٦] تمام البيت:

سأجهد عزمي والمطايا فإنّني
أرى العَفْوَ لا يمتاحُ إلاّ مِن الجَهْدِ

وهذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي
ومحّت كما محّت وشائع مِن بردِ

وقد مرّ ذكرها.

[٤٧] نذكر فيما يأتي النظائر التي ذكرها المرزوقي نقلاً عن كتابه "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة"، ص ٢٣٠:

ومثله قوله:

اذْرَاء امطاء الغِنَى يضحكْنَ عن
اذراءِ امطاء المطايا القود

[هذا البيت لأبي تمام].

وفي نحو قول الآخر:

تقول سُليمَى لو أقمت بأرضنا
لم تدرِ انّي للمقام أطوّف

[هذا البيت لعروة بن الورد. ديوانه: ٥١].

وقوله:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا
وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

[هذا البيت للعباس بن الأحنف. ديوانه: ١٠٦].

وإنّما يعزّي نفسه على ما يفارقه مِن برّ المدوح بارتحاله عنه وانتقاله الى وطنه.[٤٨]

٤٤- فَمُرْنـــي بأمـــرٍ أحْـــوَذِيٍّ فـــإنّني
رَأيْـــتُ العِـــدَا أثْـــرَوْا وأصْـــبَحْتُ مُـــرْمِلا

قال الخارزنجي :

يقول: إصرف عنايتك الى تعجيل سراحي بمبارّ تغبطنـي فيهـا الحـسّاد ويـسرّ بهـا الأولياء.

وقال أبو العلاء:

"أمرٌ أَحوذيٌّ": أي: سريع. وإنما يوصف بذلك الرجل، فاستعاره لفعله.

يقول: إني لا أَرْضَى لنفسي أن أَرَى عِـدَايَ مثرين وأنا مُرْمِـل، أي: مُقِلّ.

٤٥- فـــسِيَّانُ عِنْـــدي صَـــادَفُوا لـــي مَطْعَمـــاً
أُعـــابُ بـــه أوْ صَـــادَفُوا لـــي مَقْـــتَلا

قال أبو العلاء:

"سِيّان": أي: مِثْلان. وفي الكلام حذف. كأنه قال: سِيّانِ عندي أنْ صادفوا لي مَطعمـاً أُعابُ به أو قتلي. أي: انهـم إذا علموا بمكان فقـري فكأنهم قد صادفوا قَتْلي بذلك.

وجاء بـ"أوْ" في هذا اللفظ وهو بالواو أشبه، لأن "أوْ" هاهنا كالإباحة وليست للشّك.

وهذا من نحو قول الهذلي:

وكـــان مِثْلَـــيْنِ ألاّ يَـــسْرَحوا نَعَمـــاً
أوْ يَـــسْرَحوه بـــهِ واغْبَـــرَّتِ الـــسُّوحُ[٤٩]

---

[٤٨] جاء في كتاب التبريزي:
يقول: هل ترى أحداً يطول مقامه في الدّعة والراحة إلا بعد أن يطول سَفَرُه؟

[٤٩] هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي. وروايته في ديوان الهذليين.
وقال:
ماشِـــــيهمُ: سِـــــيّان سَـــــيْرُكُمُ
وأنْ تَقِيمـــوا بـــه واغـــبرّتِ الـــسُّوحُ =

كأنه قال: أنْ سَرَحُوا وأن لم يسرحوا فلذلك سَوَاء.

وروى الخارزنجي:

"مطمعا" بتقديم الميم على العين. وقال:

يقول: سواء علي أن أنسب الى مطمع طمعت فيه منك فلم أنله، وأعاب بـه، وأن أُقتـل فأشمت بي الأعداء، فأنجز حالي. وأنجح طلبتي واصرفني الى أهـلي بمـا أغـبط بـه مِـن الصِّلات والمبارّ.

٤٦- وَوَاللَّـــهِ لا أنفَـــكُّ أُهـــدي شـــوارِداً
إليـــك يُحَمَّلْـــنَ الثَّنَـــاءَ المُـــنَخَّلا[٥٠](*)

قال الخارزنجي:

"الشوارد": القوافي السائرة. والثَّناء المُنَخَّل: المختار، المُصَفَّى من العيوب.

٤٨- أَلَـــذَّ مِـــنَ الـــسَّلْوَى وأطْيَـــبَ نَفحَـــةً
مِـــنَ المِـــسْكِ مَفْتُوقـــاً وأَيْـــسَرَ مَحْمَـــلا

ويروَى "ألذّ من الشكوى".

=وهو من قصيدة مطلعها:

نـــامَ الخَلِـــيُّ وبـــتُّ الليـــلَ مُـــشْتَجِراً
كـــأنَّ عِـــيْنِيَ فيهـــا الـــصابُ مَـــذبُوحُ

أنظـر ديوان الهذليين القسـم الأول: ص ١٠٧. الـدار القوميـــة للطباعـــة والنـشر، القـاهرة: ١٣٨٥هـــ/ ١٩٦٥م.

(٥٠) رواية الصولي "المُبَجَّلا" مكان "المُنَخَّلا".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٤٧- تَخَـــالُ بـــهِ بُـــرْداً عَلَيْـــكَ مُحَبَّـــراً
وتَحْـــسَبُهُ عِقْـــداً عليـــك مُفَـــصَّلا

قال الخارزنجي :

ألذّ في السماع من العسل في الأحْنَاك، وأطيب نفحة مِن المسك. وأخفّ محملاً منـه، لأن المسك لا مؤونة على صاحبه أن يحمله. لأن القليل منه يكفي صاحبه فلا يُثْقُل عليه محمله.

ويجوز أن يكون: "أيسر محملاً" من كل ما يحمل استطابةً له.

قال الجوهري: فتق المسك بغيره: استخراج رائحته بشيء يدخله فيه.

٤٩- أخَفَّ علـى رُوحٍ وأكثـرَ قِيمَـةً
وأقْصَرَ في سَمْعِ الجَلِيسِ وأطْوَلا[٥١]

قال الخارزنجي:

يقول: هذا الثناء أخفّ على روح الإنسان مِن كل خفيف، وأكثر قيمة من كل ثقيل، وأقصر في السمع من كل قصير، يعني لفظه. وأطول معانيَ وبقاءً على الدّهر مِن كل طويل بقاؤه.

وقال الصولي :

"قصره": انه لا يشتهي أن يَغْنَى فيستقصره. و"أطول": أي يطول في جودته ومعانيه الفكر.

٥٠- ويُزْهَى لـه قَـوْمٌ ولمْ يُمْدَحوا بـهِ
إذا مَثَـلَ الـرّاوي بـهِ أوْ تَمَثَّلا[٥٢]

قال أبو علي المرزوقي :

روى بعضهم قوله: "ويُزْهَى له قوم"، وأنشده مُشدّداً "مَثَّلَ". وقال:

ثم قال: "إذا مَثَّل": يريد إذا ركب المماثلة من الشعر. والمماثلة أن تتكرّر اللفظة في البيت من غير تغيّر معنى، لأنه إذا تغيّر المعنى فيها يكون مجانسة لا مماثلة.

---

[٥١] رواية الصولي والتبريزي "أخفَّ على قلبٍ وأثقلَ قيمةً".

[٥٢] رواية الصولي "مَثَّل": مشدّد.

قال الشيخ: [المرزوقي]:

التمثيل والتجنيس لقبان لنوعين من الصنعة في الشعر. وقد اجتمعا في بيت واحد لأبي تمام، وهو:

لم ينــل تحــت ســناها مِــن ســنا قمــر

وتحــت عارضــها مِــن عــارض شــنب[٥٣]

لأن المراد بالسنا: الضـوء، فكـأنـه مثل اللفظ، لأن الثاني مثل الأول. وبـ"العـارض" من شيئين. وكأنه جنّس اللفظ فصيّره لنوعين وجنسين.

فالعارض الأول: يعني به عارض الحرب. وأصله في السحاب يعـرض في ناحيـة مـن نواحي الجو. قال الله تعالى: {هذا عـارض ممطرنـا}.[٥٤] والثـاني: للثغـر. وأصله مـا يعـرض من الأسـنان عند الضحك أو الكلام.

والرواية في البيت "مَثَلَ" بالتخفيف.

والمعنى: إذا انتصب الراوي به في مجلس منشداً له كله، إذ متمثّلاً ببعضه. والماثل: هو القائم المنتصب. يقال: مَثَلَ يَمْثُل مُثُولاً.

فأمّا "مَثَّل" بالتشديد: فلا يحسن هنا، بدلالة ان التمثيل إنما يكون مِن فعـل القائـل للشعر، لا الراوي له. فكما لا يحسن أن يروى: "إذا جنّس الراوي له، أوْ طبّق الراوي لـه، من حيث كان التجنيس والتطبيق له مِن صُـنع القائـل للـشعر، لا المنـشد لـه. كـذلك لا يحسنُ أن يروَى "إذا مَثَّلَ" بالتشديد. وهذا بيّن.

وللصناعات ألقاب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها فاعلمه.

وأظنّ ما حكاهُ المرزوقي أولاً هو قول الصولي:

---

[٥٣] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

الــــسيف أصـــدق أنبـــاء مِـــن الكتـــبِ

في حـــدّه الحـــدّ بـــين الجـــدّ واللعـــبِ

وقد مرّ ذكرها.

[٥٤] الآية (٢٤) من سورة الاحقاف.

فانه قال: "إذا مثل": إذا ركب المماثلة من الشعر".

وقد فسّرها المجانس والمطابق. ويكون إذاً ضرب المثل فيه.[٥٥]

٥١- عَلَــى أنَّ إفْــرَاطَ الحَيَــاءِ اسْــتَمَالَني
إلَــيهم ولمْ أعْــدِلْ بِعِرْضِــيَ مَعْــدِلا[٥٦]

قال الصولي:

عاد بالخطاب الى القوم الذين قدّمهم عليه، وذكر ان خروجه الى أهله حياءً لطول غيبته. وان عِرْضه كان يُذال بتقديم مَنْ لا يجب تقديمه عليه.

وقال الخارزنجي :

وروى "استمالني إليه".

يقول: فرط حيائي أحوجني الى طول المقام عليك. وتأخّر قضاء حاجتي هو الذي استمالني إليه. لأنني لو ألحت عليك، وكشفت قناع الحياء لظفرت بما أردت. ولكني أكرمت عرضي بلزوم الحياء وصيانة النفس عن الإلحاح عليك، ولم أعدِل بعرضي شيئاً مِنَ المال الذي أستفيده منك ومن غيرك.

ورَوَى أبو زكريا: "إليك:

٥٢- وَتَقَلَّــتُ بــالتَّخْفِيفِ عَنْــكَ وَبَعْــضُهمْ
يُخفِّــفُ في الحَاجَــاتِ حتَّــى يُــثَقِّلا[٥٧]

قال الخارزنجي :

أي: حيائي حملني على إهداء الثّناء عليك، وترك حُضورك به، فتثاقلتُ عن زيارتك تخفيفاً وصوناً لعرضي عن فعل مَنْ يلحف في كثرة السؤال.

---

[٥٥] رواية أبي زكريا التبريزي في كتابه: "يُزْهَى".
وقال: أي يعتريهم الزهو.
[ثم ذكر قسماً من كلام المرزوقي بلفظه ولم ينسبه إليه].

[٥٦] رواية التبريزي "إليك" مكان "إليهم".

[٥٧] رواية التبريزي "فَتَقَّلْتُ".

وفي طرّته :

(أبو الحسن): ربما خفَّف الرجل في الحاجة حتى يجاوز مقدار التخفيف فيكون ذلك ثقيلاً.

وفي كتاب أبي زكريا :

أي: ثقَّلْتُ أمري بتخفيفي عنك في سؤالك واقتضائك، ولم أُصَرِّحْ به، فكنتَ تَقْضِي حاجتي في أوّل أمري.

* * *

وقال ابو تمام:

يمدحه:[1]

١- مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الحَيِّ ذَاهِلُ
وَقَلْبُكَ مِنْها مُدَّةَ الدَّهْرِ آهِلُ

قال المرزوقي :

هو ذا يستبعد سلوّه عن هذه المرْأة، فقال على طريق الإنكار: مَتَى تسلو عنها وصدرك أبداً آهل منها؟

و"آهل": يجوز أن يكون عن طريق النّسبة. أراد: وصدرك منها ذو أهل. أي: هو معمور بحبّها، مأهول بذكرها.

يقال: عيش ناصِب. وماء دَافق.

ويجوز أن يكون أراد: صدرك طول الدهر آكِفٌ لها. ومِن أجلها.

قال الخليلي: يُقال لكل شيء أَلِفَ شيئاً: هو آهل، أي: صار أَهْلِيّاً. وكذلك يقال لِمَا أَلِفَ مِن الناس والدّوابّ: أَهْلِي.

---

[1] أي: يمدح محمد بن عبدالملك الزيّات.

ويجوز أن يكون أراد: وصدرك مِن أجلها يأْهل حُبّها، أي: يُقوّيه ويشيعه، حتى كأنه جعله ذا أنصار وأهل. وهذا مثل قوله:

وإذا وجـــدت لهـــا وســـاوسَ سَـــلوةً
شَـــفَعَ الـــضَّمير لهـــا إلـــيّ فـــسَلَّها

وقد استعمل أبو تمام:

× أَجَل أَيّها الربع الذي خفّ آهله ×[٢]

وقال أبو العلاء :

"ذُهْلِيّة الحَيّ": يجوز أن تكون نكرة. فيكون المعنى: متى أنت عن أمرأةٍ ذُهْلِيٍّ حَيُّها. كما تقول: مَتى أنت عن حَسَنةِ الوَجْهِ ذَاهِلُ. أي: عن امرأة حَسَنٍ وَجْهُهَا.

ويجوز أن تكون "ذُهْلِيّة" مُعَرَّفة بالإضافة، فلا يكون الغرض كالأول. وتكون "ذهليّة" في هذا الوجه ليست في النَّسَبِ مِن الحَيّ. وهي في الوجه المتقدّم من حَيٍّ كلهم ذُهْلِيّ.[٣]

٢- تُطِـــلُ الطُّلـــولُ الـــدَّمْعَ في كُـــلِّ مَوْقِـــفٍ
وَتَمْثُـــلُ بالـــصَّبْرِ الـــدِّيَارُ المَوَاثِـــلُ

---

[٢] هذا الشطر من مطلع قصيدة يمدح بها المعتصم، وهو:

أجَـــل أيهـــا الربـــع الـــذي خـــفّ آهلـــه
لقـــد أنجـــزت فيـــك النّـــوى مـــا تحاولـــه

وقد مرّ ذكرها.

[٣] قال الآمدي في الموازنة: ٢ / ٧١: وأنشد "متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل.... البيت" قوله "ذاهل": أي: منصرف. يقال: ذهلت عن الشيء، بمعنى: انصرفت عنه. فيقول: متى أنت عنها مُنْصَرِف، وصدرُك أبداً منها آهل؟ أي: لا تخلو أبداً من قلبك. قال البحتري:

ضـــمانٌ علـــى عينيـــك أنّـــيَ لا أسْـــلُو
وأن فـــؤادي مـــن جَـــوَى بـــك لا يَخْلُـــو

فعجز هذا البيت مثل عجز أبي تمام. وهو أجود لتصريحه بذكر الجوى.
وصدرا البيتين متقاربان، وبيت البحتري أجود وأبرع.

قال المرزوقي :

"وتمثُّل بالصَّبْر": أي: تُعَاقِبه حتى تجعله مُثْلَةً. و"المَوَاثل": جمع ماثلة، وهو من الأضداد: يكون الدّارس ويكون الباقي المنتصب.

إذا فسّرته على الدروس، فالمعنى: ان العاشق إذا وقف بها فوجدها دارسةً اشتدّ جَزَعُه، وعِيْلَ صبره، فكأنَّ الديار مَثَلَت به وبصبره.

وإذا حملته على البواقي المنتصبة: تصير الديار كأنها دَرَسَ بعضها وبقي البعض. ويكون المعنى: انها بآثارها الباقية، وعلاماتها المنتصبة تُذكِّر العُهودَ. وتجدّد الأحزان.

ولو كانت كلُّها دارسةً لكانت خليقةً بألاَّ تُعَرَف، فيستريح العاشق على هذا مثل قوله:

ألاَ ليت المنازلَ قد بَلِينا
فلا تَرْمِينَ عَن شُزُنٍ حزينا[4]

الشُزُن: الناحية والجانب.

وقال أبو العلاء :

"مَثَل": من الأضداد. يقال: مَثَل: إذا ظَهَر وانْتَصَب. ومثل: إذا زال ودرس. وقوله: "وتمثُّلُ بالصَّبْر" من المثول الذي هو زوال. و"المَوَاثِل": يحتمل وجهين متضادين إذا لم يتبعه البيت الذي يليه. وهو فيما بعد دليل على انه أراد: معنى الدروس.

٣- دَوَارِسُ لم يَجْفُ الرَّبيعُ رُبُوعَها
ولا مَرَّ في أَغْفَالِهَا وَهْوَ غَافِلُ

قال الصولي :

لم يُمُرّ الربيعُ بهذا الطُّلُول، وهو غافلٌ عن سقياها. والإغفالُ من الأرض ما لا علم بها.

---

[4] هذا البيت لعمرو بن أحمد الباهلي. أنظر ديوانه: ١٥٦. وورد البيت في الصحاح واللسان، مادة "شزن". قال الأصمعي: الشزن: عرضه وجانبه، وهو لغة، وأنشد لابن الأحمر: "... البيت".
يريد: انهم حين دهمهم الأمر أقبل عليهم وولاهم جانبه.

٤- فَقَــدْ سَــحَبَتْ فيهــا الــسَّحَائِبُ ذَيْلَهــا
وَقَــدْ أُخْمِلَــتْ بــالنَّوْرِ فيهــا الخمائِــلُ

قال الصولي :

"الخميلة": من الرمل ما ينبت.[٥] أي: صار النّور مثل الخمل لهذه الأرض.

ويروَى: "وقد سحبت فيها السحاب ذيولها".

وقال أبو العلاء :

أراد بالخمائل هاهنا: الأرَضِين السَّهْلة. واتّفَقَ له ان "الخمائل" تقع على ما أُخْمِلَ مِن القُطُف ونحوها، أي: جُعِل له خَمْلٌ، فقال: "وقد أُخْمِلَتْ بالنَّوْر"، أي: جعل لها كالخمل. وهي خمائل تشبه ما هو مخمّل مما ينتسج.

ويمكن أن يحمل قوله: "وقد أُخمِلت" على قولهم: خَمَل الرجل: إذا أُخفي ذكره. على ان النَّوْر قد سترها وأخفاها بكثرته.

٥- تَعَفَّــيْنَ مِــنْ زَادِ العُفَــاةِ إذا انْتَحَــى
علــى الحَــيِّ صَــرْفُ الأَزْمَــةِ المُتَمَاحِــلُ

قال أبو العلاء :

"الأزْمَة": السَّنَة الجديدة. و"المتماحل": الطويل: وليس هو من المَحْل الذي هو الجدْب، لأنهم لم يَستعملوا هذا اللفظ في المحل. ولأن الغالب على هذا البناء أن يكون لمتظاهر بشيءٍ ليس مِن أهله، كالمتغافل والمتكارم.

وفي كتاب أبي زكريا :

يقول: خَلَت هذه الديار من معروف أهلها ونائِلِهم الذي كان العُفَاةُ ينالونه في السَّنَة الماحلة.

---

[٥] الكلام في كتاب الصولي: "الخميلة: ما ينبت من الرمل".
وجاء في الصحاح: قال الأصمعي: الخميلة: رملة تُنبت الشَّجَر.

٦- لَهُـــمْ سَـــلَفٌ سُـــمْرُ العَـــوَالي وسَـــامِرٌ
وفـــيهمْ جَمَـــالٌ لا يَغِـــيضُ وجَامِـــلُ

قال أبو العلاء :

"السَّلَف": المتقدّمون. و"الـسَّمَر": الـذين يتحـدثون بالليـل في القمـر. و"الجامـل": القطيع من الإبل مع رعاته وأربابه. قال الشاعر:

× لهم جَامِلٌ لا يهدأ الليل سَامره ×[٦]

٧- عَـــشِيَّةَ أَضْـــلَلْتَ العَـــزَاءَ وَجَوَّلَـــتْ
بِعَقْلِـــكَ آرَامُ الخُـــدُودِ العَقَائِـــلُ[٧]

ويروى: "وحَوّلت" بالحاء.

ويروى: "لَيَالِيَ" في نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث.

أي: عهدتُ بها فتياناً ليالي علقت هذه الذهلية. و"جولت": أي: سَبَتْ عقلك.

---

(٦) تمام البيت:

فـــإنْ تـــكُ ذا مـــال كـــثير فـــانهم
لهـــم جامـــل لا يَهْـــدَأُ الليـــل ســـامره

هذه رواية اللسان، مادة "جمل" ورواية الديوان: "ذا شاءٍ" مكان "ذا مال". و"ذوو جامل" مكان "لهم جامل".

وهذا البيت للحطيئة مِن قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر التميمي ويمدح بغيضاً. مطلعها:

عَفَـــا مُـــسْحَلانُ مِـــن سُـــليمَى فحـــامِرُه
تمـــشي بـــه ظِلْمَانُـــهُ وجـــآذره

أنظر ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني. تحقيق: نعمان أمين طـه، ص ١٨٤، مطبعة الحلبي، مصر.

وجاء في كتاب التبريزي في شرح البيت: "لهم سلف...".

"السَّلَف": القوم المتقدمون. والعرب الى اليوم إذا أرادت الرحيل عن المنزل رَكبت الرجالُ الخيل، وتقدّمت الظُّعْن فيقال لأولئك الفُرسان: السَّلف والسُّلاّف. و"السَّامر": القوم الـذين يتحـدثون بالليـل في القمـر. وقيل: ان السَّمَر ظِلُّ القمر، ثم كثر حتى سُمي الحديث في الليل سَمَراً.

(٧) رواية الصولي والتبريزي "ليالِيَ" مكان "عَشِيَّة".

٨- مِـــنَ الهيـــفِ لــــوْ أَنَّ الخَلاخِـــلَ صُـــيِّرتْ
لَهَـــا وُشُـــحاً جَالَـــتْ عليهـــا الخَلاخِـــلُ(٨)(*)

---

(٨) رواية التبريزي: "لها وُشُماً" بالميم.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٩- مَهَـــا الـوَحْـــشِ إلاّ أن هـاتـــا أوانِـــسٌ
قَنَـــا الخَـــطِّ إلاّ أنَّ تِلْـــكَ ذَوَابِـــلُ

قال الصولي:

يقول: هُنَّ كبقر الوحش في تهاديهنَّ، وحُسْن عيونهن. وَهُنَّ كقَنا الخطِّ في القَدِّ إلاّ ان القنا ذوابل، وهُنَّ طراء. وقيل للقنا ذوابل، لأنها تلين عند الطعن فلا تنكسر.

وقال الآمدي في الموازنة: ٢/١١٦: وأنشد الأبيات: "ليالِيَ أضللت العزاء..." و"مِن الهيف لـو ان الخلاخـل صُيِّرت.." و"مها الوحش إلا ان هاتا أوانس..."

قوله: "جوَّلت" من أجل قوله الخَواذِل": وهنَّ اللواتي تخلَّفْنَ من جملة السرب على أولادهـن. فـأراد أن يطابق بين "الجولان" و"التأخُّر"، وهو طباق غير جيد ولا لائق.

وقوله: "مِن الهيف لو ان الخلاخل صُيِّرت لها وُشُحاً": من أقبح الخطأ وأفحشه، لأن الخلخال لا يكـون في موضع الوشاح، لأن الوشاح ما تتقلّده المرأة من سير، أو خيط تنظم فيه خرزاً ـ أو حلياً مـن فـضة أو غيرها، تتزين به فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرَّجُل. والخلخال لا يكون في هذا الموضـع إلاّ إذا مسخها الله وأقمأها.

وقد أخطأ في البيت الثاني أيضاً، فقال: "قنا الخطِّ إلاّ ان تلك ذَوَابِلُ": وإنما قيل للرماح "ذوابل" لِلينها وتثنِّيهـا، فنفـيَ ذلك عن قُدود النساء التي هي أكمل أوصافها التثنِّي واللين والانعطاف. كما قال تميم بن أبيّ بن مقبل:

يَهْـــــزُزْنَ للمَـــــشْي أوْصَـــــالاً مُنَعَّمَـــــةً
هَـــزَّ الجَنُـــوبِ ضُـــحَى عِيـــدانَ يَبْرِينـــا
أو كَـــــاهتزاز رُدَيْـــــنيٍّ تَدَاوَلَـــــهُ
أيْـــدي التَّجـــارِ فَـــزَادُوا مَتْنَـــهُ لِينـــا

وقال الآمدي في موضع آخر من الموازنة:

فشبه تميم قدودهن بالرديني للينه وتثنِّيه لا غير.

هذا أجود من كل ما قاله الناس في مشي النساء، وحُسن قدودهن.=

قال المرزوقي:

ذكر بعضهم ان قوله "من الهيف..." وأنشد البيت:

"محال، لأن أبا تمام أراد وصفها بدقّة الخصر فوصفها بغاية القصر والضُؤْولة. وذلك ان الوشاح يأخذ من العاتق فيوشح أحد طرفيه الصدر والبطن. والآخر: الظهر حتى ينتهيا الى الكشح. ويلتقيا على الورك، فكيف حال مَنْ يجول الخلخال بين عاتقها وكشحها؟ هل يكون مِن البشر، فضلاً عن ان ينسب الى الحسن، إنتهى كلامه."[٩]

قال الشيخ أبو علي أدام الله عزّه: [المرزوقي]

الذي قصده أبو تمام بكلامه معنيان: أحدهما: غلظ الساقين فتكون الخلاخيل من الإتساع بمقدار غلظهما. والثاني: دِقّة الخصر حتى لو جعل الخلخال في موضع الوشاح لجال عليه.

وقول العائب: "الوشاح يأخذ من العاتق وينتهي الى الكشح" عَدَل فيه عن النصفة. لأن الذي يقع في الوهم من كلام أبي تمام غير ما ذكره، بل يسبق الى الخاطر انه لو جعل الخلخال في مَقَرّ الوشاح ومنتهاه لدار عليه ولم يضق عنه. وقد أخذ ابن الرومي هذا مِن أبي تمام فقال:

فإذا لبسنَ خَلاخِلاً
كذّبن أسماءَ الخلاخل[١٠]

= قوله: "مها الوحش": أراد: كَمَها الوحش، إلا ان هاتا أوانس، فوضع المشبه به مكان المشبه. وهو من كلام شائع مستفيض.

كما تناول الآمدي البيت "مِن الهيف لو ان الخلاخل صيرت" في موضع آخر من الموازنة: ١/١٤٧. فقال: وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله: "مِن الهيف لو ان الخلاخل صيرت..."

[وهو كلام مستفيض. يمكن الإطلاع عليه في الموازنة].

(٩) هذا كلام الآمدي ورد في كتابه الموازنة: ١/١٤٧، ذكره المرزوقي ليردّ عليه.

(١٠) هذا البيت من قصيدة قالها في أبي شيبة سلامة بن سعيد الحاجب. مطلعها:=

ولمّا كان المعلوم من الوشاح انه مبلغ الخصر، وهو وسط الإنسان، فقد قال البحتري:

بات نديماً لي حتّى الصّباح
أغيد مجدول مكان الوشاح[11]

وقيل في صفة الدرع لمّا وشحت بَحَلق أصفر:

موشّحة بيضاء دانٍ حبيكُها
لها حَلَق بعد الأنامل فاضل

وقيل أيضاً: شاة موشّحة، وديك مُوَشّح، لما ابيضّ موضع الوشاح عنه بخطّ، وإن لم يكن البياض على هيئة الوشاح. وأنشد الخليل للطرماح:

× ونبّه ذا العَفاءِ الموشّح ×[12]

ويقال: توشّح الجبل: إذا ارتقَى الى وسطه. كما يقال: تسنّمه: إذا علاه. وفسّر بعض العلماء قول امرئ القيس:

= حَيِّ المعاهد والمنازلْ   المقفرات بل الأواهل

أنظر ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار: ٢٠٣٢/٥، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩.

(11) هذا البيت هو مطلع قصيدة يمدح بها أبا نوح عيسى بن ابراهيم.

أنظر ديوان البحتري: ٢٧٩/٢، دار صادر، بيروت.

(12) تمام البيت:

فيا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ الليلِ مُصْعِداً
بِبَمٍّ ونَبِّهْ ذا العِفاءِ المُوَشَّحِ

وهو من قصيدة مطلعها:

ألا أيها الليل الطويل ألا أصبحي
بِبَمٍّ وما الإصباحُ فيكِ بأرْوَحِ

أنظر ديوان الطرماح، تحقيق: د. عزة حسن، ص ٩٨، مطبوعات: إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

إذا مـــا الثُّرِيَـــا في الـــسماء تَعَرَّضــــتْ
تعـــرضَ أثنـــاء الوشـــاح المفـــصل[١٣]

فقال معناه: إذا ما الثريّا اعترضت في وسط السماء اعتراض أثناء الوشاح في وسط الإنسان زُرّت هذه المرأة. وهذا ظاهر.[١٤]

١٠- هَـوىً كـان خلْـساً إنّ مِـنْ أحْـسَنِ الهَـوَى
هَـــوىً جُلْـــتَ في أفْيَائِـــهِ وَهْـــوَ خَامِـــلُ[١٥]

وروى المرزوقي :

هَـــوىً كـــان خِلْـــساً إنّ مِـــن أبْـــرَدِ الهَـــوَى
هَـــوىً جُلْـــتَ في أفيائِـــهِ وهـــو جائـــلُ[١٦]

وقال: الهوى وإن كان اختلاساً لم يحصل على طول صحبة، ودوام تأمّل، الى أن استحكم. ولكن تمكّن لأوّل وهلة اختلاساً.

"ان من أبرد الهوى": أي: أثبت الهوى. يقال: برد حقّي عليه، أي: ثبت. ويجوز أن يكون معناه: أعذب الهوى.

والمعنى: أثبت الهوى، أو أعذبه ما لا يفارقك، بل تدور في أظلاله، ويدور هو معك.

وبعضهم يروي: "ان مِن أبرح الهوى". أي: من أشدّه.

---

[١٣] هذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل".
أنظر ديوانه: ٣٢، دار الفكر للجميع.

[١٤] كلام المرزوقي هذا فيما يبدو من كتابه "الانتصار من ظلمة أبي تمام"، وهو كتاب مفقود.

[١٥] رواية الصولي "ان من أبرد الهوى".

[١٦] في كتاب أبي زكريا: رواية المرزوقي "هَوىً حُلْتُ" بالحاء.

ويروى: "في أفيائه وهو خامل". والمعنى: لا يعلم به، ولا يؤبه له، وعلى هذا يكون معنى "أبرد": أعذب، لا غير.

قال الصولي :

ويروى: "مِن أبرد الهوى".[17]

يقول: هَوىً جاء عرضاً بلا اعتماد، وهو أَلَذُّ عندهم، وهو خامل. يقول: ألذُّ الهوى هَوىً ابتدأت أنت به لإنسان لم يَهوه سواك، فكان خلساً، أي: استلاباً.

في نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث:

ويروى: "من أبرد الهوى": أي: إذا كان لا يتبيّن على صاحبه، فهو هوى كاذب وفاتر. ليس بصادق. وإذا كان صادقاً كان نفس صاحبه حاراً.

١١- أَبـا جَعْفَـرٍ إِنَّ الجَهالَـةَ أُمُّهـا
وَلُـودٌ وأُمُّ العِلْـمِ جَـدَّاءُ حَائِـلُ

قال أبو العلاء :

"جَدّاء": صغيرة الثَّدْي. و"حائل": ليست ذات حمل. أي: ان العِلم أهله قليل. فكأَنَّ أُمّه بهذه الصِّفة.

وروى الصولي: "وأُم الحِلْم".

١٢- أَرَى الحَشْوَ والدَّهْمَاءَ أَضْحوْا كَأَنَّهُمْ
شُعُوبٌ تَلاقَتْ دُوْنَنَا وَقَبَائِلُ

في الحاشية:

يقول: "الحشو والدهماء": يعني جمهور الناس وعامّتهم، يصف: ان الغالب عليهم الجَهالة، وانهم دُوننا شعوباً وقبائل، ونحن يريد: بيننا وبينهم، فرق، بيننا وبينهم جهلهم وعلمنا.

---

[17] في كتاب الصولي: ويروى "مِن أحسن الهوى".

والشعوب: جمع شعب. وهي القبيلة العظيمة. والشّعْب: ما تشعَّبَ مِن قبائل العرب والعجم. يريد به هنا: العجم. والقبائل من العرب.

قال أبو العلاء :

"الحشو": العَامّة. و"الدهماء": معظمهم، أي: قد كثروا.[١٨]

١٣- غَدَوْا وكأنَّ الجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ بِهِ
أبٌ وذَوُو الآداب فيهمْ نَوَاقِلُ

قال أبو العلاء :

يقال: بنو فلان ناقِلَةٌ في بني فلان. أي: خَلّوا قومهم وانتقلوا إليهم.

(العبدي): "الناقل": ولد الناقة و"الناقلة" (في الأصل): شِبْه الزيادة يَلْحَق بالصميم ولا يُحتاج إليه.[١٩]

١٤- فكُنْ هَضْبَةً نأْوِي إليها وَحَرَّةً
يُعَرِّدُ عَنْها الأَعْوَجِيُّ المَنَاقِلُ

قال أبو العلاء :

يقول لهذا الممدوح: كُنْ هَضْبَةً نأوي إليها من العَدُوّ. وحَرَّة: وهي الأرض التي تَلْبَسُها حِجارةٌ سُود. و"يُعَرِّج": أي: يَحِيد وَيَفِرُّ. و"الأعوجيّ": منسوب الى أعوج. و"المناقل": الذي يُحسن نقل قوائِمه إذا وقع في أرض ذاتِ حجارة.[٢٠]

---

[١٨] وجاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء، ما يأتي:
والمراد بـ"الحشو" مَنْ لا خيرَ فيه ولا عنده عقل يميِّز به شيئاً من شيء، و"الدّهماء": جماعة الخَلْق.
يقال في المثل: ما أدري أيُّ الدهماء هو. أيْ أيُّ الناس. والشُّعُوب: جمع شعب، وهو القبيلة العظيمة.

[١٩] يبدو ان رواية العبدي "النوافل" بالفاء، وهي رواية مخطوطة النظام. لكن التبريزي رواها بالقاف "نواقل".
قال الجوهري: والنافلة (بالفاء) أيضاً: ولدُ الولد. وجاء في اللسان: قال أبو منصور: وجماع معنى النَّفَل والنافلة: ما كان زيادة على الأصل. مادة: نفل.

[٢٠] جاء في كتاب أبي زكريا بعد كلام أبي العلاء: =

و"الحَرَّة" تُوصف بأنها يُعْتَصم بها لأنَّ الشي فيها يصعب. قال اليشكري:

لــــيسَ يُنجِـــي مُـــوَائلاً مِـــن حِـــذَارٍ
رأسُ طَـــــوْدٍ وحَـــــرَّةٍ رَجْــــــلاءُ[٢١]

وفي نسخة العبدي: أي: كن هَضبةً لا يرومها الجهل، ولا يرقاها وإنْ كان عالياً، لأنـه ليس مِن شَكْلِك لأنّك عالم والعِلْم يُضاد الجهل.

١٥- فَـإِنَّ الفَتَـى في كُـلِّ ضَـرْبٍ مُنَاسِـبٌ
مَنَاسِـــبَ رُوْحَانِيــــةً مَـــن يُـــشَاكِلُ

في حاشية الكتاب العجمي:

يقول: نحن أهل الفضل، وأنت منّا، وللفتى مناسب في كل نوع. وإنما قال "روحانية" لأن المناسب تكون بالأرحام. وهذا القول بالعقول والقلوب.

وفي نسخة "رَوحانية" بفتح الراء. وفي نسخة بضمها وفتحها.

قال الجوهري: زعم أبو الخطاب انه سمع من العرب مَنْ يقول في النسبة الى الملائكـة والجنّ "رُوحاني"، بضـم الراء. وزعـم أبو عبيـد بقوله: "لكل شيء فيه رُوح".

= وهو النُّقال. قال جرير:

مِـــن كـــل مُـــشْترفٍ وإنْ بَعُـــدَ المَـــدَى
ضَـــرِمِ الرِّقَـــاقِ مُنَاقِـــلِ الأجْـــرَالِ

أي: انه إذا وقع في الأجرال، وهي الحجارة نَاقَل.

[٢١] جاء في كتاب أبي زكريا بعد هذا البيت التعقيب الآتي:
فوصفها بالصعوبة، وكذلك قال النابغة يخاطب الغسّاني:

وإنْ غَـــضِبْتُ فَـــإنّي غَـــيرُ مُنْقَلِـــبٍ
مِنّـــي لِـــصَافٍ فَجَنْبُـــا حَـــرَّةِ النّـــارِ

[رواية الديوان "إما عُصِيتُ" و"مِنّي اللَّصَابُ"].

١٦- ولمْ تَنْظِمِ العِقْدَ الكَعَابُ لِزِيْنَةٍ
كما تَنْظِمُ الشَّمْعَ الشَّتِيتَ الشَّمائِلُ

في كتاب أبي زكريا :

أي: كما تُؤَلِّفُ الأخلاقُ بين أهلها، وإن كانوا مختلفين في الهيئات والمناظر.

ويروَى: "ولن تَنْظِمَ".

١٧- وأنتَ شِهَابٌ في المُلِمَّاتِ ثاقِبٌ
وسَيْفٌ إذا ما هَزَّكَ الحَقُّ قَاصِلُ[٢٢]

١٨- مِنَ البِيْضِ لمْ تَنْضُ الأكفُّ كَنَصْلِهِ
ولا حَمَلَتْ مِثْلاً إليهِ الحَمَائِلُ[*]

قال الآمدي :

يصف سيفاً. "تنضُ": تسُلّ". "ولا حملت مِثْلاً إليه": أي: مِثْلاً له. و"الى" و"اللام" تعتقبان، كل واحدة منهما في موضع الأخرى في كثير من الكلام. قال الله عزّ وجل: {الحمد لله الذي هدانا لهذا}.[٢٣] وقال في موضع آخر: {هداني ربّي الى صراطٍ مستقيم}.[٢٤] وقال: {وأوحى ربك الى النّحل}.[٢٥] وقال: {بأنَّ ربك أوْحَى لها}.[٢٦]

ويروى: "كمثله".

---

[٢٢] رواية الصولي "فاصل" بالفاء.

[*] ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

١٩ـ مُؤرِّثُ نارٍ والإمامُ يَشُبُّها
وَقَائِلُ فَصْلٍ والخَلِيفَةُ فَاعِلُ

قال التبريزي:

أي: يفعله الخليفة علماً بسماعه. و"مؤرِّث": مُوقِد.

[٢٣] الآية (٤٣) مِن سورة الأعراف.

[٢٤] الآية (١٦١) من سورة الأنعام. وقد وردت الآية في أصل المخطوطة محرّفة.

[٢٥] الآية (٦٨) من سورة النحل.

[٢٦] الآية (٥) من سورة الزلزلة.

وقال الصولي:

"مِثلا إليه": شبهاً يُقاس إليه. ومثل ومَثل، وشِبه وشبه.

٢٠- وإنَّــكَ إنْ صَــدَّ الزَّمــانُ بِوَجْهِــهِ
لَطَلْــقٌ ومِــنْ دُونِ الخليفــةِ بَاسِــلُ

في نسخة ابراهيم بن أحمد بن الليث:

أي: مُتهَلِّل للعُفاة عند كُلُوح وجه الزمان، ولكنك عَبُوس لِمَنْ رَامَ الخِلافَةَ بِخِلاف.[٣٧]

٢١- لَــئِنْ نَقِمُــوا حُوشِــيَّةً فيــكَ دُونَها
لَقَــدْ عَلِمُــوا عَــنْ أيِّ عِلْــقٍ تُنَاضِــلُ

"الحوشيّة": الجفاء والتبادي. و"دونَها": أي: دون الخلافة.

وقال أبو العلاء:

الرواية "حُوشِيَّة" مِن قولهم: إبل حُـوش، أي: مُتـبرِّزة لا تريـع الى الإنـس. أي: فيـك لحياطةِ الخلافــة والمملكة نِفارٌ ودِفاع يظنّ الجاهِلُ انه خُلُق ذميم.

ومَنْ روى "حَشْوِيّةً"، فهو من قولهم: فلانٌ حَشْويّ. أي: يأخذ بـأخلاق الحَـشْو مـن الناس، وهم الذين لا يُعْتدُّ بهم وهذه الكلمة مُوَلَّدة. ويجب أن تكون الروايـة الـصحيحة "حَوْشِيَّة" لا غير.

٢٢- هِــيَ الــشيءُ مَــوْلى المَــرْءِ قِــرْنٌ مُبَــاينٌ
لَــهُ وابْنُــهُ فيهــا عَــدُوٌّ مَقَاتِــلُ

أي: الخلافة شيء جليل، يعادي فيها القرين قرينه والابن أباه.[٢٨]

---

(٣٧) ذكر أبو زكريا هذا الكلام في كتابه، ولم ينسبه الى قائله.

(٢٨) في مخطوطة النظام "والابن وابنه".

وقال المرزوقي :

أي: هو الملك، و"مولى المرء": أي: ابْنُ عمّه، ونسيبه، يصير أجنبياً يُصارم فيه ويهاجر، والابن يعود فيه عَدُوّاً معانداً. يُقاتل له ويدافع عنه، وهذا كما يقال: المُلْك عَقِيم.[٢٩]

٢٣- إذا فَضَلَتْ عَن رَأْيِ غَيْرِكَ أصْبَحَتْ
وَرَأْيُكَ عَن جِهَاتِها السِّتِّ فَاضِلُ

قال المرزوقي :

يقول: إذا زادت الخلافة عن رأي غيرك فلم يستقل بها ولم ينهض فيها وفي سياستها أصبحت ورأيك قد أحاط بها وبجوانبها السِّتّة التي هي: اليمين والشمال والخلف والقدّام والأعلى والأسفل. بل فضل عنها وزاد عليها.

قال أبو العلاء :

إن رويتَ "عن جِهَاتِها السِّتّ": فهي جمع جِهَة. وفي البيت زحاف يحتمل مثله.

وإن رويتَ: "عَن جَمّاتِها السِّتّ": فهو سالم من الزحاف، وفيه مبالغة، لأنه قد جعل كلَّ جهةٍ منها جَمَّةً. أي كثيرة. آخر كلامه.

الرواية الصحيحة: "جهاتها السّتّ"، وهي ما تقدّم تفسيره. فأمّا مَنْ روى "جمّاتها الست" فما الذي يفهم مِن الجمّات؟. وما هي حتّى توصف بالسّت؟ ولا يدلّ لفظها على انها الجهات كما سبق مِن دلالة جهاتها المفسّرة. وإذا أحاط رأيه بجوانبها السّتّ فقد أحاط بها كلّها.

وقال الآمدي :

"مولى المرء": أي: ولي المرء عدوّين له وابنه فيه عدوّ مقاتل. أي: هذان ينافسانه فيه ويغالبانه عليه، ويقاتلانه دونه. فكيف بمَنْ سواهما؟

---

[٢٩] قال الصولي في كتابه:
فان الخلافة يعادي الاب الابن فيها.

وفي نسخة "ورأيك عن وجهاتها" و"ورأيك في جهاتها" معاً.[٣٠]

٢٤- وخَطْبٍ جَلِيلٍ دُونَها قَدْ شَغَلْتَهُ
وفي دُونِهِ شُغْلٌ لِغَيْرِكَ شَاغِلُ

"دونها": أي دون الخلافة. ولو كان غيرك لأعجزه فانقطع دونه، و"الهاء" في "دونه" للخطب.

٢٥- رَدَدْتَ السَّنَا في شَمْسِهِ بَعْدَ كُلْفَةٍ
كَأنَّ انتِصَافَ اليَوْمِ فيها أَصَائِلُ

قال الصولي :

يقول: رددت الحَقّ الى أهله بقيامك. و"السَّنَا": الضوء. "بعد كلفة": الكَلَف: سواد وربدة. أي: يصير نصف النهار منه كأنه عَشِيّ.

ويروى: "منها".

قال المرزوقي:

يعني أمراً فادحاً كشفه هذا الممدوح. يعني: أعدت الى هذا الخطب ضوءه بمحمود رأيك بعد ان كان أَظْلَم. وجليته بجميل تدبيرك بعد ان صار أكلف. حتّى كأن انتصاف النهار منه فيما مضى عَشِي. وضُحاهُ أَصيلٌ.

وفي نسخة "في شمسها": يعني: الخلافة.

وفي ابراهيم بن أحمد بن الليث:

أي: رَدَدْتَ النور في شمس الخلافة بعد ان كانت إسْوَدَّتْ، أو همّت باسوداد، كأنَّ انتصاف النهار من ذلك السواد وقت الأصيل.[٣١]

ويروَى: "في وجهه".

---

[٣٠] قال الصولي في كتابه:
يقول: إذا كان رأي غيرك دونها ولم يبلغها، فرأيك يفضلها منِ جهاتها الستّ. قال أبو بكر (الصولي): لكل شيء ست جهات: فوق وتحت ويمين وشمال وقدّام وخلف.

[٣١] ذكر أبو زكريا التبريزي كلام ابراهيم بن أحمد بن الليث في كتابه. ولم ينسبه إليه.

وقوله: "في شمسها" أجود، لأنه إذا قال "في شمسه" أعاد على الخطب، والخطب لا يحسن فيه استعارة الشمس، إنما يحسن فيه استعارة الظلمة. ونحوها.

ولا معنى لقول المرزوقي: "أعدت الى هذا الخطب نوره": لأن الخطب: الأمر. وإنما يذكر غالباً فيما كان فادحاً.

ووجدت في نسخة: ان "الهاء" في "شمسه" تعود على "السّنا". وموضع "كأن" وما بعدها جرّ صفة لقوله "كلفةٍ". أي: كُلْفَةٍ مُظْلِمةٍ، أو نحوها.

وأحسن إذ وصف: فأغْشى شمس الخلافة بالكلفة. وشبّه لون ذلك بوقت الأصيل.

٢٦- تَـرَى كُـلَّ نَقْـصٍ تَـارِكَ العِـرْضِ والتُّقَـى
كَمَـالاً إِذا المُلْـكُ اعتَـدَى وَهْـوَ كامِـلُ

ويروى: "تَارَك" على انه فعل. والرواية الأولى أجود.

وقال المرزوقي :

أي: سلم عِرضك ودينك، وكمل الملك.ترى ما بعدها نقصه ككماله، وانحطاطه كزيادته. أي: يهون ما وراء ذلك عليك.

وفي نسخة ابن الليث :

انك ترى كل نقصٍ في مالك إذا سلم عرضك ودينك كمالاً مع كمال المُلْك.

وقول الصولي أوْلَى مِن قولهما. يقول:

كل نقص يسلم منه دينك وعرضك فهو كمال إذا صلح أمر المُلْك.

٢٧- جَمَعْـتَ عُـرَا أعْمَالِهـا بَعْـدَ فُرْقَـةٍ
إليـك كمـا ضَـمَّ الأنابيـبَ عَامِـلُ

"أعمالها": يعني: أعمال الخلافة.

وقد رُوي في نسخة "عُرَا أعماله" مذكّراً، وصحح عليه. كأنه أعاده الى المُلْك، وهو أجود لقربه. أي: ضممت ما انتشر وتفرّق مِن أمر المُلْك.

٢٨- فأضْحَتْ وقد ضُمَّتْ إليك ولم تَزَلْ
تُضَمُّ الى الجَيْشِ الكَثِيفِ القَنَابِلُ

قال الصولي :

"القنابل": جمع قنبلة.[٣٢] وهي جيش قليل.

يقول: ضُمّت الخلافة إليك. ورأيك أكثر منها، كما ان الجيش الكثيف أكثر من القنابل.

وفي كتاب أبي زكريا:

معناه: أنَّ الجيوش تُضَمُّ الى قائدٍ ضابط يَسُوسها.

الأول أجود.

٢٩- وما بَرِحَتْ صُوَراً إليك نَوَازِعاً
أَعِنَّتُها مُذْ رَاسَلَتْكَ الرَّسَائِلُ

قال المرزوقي :

وروَى "أعِنّتَها" بالنصب.

يقول: ما زالت أمور الخلافة مائلة إليك، مفتقرةً الى سياستك مشتاقة نحوك. تجذب أعنّتها عن أيْدِي خطّابها ومُلاّكها لك وفيك مُذ صرت كاتباً ومترسّلاً.

قال أبو العلاء :

"صُوَراً"، أي: مائلة. وهي جمع: أصور وصوراء. وإنما يعني بـ"الصُور" هاهنا: الرسائل: وهي في آخر البيت مرفوعة بـ"برحت"، كأنه قال: وما برحت الرسائلُ صوراً إليك.

قال المبارك بن أحمد:

---

(٣٢) جاء في حاشية مخطوطة النظام بإزاء السطر وبخطّ الكاتب:

القَنْبَلة: من الخيل ما بين الثلاثين الى الأربعين.

[وهذا عين ما ورد في الصحاح. قال الجوهري: القنبلة: الطائفة من الخيل، ما بين الثلاثين الى الأربعين، ونحوه. والجمع: قنابِل. وكذلك القَنْبَلَة من الناس: طائفة منهم. مادة: قنبل.]

ويروى: "أعِنَّتُها" نصباً ورفعاً. فمَنْ نصب: فعلى انه مفعول. أي: ما برحت أعمالها أو أعماله على ما تقدّم مائلةً إليك نوازعاً أعنتَها. أي: تخلع أعنّتَها وتقَلْعها.

ومَنْ رفع: جعله فاعلاً. أي: تنزع أعنتُها. مِن قولهم: نزع الى وطنه: إذا اشتاق.

وهذا التفسير أبلغ من التفسير الذي يرفع الرسائل معه بقوله "برحت". ورفعها بقوله "راسلتك" أوْلَى، لأنه قُلّد ديوان الرسائل ثم قُلّد الوزارة.

وفي نسخة: "أعنّتها"، أي: الخلافة. وهو بعيد.

وفي نسخة ابراهيم بن الليث:

"راسلتك الرّسائل": أي: أرسلت إليك تخطبك إليها.

٣٠- لكَ القَلَمُ الأعْلَى الذي بِشَبَاتِهِ
تُصَابُ مِنَ الأمْرِ الكُلَى والمَفَاصِلُ

قال أبو العلاء :

جعل الكُلَى والمفاصل مثلاً لحقائق الأشياء. وأصل ذلك أنَّ الضَّارِبَ إذا أصَابَ المَفْصِل بَلَغَ ما يريد من المضروب. وإذا أصاب الكُلْية فقد أثبته.[٣٣]

و"الشَّباة": الحَدّ.

٣١- لهُ الخَلَواتُ اللاَّءِ لوْلا نَجِيُّها
لمَا احْتَفَلَتْ للمُلْكِ تِلكَ المَحَافِلُ

في كتاب أبي زكريا :

أي: لولا سِرٌّ هذه الأقلام لَمَا انتظم أمر هذا الملك.

ووجدتُ هذا اللفظ بعينه في كتاب ابراهيم بن أحمد. وقبله بخطّه. وذكره.

قال المبارك بن أحمد :

---

[٣٣] صيغة العبارة كما وردت في كتاب التبريزي: "وان الرامي إذا أصاب كُلية القنص فقد أثبته".

قال الفرّاء: قد يكون النَّجي والنجوى اسماً ومصدراً.

فعلى هذا يخرج قوله: "لولا سرّ هذه الأقلام". ويجوز بل هو أَوْلَى أن يكون "نجيّها" يريد به: المناجي الذي يسارّها.

قال الجوهري: "النَّجِيُّ" على (فعيل): الذي تسارُّه.

أي: لولاه لَمَا اجتمعت تلك للملك. ويجوز أن يجعل "النجي" الذي يسارها فكره وتدبيره. وكُلٌّ حَسَنٌ.

٣٢- لَعَابُ الأفاعي القَاتِلاتِ لُعَابُهُ
وأَرْيُ الجَنَى اشتَارَتْهُ أَيدٍ عَوَاسِلُ(*)

قال أبو العلاء:

"الجَنَى": اسمٌ عام يقع على ما أجتُني، فجائز أن يُسمَّى "الأرْي" جَنىً، لأنه يُجْنَى من مواضع النَّحْل. ولعُمُوم الجَنَى في اللفظ حَسُنَتْ إضافة الأرْى إليه، لأن بعض الشيء يُضَاف الى كُلّه.

ولَمّا كان الأرْى يستعمل في المطر وما لَصِق بالقِدْر قَوَّى ذلك إضافته في هذا الموضع.

و"اشتَارَتْه" في موضع نصب على الحال. كأنه قال: وأيدي الجَنَى مشتارةٌ له أيدٍ عواسل. و"العواسل": التي تأخذ العَسَل. و"اشتارته": أي: جنته.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان:

٣٣- لَهُ رِيقُه طَلٌّ ولكنَّ وَقْعَها
بآثارِهِ في الشَّرْقِ والغَرْبِ وَابِلُ

جاء في كتاب أبي زكريا:
رِيقُ القَلَم يسيرٌ كالقَطْر، ولكنّ آثاره في الشرق والغرب كالوابل.

٣٤- فَصِيحٌ إذا ما اسْتَنْطَقْتَهُ وَهْوَ رَاكِبٌ
وأعْجَمُ إنْ خاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ

٣٥- إِذا امْتَطَى الخَمْسَ اللِّطافَ وأُفْرِغَتْ
عليهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهْيَ حَوَافِلُ

قال ابو العلاء :

"امتطَى": أي: ركب. والخمْسُ اللِّطاف: يعني البنان.

ويجوز "أَفرغت" بفتح الهمزة، على أن تجعل "الشِّعاب" هي الفاعلة. و"الشِّعاب": جمع شِعب: وهو الطريق الى الجبل. وقد يمكن أن يقال: "الشّعاب" جمع شُعبة: وهي المسيل الواسع في الجبل أيضاً. ومعناها قريب من معنى: الشِّعْب. وربما جمعوا (فُعْلة) على (فِعَال)، كما قالوا: نُقْرة ونِقار، وجُفْرَة وجِفَار.

و"الحوافل": جمع حافل: هو الذي قد حَفَلَ بالمسيل إذا جاء بالكثير منه.

وإنْ رويت "أُفْرِغَت" على ما لم يسمّ فاعله، فلا يمتنع ذلك، ولكن الفتح أجود. آخر كلامه.

إذا جُعِلَت الشِّعاب جمع شُعْبةٍ وهي المسيل كان أجود لقوله: أَفرغت، أوْ أُفْرِغَت. أي: صَبَّت أو صُبَّت، على ما لم يسمّ فاعله أجود.

قال الجوهري: فَرِغَ الماءُ، بالكسر، يَفْرَغ فَراغاً. مثال: سَمِع سَمَاعاً، أي: انصبّ وأفرغته أنا. وقال أيضاً: وأفْرغتُ الدِّلاء: أي: أرقتها.

٣٦- أَطاعَتْهُ أطرافُ القَنَا وتَقَوَّضَتْ
لِنَجْواهُ تَقْويضَ الخِيامِ الجَحافِلُ[٣٤]

قال الصولي :

"الجحافل": الجماعات. الواحدة: جَحْفَلةٌ.

[٣٤] رواية التبريزي "أطراف لها" مكان "أطراف القَنَا".

ويروى "أطرافٌ لها". يعني: شعاب الفكر. "وهي حوافل": ممتلئة بالكلام الصواب والبيان. وتقوضت الجحافل لنجواه تقويض الخيام. وتقويض الجماعات: تفرّقها. وتقويض الخيام: أي حطّها.[٣٥]

والجيد: أطراف القَنَا.

٣٧ــ إذا اسْتَغْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكيَّ وأقْبَلَتْ
أعَالِيهِ في القِرْطَاسِ وَهْيَ أسَافِلُ[٣٦]

قال الصولي :

أعالي الأقلام: رؤوسها، فإذا كتبت انحطّت الرؤوس فصارت أسافل.

وأبو مالك يرويه: "الذهن البَكِيّ" قال: ليس يعني الممدوح، وإنما يقول: "إذ استغرر"،[٣٧] أي: طلب غرراً من ذهن بكي. وهو قليل الماء.

رأيت أمراً جليلاً[٣٨] (منه). وهذا يذكره بعده.

٣٨- وَقَدْ رَفَدَتْهُ الخِنْصران وسَدَّدَتْ
ثَلاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلاثُ الأنامِلُ[٣٩](*)

قال أبو العلاء :

يعني: الخنصران والتي تليها. وهذا نحو قولهم: "العُمَران"، و"رفدته": أعانته.

---

[٣٥] جاء في كتاب الصولي بعد ذلك:
يقول: إذا كتب بالقلم فَرَّقَ حِكَمَ الكلام.

[٣٦] رواية الصولي "الذهن المُجَلِّي".

[٣٧] في شرح الصولي "استغزر" بالزاي.

[٣٨] إشارة الى البيت (٣٩) المذكور في الهامش.

[٣٩] رواية التبريزي "وشدّدت" بالسين.

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٣٩ــ رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفُ
ضَنىً وسَميناً خَطْبُهُ وهو ناحِلُ

٤٠- أَرَى ابــنَ أبــي مَــرْوَانَ أَمّــا عَطَــاؤُهُ
فَطَــامٍ وأمّــا حُكْمُــهُ فَهْــوَ عَــادِلُ

قال الصولي :

أي: يعدِل في حكمه. ويزيد بذله على العَدْل. آخر كلامه.

لا دلالة في البيت على زيادة البذل على العَدْل.

و"الطامي": أي: كثير. يقال: طَمَى الماءُ يطمُو، ويطمي: إذا ارتفع وملأ النهر. قاله الجوهري.

ومعنى البيت واضح ظاهر. وأراد: "ابن أبي مروان": الممدوح.

روَى الآمدي: "أمّا لقاؤه فدان".

٤١- هُــوَ المَــرْءُ لا الــشُّورَى اسْــتَبَدَّتْ برأيــهِ
ولا قَبــضَتْ مِــن رَاحِتَيْــهِ العَــوَاذِلُ

قال الصولي :

يقول: ربّما تفرّد بالرأي. والعواذل لا يكففنَ من جوده.

ويروى "ولا كنعت". بمعنى: قبضت. ويروى: "ولا كفتت". أي: ضمّت. ويروى: "ولا قَبَصَتْ" بالباء المفردة والصاد المهملة.

وقال الآمدي :

"الشورى": المشورة. يريد: ان القوم المشاورين ما استبدّوا برأيه. أي: على رأيه. يريد: انه لم يقع استبداد عليه في الرأي.

و"الباء" تأتي في مكان "على". يقال: بودّي لو كان كذا. أي: على ودّي. كما تأتي "على" في مكان "الباء". قال الشاعر:

× شدُّوا المَطِيَّ على دَلِيل دائب ×

أي: بدليل. وكما تقول: اركب على اسم الله. أي: باسم الله.

وقوله: "ولا كنعت مِن راحتيه العواذل": أي: ما قبضت العواذل من راحتيه، أي: ما كَفّتُهما عن العطاء.

و"الكنع": تشنّج في الأصابع وتقبّض. قال الشاعر:

× فأصْبَحَتْ كفُّهُ اليَمْنَى بها كَنَعُ ×[40]

أي: تشنّج وتقبّض. وكَنَع الموتُ كُنُوعاً: إذا دَنَا واقترب. وتكنَّعَ بفلان: إذا ضبث[41] به. وعلق. قال النابغة:

× رَمَى اللّهُ في تلك الأنوف الكوانع ×[42]

أي: اللازقة بالوجه. ويقال: كَنَع وأكنع: إذا لاَنَ وخَضَع.

وفي الطرّة بخطّ يحيى بن محمد الأرزني:

إنما عرّض أبو تمام في هذا البيت بما كان يعتقد محمد بن عبدالملك من التّشيُّع. فيريد: ان الشورى وما ذهب إليه عُمر في أن جَعَل عليّاً عليه السلام واحداً من سِتّة لم يملك على محمد رأيه في انَّ عليّاً عليه السلام أَوْلَى بالأمر.

وقد صرّح أبو تمام بذكر مذهب محمد بن عبدالملك في البائيّة حين قال:

---

(40) تمام البيت:

أَلْحَى أبو لَقِطٍ حَزّاً بشَفْرَتِهِ
فأصبحتْ كفُّهُ اليمنى بها كنع

أنظر: اللسان مادة: كنع. والكَنَع والكُناع: قِصَر اليدين والرجلين. والكنيع: المكسور إليه.

(41) ضبثتُ الشيءَ ضَبْثاً واضطبثت به: إذا قبضت عليه كفّك. اللسان، مادة: ضبث.

(42) تمام البيت :

قعوداً لدى أبياتهم يثمدونها
رَمَى اللّهُ في تلك الأنوف الكوانع

هذا البيت من قصيدة في بني عامر مُعرضاً بزرعة بن عمر، مطلعها:

ليهنئ بني ذُبيان ان بلادهم
خَلَتْ لهُمُ من كلّ مولى وتابع

أنظر ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، ص ٨٤، دار صادر، بيروت.

وزيـــــر ملـــــك ووالـــــي شـــــرطة ورَحـــــى
ديـــــوانِ حـــــربٍ وشـــــيعيٌ ومحتـــــسبُ[٤٣]

٤٢- مَعَـــــرَّسُ حَـــــقٍّ مالَـــــهُ وَلَـرُبَّمـــــا
تَحَيَّـــــفَ مِنـــــه الخَطْـــــبُ والخَطْـــــبُ بَاطِـــــلُ

قال الصولي:

أي: بماله تنزل الخُطوب.[٤٤] وربما أعطى في باطل لا يجبُ عليه لجوده. آخر كلامه.

كان ينبغي أن يقـول: بمالـه تنـزل الحقـوق. لأنـه جعـل مالـه معرّسـاً للحقـوق. والتعريس: نزول آخر الليل، فاستعاره. و"تحيّف": جأر.

ويروى: "تخوّن"، أي: تنقص.[٤٥]

٤٣- لَقَـــــاحٌ فَلَـــــمْ تَخْدِجْـــــهُ بالـــــضَّيمِ مِنّـــــةٌ
ولا نَـــــالَ أَنْفـــــاً مِنْـــــهُ بالـــــذُّلِّ نَائِـــــلُ

قال الصولي:

يقول: عطاؤه كاللقاح التامّ. وهو الحمل التامّ. "فلم تخدجه"، أي: لم تنقصه مِنّـةٌ يَمُتَنُّ بها على مَـنْ يعطيه. وأخدجت الناقة: إذا أَلْقَـتْ سقبهـا ناقـصاً في وقتـه. فـإذا طرحته في غير وقته قيل. خَدَجته، وإنْ كان تامّ الخلق.

---

[٤٣] ويروى :

وزيـــــرُ حـــــقٍّ ووالـــــي شـــــرطة وُرَحـــــى
ديـــــوان مُلْـــــكٍ وشـــــيعيٌّ ومحتـــــسبُ

وهذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

قـــــد نابـــــت الجـــــزعَ مِـــــن أرويَـــــةَ النُّـــــوَبُ
واســـــتحقبتْ جِـــــدَّة مـــــن ربعهـــــا الحِقَـــــبُ

وقد مرّ ذكرها.

[٤٤] في كتاب الصولي "تنزل الحقوق".

[٤٥] جاء في كتاب التبريزي:

أي: ربما أخذَ منه الخطبُ الذي ليس له حقٌّ فيه.

وقال أبو العلاء :

الأجود أن يُروَى: "لم تَحْدِجْهُ" بالحاء، من الحِدْج: وهو مركب مِن مراكب النساء. ويكون قوله: ""لَقَاح" مِن قولهم: حَيٌّ لقاح إذا لم يدينوا للملك ولم يُصبهم سِباءٌ في الجاهلية. وهذا أشبه بالمدح، من أن يُروى "بالخاء"، ويُؤخذ من خِداج المولود.

ويكون "اللَّقاح": من لَقَحت الأُنثى لقاحاً. آخر كلامه.

وقوله: "ولا نال أنفاً منه بالذّل نائل": "نال": أصاب. وأنف كل شيء أوله، أي: لم يُصِب أوّله بالذلّ مُصِيبٌ. أي: لم يصل إليه بعد أن يذلّ.

ويجوز أن يكون "النائل": العطاء. أي: لم يصل إلى أنف مَنْ ماله نائل بالذلّ. كما لم يخدجه مِنّة بضَيْم.

وكلاهما محتمل.

٤٤- تَرَى حَبْلَهُ عُرْيانَ مِنْ كلِّ غَدْرَةٍ
إذا نُصِبَتْ تَحْتَ الحِبَالِ الحَبَائلُ[(٤٦)(*)]

قال الصولي:

يقول: حبل جوارك وودّك متكشّف بالوفاء، لا غدر فيه إذا كان غيرك ينصب مع حبال ودّه حبائل. ويحترب بها ذوي ودّه.

أراد بالحبال: العهود.

وقال أبو العلاء:

---

(٤٦) رواية الصولي والتبريزي "غَرْثان" مكان "عُرْيان".

(*) ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيت الآتي:

٤٥- فَتىً لا يَرَى أنَّ الفَرِيصَةَ مَقْتَلُ
ولكن يَرَى ان العُيُوبَ المَقَاتِلُ

قال الصولي: وروى "مقاتل".

" الفريصة": فوق الخاصرة، والجمع فرائص. فوق مرجع الكتف. يقول: العيب عنده قتل.

"ترى حبله غرثان": إذا نصبت للغادرين الحبائل. استعار "الغَرْثان" للحبل. و"الغرثان": الجائع الذي قد خلا جوفُه من الطعام.

أي: حبله لا غدرَ فيه. وذلك مثل قولهم: إمرأةٌ غَرْثَى الوِشاح.

ومَنْ أنشد "عُريان" فهو جدير بالتصحيف. لأن "الغَرْث" أحسن في الإستعارة هاهنا مِن "العُرْي". لأن "عُرْياناً" يجب أن يُصرف إذا كان لا مانع له مِن الصرف.

إستعارة "العُرْي" للحبل أجود مِن استعارة "الغَرْث" له، لقربه مِن الحقيقة، وإنْ منعه الصرف.

٤٦- لا غُمْــرُ قَــدْ رَقَّــصَ الخفــضُ قَلْبَــهُ
ولا طَــــارِفٌ في نِعْمَــــةِ اللّـــــهِ جَاهِــــلُ

قال الآمدي:

أي: ليس بِغُمْرٍ قد أبطره الخفض، أي: الرفاهية. فذلك معنى رَقَّصَ. أي: لا ينزو قلبه بطراً. ولا طارف في نعمة اللّه، أي: ولا حديث في النعمة جاهل بمقدارها.

ويروى: "قد رقّصَ الخوف" و"ولا خابطٌ في نعمة الله"، من قولهم: "خبط الرجل": إذا وَضَع نفسَه حيث كان، لينام.

٤٧- أبــا جَعْفَــرٍ إنّ الخَلِيفَــةَ إنْ يَكُــنْ
لِوُرَّادِنَــــا بَحْــــراً فإنَّــــكَ سَــــاحِلُ

في كتاب أبي زكريا:

أي: إنْ يكنْ خليفةَ الله في عباده فإنّك وزيره، وسائس أُمور رعيَّتِهِ.

ويروى: "لواردنا".

وروى الصولي: "لورّاده بحراً".

أي: بك يُوصَل الى عطائه كما يوصل بالساحل الى لُجّة البحر. ويجوز أن يريد: انك تعطي ولكن لا كعطائه، لأن ماءَ الساحل ليس كماء البحر، وإنْ كان منه.

والأول أجود لما يأتي فيما بعد هذا البيت.

٤٨- وَمَا رَاغِبٌ أسْرَى إليكَ بِرَاغِبٍ
ولا سائِلٌ أمَّ الخَلِيفَةَ سَائِلُ

قال الصولي :

يقول: الدنيا أنتما. ولا بدّ لِكُلٍّ واحد منكما، فلا يقال لِمَنْ رغب إليكما راغب، ولا لسائلكما سائل. وإنما يقال هذا لِمَنْ انتجع غيركما. وهذا كقولهم: ان السلطان لا يُسْتَحَى مِن سؤاله.

قال المرزوقي:

أَسَرَى وسَرَى بمعنى. يقول: الرغبة إليك، والقصد نحوك لا يُزريان بصاحبهما ولا يشينانه. بل هما فخر وجمال. وسؤال الخليفة وَوُرُود بابه لا يضعان من فاعلهما، ولا يحطّان من قدره. بل هما ذخر وعتاد.[٤٧]

٤٩- تَقَطَّعَتِ الأسْبَابُ إنْ لمْ تُغِرْ لها
قُوىً أوْ يَصِلْها مِنْ يَمِينِكَ وَوُصِلُ[٤٨]

في حاشية كتاب ابراهيم بن أحمد [بن الليث].

الرواية: "ويصلها". أي: تقطّعت أسبابي، مثل قول الله تعالى: {فَإِنَّ الجَنَّةَ هي المأوى}.[٤٩] أي: مأواه. ثم جاء بالألف واللام على حدّ: الحسن وجهه، ثم: الحسن الوجه.

و"الأسباب": الحبال. من قوله تعالى: {فليمدد بسبب الى السماء}.[٥٠]

يقول: متى لم تغر به تقطّعت أسبابه.

---

[٤٧] جاء في مخطوطة النظام بعد هذا الكلام، الكلام الآتي، وهو مكتوب بخطّ مغاير:

ينبغي أن ينشد بعد هذا "عطاؤك زين لامرئ إنْ حبوته.... الأبيات.

وجاء في كتاب التبريزي:

أي: ليس سؤالك وسؤال الخليفة يُشينُ من طَلَبه. ولا هو طمع، بل هو زيْنٌ.

[٤٨] رواية الصولي والتبريزي "ويصِلْها".

[٤٩] الآية (٤١) من سورة النازعات.

[٥٠] الآية (٥٠) من سورة الحجّ.

وقال الصولي:

"تغِر لها" تفتل لها، وحبل مُغار: مفتول. يريد: إن مَنْ لم تغر به وله سبب بك تقطّعت أسبابه.

قال المبارك بن أحمد:

وهذا البيت يقوّي ما ذكرته قبل: من انه بك يُوصل الى عطائه كما يوصل بالساحل الى لُجّة البحر.

٥٠- سِوَى مَطْلَبٍ يُنْضِي الرَّجاءَ بِطُولِهِ
وتُخلِقُ إخلاقَ الجُفُونِ الوَسَائِلُ

قال الصولي:

"يُنضِي": يهزل، ويمحق الرجاء. ويروى: "يَنْضَى الرجاء بطوله".

وفي كتاب ابراهيم بن أحمد بن الليث:

أي: سوى مطلب مِن مطالب غيرك. أي: فالمطلب الى غيرك يُنْضِي الرجاء، ويُخلق الوسائل معه إخلاق الجفون.

يقول: تقطّعت الأسباب مِن معروف الخليفة إن لم يصلها من يمينك واصلٌ. ولم يبق عنده مطلب إلاّ مطلب يطول علينا الوصول إليه، ويضعف الرجاء له. وتخلق الوسائل عليه لتأخره عنّا، وطول الزمان عليه. آخر كلامه.

قال المبارك:

قوله: "لم يبق عنده مطلب إلاّ مطلب يطول علينا الوصول إليه.. الى آخر كلامه".

ناقض به أوّله. والصحيح الأول. ويجوز أن يكون هذا الإستثناء منقطعاً، إذا أراد ان الأسباب تقطّعت من معروف الخليفة، لأن المطلب الذي هذا وصفه ليس من الأسباب المنقطعة من معروف الخليفة.

٥١- وَقَــدْ تــأْلَفُ العَــيْنُ الــدُّجَى وَهْــوَ قَيْــدُها
وَيُرْجَـــــى شِـــــفاءُ الـــــسَّمِّ والـــــسَّمُّ قاتِـــــلُ

قال الصولي:

ويُروَى: "وهو ضدّها".

يقـول: أنت كمـا وصفتُ فـإنْ لم تُحْسِن إليّ صبـرتُ عنـك. وألِفْــتُ مَــنْ لا أرْضَى، كما تألف العين الظُّلمة. وتستشفى في وقتٍ بالسّمّ.

قال الآمدي:

"وقد تألف العين الدّجى"، أي: ربّما. لأن قوله "قـد" يوجـب ذلـك. أي: ربّمـا سـكنت العين الى الظلمة، وألِفتها في حال، وإنْ كانت قيداً لها كالهـارب والخـائف، ومَـنْ يتمنّـى الليل ليخفى فيه ويسلم.

والعيون العليلة مِن الرّمد وغيره تكره الضياء، وتألف الظلمة وتريدهـا.

أراد: ويرجى الشفاء من السمّ. وقد يكون أراد شفاء السمّ، أي: الإستشفاء بـه، لأنّـه يتداوى بالسموم القاتلة إذا أُخِذَ منها مقدار بعينه فيعظم الإنتفاع به، فإنْ يزيد على ذلك المقدار؛ قتل.

وفي الحاشية بإزائه بخطّ يحيى بن محمد الأرزني:

قوله في هذا التفسير: "كالهارب والخائف": غلط في المعنى، لا تعلق العين بـه، وإنمـا الخوف يتعلّق بالنفس، ويكون على هذا: "وقد تأْلف النفس الدّجَى".

إنما أراد الشاعـر ان العين قد تستمر على الظلمة وتألفها إذا أكثـرت مـن معاناتهـا، كما يألف الإنسان الشيء الذي يكرهه إذا كثرت ملازمته له.

قال المرزوقي:

يقول: المرذول من الأمور والمفضول من الأسباب قد يُعْلَق الرجاءُ بهما إذا مَسَّت الحاجة، ودَعَت الضرورة نحوهما. كما ان العين الرّمدة تنتفع بالظلمة، وإن كانت قيداً لِشُعاعها. والسَّمُّ كلحوم الحيّاة وما أشبهها يتداوَى به وإنْ كان قاتلاً في نفسه.

وفي نسخة ابراهيم بن أحمد بخطّه:

أي: تنام وتستقر فيه وتلذه، وإن كان مانعاً لها مِنَ التصرف، لأن مُقاساة الليل ضرورة لا بد منها، فكأنه أراد: إن قطعت عطاءك وقليتني أحوجتني الى لقاء مَنْ لا يُلْقَوْن إلاّ عند الضرورة.

وهذا عندي يشبه قول المتنبي:

ومِن نكَدِ الدنيا على الحُرِّ أن يَرَى
عَدُوّاً لَه ما مِن صداقته بُدُّ[٥١]

٥٢ـ وَلي هِمَّةٌ تَمْضِي العُصُورُ وإنَّها
كعَهْدِكَ مِنْ أيّامِ مِصْرَ لَحَامِلُ[٥٢]

قال الصولي:

ويروى: "مِن أيّام وعدك". أي: كأنها حامل مِن وَعْدِك. تَرَقُّبُ وضع النُّجح.

وفي نسخة: "ولي هِمّة تمضِي العصور" و"مِن أيام مصر لحامل".

ويروى: "لعهدك" باللام.

وفي النسخة العجمية:

ويروى "لحائل"، أي: لم تحمل بعد مذ عهدك بمصر. أي: لم تجد من ترجوه غيرك.

---

[٥١] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

أقلّ فعالي بلَه أكثره مَجْدُ
وذا الجدُّ فيه نِلتُ أمْ لم أنلْ جَدُّ

وقد مرّ ذكرها.

[٥٢] رواية التبريزي: "كعهدك من أيامَ وَعْدِك حامل".

وفيها: أي: همّتي حامل لم تضع حملها مذ عهدك بمصر.

٥٣- سِـــنُونَ قَطَعْناهُــــنَّ حَتَّـــى كأنّمـــا
قَطَعْنَـــا لِقُـــرْبِ العَهْـــدِ مِنهـــا مَرَاحِـــلُ

قال الصولي:

يقول: كان الذي قطعنا من السنين لقربه مراحل. يريد: وعده، انه مضت لـه سـنون فكأنَّ السنة رحيـل مِن منزل الى منـزل، لتجديده الوعد كل وقت.

ويروى: "قطعناهُنَّ عشراً".

وفي النسخة العجمية:

ارتفع "مراحل" بتوهم "الهاء" في "قطعنا". أراد: كأنما قطعناه مراحل.

وهذا ليس بشيء.

٥٤- وإنَّ جَـزِيـــلاتِ الـــصَّنائِعِ لامْـــرِئٍ
إذا مـــا اللّيـــالي ناكَرَتْـــهُ مَعَاقِـــلُ[٥٣]

قال الصولي:

يقول: صنائعك معقل لك إن رَابَكَ دَهْر، لأن الناس يشكرونها لك.

ويروى "ناكدته" بالدال.

والمعنى: ان الصنائع الجزيلة تحمي صاحبها مِن أنْ يُذَمّ. فكأنهـا معقـل. أي: ملجـأ يعصمه.

٥٥- وإنَّ المَعَالـــي يَـــسْتَرِمُّ بِنَـــاؤُهَا
وَشِـــيكاً كمـــا قَـــدْ تَـــسْتَرِمُّ المَنَـــازِلُ

قال أبو العلاء :

[٥٣] رواية مخطوطة النظام "باكرته" بالباء، ورواية الصولي والتبريزي "ناكرته".

هذا ترغيب للممدوح في شفع يدٍ بيد، ووَصْل معروف بمعروف.

يقول: لا تزهد في كثرة الصَّنائع، فإنَّ المعالي إذا لم تُتَعَهَّد بالإحسان وتُتبَع بعضُها ببعض تَسْتَرِم أي: تَخْلُق. وتصير رِمَماً، كما تسترمّ المنازل.

و"يَسْتَرِمّ" يحتمل وجهين: أحدهما: أنْ يكون في معنى صار كذلك. كما يقال: استنسر البُغات، أي: صار كالنّسْر.

والآخر: أنْ يكون في معنى طالب الشيء، فيكون قوله: "يَسْتَرِمُّ بناؤها"، أي: يطلب أن يُرَمَّ، أي: يُصْلَح. كما يقال: استعطاني فلان. أي: طلب عطائي، واسْتَفْهَمَني، أي: طلبَ إفهامي. آخر كلامه.

وروى الصولي: "يُسْتَرَمُّ بناؤها" و"كما قد تُسْتَرم".(٥٤)

والرواية الأولى أجود.

٥٦- لَوْ حَارَدَتْ شُوْلٌ عَذرْتُ لِقَاحِهَا
ولكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ والضَّرْعُ حَافِلُ

قال الصولي:

يقول: لو كان منعك لي عن عوز عذرتُ. ولكن تمنعني مع إمكان ووزارة.

و"لِقاح": جمع لقحةٍ، وهي الناقة التي وَضَعَت. و"الدّرُّ": اللبن. و"حافل": ممتلئ باللبن. و"حاردت": قلّ ألبانها. و"الشول": النوق القليلة الألبان التي شال لبنها. أي: ارتفع وقلّ. وهي التي أتى على نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية. والواحدة: "شائلة".

قال الجوهري: هو جمع على غير قياس. يقال منه: شوّلت الناقة. بالتشديد. أي: صارت شائلة.(٥٥)

---

(٥٤) قال الصولي في كتابه:
يقول: معاليك قد بنيتها، تحتاج أن تتعهدها. أي: تتعهد صنائعك بالإحسان، ولا تقل قد فعلت حسبي. فإن المعروف بتمامه.

(٥٥) قال المرزوقي في كتابه "شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة"، ص ٢٢٤:

٥٧- مَنحْتُكَهَا تَشْفِي الجَوَى وَهْوَ لاَعِجٌ
وَتَبْعَثُ أشجانَ الفَتَى وَهْوَ ذَاهِلُ

قال الصولي:

من حُسْنِها تَشْفِي الجَوَى من حبّ أو حزن، وهو محرقٌ للقلب. وتبعث أشجان مَنْ سَلا وَتَرَك.

٥٨- تَرُدُّ قَوَافِيهَا إذا هِيَ أُرْسِلَتْ
هَوَامِلُ مَجْدِ القَوْمِ وَهْيَ هَوَامِلُ

قال الصولي:

يقول: تجمع هذه القوافي وإن كانت مهملةً المجدَ المتفرّق بالمدح.

وفي نسخة: أي: هوامل بالمعروف.

وفي النسخة العجمية:

"وهي هوامل": أي: أهملت، ولم ترع حقّ قائلها.

٥٩- فكَيْفَ إذا حَلَّيْتَهَا بِحُلِيِّهَا
تكونُ وهذا حُسْنُها وَهْيَ عَاطِلُ؟

قال الصولي:

يقول: هذا حُسْنُها وحُسْن ذكرها، ولم تعطني عليها شيئاً، فكيف إذا أعطيت؟.

هذا يشهد بصحة قوله: "أي أهملت ولم ترع حقّ قائلها".

٦٠- أكَابِرَنَا عَطْفاً عَلَيْنَا فإنّنَا

يقول: دام مَطْلك وتراخَى بَذْلُكَ مع استمرار الأمل فيك، ولو كان ذلك لإضافة وإعواز، ولكن تحرمني والنّعمة سابغة، والغِنى ممكن. و"المحاردة": قِلّة اللّبن. و"الشول": النوق القليلات الألبان. والواحدة: شائلة. و"الحافل": الممتلئ.

بِنَـــا ظَمَـــأ بَـــرْحٌ وأنـــتُمْ مَنَاهِـــلُ[٥٦]

[٥٦] رواية الصولي والتبريزي "ظَمَأً مُبْرِدٍ".

قال الصولي:

ويروى: "مُرْد". و"البَرْح": الشَّديد.[٥٧]

[٥٧] قال الصولي في كتابه: ٢/٣٤٤:

فلما قرأ محمد بن عبدالملك هذه القصيدة استحيا مِن جفائه. فاحْتجّ بأنه مَدَحَ غيرَه مِمّن هو دونه، وانه لو اقتصر عليه لأعطاه. وان كثرة مَدْحِه الناس زهّده فيه، فقال: وَوَقَّعَ بها إليه:

رَأَيْتُكَ سَمْحَ البيعِ سهلاً وإنّما
يُغالى إذا ما ضَنّ بالشيء بائعُهْ

فأمّا الذي هانَتْ بضائعُ بيعِهِ
فَيُوشِكُ أن تَبْقَى عليه بضائعُهْ

هُوَ الماءُ إن أجْمَمْتَهُ طابَ وِرْدُهُ
ويفسدُ مِنْهُ أن تُباحَ شرائعُهْ

فقال أبو تمام وكتبها إليه:

أبا جعْفَرٍ إنْ كنتُ أصبحتُ شاعراً
أُسَاهِلُ في بَيْعي لهُ مَنْ أُبايعُهْ

فقد كنتَ قبلي شاعِراً تاجراً بهِ
تُسَاهِلُ مَنْ عادَتْ مَنافِعُهْ

فَصرْتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعٌ
يَغَصُّ بهِ بَعْدَ اللَّذاذَةِ كارِعُهْ

وكمْ مِنْ وَزِيرٍ قد رَأَيْناهُ مُسَلَّطٍ
فَعَادَتْ وَقَدْ سُدَّتْ عليه مَطَالِعُهْ

وللّهِ قَوْسٌ لا تَطِيشُ سِهَامُها
وللّهِ سَيْفٌ ليس تنبُو مَقَاطِعُهْ

لم يذكر الصولي في شرحه ردّ أبي تمام هذا.

ويقول محقق شرح التبريزي الدكتور محمد عيد عزام:

ومع جودة هذه الأبيات التي ردّ بها أبو تمام على ابن الزيات وجواز نسبتها إليه من هذه الناحية، ومع ورودها في نسخ التبريزي أيضاً إلاّ أنّي ربما ترددت في نسبتها الى أبي تمام، واجترائه أن يرسل إليه وهو ببابه. وابن الزيات من نعرف في كيده وبطشه. وأغلب الظنّ ان بعض الرواة المهرة استغلّ القصّة. ووضع لها هذه النهاية.

[وأرى ان ما يؤكد ما ذهب إليه الدكتور عزام: ان أبا بكر الصولي لم يذكر هذه الأبيات في شرحه].

تمَّ الجزء الثاني والحمد لله ربّ العالمين. وصلّى الله على سيدنا محمد النبيّ وآله الطاهرين.

كتبه العبد الفقير الى عفو الله تعالى ورحمته محمد بن اسماعيل بن الحسن بن الحسين بن علي الهرقلي عفا الله عنه وعن جميع المسلمين. ووافق الفراغ من كتابته ضاحي نهار الأحد، حادي عشرِ مِن شهر شعبان في سنة ثمان وسبعين وست مئة الهلالية.

يتلوه في الجزء الثالث إن شاء الله.

"وقال أبو تمام: يمدح المعتصم ويذكر فتح الخرّمِيَّةِ".

وبهامش المخطوطة كتب ما يأتي:

قوبل بأصله الذي هو بخطّ شرف الدين مصنّفه رحمه الله، وهي المسوّدة. وفيها تكرار كثير، ويحتاج الى تنقيح وتهذيب، وما تمكّن رحمه الله مِن إصلاحها، وأعْلَمَ على مواضع، ليتحقق من الأصول التي نقلت عنها إن شاء الله تعالى.

وتمّت المقابلة في حادي عشر من شعبان من السنة، كلما أنجز كراس قوبل، والحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

*

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٥٣) لسنة ٢٠١٢

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة